تاريخ جسر الكمالة

«أحلب» «جوش حالاف» «الجش»

دراسة جغرافية تاريخية بشرية إجتماعية فولوكلورية

تأليف
الشاعر الأستاذ
خليل خلايلي

تاريخ جسر

«أحلب» «جوش حالاف» «الجسر»

دراسة جغرافية تاريخية بشرية إجتماعية فولوكلورية

تأليف

الشاعر الأستاذ

خليل خلايلي

الحلبي للصناعة والطباعة

صندوق بريد ١٣٠٣٨ - دمشق - سوريا

☎ ٢٢٢٤٠٣٩ - ٢٢١١٢٤٧ - فاكس ٢٢١٩٢١٢

تلكس ٤١٢٧٦٩ - حلبي - سوريا

خليل بن ابراهيم عثمان خلايلي

ولد في بلدة (الجش) سنة ١٩٣٣م

تلقى علومه الإبتدائية في مدرسة بلدته قبل النكبة .

هاجر إلى سورية إثر نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ م واستوطن في مخيم النيرب بحلب .

حصل على شهادة الدراسة المتوسطة والثانوية من مدارس حلب ،

التحق بجامعة دمشق عام ١٩٦٠م وتخرج في كليتي الآداب والتربية - فرع اللغة العربية .

عمل في التدريس بمدارس حلب ودمشق وغيرها .

عمل موجهاً للغة العربية وآدابها في المملكة العربية السعودية بين عامي١٩٧٩- ١٩٩١م

عضو في اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

عضو في اتحاد الكتاب العرب - فرع دمشق

من مؤلفاته:

- أغان من أرض كنعان (ديوان شعر)
- أحزان الصمّة القشيري (ديوان شعر)
- بانتظار الريح الشرقية (ديوان شعر)
- جذوع السنديان وعروق الأقحوان

وله عدة كتب في الأدب والنقد قيد الطبع .

تاريخ جسكالا : أحلب ــ جوش ــ حالاف ــ
الجش / خليل خلايلي . دمشق : الحلبي للصناعة والطباعة
٢٠٠١ ــ ٣٦٨ ص : مص ، ٢٤سم .
١ــ ٩٥٦/٤٣٢ خ ل ا ت ٢ــ العنوان ٣ــ خلايلي
ع ــ ٢٠٠١/٣/٣٣٩

مكتبة الأسد

الطبعة الأولى
٢٠٠١ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رقم موافقة وزارة الإعلام ٥٠٧٤١
تاريخ ٢٠٠١/٥/١٢

طبع من هذا الكتاب ١٠٠٠ نسخة

منظر لبلدة الجش ١٩٩٥

منظر لبلدة الجش ١٩٩٥

المؤلف

الإهداء

إلى أهالي بلدتي الحبيبة «الجش - جسكالا»، سواء منهم أولئك الذين بقوا فوق ترابها المقدس، أم أولئك الذين انتثروا كالنجوم تحت كل سماء.

إليهم وقد ذاق المقيم منهم مرارة الأسر، واكتوى النازح بنيران الغربة.

أهدي هذا الكتاب.

خليل

المقدمة

منذ اليوم الأول الذي وضعت فيه قدمي على عتبة كلية الآداب في جامعة دمشق، عام ستين وتسعمائة وألف، وقد مضى على مسيرتنا الدامية إثنا عشر عاماً أثر نكبة فلسطين، بزغت في خاطري فكرة هذا الكتاب بزوغ النجم في الليل الحالك البهيم. وجعل الحنين إلى الوطن يغذي هذه الفكرة وينميّها وطفقت تنتقل من طور إلى طور، وتداهمني بين الحين والحين، وإذا هي تتدفق إلى ساحة الشعور الواعي عذبة رقراقة كالماء الزلال أو كالسحر الحلال، فتعمل فيّ فعل السحر، وتتمثل لي بإهاب الغادة الحسناء أو العروس المجلوة في ليلة الزفاف.

ولكن المتاعب الدراسية والواجبات الجامعية وظروف العمل كانت كثيراً ما تسدل ستاراً من النسيان المؤقت أو التأخير المثبط في معظم الأحيان.

فكم من مرة تضاءل الموضوع في نظري، حتى هممت أن أكفّ عنه نهائياً وأتركه إلى غير رجعة.

ولكنه لا يلبث أن يعود على استحياء، فيلحّ عليّ إلحاحاً عجيباً محبباً حاملا في طياته شتى المغريات، وأتأمله فإذا هو أشدّ سحراً واعمق تأثيراً، فأعكف على البحث أللم عناصره من جديد.

حقاً إن الوفاء لمسقط الرأس، والحنين إلى أرض الآباء والأجداد، والى ملاعب الطفولة، ومطارح السمر ومراتع الشباب، هي التي أملت عليّ فصول هذا الكتاب. كما أن ألم الغربة ولوعة الاشتياق، وعوامل الإحباط هي التي غذّت النوازع، وعززت الفكرة وهوّنت ما لقيته من عذاب.

فالعمل في هذا الموضوع، جعلني أرتاح نفسياً وأشعر بالطمأنينة، فإني وإن لم أستطع أن أعيش مستقبل بلدتي، فها أنذا أعيش ماضيها إلى عصور موغلة في القدم، ومن قال إن الماضي لا يعدل المستقبل، هذا إذا لم يكن يتفوق عليه بما يحمل من صفات القدم المضمخ بجلال الخلود.

وهكذا رحت أنقّب في بطون كتب التاريخ وأفتّش في زوايا المكتبات، فلا أجد من المعلومات إلا النزر اليسير، الذي لا ينفع غلة ولا يروي ظمأ المتعطش إلى المعرفة والبحث وإحياء التراث.

كنت أشعر كلما وقعت على خبر ولو صغير عن بلدتي في كتاب من كتب التاريخ، شعور القافلة المنبتة في الصحراء وقد وقعت على واحة تجد فيها بعض الراحة والهناءة بعد أن أمضها السير وأنهكها التعب، وكاد يودي بها الظمأ ويوصلها إلى مهاوي الهلاك.

كانت أشهر الصيف بالنسبة إليّ اشهر عمل مجهد قاس، فما إن انتهي من الفحوص الجامعية، حتى اعكف على كبريات المكتبات في دمشق، ابحث أطالع أدون. وتنتهي العطلة الصيفية، فأعود إلى الجامعة، واطوي البحث إلى فرصة قادمة.

ومرت سنوات جامعية سبع، دون أن اظفر بمزيد من المعلومات في هذا الموضوع تحقق مأربي وتوصلني إلى غايتي. وتخرجت في كليتي الآداب والتربية، وخرجت في السنة الأخيرة من صف الماجستير - مزوّداً بالخبرة اللازمة في أصول البحث العلمي وبرغبة صادقة على البحث وارتياد الحقيقة.

ومر سنوات أربع دون أن ابذل أي جهد يستحق الذكر في هذا السبيل، حتى فاجأني مخاض التأليف صيف عام اثنين وسبعين وتسعمائة وألف، فأعود إلى ما دوّنت، فإذا به ليس بالقليل، وإذا بي في سنواتي الماضيات، قد وضعت مخطط البحث، ودوّنت المصادر والمراجع، ولم يبق عليّ إلا القليل القليل، فالجدّ الجدّ، والمثابرة المثابرة.

كانت همتي عالية، ولكن الطريق طويلة وشاقة، والمهمة عسيرة، والوسائل غير كافية، ولكنني أخيرا صمّمت على التنفيذ ووطّنت النفس على حمل الكلّ والعبء بجد ونشاط لا مثيل لهما.

كانت المصادر التي بدأت أفتش عنها واعتمد عليها نزرة يسيرة وتتوزع على الشكل التالي:

أ : مراجع موجودة: ولكنها ضئيلة الفائدة.

ب: مراجع مفقودة: كنت اعتقد بجدواها، ولكن الوصول إليها دونه شوك القتاد.

جـ: مصادر حية تتألف من الرجال المعمّرين، ولكن النزوح شتتهم في بلدان كثيرة متباعدة، في بيروت وصيدا وصور وطرابلس من لبنان، وفي دمشق وحمص وحماة وحلب من سوريا.

د : ومعلومات وحوادث كنت أختزنها في ذاكرتي ولكن الذاكرة كثيراً ما تخون، لا سيما بعد مسيرة في الزمان لا تقلّ عن ربع قرن.

وأخذت أبحث عن المراجع والمصادر بهمة لا تعرف الكلل ولا الملل،وأسافر في أشهر الصيف لألتقي بالمعمّرين من أبناء بلدتي، أستفسرهم، وانقل عنهم، أدون أخبارهم، والحقيقة رائدي والصدق غايتي. وعملت بأمانة وصدق وإخلاص، لم أتحزب ولم أتمذهب، ولم أفسح المجال أمام التعصب من أي لون كان، وتغلبت بشجاعة على الأهواء الفردية والنزعات الأنانية، سواء أكانت تلك الأهواء عائلية أم دينية أم نوازع فردية، ودوّنت الحقائق بروح التسامح والمحبة والود، لم ابخس أحدا حقّه، وأنى لي أن ابخس الناس أشياءهم، وليس منهم إلا حبيب أو قريب، أو ابن بلدٍ شاركني الولادة على الأرض الطيبة المعطاء، وفي الوطن المقدّس المكلل بالضياء، وشاركني بالتالي الشرب من

مائه النمير، واستنشاق هوائه المضمخ بالعبير، هذا ناهيك عن بحر العذاب الذي خضنا جميعاً لجّته، وصليب الألم الذي حملناه معاً عبر مسيرة الشقاء.

وهكذا رأيتني أرضى عن عملي كل الرضى، وأنظر إليه بعين المحبة والإعجاب. وإذا كان هنالك من خطأ وقعت فيه، أو تقصير كللت عنه، فما كان ذلك عن قصد، ولكن جلّ من لا يخطئ، وسبحان من له الكمال وحده.

فإذا قصّرت في تقصي الأخبار، أو عجزت عن تلافي بعض الأخطاء، فما ذلك إلا لبعد الشقة وطول الهجران، وامتناع السفر والاجتماع بالأهل المقيمين داخل أسوار الأسر الصهيوني البغيض، والذين نسأل الله لهم الفكاك العاجل والخلاص السريع، كما نسأل الله العودة للنازحين منهم والمشتتين تحت كل نجم، حتى يلتئم الشمل ويجتمع العقد ويصفو الزمان ويعود الأحباب إلى سابق عهدهم من الألفة والمودة... وما ذلك على الله بعزيز.

وحسن نيتي ونبل مقصدي يغفران لي تقصيري والكريم من أعذر... والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم الوكيل.

دمشق في ١٩٧٢/٧/١٩

خليل خلايلي

الباب الأول

الأرض والتاريخ

الفصل الأول

لمحة جغرافية

تمهيد

في الجليل الأعلى الملاصق للحدود اللبنانية عند بلدة (يارون)[١] وعلى هضبة محاذية لمنحدرات السفوح الجنوبية لجبل عامل، تتوسط المسافة بين مدينتي «صور» في جنوب لبنان وطبريا في الجليل الأدنى، تقع بلدة صغيرة تكتنفها أشجار التين والزيتون، وتشرف من موقعها المرتفع، على قمة جبل (حرمون)[٢] إذا هي تطلعت نحو الشمال الشرقي، في حين تطل عليها من الجنوب المنحرف قليلاً نحو الغرب قمة جبل (الجرمق)[٣] أعلى قمة في جبال الجليل. هذه البلدة الصغيرة التي تحمل اسم «الجش»[٤] منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، هي البقية الباقية من مدينة «أحلب» الكنعانية أو مدينة «جسكالا» الرومانية، إحدى كبريات مدن الجليل الأعلى، والتي مازالت آثارها وعادياتها تنبئ عن

---

(١) يارون: بلدة كنعانية قديمة، ومن المدن التي احتلها العبريون بقيادة «يوشع» وهي مذكورة بالتوراة باسم «يرؤون» وهي اليوم إحدى قرى قضاء «بنت جبيل» وملاصقة لحدود الوطن المحتل. وهذه القرية شهدت المعركة التي جرت بين «أحمد الجزار» والي عكا والشيخ «ناصيف النصار» زعيم جبل عامل.. ومنها البلاطة المشهورة التي قتل عليها «الشيخ ناصيف» جدّ آل الأسعد.

(٢) حرمون: عرف الكنعانيون هذا الجبل باسم (سيريون) بمعنى (الذي يذوب) وذكره الاموريون باسم (سنير) بمعنى (سن النور) ودعاه الآشوريون (سنيرون) ويعرف باسم جبل الشيخ أو جبل الثلج «وحرمون» معناها (محرم أو مقدّس). وعلى سفوح هذا الجبل جرت معارك البطولة الخالدة في تاريخ سورية المعاصر في السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م.

(٣) الجرمق: دعي «الجرمق» نسبة إلى «الجرامقة» القبيلة العربية التي تركت منازلها في اليمن واستوطنت في شمال فلسطين منذ أقدم العصور... ويقول بعض المؤرخين أن الجرامقة آراميون.

(٤) جاء في القاموس المحيط «للفيروز بادي» في مادة «جش» ما يلي: (الجش) بالفتح الموضع الخشن الحجارة وبالضم (الجش) الجبل والجمع جشاش... وشبه شفة فيه غلظ وارتفاع. واسم بلد صغير بين صور وطبريا. وجبل صغير في الحجاز لجشم... وجبل عند أجا بذروته مساكن «عاد» وعجائب «جش اعيار» موضع ماء ملح بأكناف شرّبه. (الجزء الثاني ص ٢٦٥).

بمجدها التليد وعزّها الدائر. ولا سيما في عصور الاحتلال الروماني، حيث بلغت ذروة مجدها ولبست أزهى ثيابها، إلى أن أطاح بمجدها ذلك ما أصابها من الزلازل ونكبات الطبيعة وويلات الحروب، حتى انكمشت على نفسها وتكورت على شكل العش كما يقول «العماد الأصفهاني»[1] الذي شاهدها إبان الحروب الصليبية في القرن السادس الهجري وهو في طريقه إلى دمشق عائداً من بيت المقدس بعد فتحه من قبل الزعيم الخالد العاطر الذكر السلطان صلاح الدين الأيوبي رضوان الله عليه.

وإذا كانت هذه المدينة قد تقلصت على هذا الشكل، وبقيت على حالتها تلك طيلة قرون عديدة منذ الحروب الصليبية حتى اليوم، إلا أن التاريخ استطاع أن يحفظ لنا في بطون الكتب الكثير من أخبارها وأخبار رجالاتها ونوابغها عبر العصور، ويقص علينا قصة مجدها وانحطاطها في سطور متفرقات في بطون الأسفار، يعلم الله كم لقينا من عناء، وبذلنا من جهد، وصرفنا من وقت في سبيل الكشف عنها وجمعها في هذا الكتاب المتواضع، خدمة للحقيقة ولعشاق التاريخ، والباحثين عن الأوابد والعاديات من جهة، واعترافاً بالفضل والجميل لتلك الأرض المعطاء من جهة أخرى، فقد كان لنا شرف الولادة عليها وإبصار النور لأول مرة، وكانت أطيب مرتع لطفولتنا وباكورة شبابنا، غذّتنا بنسيم جبالها العليل، وروتنا بمياه ينابيعها العذبة، وجادت علينا كرومها وبساتينها بوافر خيرها العميم، أرضعتنا طبيعتها السمحة ومناظرها الرائعة الخلابة محبة الحق والخير والجمال، ومنحتنا زاداً لا ينفد على الدهر. ولذا فنحن نسأل الله جادين مخلصين أن يهيئ لها الخلاص والتحرر من قيد الصهيونية الخبيث، الذي وقعت في أسره منذ عام النكبة سنة ١٩٤٨ م حتى تلم رفاتنا بعد موتنا كما لمّت رفات أجدادنا الاكرمين رضوان الله عليهم منذ عهد في الزمان سحيق.

الموقع:

إلى الشمال الغربي من مدينة(صفد)[2] وعلى بعد ثلاثة عشر كيلومتراً تقع بلدة «الجش ـ

---

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ـ ص ٦١٤ ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٥ ـ تحقيق: محمد محمود صبح. وفي هذا المعنى أقول من قصيدتي «غداً يطل سؤال».

بنيّ نحن أناس ... من الديار السليبة
من نجمة تتلظى ... فوق السفوح الخصيبة
من قرية عش نسر ... فوق الأعالي الأعالي
يمر طيب شذاها ... بجالات التلال

(٢) صفد: درة الجليل وقصبته، وعاصمة القضاء المسمى باسمها، وهي تعود بتاريخها إلى أيام الكنعانيين، ومن=

=المرجح أنها تقوم على بقعة «تريفوت» التي ذكرتها النقوش المصرية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد بين مدن الجليل الأعلى. عرفت في العهد الروماني باسم Sepph وكانت قلعة حصينة ومقراً للقسس. لم يرد ذكرها في الفتوحات الإسلامية «كطبريا» التي كانت قصبة للأردن آنذاك، ولعلها أهملت بسبب كثرة ما أصابها من الزلازل، ولذا فهي لم تذكر في مؤلفات المؤرخين العرب أمثال البلاذري واليعقوبي والطبري وغيرهم... عادت فازدهرت بعد أن بنى فيها الملك الصليبي (فولك) قلعة سنة ١١٤٠م. وقد صار لهذه المدينة شأن كبير في الحروب الصليبية نظراً لموقعها الفذ الذي يشرف على الجزء الشمالي من الجليل، وعلى الطريق بين دمشق وعكا.

وبعد معركة حطين سنة ٥٨٣هـ ١١٨٧ م تمنّعت قلعة صفد بالداوية فرتب عليها «صلاح الدين الأيوبي» جماعة يعرفون بالناصرية، ومقدمهم «مسعود السلطي» ثم اتبعهم بقوة قوامها خمسمائة فارس. ثم قاد صلاح الدين الحصار بنفسه، ولم يزل القتال متواصلاً حتى سلمت في الرابع عشر من رمضان سنة ٥٨٤هـ ...ثم عادت إلى الصليبيين، فبعث «الظاهر بيبرس» حملة بقيادة الأمير «بكتاش الفخري» ثم لحق به السلطان «بيبرس» في الثامن من رمضان سنة ٦٤٤ هـ، فنصب عليها المنجنيقات، واشتد القتال بعد عيد الفطر من ذلك العام حتى يوم الجمعة الثامن عشر من شوال، حيث استسلمت القلعة، ودخلها السلطان «بيبرس» وبنى «بصفد» جامعين أحدهما في القلعة والثاني «الجامع الأحمر» الباقي إلى اليوم.

لقيت صفد ذروة ازدهارها في زمن المماليك، حيث أصبحت إحدى نيابات السلطنة الست في بلاد الشام، وهي دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك، وفي هذا العهد أنجبت اشهر رجالاتها «الصلاح الصفدي» «خليل بن ايبك» صاحب المؤلفات الشهيرة، والمتوفي في دمشق سنة ٧٦٤ هـ ١٣٦٣ م والذي يعتبر من اعظم الأعلام الذين ظهروا في بلاد الشام.

ولما تولى «تنكز» نيابة الشام في عهد الملك «الناصر بن محمد قلاوون» عمّر فيها عام ١٣٢٥م خاناً ومستشفى «بيمارستان» وفي العهد العثماني بنى فيها الوزير العثماني المشهور «سنان باشا» سوقاً. وفيها ولد الشيخ ظاهر العمر الزيداني سنة ١٦٨٩م ثم اسند إدارتها لابنه «علي الظاهر» بعد أن آل أمر بلاد الجليل إليه، ولهذا يدعوها المتاولة بـ (صفد العلي). وكان فيها آنذاك معهد لتعليم الصرف والنحو والفقه وتفسير القرآن.

استولى عليها نابليون سنة ١٧٩٩م، أرسل لهذا الغرض الجنرال «مورا» إلا أن هذه الحملة اضطرت إلى الانسحاب بعد هزيمة نابليون بونابرت أمام أسوار عكا. ثم احتلها المصريون بقيادة «إبراهيم باشا» إلا أنها ثارت عليهم سنة ١٨٣٤ م فعهد إلى الأمير «بشير شهاب» بإخماد ثورتها، فاستعمل مع الصفديين كل الشدة، واعتقل عددا من وجهائها، بينهم «الشيخ عبد الغني النحوي» نائب صفد، و«الشيخ محمد السلطي» مفتيها، و« الشيخ محمد النقيب» نقيبها، واصدر عليهم أوامر بالنفي. وفي عهد إبراهيم باشا دمرها الزلزال في ١٨٣٧/١/١ م وبلغت الضحايا فيها وفي توابعها (٢١٥٨) قتيلاً.

ثم عادت إلى العثمانيين، أعلنوها مركز قضاء في ٩ شباط سنة ١٣٠٠هـ وعيّن لها «سعيد شهاب بيك» أول قائم مقام لها. ومن القائممقامين الذين تولوا أمور قضاء صفد المرحوم «موسى كاظم الحسيني».

استولى عليها البريطانيون في ٢٢/أيلول / سنة ١٩١٨ م بعد أن هزموا الجيوش العثمانية، وظلت مركزاً للقضاء طيلة حكمهم. كان عدد سكانها سنة ١٩٤٥ م (١١٩٣٠) شخصاً، منهم (٩١٠٠) مسلماً و(٤٣٠) مسيحياً و(٢٤٠٠) من اليهود.

من أشهر عائلاتها العربية «آل الخضراء» ومنهم الوجيه «صبحي الخضراء» وابنته الشاعرة «سلمى الخضراء الجيوسي» و«آل قدورة الخالدي»، و«آل النحوي»، و«آل الأسدي» و«آل العباسي» و«آل سعد الدين (السعدي)» و« آل رستم» و«آل الحاج عيسى» ومنهم الشاعر «محيي الدين الحاج عيسى» و«آل حامد»

جسكالا» على أكمة مرتفعة تسمى «العنقور» وتمتد على مساحة قدرها واحد وسبعون دونماً[1]، في موقع حصين جداً، إذ تشرف من جهات ثلاث على منحدرات سحيقة يصعب تسلقها إلا بشق الأنفس، فهي من الشرق تشرف على انهدام سحيق سببه زلزال كبير أصاب البلدة عام ١٨٣٧م ونزل بجزء منها إلى عمق يزيد على مائتي متر على وجه التقريب. وهذا الانهدام يسمى المخسوفة. وفي اعمق نقطة منه تجري مياه عين «الجش» العذبة مشكلةً وادياً كبيراً، تقوم على جانبيه البساتين التي تروى من مياه تلك العين وتغذي البلدة بأنواع الخضار والفواكه، التي تشتهر بها بساتين البلدة، وخاصةً التين «الشماطي» الشتوي، الذي يمتاز بكبر حجمه وبقائه حتى أواخر فصل الشتاء ناهيك عن أشجار الجوز واللوز والرمان والتفاح والمشمش والخوخ والحور والزنزلخت والصفصاف.

أما الجوانب التي لا تصل إليها المياه فهي مغروسة بأشجار التين و الزيتون. وفي منتصف هذا الانهدام المسمى «بالمخسوفة» تقع أطلال قصور وكنائس بيزنطية قديمة ظلت دفينة التراب حتى عام ١٩٠٥م حين وفدت (بعثة أثرية ألمانية)[2] كشفت عنها وغادرت البلدة تحت جنح الظلام مزودة بلعنات أهل البلدة واتهاماتهم بأنها وقعت على الكنوز المليئة بالذهب والتحف!!

=و«آل القلا»، والنجاحرة ومنهم «آل الرفاعي» و«آل حجازي» ومنهم الشهيد الجليل (فؤاد حجازي) و«آل الشاعر» ومنهم الثائر (عبد الله الشاعر) وشقيقه الشهيد (رشيد الشاعر) و«آل محيي الدين» و«آل الخولي»، و«آل عبد الرحيم» و«آل الصرصور» و«آل شما» (وهم من الطائية)، و«آل درّاه»، و«آل العسكري» و«آل السيد»، وغيرهم...

سقطت ليلة التاسع من أيار بيد عصابات الصهاينة بعد أن دافع عنها أهاليها دفاع الأبطال. وهي ما زالت تنتظر يوم الخلاص وترتقب المخلّص الشهم الذي سيعيدها إلى دنيا العروبة مشرقة وضاءة. راجع (بلادنا فلسطين في ديار الجليل).

(١) هذه هي مساحة البلدة في عهد الاحتلال البريطاني وحسب إحصائيات عام ١٩٤٥م إما في عصور ازدهارها فكانت تمتد على مساحة أوسع من ذلك بكثير. بدليل وجود المواقع الأثرية و الخرائب بالقرب منها. ومن المواقع الأثرية التي تقع في جوارها.

أ ـ خربة العلوية: وهي تقع شمال القرية ويقول بعض المؤرخين أنها كانت عامرة في العصر الوسيط، وهي تحتوي الآن على حجارة الأبنية المهدمة، و المغر و الصهاريج.

ب ـ خربة نسيبة: وتقع في الشمال الشرقي من «الجش» بينها وبين قرية «الرأس الأحمر» وهي تحتوي على جدران مهدمة، أسس، و صهاريج، ويظن الأستاذ (مصطفى مراد الدباغ) أنها محرفة عن كلمة «ناسوبا» السريانية بمعنى «الزارع» أو «الغارس».

والأصح أنها من كلمة «نصيبا» السريانية بمعنى «المغروس». (المجلة البطريركية).

(٢) هي جمعية المستشرقين الألمان وتدعى بالألمانية Deutsche Orient GesellschaBt.

وتظل البلدة من الشمال على منحدرات سحيقة أيضا ذات تربة كلسية بيضاء تذهل المتطلع، وهذه المنحدرات الشمالية تسمى «البياض» وهي حلال مغروسة بأشجار التين «البياضي» وهو نوع أصغر من التين «الشماطي» وأشد حلاوة يمتاز بلونه الأصفر ولهذا يحفه أهل البلدة فيكتسب بتجفيفه اللون الذهبي الجميل، ويلعب دورا كبيرا في تغذية أهل البلدة في فصل الشتاء حيث يحشونه بالجوز أو اللوز و يغمسونه بزيت الزيتون ويتناولونه هنيئاً مريئاً.

أما من الغرب فتشرف البلدة على خلة (منحدر) تقع بين «العنقور» وهضبة أخرى توازيها يسميها أهل البلدة «دبة ظهر الحمار» وبين الهضبتين تتشكل غابة كبيرة تموج بأشجار التين و الزيتون.

أما من الجنوب، حيث تتجه البلدة فيخف الانحدار ويتدرج ببطء حتى يستوي مع الأرض الواطئة السهلة ويتصل بالطريق العام، وهذه السهول القبلية كمثيلاتها مغروسة بأشجار التين والزيتون أيضاً.

المواقع المشهورة:

قلنا أن (الجش) تطل نحو الشرق على واد كبير، تجري فيه مياه عين (الجش) العذبة، وهو يقع في انهدام صخري عميق.

إلا أننا إذا تسلقنا هذا الانهدام شرقا، ارتفعنا إلى منطقة عالية توازي (العنقور) تسمى (عابريا)، وهي مملوءة بالكروم وفي طرف (عابريا) الجنوبي تقع منطقة أخرى مغروسة بكروم العنب تسمى (الشواغير) ويسيل في هذه المنطقة شاغور كبير يتحلب من المرج، ويرفده شاغور آخر أصغر منه يأتيه من الشمال، وهذان الشاغوران يمتلئان بالماء في فصل الشتاء وينصبان بمياههما في الوادي، الذي يصعب عندئذ عبوره إلا على الجسور الخشبية، ويشكل منظرا رهيبا يملأ النفس بالخوف والرهبة. وهو يتجه شمالا حيث يلتقي بوادي (الظل)، الذي يتشكل من المياه المنحدرة من سفوح جبل (الجرمق) الشمالية المقابلة للبلدة من الجنوب الغربي، وينحدر نحو الشمال مارا في أرض فسيحة تزرع بالقمح والشعير تسمى (النمورة) مجتازا (خلة) خالد في الجنوب، ووادي (ناصر) في الوسط، وينتهي إلى غابة عظيمة مملوءة بأشجار الملول والسنديان، حيث يسمى بوادي (الظل) ويسير شمالا إلى أن يلتقي بوادي (الجش) ووادي (فارة). ويتجه عندئذ نحو الشرق قاصدا (الغور)، ويسمى قبل مصبه في بحيرة (الحولة) بوادي (الحنداج).

أما إذا تتبعنا الشاغور وتسلقنا منحدراته وصلنا إلى سهل فسيح يقع على بعد ثلاثة كيلومترات شرقي البلدة و تطل حوافيه على البلدة من عل هذا السهل الفسيح يسمى (المرج) أو (مرج الجش) وهو سهل يمتاز بتربته الحمراء الخصبة حيث يزرع بالبطيخ والشمام، ويزرع بالحنطة والشعير أحيانا أخرى، ويغل غلالاً طيبة.

وفي طرفه الجنوبي الشرقي تقع بركة كبيرة تتجمع فيها مياه كثيرة في فصل الشتاء تسمى (بركة الجش) تستخدم في سقاية المواشي حتى أواخر الصيف.. ثم تجف لتزرع تربتها الناعمة بالكوسا والقثاء.. وقد مر بها العالم اللاهوتي الرحالة الدكتور (إدوارد روبنصون) في منتصف القرن التاسع عشر ووصفها بقوله: (نحن الآن في أرض حجارتها بركانية سوداء كالتي حول بحيرة (طبرية).

وصلنا إلى سهل فسيح مرتفع، بموازاة (قديثا) أو أعلى قليلا. كانت الحجارة البركانية تتكاثر كلما تقدمنا، حتى لم نعد نرى سواها. وعدا أنها كانت تغطي وجه الأرض، فقد ظهرت وكأنَّ الصخور مركبة منها. شاهدنا وسط السهل، كوما من الحجارة السوداء وحمما تحيط بفرجة كبيرة كانت سابقا ولا ريب فوهة بركان. و الفوهة حوض بيضوي الشكل، غارق في السهل باتجاه الجنوب الغربي فالجنوب والشمال الغربي فالشمال. طوله يراوح بين ثلاثمائة وأربعمائة قدم، وعرضه نحو مائة وعشرين قدماً تقريباً جوانبه كالرفوف، ولكنها منحدرة ووعرة، ويتضح للناظر أنها مركبة من الحمم. و بالقرب من الطرف الشمالي الغربي، فسحة عرضها بضعة أقدام، انحدارها يتدرج من أسفلها إلى أعلاها، مخلفا فتحة أو بابا في جدار الفوهة. والحوض غالبا ما يكون مملوءا ماء فيكون بركة. أما الآن فهو جاف تقريبا. ولا يوجد فيه غير الوحل وكل ما حوله آثار تدل على سابق هيجانه. وهذا ظاهر من طبقة الحمم وكوم الحجارة البركانية الكثيرة... وهذه البركة تسمى «بركة الجش»[1].

والحقيقة أن هذا المرج تشترك بملكيته معظم القرى المحيطة به كـ(الرأس الأحمر) و(طيطبا) و(دلاثة) و(قديثا) و(الصفصاف) كما تسقي مواشيها وأغنامها من بركته في فصل الصيف أيضاً. أما منحدرات المرج الغربية المطلة على البلدة فتسمى في طرفها الجنوبي (العقبة) وفي وسطها تسمى (العرايس) التي تتصل شمالاً بالشواغير، والشواغير تتصل بدورها (بعابريا) التي تحاذي أراضي الرأس الأحمر شمالاً.

(١) ادوارد روبنصون: يوميات في لبنان ـ الجزء ١ ـ ص (١١-١٢) ترجمة أسعد شيخاني.

أشهر المواقع الجنوبية:

الكروم الواقعة جنوب البلدة تسمى (القبلة) وهي سهل فسيح أيضا مغروس بكروم التين والزيتون، وفي طرفه الشرقي يتصل بالعقبة وفي طرفه الغربي يتصل (بالشمالي) والشمالي يمتد بدوره نحو الغرب متصلاً (بالشوط) الذي يمتد ليتصل (بالنمورة) من الجنوب الغربي و(بالرحراح) في الشمال الغربي.

و(الرحراح) منتجع مواشي البلدة يحمونه طيلة فصل الشتاء إلى أواسط فصل الربيع ثم يسمحون بإدخال المواشي لرعيه بقية السنة، وبين (الرحراح) و(النمورة) أي في آخر (الشوط) غربا تقع بركة اصطناعية صغيرة صنعها أهالي البلدة ليستفيدوا من مائها في سقاية المواشي، وسقاية أغراس التبغ التي تشتهر البلدة بغرسها وتربيتها و تصنيعها. وأكثر ما تزرع في الأراضي الملاصقة للبلدة (الجدار) حيث تطول نبتة التبغ وتبلغ المترين أحيانا، ويزدان رأسها بأزهارها الوردية.

المواقع الغربية:

أما من الغرب فأشهر المواقع هي (الخلة) ويقال لها (خلة البرج) المحاذية للبلدة و التي تفصلها عن (دبة ظهر حمار) و(دبة ظهر حمار) أو (دبات ظهر حمار) كما تسميها «الوقائع الفلسطينية» وهذه تلة كبيرة تقع غرب البلدة تمتاز بوجود مغارة ذات باب حجري في منتصفها، كما تكثر فيها النواويس والمدافن القديمة وسفوح هذه التلة مغروسة بأشجار الزيتون أما سطحها فهو عار من الأشجار تماما... وهو عبارة عن مسطحات كلسية... وتمتد منه إلى الشمال الغربي أيضا منحدرات كلسية تزرع بالذرة و الخضار الصيفية.. وهذه المنحدرات تستمر لتتصل بالغابة الوعرية و التي يسميها أهل البلدة الوعرة... ويشترك في ملكية هذه الوعرة كل أهالي «الجش» وأهالي «كفر برعم» والوعرة هذه مسرح للذئاب والحيوانات المفترسة، وقد شاهدت بأم عيني وأنا طفل قطعان الذئاب تتبختر فيها بحرية. ويقول المعمرون من أهالي البلدة... أن النمور والأسود كانت تعيش فيها إلى زمن ليس ببعيد... ثم لم تعد ترى أبداً.

ولقد رأيت (الوعرة) تلك في طفولتي وفي مطلع شبابي وكنت أعجب لعظم أشجارها وشدة وعورتها.. وكم كنت أرتجف عندما كنت أتخيل نفسي وحيدا فيها تحت جنح الظلام.

المياه والينابيع:

تشرب البلدة من «عين الجش» الواقعة في الوادي شرقها كما أسلفنا، كما يروي الأهالي بساتينهم وزروعهم من فائض مياه هذه العين، وكانوا يذوقون الأمرّين في نقل مياه الشرب إلى البيوت على رؤوس النساء وظهور الدواب، وكثيراً ما كان يشاركهم أهالي القرى المجاورة (الرأس الأحمر)، (طيطبا)، (دلاتة)، (قديثا)، (الصفصاف) في السقاية من مياه العين في سني الجفاف حيث كانت تجف ينابيعهم وتبقى عين «الجش» رقراقة صافية كعين الديك، والعين تنبع من تحت تلة صغيرة من تجويف بني عليه عقد في العهد العثماني وتسير مسافة قصيرة ثمّ تندفع من ميزاب لتنصب في جابية (ران) تمتلئ بالماء وتسيل إلى الوادي لتسقي البساتين، وبقيت على هذه الحال حتى عام ١٩٤٦ م حيث قامت البلدة بمشروع ضخ الماء إلى خزان في أعلى منطقة (العنقور)... ثمّ تسيل فيه إلى الحواري في البلدة، وهكذا نعم أهالي البلدة بالماء بين البيوت ونسوا المشقة التي كانوا يتعرضون لها عبر زمان طويل.

وفي فصل الشتاء يرفد العين نبع يخرج من مغارة طويلة وضيقة تقع فوق وغرب التلة التي تنبع منها العين وهذا النبع يسمى (عكروش) وهو ينحدر من بعد عشرة أمتار من العين وينصب في الوادي من ارتفاع يزيد على العشرين متراً بعد أن يسير مسافة عشرين متراً أخرى نحو الشرق فوق الصخور، بلون الثلج الجميل، مشكلاً منظراً لا أجمل ولا أبهج، إلا أن هذا النبع يجف في فصل الصيف. أما على امتداد الوادي، فتوجد ينابيع كثيرة اشهرها (عين الحزّان) تنحدر من(عابريا)وتصب في بداية الوادي الجنوبية وهي تسيل من الشرق إلى الغرب على بضعة أمتار فقط.

وفي منتصف الوادي توجد نبعه (العين الباردة) وهي تنبع من (البيّاض) لتسير نحو الشرق لتصب في الوادي على مسافة قصيرة، ويستفاد من مياهها أيضا في إرواء بعض البساتين. وفي الوادي ينابيع أخرى لا أهمية لها تذكر[1].

(١) من أشهر هذه الينابيع (نبعة عبود) شرقي البلدة ويعيش فيها العلق ونبعة (إسحاق) وهناك ينابيع أخرى في البساتين أشهرها... ينبوع في بستان (الحاج سرحان محمد خلايلي) وينبوع آخر في بستان (الحاج حسين علي خلايلي)، وينبوع في بستان (سليم علي أيوب) وينبوع في بستان (خالد سعيد زيدان) ومياه هذه الينابيع تستخدم في سقاية الزروع. ونبعة إسحاق التي تنبع من مسيل إسحاق وتتجمع في بركة منحوته من الحجر وتستخدم مياهها في ري أحد البساتين القريبة منها... وحولها غابة كبيرة من العليق تعيش فيها الأفاعي الرهيبة والثعابين. وفي شرقي البلدة نبعه مالحة تسمى (العين المالحة) ولكنها تجف في نهاية فصل الشتاء.

أما في شمال البلدة فيوجد نبع صغير يسمى (عين المقيسبة) ظل مهملاً زمناً طويلاً، إلى أن انتبه إليه أصحاب الأراضي المجاورة فاستخدموا مياهه في إنشاء بعض البساتين. ومياه هذا النبع تسير شمالا ثم تنحدر من علو شاهق لتصب في نهاية الوادي على مقربة من (نبع البلاط) عند التقاء (وادي الجش) (بوادي الظل) وبعض المصادر تسمى هذا الجزء من الوادي بوادي (المعضميه) نسبة لقرية كانت تقوم هناك إلى زمن ليس ببعيد ولكن لا وجود لها اليوم، ولعلها (خربة العلوية) المذكورة آنفاً.

جبل الجرمق:

ومن أهم المواقع المتميزة القريبة من «الجش» جبل «الجرمق» وهو يمتد أمامها كحاجز عظيم من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، أما كتلته الكبيرة فتقع قبالة الجنوب المنحرف قليلا نحو الغرب، وقمته أعلى قمة في جبال الجليل بل أعلى قمة في فلسطين كلها، إذ ترتفع /١٢٠٨/ أمتار عن سطح البحر.

وسمي «الجرمق» نسبة إلى مدينة «الجرمق» الداثرة و التي كانت تقوم في أعلى نقطة منه، وتسكنها قبيلة «الجرامقة»[1] العربية التي تعود بأصولها إلى عرب اليمن، على أن «شيخ الربوة الدمشقي» المتوفى في صفد سنة ٧٢٧هـ وصاحب كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) يرجع نسب الجرامقة إلى العبرانيين[2]، في حين ينسبهم بعض المؤرخين إلى الآراميين[3] ومن الجرمق تتفرع عدة أودية أشهرها وادي (الجرمق) وقد شاهده «ياقوت الحموي»[4] وقال عنه ووادي الجرمق كثير الأترج و الليمون، قتل فيه «علي بن الحسين بن أحمد بن جميع الغساني» بعد سنة ٤٥٠ هـ. ويسميه الأهلون أيضا (بجبل الزابود) نسبة إلى خربة (الزابود) الباقية آثارها إلى اليوم و التي كانت مأهولة بالسكان إلى زمن قريب.

وجبل الجرمق مكسو بالأشجار الوعرية، أما سفوحه فمغروسة بأشجار الزيتون، كما تزرع بالحنطة والشعير والجلبان، و أشهر تلك الأراضي «النمورة» السالفة الذكر، وتشترك في ملكية

(١) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول ص (٤٨) بيروت ١٩٦٥.

(٢) محمود العابدي، من تاريخنا، ص (١٥٨)، عمان ١٩٦٣.

(٣) الدكتور أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص (٤٦٥) دمشق ١٩٧٣.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني ص (١٢٩) بيروت ١٩٥٦.

سفوحه الشمالية أربعة بلدان هي «الجش» «سعسع» «والصفصاف» و«ميرون» أما سفوحه الجنوبية فمعظمها ملك لأهالي القرى الدرزية (كبيت جن) وغيرها.

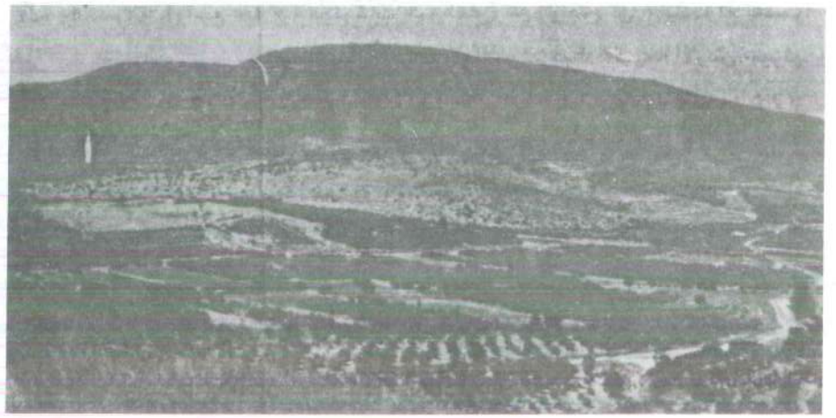

منظر عام لجبل الجرمق والأراضي الزراعية جنوب غربي القرية

وقمة هذا الجبل تشرف على البحر الأبيض المتوسط غربا وعلى بحيرة (طبريا) ومدينة «صفد» شرقاً، وجبال الجولان وبحيرة الحولة وسهل الغور وجبل (حرمون) شمالاً.

وإن أنس لا أنس صباح ذلك اليوم المشرق الجميل من ربيع سنة(١٩٤٤) م يوم اتفقنا نحن طلاب مدرسة «الجش» مع أستاذنا المرحوم الشماس «اتناس يوسف عقل»[1] على الصعود إلى قمة الجبل.

---

(١) هو الشماس اثناسيوس بن الخوري يوسف عقل، من أسرة عقل الجشية العريقة والمتنورة ولد في «الجش» في مطلع القرن العشرين، وعاش حياته القصيرة في النصف الأول من هذا القرن. تعلم في أحد أديرة لبنان وحصل عل قدر وافر من علم اللاهوت ثم رسم شماسا وارتدى مسوح الرهبان تضلع باللغة العربية ونظم الشعر بها، وأتقن إلى جانبها عدة لغات أخرى كالسريانية والعبرية والإنكليزية والفرنسية. تزوج من ابنة بلده «سمية رفول عساف» ورزق منها ابنتين و لم تنجب له أولاداً ذكوراً.عمل معلما للغة العربية في «مدرسة الجش الأميرية للبنين» ١٩٤٣ م وبقي فيها حتى وفاته كان رحمه الله يمتاز بصفات فريدة ومزايا نبيلة وشخصية فذه وأهم هذه المزايا محبته لأبناء بلدته وغيرته عليهم، ولذا فقد كان يحضهم على العلم والتقدم والنهوض بكل ما أوتي من علم وذكاء وفطنه وأريحية. كان لي شرف التلمذ عليه في اللغة العربية وعلم العروض وهو أول من حبب إلي قرض الشعر، إذ كان يقرأ علينا بين الحين والحين قصائد من نظمه.. وكان يعتز كثيراً بقصيده من شعره في رثاء أمه. توفي في «الجش» في الخمسينات ودفن فيها.. أوسع الله له في جنان النعيم.

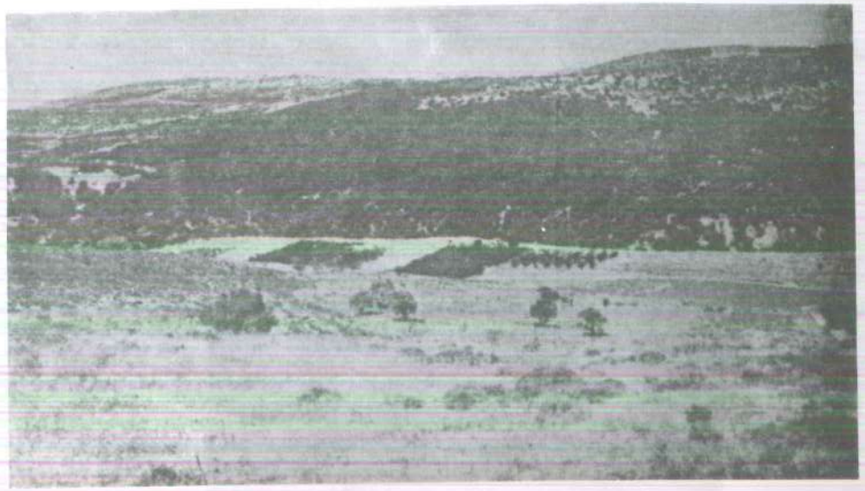

غابة الجش غربي القرية، وادي ناصر، ووادي الظل

كان أستاذنا رحمه الله بدينا للغاية وذا لحية كثة أشبه بلحية كاهن آشوري، وكان يرتدي ثياب الكهنوت السوداء وهي عبارة عن مسح أسود طويل، ويعتمر قبعة صفراء كبيرة.

كان وزنه يزيد على مائة وثلاثين كيلو غراما، ويميل إلى القصر، حتى إن رقبته تكاد تلتصق بكتفيه، وكنا نحن صغاراً كالعفاريت «كنت آنذاك في الصف الرابع الابتدائي».

كنا نسبقه لخفتنا، ونجلس في الأعالي لنستريح، حيث يلحق بنا وهو يلهث، وقد تورمت وجناته الممتلئتان، وكاد الدم يتفجر منهما وقد نضحه العرق، ولكننا وللحقيقة والتاريخ نقول: إنه كان يتمتع بإرادة عجيبة وحب على الاكتشاف عظيم، ويتميز بعناد أهل الجبال وشجاعتهم الرائعة، ويحب أن ينقل هذه الصفات إلى تلامذته، ولهذا فقد ظل يناضل ويجاهد، حتى استطاع أن يرتفع معنا إلى قمة هذا الجبل الشاهق، ووقف يشير لنا بأصابعه القصيرة الثخينة، شارحاً المواقع واحداً إثر واحد، ومشيراً إلى جمالها بدهشة محببة، آه رحمه الله... لقد جعلنا نشاهد منظراً من أجمل وأروع مناظر الدنيا.

المرحوم الشماس اتناس عقل

المناخ:

تعتبر منطقة الجليل الأعلى امتداداً طبيعياً لجبال لبنان وهي بالتالي تشاركها في المناظر الخلابة والجمال الطبيعي الساحر، كما تماثلها بالمناخ المعتدل صيفاً، والبارد شتاءً، ولذا فهذه المنطقة الجبلية تمتاز بهطول الأمطار الغزيرة طيلة أيام فصل الشتاء، وكثيراً ما يستمر هطول الأمطار وسقوط الثلوج، طيلة أربعين يوماً متوالية حتى يتعذّر على الناس الخروج من بيوتهم، ويلتجئون إلى مواقدهم التي تزغرد فيها النار وهي تلتهم حطب السنديان والملول الذي يجلب من «الوعرة» ومن سفوح جبل الجرمق، ويطيب عندئذ السهر ويحلو السمر في تلك الليالي، وتكثر حكايات الجدّات، وقراءة قصص ألف ليلة وليلة، والزير سالم، وعنترة، وتغريبة بني هلال، والملك سيف بن ذي يزن، و فتوح الشام.

وقد تظهر الشمس بعد طول احتجاب، وترسل أشعتها إلى السفوح والقمم وقد ارتدت ثوباً أبيض جميلاً ولا سيما قمة «الجرمق» التي تحاكي بياضها عندئذ جارتها قمة «حرمون» التي لا تعرف لها لباساً إلا هذا الإهاب الأبيض النقي طيلة أيام السنة، أما «الجرمق» فقد يتحلل بالثلج لشهر أو بعض شهر، ثم تعود إليه دكنته الخضراء.

وما أن تشرق الشمس، حتى يخرج أهالي البلدة ليتضاربوا بكتل الثلج، وليعرضوا أجسامهم للرياضة وحرارة الشمس.

هذا في الشتاء، أما في الصيف، فتتحلّى البلدة بمناخ لا أحلى ولا أجمل. قلّما يتوفر مناخ مثله إلا لمصايف لبنان الشهيرة «صوفر وعاليه وبحمدون» وضهور شوير وما إليها... إذ تهبّ عليها نسمات (حرمون) الشمالية الباردة فتنعش النفس وتورد الخدود، هذا ناهيك عن النسيم الغربي الجنوبي الذي يهب من قمة جبل الجرمق حاملاً في طياته قطرات الندى، فكثيراً ما يستيقظ أهالي «الجش - جسكالا» والبلدان المجاورة ليروا قمة الجرمق وسفوحه الشمالية وقد تلفعت بملاءة بيضاء من الضباب، لا تفارقها إلا عند ارتفاع الضحى، واشتداد حرارة الشمس.

هذا المناخ يساعد على منح أهالي المنطقة صحة وعافية، تبعث على الدهشة، إذ قلّما يحتاج أحدهم إلى طبيب طيلة حياته المديدة لا سيما وهم يعمرون إلى ما شاء الله.

الحياة الزراعية:

تمتد ملكية بلدة «الجش ــ جسكالا» على مساحة واسعة من الأراضي السهلية كالمرج، والشوط، والشمالي، والجبلية الواقعة في سفوح الجرمق، والتلال والمنحدرات القريبة، كالنمورة وما إليها، هذا ناهيك عن الكروم التي تحيط بها من جهاتها الأربع، بشكل يجعلها في خضرة دائمة معظم فصول السنة.

كما تنفرد «الجش - جسكالا» بملكية قسم لا بأس به من الأراضي المروية بمياه العين والينابيع الأخرى، والتي تشكل «وادي الجش» حيث تقوم على حافتيه البساتين الغنّاء، مشكّلة بقعة فريدة من نوعها في المنطقة من حيث الجمال وروعة المناظر ووفرة الغلال والخيرات.

أراضي البلدة كلها ملك لأهاليها من المسلمين والمسيحيين ولا يمتلك اليهود منها شيئاً أبدا، وهي تعيش على زراعة هذه المساحات. وزراعة البلدة راقية ومتنوعة، فهي إلى جانب البستنة وغرس الكروم، وزراعة الحنطة والشعير والفول والحمص والعدس والحلبة والكرسنة، تهتم بزراعة التبغ وقد اشتهرت في الأربعينات بهذه الزراعة حتى كان لها بذرة خاصة تسمى باسمها، وزراعة التبغ زراعة صيفية، إذ تبذر بذور التبغ الناعمة في المساكب في أواخر الشتاء ثم يعتنى بها حتى تنبت وتكبر، ثم تشتل وتنقل للغرس في الأراضي المعدّة لها. ثم يعتنى بها حتى تكبر وتصفر أوراقها، وعندما تصفر هذه الأوراق، تقطف وتشك في «الميابر» وتنقل منها إلى خيوط القنب، ثم تنشر في الشمس على عرائش خشبية نهاراً وتغطى ليلاً خوفاً من وقوع الندى عليها، لأن الندى يلونها باللون الأسود، والتبغ الجيد ما كان لونه ذهبياً.

والعمل بالتبغ متعب مضنٍ، ولكنه مربح للغاية، إذ كانت جيوب أهالي بلدتنا تمتلئ بالجنيهات في آخر العام، بسبب هذه الزراعة.

وأصعب ما في صناعته شكه في الميابر، فكثيراً ما كنا نتحلق ونحن صغار حول كتل كبيرة منه ونتسابق في شكّه، وتكتسي أيدينا وأناملنا بطبقة سوداء مرةً كطعم العلقم.

وإلى جانب التبغ والحنطة المحصولين الأساسيين يأتي (التين) كمحصول تشتهر به البلدة ولا سيما المجفف منه. هذا إلى جانب ما تنتجه من أنواع الخضراوات من بساتينها الغنية التي كانت تغذي أسواق (صفد و عكا وخاصة حيفا) في الأربعينات. وأشهر الخضراوات «البندورة، والباذنجان والفليفلة، والخيار، والقثاء، والبطيخ، والشمام، واللفت، والفجل، والبصل، والثوم، و البطاطا»، وما

إلى ذلك هذا ناهيك عن زراعة «الخس»[1] الذي عرفت البلدة زراعته في الأربعينات.. وكان حجم الخسة ينمو نمواً كبيراً ويعطي مذاقاً طيباً فريداً أشبه بمذاق الزبدة.

---

(١) كان أول من ادخل زراعة «الخس» إلى بلدتنا المغفور له سيدي الوالد «إبراهيم عثمان أحمد خلايلي» رحمه الله. وكان يمتلك خبرة فائقة في الزراعة والبستنة. ورثها عن آبائه وأجداده وعن طول اشتغاله بهذه المهنة الشريفة سواء في أراضينا وبساتيننا في «الجش - جسكالا» أو مزارع البرازيل والأرجنتين التي اغترب إليها في شبابه. ولد - رحمه الله - في بيت جدّي في الحارة الشرقية سنة ١٨٩٤م، وربي في كنف والده عثمان أحمد خلايلي ووالدته «شيخة قاسم أبو زينب» وعاش عيشة ترف ودلال ورتع في بيت والده العامر بالخيرات... إلى أن شبّ وتزوج من ابنة خاله «عائشة حسن أبو زينب»... ولكنه هجرها وسافر إلى أمريكا اللاتينية. وفي طريقه إليها سنة ١٩١٤م نشبت الحرب العالمية الأولى. فاضطر إلى البقاء في «باريس» ما يزيد على ستة اشهر، ثم تابع سفره، أقام في البرازيل والأرجنتين ما يزيد على (١٠) سنوات، حتى انقطعت أخباره واشتد اشتياق «جدي» و«جدتي» لابنهما الوحيد آنذاك... فأخذا يرسلان له الرسالة تلو الرسالة حتى صادفته إحدى تلك الرسائل. فأشعلت في نفسه حنيناً إلى الأهل، ولوعة لمشاهدة الديار، لا سيما وأنّ جدتي كان قد ضمنها شعراً شعبياً يقول فيه:

يلا إبراهيم ما نسوى جدتي وين ... ولا نخبرو من الشاحر جدتي وين

أنا لأنذر لوجه الله ثيتين ... إذا إبراهيم عالديرة لقى

وعاد والدي - رحمه الله - على أول باخرة عائدة إلى ارض الوطن، ونزل في بيروت سنة ١٩٢٤م وهرع أقاربنا لاستقباله فيها، ثم احتشد أهالي البلدة جميعهم لاستقباله عند وصوله، وبعيد وصوله تزوج من والدتي «عائشة أحمد سلامة» ورزق شقيقتي (نظمية) سنة ١٩٢٧م وشقيقتي (فاطمة) سنة ١٩٣٠م ثم ولدت أنا سنة ١٩٣٣م، ثم رزق شقيقي (محمد) سنة ١٩٣٩م وهو اليوم «المهندس محمد خلايلي، مدير الدراسات في مشروع استثمار حوض الفرات - ومدير عام شركة الطرق - رودكو - ومدير عام شركة الدراسات المائية». كما رزق شقيقتي (آمنة) سنة ١٩٤٣م... ثم هاجرنا بعد النكبة واستوطنا في «مخيم النيرب» بظاهر مدينة حلب. ثم ارتحلت عنها إلى دمشق سنة ١٩٥٩ للدراسة في كلية الآداب أقمت مع روحتي في «حوبر» وجاء السيد الوالد لزيارتنا، وكانت صحته قد ساءت، وأثرت فيه حياة الشقاء التي عشناها بعد النكبة، وفي صباح الثامن والعشرين من «كانون الأول سنة ١٩٦٤ م» توفي رحمه الله بالسكتة القلبية عن عمر يناهز السبعين سنة، ودفن في مقبرة «الشيخ رسلان» شرقي دمشق. كان رحمه الله طويلاً عريض المنكبين، جميل الصورة كما كان كريماً متلافاً مضيافاً حنوناً عطوفاً، أحسن تربيتنا في صغرنا، كما أحسن معاملتنا في شبابنا، ونشأنا خير تنشئة، رحمه الله واسكنه في جنان النعيم.

المرحوم ابراهيم عثمان خلايلي

هذه هي مزروعات البلدة ومحصولاتها خلال العهدين العثماني و البريطاني. ويذكر المعمرون من أبناء القرية أن «الجش- جسكالا» في عهد محمد علي باشا «١٨٣١-١٨٤٠م» عرفت زراعة القطن وغزله ونسجه، وما من بيت من بيوتها إلا وظل يمتلك محلجاً يدوياً إلى عهد قريب. كما عرفت في ذلك العهد «زراعة التنباك» ولا شك أن المصريين هم الذين شجعوا زراعة القطن والتنباك، بأمر من محمد علي باشا نفسه.

أما شهرة البلدة بالزيت والزيتون فتعود إلى عصور موغلة في القدم، إلى عهد «التلمود» حيث يذكر هذا الكتاب شهرة البلدة بإنتاج الزيت وكثرة أشجار الزيتون، كما أن كتب التاريخ تتحدث عن الزعيم «الجشي» (يوحنا بن لاوي) كأكبر غارس لأشجار الزيتون في ديار الجليل، في منتصف القرن الميلادي الأول.

وسيأتي حديثنا عن «يوحنا» هذا في مكانه، ولقد بقيت سفوح جبالنا مطرزة بأشجار الزيتون الرومانية العتيقة إلى يومنا هذا وستبقى إلى ما شاء الله. وتربة بلدتنا طيبة معطاءة، فهي تعطي إلى جانب ما يزرعه الأهلون شتى أنواع البقول والنباتات البرية النافعة كالعكوب والخبيزة، والسعتر، والفيجن، والبابونج، والسناري، والجعساس «الميرمية»، والهندباء «العلت»، والحميض، والقرصعنة، واللوف، والكلخ، والفطريات.

كما تزين أديمها بشتى أنواع الازاهير، كشقائق النعمان «البرقوق»، والأقحوان، والخزامى، والنرجس، وأبزاز البقرة، والنفل، وشتى أنواع الأزهار البرية، التي لم يعد بإمكاننا إحصاءها.

ولهذا فسفوحنا تزدان - في فصل الربيع على الأخص - بحلة خضراء قشيبة مزركشة بأنواع الزهور السالفة الذكر، في حين تعطر أجواءها في الصباح الباكر، نسمات مشبعات بالأريج الفواح.

طرقات البلدة وأزقتها:

لبلدة «الجش - جسكالا» شبكة كبيرة متداخلة من الطرقات والدروب والأزقة والمسارب الضيقة عبر التلال والأودية والمنخفضات، لا نرى فائدة كبيرة من حصرها جميعها والكلام عليها، وإنما سنكتفي بالتكلم على المهم المهم من هذه الطرقات والأزقة والمسارب. وتسهيلاً للبحث رأينا أن نقسم هذه الطرقات إلى ثلاثة أنواع هي:-

أ - الطرقات والأزقة الداخلية في البلدة.

ب - الدروب أو(الطرق الزراعية).

جـ - الطرق العامة.

هذا ويستحسن منا أن نلفت الأنظار إلى أن بلدة «الجش - جسكالا» لم يكن فيها شوارع حديثة أو معبدة في آخر عهدنا بها، اللّهم باستثناء بعض الأزقة الداخلية المرصوفة بالحجارة، والتي رصفت بمساعي «لجنة البلدية» التي تشكلت في البلدة حوالي سنة ١٩٤٥م.

إلا انه لا يسعنا إلا أن نذكر، أن بلدية «الجش - جسكالا» قد نشطت بعد نكبة ١٩٤٨م نشاطاً ملموساً، وخاصة بعد أن تسلم أمورها شباب متعلمون من أهل البلدة «كزكي جبران» و«نخلة زكريا» فشقت الشوارع الحديثة وعبدتها بالإسفلت، كما أنارتها بالكهرباء، حتى أنه ليمكننا أن نقول أن جميع الطرق التي سنذكرها في حديثنا قد أصبحت الآن معبدة، وهي تنتظر بفارغ الصبر بقية أهاليها الغائبين، الذين طالما درجوا عليها منذ طفولتهم المبكرة وتركوا على جوانبها أغلى الذكريات.

أ – الطرقات والأزقة الداخلية في البلدة: معظم هذه الطرقات تتفرع من الساحة العامة للبلدة والواقعة جنوبها والتي يسميها الأهلون «المراح». وتتجه نحو البلدة شمالاً وأشهر هذه الطرقات هي:

١- الزقاق الرئيسي: وهو زقاق عريض، يقسم البلدة إلى حارتين متساويتين تقريباً. هما: الحارة الشرقية ومعظم سكانها من المسلمين والحارة الغربية ومعظم سكانها من النصارى.

وهذا الزقاق يرتفع من «المراح» جنوباً ويتسلق الهضبة التي تقع على سفحها البلدة إلى الشمال، حيث يصل إلى منتصف البلدة فيضيق ويتفرع إلى فرعين، أحدهما يتجه شمالاً بشرق إلى الحارة الشرقية والثاني يتجه غرباً فيعبر «حارة النصارى» ماراً بالكنيسة التي تتوسط تلك الحارة.

وهذا الزقاق أهم الأزقة في البلدة على الإطلاق، شهدت جوانبه والمقاعد الحجرية أمام البيوت حفلات السمر والسهر، في حين كان يطل سكان البيوت من نوافذهم وسطوح منازلهم على حفلات الأعراس وحلقات الدبكة التي كانت تعقد في « المراح» في المناسبات والأعياد.

وقد رصفته بلدية «الجش ـ جسكالا» سنة ١٩٤٦م بالحجارة تاركة وسطه مجرى للمياه التي تتدفق بغزارة في فصل الشتاء آتية من «العنقور» في الشمال، وكان مجرى الماء مرصوفاً أيضاً.

٢ـ **الطريق الشرقية**: تبدأ من «المراح» أيضا وتتجه إلى الشمال الشرقي، على شكل قوس خفيفة الانحناء، مزنرة البلدة من الشرق، ثم تتجه غرباً لتحيط البلدة من الشمال، مارة في «العنقور» ومنتهية عند «دير الجش» الواقع في الشمال الغربي منها، وفي أعلى نقطة من التلة.

وهذه الطريق كانت ترابية في زماننا، وكان يمكن للسيارات أن تسلكها، والأخبار الواردة من الأرض المحتلة تدل على أن هذه الطريق معبدة اليوم.

٣ـ **الطريق الغربية**: تبدأ من «المراح» أيضا عند «زاوية العقايلة (آل عقل)» وتتجه إلى الغرب قليلاً، ثم تنعطف شمالاً لتزنر «حارة النصارى» وتلتقي مع الطريق الشرقية عند «الدير» أيضاً.

٤ـ **زقاق الخلايلة**: يبدأ شرقي «المراح» بقليل متمماً لطريق البلدة الرئيسية الآتية من الجنوب، ويرتفع شمالاً متسلقاً سفح التلة إلى أن ينتهي بساحة «الجامع» ثم يضيق ويتجه شرقاً إلى أن يقطع الطريق الشرقية في منتصفها شمال «حاكورة المطران» ويتابع اتجاهه شرقاً خارجاً من البلدة إلى نبعة «عبود» فنبعة «عكروش» ثم يتحول إلى درج ضيق منحوت في الصخر، لينزل إلى قعر الوادي إلى العين، وهذا الدرج يتعذر على الحيوانات السير عليه، وإنما كان خاصاً بالصبايا اللواتي يملأن جرارهن من العين، ويصعدن التلة وخاصة قبيل غروب الشمس.

هذا ولا يسعنا إلا أن نذكر، أن في البلدة أزقة أخرى داخلية قصيرة ومغلقة، اشهرها زقاق الحارة الشرقية ويسمى" بزقاق أبو زهية "نسبة لصاحب البيت الذي ينتهي فيه الزقاق، وكان هذا الزقاق مرصوفاً بالحجارة أيضاً.

ب ـ **الدروب: أو (الطرق الزراعية)**: ومعظم هذه الدروب تتفرع من البلدة، وتسير عبر الحقول، وفوق التلال وتنزل إلى قيعان الأودية والمنخفضات المحيطة بالبلدة من كل الاتجاهات، وهي على العموم طرق غير معبدة، وإن كان بعضها قد اصبح الآن معبداً ويضاهي اجمل طرق المتنزهات الجبلية اللبنانية، لمسيره في مناطق ظليلة رائعة الخضرة جميلة المشاهد أخاذة، تأسر الألباب وتسر الأنظار و أشهر هذه الدروب:

١ـ **درب الشوط**: ينحدر من «المراح» ويتجه غرباً بين كروم «الغابة» و«الخلة» ثم ينحرف قليلاً إلى الجنوب الغربي، فيقطع الطريق العامة على مقربة من «بركة الشوط» ويستمر نحو الجنوب الغربي قاطعاً «النمورة» وواصلاً إلى سفوح جبل «الجرمق» وهذا الدرب، هو درب قطعان الماشية المتوجهة إلى مراعيها البعيدة في سفوح الجرمق، ودرب الفلاحين الذاهبين لحراثة أراضي «الشوط» و«النمورة» كما أنه درب الحطابين والحطابات.

وفي منتصفه جنوبي «دبة ظهر الحمار» يتفرع منه فرع أضيق منه يتجه غرباً إلى أن يصل إلى «وادي الظل» فيجتازه إلى «الوعرة» المار ذكرها فيما سبق.

٢ـ **درب العين**: يبدأ من «المراح» ويتجه شرقاً، ثم شمالاً بشرق فيقطع «طريق جبل عاملة» ثم ينعطف نحو الشرق فالجنوب الشرقي إلى أن يصل إلى قاع الوادي عند العين، وهذا الطريق يسلكه الناس والدواب للتزود بالماء من العين، ولا سيما قبل سحب مياه العين إلى أعلى البلدة.

٣ـ **درب عابريا**: يعبر مياه الوادي، عند مصب الشواغير ويتسلق «عابريا» متجهاً نحو الشمال الشرقي، إلى أن يصل إلى حجاج المرج في حين يتفرع منه مسرب صغير يواصل مسيرته بين الكروم، إلى أن يصل إلى طريق «الرأس الأحمر».

٤ـ **طريق النصارى**: وهو طريق النصارى إلى العين، على بعد مائة متر جنوب «المراح» ويسير على استقامة من الغرب إلى الشرق، ثم يلتقي مع طريق العين، عند راس التلة، وسمي طريق النصارى لأنهم وحدهم يستخدمونه تأمينا للسرعة وتوفيراً للوقت، وكي يتجنبوا المرور بدوابهم في الحارة الشرقية.

٥ـ **طريق العقبة**: يبدأ من «البيادر» جنوباً، ويتجه نحو الجنوب الشرقي، متسلقاً حجاج «العقبة» الوعرة، إلى أن يصل إلى، المرج ثم يتابع مسيرته، إلى «بركة الجش» فقرية «قديشا» ويحاذيها من الشمال، ثم ينعطف إلى الجنوب فيصل «بير الشيخ» ثم يقطع طريق «عكا ـ صفد» الرئيسية ويتجه جنوباً، ثم شرقاً إلى أن يدخل مدينة «صفد» من الجهة الغربية.

٦ـ درب «العرايس»: وهو اليوم اشهر طرقات البلدة على الإطلاق والأزقة يبدأ من «البيادر» ويتجه شرقاً «شمالي البيادر» وجنوبي كروم «السودي»... ثم يجتاز الفسحة بين كروم «اللقايا» عن يمينه، وكروم «العرايس» عن يساره إلى أن يصل إلى حجاج المرج أيضا، حيث يتفرع إلى ثلاثة فروع فرع يتجه جنوبا فيتصل بطريق العقبة، وفرع يثابر مسيرته شرقاً إلى قرية «طيطبا» وفرع يتجه شمالاً إلى قرية «الرأس الأحمر». ويسير عليه اليوم شباب بلدة «الجش ـ جسكالا» أيام العطل والأعياد طلباً للنزهة، وهو معبد الآن وقد بنيت على جانبيه الآن «الفيلات الأنيقة».

٧ـ **درب المقيسبة**: يبدأ من بيادر النصارى، ويتجه شمالاً، إلى أن يصل إلى «عين المقيسبة» ثم ينحدر إلى «نبع البلاط» عند التقاء «وادي الظل»، بوادي «الجش»، ثم يرتفع إلى الشمال إلى «عين سوف» ويدخل إلى الحدود اللبنانية عند بلدة «يارون».

٨ ـ **درب الشامية**: ينحدر نحو الشرق بانحناءات وتعرجات خطرة، فوق هوة «المخسوفة» والنازل عليه يقطعه ببضع دقائق، في حين يكلف صعوده مشقة وجهداً، وزمناً يزيد على الساعة، وقد قطعت هذا الطريق في طفولتي هبوطاً وصعوداً آلاف المرات لأنه يبدأ عند بيتنا بالضبط، وينحدر إلى كرومنا في «البياض» وبساتيننا في الوادي. ولا شك أن هناك طرقات ومسارب أخرى كثيرة ولا حصر لها، وقد غاب بعضها عن الذاكرة. ولا نرى عظيم فائدة في حصرها وتعدادها جميعاً فهي موجودة من قديم الأزمان وباقية إلى ما شاء الله.

حـ ـ **الطرق العامة**: ترتبط بلدة «الجش ـ جسكالا» بشبكة الطرق الرئيسية، بطريق معبد واحد، يأتيها من الجنوب، وهو يتفرع شرقي (ميرون) من طريق (عكا ـ صفد) العام، مارا بقرية (الصفصاف) ويتجه شمالاً قاطعاً الكروم الجنوبية في مساره بين جلال العقبة شرقاً وكروم (القبلة) غرباً إلى أن يصل إلى «البيادر» حيث ينعطف غربا ويسير على استقامة بين كروم (الشمالي) و(النبعات) مارا عبر (الشوط) وقاطعاً (وادي ناصر) ثم يصل إلى (سعسع) و(كفر برعم) ثم ينعطف شرقاً ليحاذي الحدود اللبنانية الجنوبية، وهذا الطريق فتحته السلطات البريطانية إبان ثورة ١٩٣٦م وبعد اشتداد الثورة الفلسطينية، في تلك البقاع الجبلية، وكثيراً ما كانت تلك السلطات تجبر الأهالي على السخرة في شق هذا الطريق، ولكن الثوار كانوا يخربون ليلا ما يشقه الأهلون في النهار وقد دارت على هذا الطريق معارك مشهورة سيأتي ذكرها فيما

بعد إن شاء الله. وهو يمر جنوبي البلدة، وعلى مسافة كيلو متر واحد فقط... أما القسم من الطريق الذي يصل الطريق العام بالبلدة فلم يكن معبدا آنذاك.

طريق جبل عاملة:

أما أشهر الطرق القريبة من البلدة، فهو طريق (جبل عاملة) أو طريق (المتاولة) كما يسميه أهالي البلدة والقرى المجاورة، وهو يبدأ من البادر جنوبا، ولا يتجه نحو البلدة، بل ينحرف شرقا على سفح التلة، ويتجه شمالاً بين الكروم المسماة (بالسودي) وقاطعاً (كرم السوقي) ثم يقاطع طريق (العين) ويتجه شمالا مارا في وسط (المخسوفة) على محاذاة (كرم العمدان) وهو المكان الذي مازالت فيه بقايا الكنائس والقصور البيزنطية التي سقطت بفعل الزلزال كما تقدم، ثم يحاذي الوادي غربا مارا (بالعين الباردة) ثم ينحدر ليقطع وادي «الجش ـ جسكالا» ويسير على يمين الوادي بدلاً من السير على يساره ويتجه شمالاً قاطعاً الحدود اللبنانية عند بلدة (يارون) متجها إلى جبل عاملة.

ولهذا الطريق شهرة تاريخية، فقد مر عليه السلطان (صلاح الدين الأيوبي) في القرن السادس الهجري وبرفقته (العماد الأصفهاني) في طريقهم من بيت المقدس إلى دمشق.

كما مر عليه الرحالة الدكتور (إدوارد روبنصون) في منتصف القرن التاسع عشر ووصف الوادي وصفاً جميلاً جاء فيه: «لم ندخل قرية (الجش ـ جسكالا)، بل مررنا دونها عن يمين التلة، على حافة الوادي السحيق المذكورة آنفاً، وانحدرنا إليه رويداً، فوصلنا إلى بطنه الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والخمسين، فإذا بجدول ماء صغير يجري متهادياً.

وعلى مسافة منا إلى الجهة التحتانية نبعان أو ثلاثة، كان الرعاة يوردون قطعانهم إليها. هذا الوادي يدعى وادي (المعضمية) جانباه منحدران جداً ومرتفعان، فلم نتمكن من رؤية شيء مما حولنا إلا بعد يسير من الوقت. وبعد نصف ساعة وصلنا إلى حيث يلتقي بواد آخر أكبر منه آت من الجنوب الغربي. تابعنا سيرنا في هذا الوادي متجهين شمالا مدة خمس عشرة دقيقة، فإذا به يتجه ثانية إلى الشمال الشرقي حيث يتصل بواد آخر يدعى (الحنداج) وهذا ينحدر إلى أرض الخيط ويدخل بحيرة الحولة من طرفها الجنوبي»[1].

---

(١) ادوارد روبنسون: يوميات في لبنان الجزء ١ صفحة (١٤). ترجمة أسعد شيخاني دار المكشوف بيروت ١٩٥٠.

كما سار على هذا الطريق العالم البيولوجي الدكتور (لويس لورتـه) وبعثتـه التنقيبيـه آتيـا مـن الشمال ومتجها نحو الجنوب ووصف الوادي وصفا جميلا سنثبته كاملا في نهاية هذا الفصل لما فيه من متعة وفائدة كبيرتين.

تربية الحيوانات

الحيوانات الأهلية:

لما كانت «الجش» بلداً زراعياً، و الزراعة في بلادنا كانت تقوم على الجهد العضلي، لـذا فتربيـة الحيوانات في مثل هذه البيئة ضرورية للغاية. فقد كان أهالي البلدة يربون (البقر) ويستخدمونه في حراثة الأراضي، إلى جانب الخيل والحمير، أما البغال فقد ندر استخدامها في بلدنا. وإلى جانب البقر المستخدم في الحراثة، كانت تربية الأغنام والماعز رائجة بشكل جيد، ولاسيما في العهد العثماني، والعهود السابقة، إذ كان إنتاج الحليب والزبدة والجبن غزيرا للغاية.

ويحكى عن بعض الذين عاشوا في أوائل القرن التاسع عشر أنهم كانوا يمتلكون قطعانا كبيرة تزيد على الآلاف. ومن أشهر هؤلاء «محمد علي أحمد خلايلي» المتوفى في أواخر القرن التاسع عشر، فقد كان يمتلك قطيعا كبيرا من الماعز.. يقوم برعايته وحراسته أكثر من عشرين راعياً.

ولكن تربية الحيوانات تقلصت في عهد الاحتلال البريطاني.. حيث تضاعف الاهتمام بالزراعة والتشجير فتقلصت بذلك مساحات المراعي لاسيما بعد اهتمام الإنكليز بالمناطق الحرجية.

أما أشهر مربي الماعز في آخر عهدنا بها فهو «محمود قاسم أبو زينب» الملقب بـ(محمود شاهينة) والمولود حوالي سنة ١٨٩٠م فقد كان يمتلك قطيعاً كبيراً من الماعز.. استطاع أن ينتقل بـه إلى لبنان بعد النكبة... وما زال يقيم هو وأولاده في قرية «يعثر» اللبنانية القريبة من الحدود الفلسطينية يعتنون بقطيعهم، وهو إلى جانب شهرته بتربية الماعز، له شهرة عظيمة بتجبير الكسور، فقد كان أمهر مجبر لكسر العظام في فلسطين، إن لم نقل في بلاد الشام كافة، وله فضل كبير على عدد من الناس يصعب حصره في كل من فلسطين ولبنان وسورية، وهو بعمله الخيري ذلك لم يتناول أجرا في حياته قط، إلى أن توفي في ربيع عام ١٩٧٥ م في لبنان رحمه الله.

ومن مربي الماعز المسيحيين فقد كان «حنا العبدوش الجيران» أكثرهم شهرة. أما أشهر مربي الغنم فهم «مرعي حسن أبو زينب» وأخوه «محمد حسن أبو زينب». وقد بقيا في البلدة بعد النكبة

ولم يهجراها. في حين هجرها أبناء «مرعي حسن أبو زينب» وهم «محمد وحسين» وأقاموا في مخيم (الميه والميه) قرب صيدا. ومن مربي الغنم أيضا: «أحمد عبد اللطيف» أيوب المعروف بأحمد الشاويش وأخوه محمد عبد اللطيف أيوب اللذان هاجرا بأولادهما وأقاموا في مخيم «البداوي» بالقرب من مدينة «طرابلس» اللبنانية، ولأهل البلدة عناية بالدواجن وخاصة الدجاج والحمام.. وقلما اهتموا بتربية البط والإوز أو الديك الرومي.

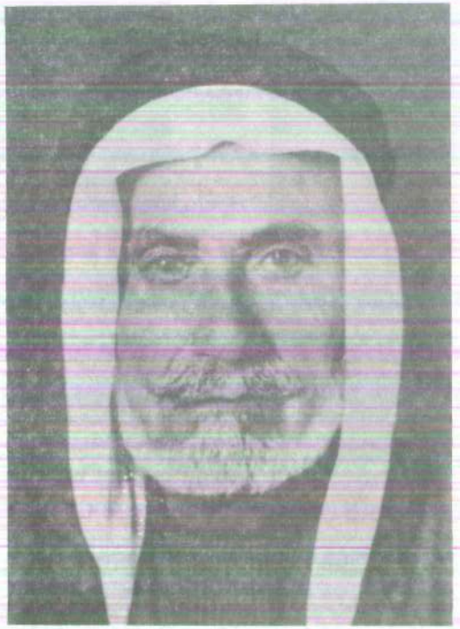

المرحوم الحاج محمد مصطفى قاسم أبو زينب المعروف بمحمود شاهينة
أشهر مجبر عظام في بلاد الشام

وفي أواخر الأربعينات أهتم بعض المسيحيين من أهالي البلدة بتربية الخنازير، كما اعتنى الأهلون وخاصة الرعاة بتربية الكلاب. ويذكر المعمرون، أن الخيول الأصيلة كانت تربى بكثرة في المنطقة في عصور الفروسية، وكانت حلبة السباق تقام في المكان المسمى بـ(الشوط) إلى عهد متأخر ثم انقرضت تربية الخيول أو كادت بعد ظهور السيارات في العصر الحديث.

الحيوانات البرية:

أما الحيوانات البرية فهي كثيرة ومتعددة، تعيش في المعاصي والوعور وسفوح الجبال، وأشهرها، الذئب، والضبع والثعلب، وابن آوى، والنيص، أما الغزال فهو نادر إلا أنه يوجد في سفوح الجرمق، وقد شاهدت في طفولتي أيام الحصاد ظبيتين تسابقان الريح، في تلك البقاع ثم تقفان في الأعالي وتنظران نظرة تحد إلى الحصادين الذين توقفوا عن عملهم، ليتابعوا بنظراتهم الظبيتين الشاردتين، وكثيراً ما كنا نجد في صبانا ونحن نطوف في تلك البراري، مواقع يكثر فيها بعر الغزلان، وهو أشبه بحبة الزيتون الصغيرة إلا أنه يمتاز برائحة عطرة، لاقتصار الغزال في غذائه على الزهور المتوفرة هناك. هذا ويذكر المعمرون من أهل البلدة، أن الأسد والنمر كانا يعيشان في (الوعرة) والجبال، إلا أنه لم يشاهد في زماننا قط.

أما الطيور البرية، فما أكثرها، ولعل أشهرها طائر «الحجل» الذي يقتنصه الصيادون لاصطياده، وهو طائر جميل بحجم الدجاج، كما يعيش «الدوري» بكثرة بين البيوت، و«الشحرور» في البساتين، و الوروار في الجحور القريبة من مناهل المياه.

وهنالك «الهدهد» الذي يعيش في جذوع الأشجار وخاصة أشجار الجوز، وقد تهيأ لي في طفولتي أن أقبض على فرخين صغيرين، وأربيهما بين فراخ الدجاج، وكنت أطوف الحقول لأصطاد الجنادب والفراشات لإطعامهما، وكم كنت أشعر بالسعادة، عندما كان الهدهد يفرد تاجه الجميل ويمشي مختالاً في ساحة الدار وقد بقيا حيين مدة طويلة، إلى أن سافرت ذات يوم بصحبة والدي، وعدت لأجد الطائرين الجميلين قد ماتا، وكان أسفي عليهما عظيما. أما (السنونو) فيأتي مع طلائع الربيع، ويملأ الجو زقزقة لا أحلى ولا أجمل، ولكنه يتركنا مع ارتداد الأفق بغيوم الخريف.

والطيور الجارحة كثيرة أيضا، فهناك النسر والعقاب والشاهين، والشوحة، كما يعيش البوم والغراب والخفاش وغيرها. أما القلق وما يسميه الأهلون (أبا سعد) فهو يأتي في سني الجراد، بأسراب كبيرة تغطي الأفق، ويحرم الأهلون أكله أو اصطياده لأنه يأكل الجراد. وثمة أنواع أخرى كثيرة، من العصافير والطيور لا أستطيع حصرها وتعدادها، سيما وأني لم أكن من المولعين بالصيد في طفولتي.

والزواحف تعيش في بيئتنا بكثرة، وأشهرها «الحنش» الأسود، والأفعى الحمراء والرقطاء، والحرباء المتلونة، والحرذون، والسحالي، وأبو قرع و السلحفاة والقنفذ والعقرب وغيرها من الزواحف المؤذية.

آثار للكنيستين البيزنطيتين في المخسوفة

إحدى طواحين وادي الجش

وما دمنا في صدد الحديث عن الزراعة وتربية الحيوان، فقد يزيد بحثنا غنى وفائدة ومتعة، أن ننقل ما ذكره شاهد عيان مر في المنطقة سنة ١٨٨٠م في رحلة سياحية تنقيبية، ترافقه زوجته، هو الدكتور «لويس لورته»[1] أحد العلماء الفرنسيين المشهورين، وعميد معهد الطب في «ليون» آنذاك.. فقد جاء في كتابه «سوريا اليوم» قوله: «وبعد سير قصير انحدرت بنا الطريق إلى «وادي الجش» الذي يسيل فيه جدول بارد، سعته بضعة أمتار، مثرثراً على حصباء مجراه بين الجرجير والنمام المزهر. وما أعظم ما كان سرورنا بارتشاف برودته العذبة بعد محرق نهارنا.

وليس في (وادي الجش) نبات شجري. والقمح يزرع على سفوح الجبال. وفي الأمكنة، التي يصعب حرثها، مراع طبيعية ترعى عشبها قطعان الجمال، والمعزى السوداء، والعجول السوداء والحمراء. إنما توجد بعض صفصافات على ضفة الجدول، أظن أنها تنتمي إلى أسرة الصفصاف البابلي، أغصانها قائمة. وفي مياهه أغيال من اللبلاب ذي الأزهار الزرقاء، وكثير من

(١) الدكتور لويس لورته: أحد العلماء الفرنسيين المشهورين. ولد في «أونه» بفرنسا سنة ١٨٣٦ م وتوفي في «ليون» سنة ١٩٠٩م. كان أستاذ علم الحيوان في معهد «ليون» الطبي في سنة ١٨٧٧م، ثم صار عميداً لهذا المعهد، ثم مديراً لمتحف التاريخ الطبيعي في المدينة نفسها، وقد رحل في خلال ذلك رحلتين إلى لبنان وسوريا وفلسطين إحداهما في سنة ١٨٧٥م والثانية في سنة ١٨٨٠ م. حمل معه مجموعات علمية وأكثر من مائتي صورة... وحصاداً غنياً من التذكارات... ووضع كتاباً ضخماً مزيناً بالصور، دعاه باسم «سوريا اليوم» ضمنه تفاصيل رحلتيه، ودروسه ومشاهداته، منذ خروجه من «مرسيليا» حتى عودته إلى فرنسا.

السراطين النهرية تختبئ تحت الحجارة، وفي أصول الصفصاف.

والثيران التي كنا نراها، في كل مكان على الروابي، تقترب كثيراً بحجمها من الجنس البريتاني، كسوتها دائماً سوداء أو شقراء، وقليلا ما تكون منقطة. وهي قصيرة القرون، فيها نوع من اللطافة لكن قدها القصير يجعلها أضعف من أن تتحمل مشقة الحرث، وربما أفسدت وجه الأرض إذا فلح بالمحاريث القديمة الخالية من الآذان التي لا تقلب أرض الأثلام. ويدعو «روتيماير Rutimeyer» العالم البيولوجي[1]، البالي[2]، هذا النوع من البقر بالقصير القد، ويعتقد أنه قديم جداً، ولكنه يجهل مصدره. وفي خلال قيلولتنا زارنا سرب من فتيات القرية، فيهن كل جميلة، عيونهن مخملية ساحرة، ووجوهن وأيديهن موشومة بالأزرق وشما واضحاً[3] وكن طروبات، ضحّاكات، يغنين إحدى تلك الأغاني المتطاولة التوقيع، يرتجلن كلامها تكريما «للملحم»[4] ترجماننا، وهن ممسكات أيديهن بأيدي بعض يرقصن ببطيء حول بطلهن. وإذا بصوت من أعلى الرابية قوي يناديهن، فنفرن عند سماعه مرحات، لعوبات، كأنهن سرب من السنونو، عائدات بسرعة إلى قريتهن «كفر برعم» التي يسترها عن أعيننا ردف من أرداف الجبل. وهؤلاء الفتيات مسيحيات. لذلك لم نر صعوبة في تصويرهن.

واصلنا سيرنا في الساعة الثالثة متسلقين بضع عقاب متوعرة، فمررنا في قرية «الجش»، ثم وصلنا إلى سهل مرتفع، بركاني، رأينا في وسطه منخفضا فوهة بركان قديم، وهو اليوم حوض يسمى (بركة الجش)، ماؤه ابيض كاللبن، لا يعيش السمك فيه إلا الضفادع الكثيرة. والتراب الذي حول هذا الحوض مغطى بأكداس من الحمم، أو من الحجارة البركانية، زواياها مستديرة، كأنما هي استدارت من نفسها»[5].

---

(١) البالينولوجيا: علم مطمورات الأرض من نبات وغيره.

(٢) البالي: نسبة إلى «بال» في سويسرة.

(٣) تدل هذه العبارة على أن عادة الوشم كانت شائعة حتى أوائل القرن العشرين... ولكنها بطلت نهائياً بعد هذا التاريخ... مما نادر أن نشاهد هذا الوشم على وجوه النساء الحشيات. اللهم إلا المعمرات... وهنّ لا يزدن على عدد أصابع اليد الواحدة.

(٤) ملحم الوردي: شاب ماروني... رافق البعثة مترجماً لها... ويصفه الدكتور «لورتة» بالحيوية والبشاشة والعزم، وطول القامة وجمال الصورة.

(٥) لويس لورتة - مشاهدات في لبنان - ترجمة كرم البستاني - منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة - بيروت ١٩٥١م. ص. (١٩٠-١٩١).

الفصل الثاني

البلدان المجاورة

البلدان المجاورة

تحيط ببلدة «الجش - جسكالا» حلقة من القرى والبلدان المجاورة على مدى جهاتها الأربع، كما يحيط السوار بالمعصم، وهذه القرى تشكل معها بيئة واحدة، من حيث طبيعة الأرض والجوار والقربى والنسب والعادات والتقاليد، ولذا فأهالي هذه القرى والبلدان جميعهم يشتركون في المناسبات العامة كالأفراح والأعراس وحفلات الختان والأعياد، كما يتعاطفون في المآتم والاتراح، ويتآزرون في كل ما يعرض لهم من مشاكل ومصائب وكأنهم أسرة واحدة متكاتفة.

وقد تجلت هذه الروابط المتينة، سواء في التصدي لنكبات الطبيعة كالزلازل، ولاسيما زلزال ١٨٣٧م، أو في الثورات المتلاحقة، وخاصة ثورة ١٩٣٦م على السلطات البريطانية، أو في النضال الدامي غير المتكافئ ضد عصابات الاستيطان الصهيونية عام ١٩٤٨م. وانطلاقاً من هذا كله، واستيفاءً لموضوعنا من شتى جوانبه، وإتماما للفائدة المرجوة من بحثنا هذا، واحتراماً منا لحقوق الجوار وأواصر القربى، وتوثيقاً لعرى المحبة، وتوكيداً منّا وإصراراً على الإيمان بالعودة، رأينا من واجبنا أن نلقي ضوءاً على كل قرية من تلك القرى، ونوفيها حقها بالكلام عليها، بالقدر الذي استطعنا أن نصل إليه من معرفة تاريخية أو جغرافية أو اجتماعية.

وهذه القرى تتوزع على الشكل التالي:

من الجنوب:

أ - الصفصاف - ميرون.

ب - من الشرق: قديثا - طيطبا - دلاثة - الرأس الأحمر.

جـ - من الشمال الشرقي: الريحانية وعلما.

د - من الشمال: فارة وصلحة.

هـ - من الغرب: كفر برعم - سعسع - غباطية.

وسنبدأ حديثنا عن أقرب هذه القرى إلى بلدتنا، وألصقها بها:

١ـ الصفصاف:

تقع على مسيرة كيلومترين إلى الجنوب من «الجش ـ جسكالا» متكئة على منحدرات «العقبة» الجنوبية ومختفية وراءها عن أنظار أهل «الجش» المتطلعين نحو الجنوب، وهي لا تظهر للقاصد إليها من «الجش» والسائر على الطريق العام، إلا إذا وصل إلى «المطل» ومن هناك تبدو مستلقية في السهل المنبسط أمامها، محاذية لحجاج العقبة الوعرة التي تحيط بها كالسور من الشرق والشمال، في حين تطل «الجش» من الشمال رابضة على هضبتها المخروطية المرتفعة كاللبوءة.

والصفصاف موجودة في مكانها ذاك منذ أقدم الأزمان فقد عرفت في عهد الرومان باسم « safsofa» وهي تقوم على بقعة مساحتها (٦٢) دونماً، وترتفع (٧٥٠)م عن سطح البحر، أما مساحة أراضيها فتقدر بـ (٧٣٩١) دونماً، أكثر من نصفها مغروس بأشجار الزيتون.

وقد مر بها الرحالة الدكتور «ادوارد روبنسون» ووصفها بقوله: (**ظهرت لنا «الصفصاف» وهي مزرعة صغيرة في القسم الشرقي من سهل الجش. فتقع أولاً في بقعة أرض صخرية ثم في بقعة محروثة فيها الكثير من أشجار الزيتون القديمة**)[1].

أما عدد سكانها فكان حسب إحصاء ١٩٤٥م (٩١٠) نسمات كلهم من المسلمين.

(١) ادوارد روبنسون ـ يوميات في لبنان. الجزء الأول ١٨٦ ـ بيروت ١٩٤٩.

اشترك أهلها بثورة عام ١٩٣٦م ومن أشهر مجاهديها في تلك الثورة، المجاهد «محمد كايد» (أبو عادل) وكان قائد فصيل من فصائل الثورة، والمجاهد «نمر زغموت»[1] والمجاهد «أحمد علي حمد» (أبو صولة)[2].

وفي سنة ١٩٤٨م اتخذها جيش الإنقاذ مقراً لقيادته، ثم نقلت هذه القيادة إلى «الجش ـ جسكالا» بعد سقوط مدينة صفد.

أطبقت عليها عصابات الصهاينة بمدرعاتها، عند منتصف ليلة الثلاثين من تشرين أول، بعد أن احتلوا جارتها الجنوبية (ميرون)، ولم يتمكن أهلها من الفرار، فاستشهد منهم ما يزيد على (٦٥) رجلاً قتل معظمهم وهم عزل من السلاح بعد أن استسلموا، وبقتلهم أضاف الصهاينة جريمة بشعة إلى سلسلة جرائمهم المقترفة بحق شعبنا الفلسطيني (راجع قائمة شهداء الصفصاف في نهاية الفصل).

أشهر عائلاتها العربية «آل الزغموت» وأبناء عمومتهم «آل حمد» و«آل يونس» والشرايدة وآل عبيد وآل فرهود، وآل دغيم وآل كايد.

أقام أهلها بعد نزوحهم في «مخيم عين الحلوة» قرب صيدا وفي مخيم «اليرموك» قرب دمشق، وفي أماكن أخرى من سورية ولبنان.

وفيهم نخبة من الشباب الجامعي المثقف.

ويسكنها اليوم يهود جاؤوا من اليمن و المغرب.

استشهد ليلة احتلالها الشاعر الشعبي المشهور «محمد محمود الزغموت» الذي كان يحيي الحفلات ويغني العتابا والميجانا، ويتقن الحداء. وهي مهنة ما كان يطمح إليها إلا الأذكياء في ذلك الزمان.

ومن آل الزغموت الشاعر الشعبي «حسن علي زغموت» والمعروف بـ (حسن جليلة) والذي عاش في أواخر العهد العثماني، واشتهر بقصيدة شعبية تناقلتها الألسنة حتى وصلت إلينا وسنثبتها

(١) صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، القاهرة ١٩٦٧.

(٢) توفي في مصادمة مع الجيش البريطاني في قرية (المغار) عام ١٩٣٩ عن ستة عشر عاماً، وكان قد قتل بثلاثة من جنود الإنكليز. قبل استعصاء بندقيته، قتله أحد الجنود برصاصة من الخلف. وروى لي الأستاذ (قاسم حمد) أن الشهيد المذكور، كان قد طلب إليه أن يسأل الشيخ «علي سعد الدين» عن الذي يقتل برصاصة من الخلف، هل يكتب عند الله شهيداً..؟ رحمه الله.

هنا لطرافتها، ولأنها تلقي ضوءاً على الحياة الاجتماعية والعادات في ذلك العصر، فهي تحكي قصة الإنسان الفلسطيني في بساطته وسذاجته واطمئنانه؛ كما تقص علينا همومه العاطفية واحزانه، وتروي لنا عسف الحكم العثماني فالشاعر إنسان بسيط، يذهب بقطيعه الكبير إلى المراعي في سفوح الجبال، ويعود عند غروب الشمس، وذات يوم تلقاه فتاة جميلة تلقي نفسها عليه وتطلب منه أن يهتم بجديها السارح بين جداء القطيع، ويؤثر منظرها في نفس الراعي وتتحرك فيه نوازع الشوق والحنين والحب فيقسم لها بأنه سيهتم بجديها دون سائر القطيع، وسيطعمه العشبة الطرية إذا جاع، وسيسقيه بحفنات يديه إذا عطش.

ولكن هذه السعادة لا تدوم، فها هو ذا المركب العثماني الذي يسوق الجنود إلى الحرب يصفر بالمرفأ، وهاهو ذا الراعي يساق على عجل، دون أن يستطيع وداع أمه وأخته فتدمع عيناه، ويطلب من ريس المركب أن يتريث قليلاً، ولكن هيهات أن يستجاب له طلب بل ها هوذا (ريس المركب) يعنفه برطانة تركية لا يفهمها، فينطوي على آلامه، ويطل عليه من خلال الدمع وجه حبيبته وخدها الذي يشبه بصيص الجمر بتألقه، يوم تهب عليه رياح الشرق.

كل هذا يسوقه الشاعر بأسلوب بسيط ساذج وبعاطفة أخاذة تستحوذ على النفس: وإليك القصيدة كما رواها لنا أكبر المعمّرين من أبناء بلدتنا المرحوم العم «الحاج قاسم محمد حسين» (أبو جوهر الخليلي)[1] وهي:

ديّة يا ولاد الدية ... شباب وردّم عليّة
كنت بزماني راعي ... والعين تنظر إليّة
ورايي شلية معزى ... عدادا ألفين وميّة
أنا سارح ومروح ... لا علم ولا دريّة
أنا سارح ومروح ... لا علم ولا دريّة
لقتني الصبية الزينة ... وزتت حالا عليّة
قالت بعرضك يراعي ... دير بالك عالا جديّة

* * *

واللّه إن جاع جديك ... لأطعمه العشبة الطريّة
واللّه إن عطش جديك ... لأسقيه بحفناتي ميّة
لذيت بعيني للغرب ... نزلتلي دمعة سخيّة
ولاّها الميمة وها الخيّة ... بتركض وبتنده عليّة
نديت ريس المركب ... هدّيلي المركب شويّة
هدّيلي المركب شويّة ... تودع الميمة والخية
كشّر وأعطاها زعلة ... ودار يسكتم عليّة
حسدور مندور ما بعرف ... فدائي داير عليّة
خديدك يا بصيص الجمر ... يوم تخوفه شرقيّة

(١) الحاج قاسم محمد أبو جوهر الخليلي: ولد في بلدة «الجش ــ جسكالا» ١٢٩٢هـ وفيها نشأ في حجر أهله وذويه، إلى أن بلغ مرحلة الشباب، فسيق إلى حرب البلغار ١٩١٢م مع من سيق من أقاربه وأبناء بلدته، ثم إلى عسكرية «السفر برلك» وأظهر في المعارك التي خاضها شجاعة وجدارة لائقتين، فرفع إلى رتبة «شاويش» ثم جرح في إحدى المعارك وأخذ أسيرا إلى «موسكو» حيث بقي في مستشفياتها ما يزيد على تسعة أشهر، ثم فك أسره ليعود مع الجيش الذاهب للقتال في بلاد اليمن، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد إلى وطنه سليماً معافى، وتزوج من «ربحة أحمد زيدان» فلم تنجب له أولاداً فهجرها وتزوج من «فطوم عبد الكريم سعد» التي أنجبت له أربعة أولاد ذكور (جميل) و(أحمد) و(خالد) و(علي) وعدداً من البنات. بلغ عدد أحفاده في حياته رقماً يزيد على المائة.

اشتهر في شبابه بالعزف على «الارغن» و«الشبابة» وكان ذا هيبة ووقار يزين وجهه شاربان ثخينان، وعينان كعيني النسر، تنبئان عن رجولة وفتوة.

احتفظ إلى آخر حياته بذاكرته العجيبة، حتى أنه كان يذكر أسماء رفاقه وقادته وتواريخ المعارك بدقة فائقة. اتصف في حياته بطيبة لا متناهية، وبتسامح كريم، ودماثة وخلق كريمين، وبمروءة وأخوة لا حدود لهما، كما اتصف بعذوبة الحديث وروعة القصص، ولا سيما قصص الحروب التي خاضها. نزح عن «الجش» بعد النكبة واستوطن في مخيم «النيرب» بظاهر مدينة حلب في سوريا، وتوفي رحمه الله هناك في السابع من أيار عام ١٩٧٣ م عن عمر يناهز المائة عام.

المرحوم الحاج قاسم محمد حسين أبو جوهر الخليلي

قائمة بأسماء شهداء قرية الصفصاف الأبرار[1]

الذين استشهدوا مساء ٣٠ /١٠/١٩٤٨م

١- عوض محمد زغموت ٤٠ سنة

٢- عبد الله محمد زغموت ٣٥ سنة

٣- أحمد عوض زغموت ١٧ سنة

٤- محمد محمود زغموت ٣٥ سنة

٥- أحمد اسماعيل زغموت ١٨ سنة

٦- ناصر احمد زغموت ٣٥ سنة

٧- نمر حسن زغموت ٤٠ سنة

٨- محمد طه زغموت ٤٠ سنة

٩-محمد كريم زغموت ١٨ سنة

١٠- أحمد محمد سعيد زغموت ١٧ سنة

١١- اسماعيل سليم حمد ٦٠ سنة

١٢- احمد اسماعيل حمد ٢٦ سنة

١٣- محمود اسماعيل حمد ١٥ سنة

١٤- محمد ذيب حمد ٢٠ سنة

١٥- قاسم سليم حمد ٤٥ سنة

١٦- أحمد أسعد حمد ٨٠ سنة

١٧- علي أسعد حمد ٩٠ سنة

١٨- محمد مرعي حسن ٣٠ سنة

١٩- عبد الله مرعي حسن ١٩ سنة

٢٠- عبد مرعي حسن ٢٠ سنة

(١) هذه الأسماء أحصاها السيد عبد الرزاق زغموت الذي حضر المعركة ومازال حياً يرزق في مخيم اليرموك في مدينة دمشق.

٢١- ذيب يونس ٤٥ سنة

٢٢- أحمد ذيب يونس ١٢ سنة

٢٣- صالح حسين يونس ٥٠ سنة

٢٤- نايف محمد يونس ٢٠ سنة

٢٥- أحمد إبراهيم يونس ٢٠ سنة

٢٦- أحمد محمود شريدة ٦٠ سنة

٢٧- إبراهيم أحمد شريدة ٢٣ سنة

٢٨- عبد الله أحمد شريدة ١٤ سنة

٢٩- فخري أحمد شريدة ٢٢ سنة

٣٠- نمر سعيد شريدة ١٧ سنة

٣١- فياض فرهود ٧٠ سنة

٣٢- محمد أحمد حمزة ـ وزوجته وطفلها وعمره سنة واحدة ٥٠ سنة

٣٣- عزيزة أحمد طه ٤٥ سنة

٣٤- أحمد محمد حمزة ١٨ سنة

٣٥- مرعي حسن بلشة ١٧ سنة

٣٦- سعيد خالد شريدة ٢٥ سنة

٣٧- عبد خالد شريدة ١٥ سنة

٣٨- محمد محمود شريدة ٢٠ سنة

٣٩- عبد أحمد صبحة ٣٠ سنة

٤٠- نايف صبحة ٣٠ سنة

٤١- حسن محمد فرهود ١٧ سنة

٤٢- خليل إبراهيم شريدة ٨٠ سنة

كما أن هناك سبعة أشخاص من البدو كانوا يسكنون في الصفصاف استشهدوا و لم تعرف أسماؤهم.

قائمة بأسماء شهداء قرية حطين الأبرار[1]
الذين استشهدوا في الجش ليلة احتلالها ١٩٤٨/١٠/٣٠

١- أحمد أبو راضي (مختار حطين) ٥٠ سنة

٢- زوجته فطوم زيدان من بلدة الجش.

٣- أبناؤه الخمسة:

١ً- محمد احمد أبو راضي	٢٥ سنة
٢ً- مقبل أبو راضي	٢٢ سنة
٣ً- ملحم أبو راضي	٢٠ سنة
٤ً- مفضي أبو راضي	١٣ سنة
٥ً- فخرية أبو راضي	٩ سنوات

٤- فضة حسن عزام أرملة محمود اسعد عزام

٥- ولدها اسماعيل

٦- ابنتها سهام

٢- ميرون: تقع على سفح جبل «الجرمق» قبالة مدينة صفد على مسافة كيلومترين جنوب «الصفصاف» وعلى مسافة أربعة كيلومترات من «الجش - جسكالا».

وعرفت في العهد الروماني باسم (Meroth). ذكرها شيخ الربوة المتوفي عام (٧٢٧) هـ في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» بقوله: «بجبل الزابود من ارض (صفد) قرية يقال لها (ميرون) وفيها مغارة فيها نواويس وأحواض ماء[2].

كما مر فيها الرحالة الدكتور (ادوارد روبنصون) في منتصف القرن الماضي وقال عنها: **«تحولنا إلى ميرون، وهي قرية قديمة واقعة على صف من الصخور الخشنة بالقرب من أسفل الجبل. الطريق إليها قديم ومنحدر. تحت القرية عن يميننا قبور نقرت في الصخور، في مكان واحد مدّت أربع قناطر أو عقود في جبهة الصخر بجانب بعضها عبر كل منها ناووس. يتسع**

(١) أملى عليّ هذه الأسماء المناضل «فرج أبو راضي» (أبو رفعت) من أهالي حطين في منزلنا في دمشق.

(٢) شيخ الربوة - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. صفحة (١١٨).

عمق السرداب لناووس واحد، وأحدها يتسع لناووسين. وهذه الأضرحة تختلف كل الاختلاف عن سائر الأضرحة التي رأيناها حتى الآن. ابعد قليلاً إلى فوق، رأينا اثنين لا يختلفان عنها. وصلنا القرية الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة، فإذا بها قرية صغيرة سكانها مسلمون. تحتها إلى الشرق، سهل جميل أكثر انخفاضاً من السهل الواقع باتجاه الجش، وينزح إلى الجنوب الشرقي إلى وادٍ في الجنوب الغربي من صفد. في الوادي، جنوبي ميرون، ينبوع غزير كما قيل لنا[1].

ولقرية «ميرون» أراض مساحتها (١٤١١٤) دونماً. منها (٢٠٠) دونم مغروسة بالزيتون، بلغ عدد سكانها عام ١٩٤٥م (٢٩٠) نسمة كلهم من المسلمين. ومعظمهم ينتمون إلى عائلة «كعوش» التي تعود بأصولها إلى آل (الفضل) من قبيلة (طيء) القحطانية[2].

ومنهم الشهيد «جلال محمد العبد كعوش» أحد طلائع شهداء حركة «فتح» استشهد عام ١٩٦٥م ومن هذه العائلة نخبة طيبة من الشباب المثقف.

«ويستوطنها اليوم يهود هاجروا من أوربا الشرقية والبلقان، وفيها كنيس قديم ومزار يحج إليه اليهود من كافة أنحاء العالم لزيارة قبر الرباني (شمعون باربوخاي) بعد عيد الفصح بـ (٣٣) يوماً ويبلغ معدل الحجاج إليه سنوياً (٥٠٠٠٠) زائر»[3].

وقد ذهبت في صباي مع بعض من لداتي، لزيارة (الصدّيق) وقد شاهدته أكثر من مرة: وهو عبارة عن بناء كبير ذي قباب كثيرة، على الطريقة الإسلامية.

وفي إبان موسم الزيارة، تتحول سفوح الجبل والطرقات هناك إلى مخيمات لإقامة الزوار، ويشتد الازدحام ساعة إخراج (التوراة) والمسيرة إلى الضريح، وتشتعل الحرائق، ويحرق اليهود النذور من ثياب وما إليها ثم تنتفض الجموع وتعود من حيث أتت بعد انتهاء الزيارة.

٣- قديشا: قرية صغيرة تقع على مقربة من «بركة الجش» جنوبي المرج، وتقوم على بقعة من الأرض تقدر مساحتها بـ (٣١) دونما وترتفع عن سطح البحر (٧٥٠) متراً.

ويظن الأستاذ «مصطفى مراد الدباغ» أن اسمها محرف عن كلمة (قديشا) السريانية بمعنى مقدس.

(١) ادوارد روبنصون - يوميات في لبنان ص ١٨٦ - ١٨٧ الجزء الأول بيروت ١٩٤٩.

(٢) مصطفى مراد الدباغ - في ديار الجليل - بلادنا فلسطين.

(٣) أنيس صايغ - بلدانية فلسطين المحتلة (مركز الأبحاث) بيروت ١٩٦٨م.

أصابها زلزال ١٨٣٧ م بأضرار فادحة، حتى إنها زالت عن الوجود كما يقول الدكتور «طومسون» الذي جاء إلى المنطقة في أثر ذلك الزلزال وكتب تقريراً عنه. وكان سبب إصابتها بالأضرار الفادحة، هو قربها من (بركة الجش) التي يعتقد بعض الباحثين أنها كانت نقطة تمركز ذلك الزلزال.

ثم مر بها الرحالة الدكتور «ادوارد روبنصون» وقال: (تكثر بجوار قديثا كروم العنب والتين وقد أوقع بها الزلزال ضررا كبيرا ورأينا (طيطبا) على مسافة نحو ساعة عن يميننا)[1] ثم انتقل فوصف (بركة الجش) وفوهتها البركانية - كما سبق -.

و(لقديثا) أراض مساحتها (٢٤٤١) دونما، بعضها مغروس بالتين والزيتون.

بلغ عدد سكانها ١٩٤٥ (٢٥٠) نسمة كلهم من المسلمين.

أشهر عائلاتها العربية (آل حليحل)، (وآل دكور) (وآل حمزة). هاجر بعضهم إلى لبنان بعد النكبة في حين أجبر الباقون على الاستيطان في بلدة (الجش - جسكالا) أو في قرية (عكبرة) جنوب صفد، بعد أن دمر اليهود قريتهم.

٤- **طيطبا**: تقع شرقي (مرج الجش) وعلى بعد يسير من ظاهر قرية (قديثا) الشمالي الشرقي. وتقوم على بقعة مساحتها (٦١) دونما وترتفع (٨٠٠) متر عن سطح البحر.

وتبلغ مساحة أراضيها (٨٤٥٣) دونما.

بلغ عدد سكانها ١٩٤٥ (٥٣٠) نسمة كلهم من المسلمين.

أشهر عائلاتها العربية (آل شناعة) (وآل الرفاعي) (وآل بليبل) و(آل سعدية) (وآل دهشة).

وآل شناعة ينتسبون إلى جدهم (شناعة بن مريح) الذي عاش في القرن الثامن عشر وكان من شعراء الشيخ (ظاهر العمر).

وقد حفظت له المصادر قصيدة شعبية رائعة يمجد فيها انتصار سيده الزيداني وحليفه الشيخ (ناصيف النصار) شيخ جبل عامل على الأمير (يوسف الشهابي) أمير الشوف في معركة كفر رمان النبطية سنة ١٧٧١ م والقصيدة تلقي ضوءاً ساطعا على القرن الثامن عشر، وعلى عقلية أهل ذلك الزمان، فالبلاد مقسمة إلى إقطاعيات متنافرة تتحارب بقسوة ودون هوادة.

---

(١) ادوارد روبنصون يوميات في لبنان صفحة (١١) الجزء الأول - بيروت ١٩٤٩م.

هذا ناهيك عما في القصيدة من حماسة وعاطفة ثائرة تغلي كالمرجل في صدر صاحبها، وتنبئ عن ثقة في النفس واعتداد بالقوة، والبطش في حين تظهر سخرية لاذعة بأمير الشوف الذي فر من المعركة على ظهر بغل كما يقول الشاعر.

هذا ولا ينسى الشاعر أن يعير أهل الشوف بصناعة الحرير وتربية دودة القز وهيهات لأمثالهم أن يصلحوا للحرب والطعان ومنازلة الأقران.

ولن نطيل الشرح بل سنترك القصيدة تتحدث عن نفسها كما رواها لنا المؤرخ (محمد جابر آل صفا) في كتابه (تاريخ جبل عامل)[1].

وين مير الشوف يوسف يوم صال ... من عرب صالين على الوادي نزل
في عساكر عدها تسعون ألف ... أو تزيد عداد خوفاً أن نزل
قادماً من حمص لديرة حما ... لقرايا الشام صوّاتو وصل
من أرض بيروت للشوف العريض ... من بلاد جبيل كم فارس وصل
شي دروز وشي يهود وشي صنوف ... شي نصارى شي كراد وشي ملل
وانحدر بجموع ما إلهم عداد ... يا جميل الستر في هذي الملل
وانتخى علي لناصيف يقول ... إن هذا الأمر ما عاد ينمهل
ما يخش المير ديرتنا حرام ... لو نبت من فوق راياته نخل
لبني متوال ظهر العاديات ... من متون الخيل يمضون الصقال
قادها ناصيف كساب الثنا ... وافترعها قبل أن جازت فحل
سيفهم ناصيف يا نعم العقيد ... شاهراً للسيف في ايدو يقل
والذي فيهم سياج المحصنات ... ذاك أخوة الليث محمود الخصال
يا علي الفارس يعارك في الجموع ... شبه ليث صال وأشجع من بطل
عندما البارود زمجر واستطار ... وأظلمن الأفق وأبرقن النصال

---

(١) محمد جابر آل صفا - تاريخ جبل عامل - صفحة (١٣١-١٣٢) دار متن اللغة - بيروت.

وأذهل الابطال ركض الصافنات — لعبت الفرسان في ذاك المحل
صاح مير الشوف هاتولي الحصان — عن عظم ما صار جابولو بغل
وين مير الشوف يوسف وين راح — الذي للحرب راكبلو نغل
يحسبون الحرب هي شلة حرير — ويش يجيب الحرب لغزل الشلل

المرحوم الشهيد أحمد ديب الشايب

المرحوم الشهيد أحمد علي الخطيب

٥ ـ دلاته: قرية صغيرة تقع على مسافة قصيرة إلى الشمال الشرقي من (طيطبا) وترتفع (٨٠٠)م عن سطح البحر، ومساحتها (٣٧) دونما. وتبلغ مساحة أراضيها (٩٠٧٤) دونما منها (٥٢) دونما مغروسة بأشجار الزيتون.

كان عدد سكانها ١٩٤٥م (٣٦٠) نسمة كلهم من المسلمين «تسميها المصادر الفرنجية (Delhu) وهي موقع أثري يحتوي على مدافن، أساسات مغر، صهاريج، وبركة مستديرة»[١].

استولى عليها اليهود ١٩٤٨م وشتتوا أهلها، وأقاموا عليها مستعمرة أسموها (دالتون) يستوطنها يهود هاجروا من ليبيا[٢].

(١) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين (في ديار الجليل) صفحة (٢٠٩).

(٢) أنيس صايغ ـ بلدانية فلسطين المحتلة ـ صفحة (١٤٨).

أشهر عائلاتها العربية (آل حميد) ومنهم الشهيد (محمود صالح حميد) (أبو لطفي) الذي استشهد ١٩٣٨م في معركة (بير الشيخ) و(آل سويد) و(آل عبد الله) و(آل أيوب).

٦ـ الرأس الأحمر: تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات شرق «الجش ـ جسكالا» على بقعة من الأرض مرتفعة مساحتها (٦٢) دونما، وترتفع عن سطح البحر (٨٢٠) متراً.

لها أرض مساحتها ٧٩٣٤ دونما، غرس الزيتون في (٣٥٠) دونما.

كان عدد سكانها ١٩٤٥م (٦٢٠) نسمة كلهم من المسلمين.

«وهي موقع أثري يحتوي على نحت في الصخور، وآثار معصرة، أرضيتها مرصوفة بالفسيفساء»[١].

هدمها الأعداء وأقاموا عليها مستعمرة أسموها (كرم بن زمرا) يستوطنها اليوم يهود هاجروا إليها من (إيطاليا) ممن كانوا يسكنون بلدة (سان نيكا ندرو) ثم تهوّدوا في الثلاثينات.

أشهر عائلاتها العربية «آل أيوب» و«آل الخطيب» و«آل الشايب» و«آل حجازي» و«آل الهريش». استوطنوا بعد نزوحهم، في (عين الحلوة) في لبنان وفي (دمشق) وأماكن أخرى من سورية ولبنان.

٧ـ الريحانية: قرية شركسية صغيرة تقع جنوب قرية (علما) أسسها المهاجرون الشراكسة الذين رحلوا عن بلادهم بعد أن استولى الروس عليها عام ١٨٧٣ م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وهي ترتفع (٨٥٠) متراً عن سطح البحر ومساحتها ٨٩ دونماً ولها أراض مساحتها ٦١٣٧ دونماً.

عدد سكانها حوالي ٣٠٠ نسمة لم يهاجروا بعد النكبة بل بقوا فيها ورضوا بعسف الاحتلال الإسرائيلي البغيض.

وقد حدثت فيها عملية فدائية جريئة في أواخر عام ١٩٧٤ م إذ داهمت مجموعة من الفدائيين الأبطال مخفر القرية الإسرائيلي وقتلوا بعضاً من رجاله واستشهد الفدائيون على الأرض الطيبة المعطاء.

وقد زرت في صباي مع فريق من تلاميذ مدرسة «الجش ـ جسكالا» وبصحبة أحد معلمي المدرسة، وشاهدنا أنموذج القرية الشركسية لأول مرة في حياتنا، وأعجبنا بطريقة بناء القرية، فقد كانت آنذاك مبنية على شكل قلعة حصينة إذ تجمعت المباني حول ساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب، فشكلت جدران البيوت المتلاصقة سوراً لا يمكن النفاذ إلى داخله إلا من بوابتين إحداهما في شمال القرية، والثانية في مدخلها الجنوبي.

(١) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، (في ديار الجليل)، صفحة (٢١١).

وإذا تذكرنا أن السلطات العثمانية أسكنت المهاجرين القوقازيين على الحد الفاصل بين البيئة البدوية والبيئة الحضرية في بلاد الشام، عرفنا مغزى بناء القرية على ذاك الشكل الحصين، لكي تكون نقطة دفاعية قوية في وجه الغزوات البدوية التي كانت تكثر في القرن الماضي. وقد تسنى لنا بمساعدة معلمنا أن نزور أحد المنازل في القرية وان نتمتع بكرم الضيافة من ربة المنزل، وأن نشاهد آلة «الاوكرديون» الموسيقية، التي يحرص الشراكسة على اقتنائها في منزلهم ويتقنون الرقص على إيقاعها.

٨ ـ **علما:** إحدى كبريات القرى في قضاء «صفد» تقوم على بقعة من الأرض مساحتها (١٤٧) دونماً... واشتقاق اسمها ينبئ عن قدمها فهي في السريانية بمعنى «العالم أو الدهر أو الجيل من الناس» أما في «الفينيقية والكنعانية» فمعناها الفتاة أو الصبية.

تقع على مسافة ستة كيلومترات إلى الشمال الشرقي من بلدتنا «الجش ـ جسكالا» والآتي إليها من «الجش» يمر بقرية «الرأس الأحمر» وقرية «الريحانية» الشركسية الواقعة في ظاهرها الجنوبي وهي على مقربة من الحدود اللبنانية الجنوبية ولذا يسميها «المتاولة» «علما الجيرة» تمييزاً لها عن «علما الشعب» إحدى قرى جبل عامل.

وتمتلك «علما» من الأراضي الخصبة (١٩٤٩٨) دونماً غرس الزيتون في (٧٥٠) دونماً ولذا فهي أولى قرى القضاء غرساً لأشجاره.

كان عدد سكانها حسب إحصاء ١٩٤٥ م (٩٥٠) نسمة كلهم من المسلمين.

وأشهر عائلاتها العربية «آل شحرور، وآل العجاوي، وآل الحاج خليل، وآل سليمان، وآل الشيخ أحمد الرفاعي، وآل هجاج، وآل عقل، وآل عزام، وآل العينة، وآل مرعي، وآل حجازي».

اشتركت كجاراتها في الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦ م، وخسرت الشهيد «محمد حسن عبد الله» وهو من آل عزام ١٩٠٥-١٩٣٧ الملقب بأبي «حمود» والذي اشترك رحمه الله في معارك عديدة ضد اليهود والإنكليز، في بلاد صفد، ومن أبرزها هجومه على مواقع اليهود عام ١٩٣٣... وقد أصابته جروح بالغة في حروبه، وأخيراً وبينما كان يزيل الألغام التي وضعها البريطانيون على طول الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية لمنع دخول الثوار وخروجهم، انفجر به لغم في آب من عام ١٩٣٧م ففاضت روحه الطاهرة إلى بارئها آمنة مطمئنة[1].

(١) فلسطين ـ الهيئة العربية العليا ـ العدد ٢٢ تموز ١٩٦٣، ص (٢٩). نقلا عن «مصطفى مراد الدباغ» في ديار الجليل ص (٢١٩).

المرحوم أحمد سعيد سليمان «مختار علما»

و«علما» موقع أثري، فيه أنقاض كنيس، وأنقاض محرس إلى الشرق من القرية وناووس وقطع معمارية.

وقد مرّ بها العالم البيولوجي الدكتور «لويس لورته» في أواخر القرن التاسع عشر في طريقه إليها من (صفد) ووصفها بقوله:

«وعند الصباح صحا الطقس، واكتست السماء لونها الأزرق اللازوردي فتمكنا من مواصلة سيرنا مجتازين وادياً شمالي (صفد) قادنا إلى ثنيّة علوها سبعمائة وواحد وثمانون متراً أطللنا منها على بحيرة (الحولة) ووادي الأردن وبعد أن عدونا أودية أخرى وتسلقنا بعض أرداف جبال طباشيرية صلعاء، وصلنا عند المساء إلى المخيم الذي نصب لنا قرب قرية (علما) على علو خمسمائة وسبعين متراً، في وسط هضبة كلسية عارية انتشرت فيها أجرام كثيرة بركانية، تنبت بينها نبتة ذات أزهار وردية. يحدها من الأفق الغربي قمم سوداء عالية، ومن الشرق (حرمون) وجبال الجولان البركانية، وهذه القمم تتراءى عند مغيب الشمس واضحة في سماء شاحبة وهي تتوشح من أشعة الغروب ثوباً خيالياً رائعاً[1].

(١) لويس لورته ـ مشاهدات في لبنان ـ منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة. بيروت (١٩٥١) ترجمة «كرم بستاني» ص (١٩٧-١٩٨).

ملاحظة: خسرت (علما) (١٨٢) قتيلاً من أهاليها المقيمين في (تل الزعتر) صيف عام ١٩٧٦، أثناء محاصرته من قبل القوات الكتائبية المارونية، إبان الفتنه الطائفية في لبنان.

هدم اليهود قرية (علما) العربية بعد سقوطها في براثنهم خريف عام ١٩٤٨م وأقاموا مكانها مستوطنة حملت نفس الاسم العربي واستوطنها يهود هاجروا إلى الأرض المحتلة من «ليبيا» و«إيطاليا» ولجأ أهلها العرب إلى سورية ولبنان، وهم ينتظرون فجر عودتهم بفارغ الصبر.

٩ـ صلحة: تقع على بعد أربعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من قرية «علما» ملاصقة للحدود اللبنانية عند بلدة «يارون» وهي أصلاً إحدى قرى جبل عامل، سلخت عنه وألصقت بفلسطين، بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩٢٣م بمساعي الإنكليز الذين كان يهمهم إلحاق منابع نهر الأردن كلها بفلسطين.

وهي تبعد عن «الجش ـ جسكالا» مسافة سبعة كيلومترات إلى الشمال المنحرف قليلاً نحو الشرق. وحلّ أهلها من المتاولة ولهذا فإن ارتباطها بالقرى والبلدان اللبنانية كـ «يارون» التي تحاذيها من الغرب و«مارون الرأس» التي تقابلها من الشمال، ومدينة «بنت جبيل» ألصق من ارتباطها بالقرى الفلسطينية القريبة منها.

وهي تقوم على بقعة تقدر مساحتها بـ (٥٨) دونماً وترتفع (٥٠٠) متر عن سطح البحر. ولها أراضٍ مساحتها (١١٧٣٥) دونماً لا يملك اليهود منها شيئاً، وتحيط بأراضي «صلحة» أراضي كل من «علما» و«فارة» و«المالكية» و«مارون الرأس» و«يارون» حتى إن بعض أراضي هاتين القريتين ألحق بأراضيها بعد سلخها عن الأراضي اللبنانية.

كان عدد سكانها عام ١٩٤٥م ينوف على الألف نسمة وأشهر عائلاتها العربية «آل المعنقي وآل قاسم... وقد هجروها وأقاموا في لبنان بعد أن دمّر اليهود قريتهم وشتتوا شملهم بعد نضال دامٍ عنيف ودفاع مستميت سقط من جرائه خمسة و أربعون شهيداً من أبناء القرية الباسلة على أرض المعركة، وفي ميدان الرجولة والشرف... وستظل أرواح هؤلاء الشهداء البررة تنادينا من عليائها أن عودوا للثأر يا غائبين عن الديار، وإننا لعائدون بإذن الله.

وفي عام ١٩٤٩م أقام الصهاينة على أراضي **«صلحة» مستعمرتهم (يرون)** أمام قرية (يارون) اللبنانية الصامدة، التي مرّ ذكرها فيما سبق.

وفي قرية «صلحة» مواقع أثرية قديمة تحتوي على صهاريج، وبركة، وأرضية من الفسيفساء ومدافن منقورة في الصخر ومعاصر زيت وما إلى ذلك. وفي جوارها (وادي صلحة) الذي يحتوي على «حفر فيها أدوات من الصوان المصقول يرجع عهدها إلى عصور ما قبل التاريخ ومغر عوبة أو

(وادي عوبة) الذي يحتوي على مدافن ومعاصر زيتون وخمر وسلم منقور في الصخر»[1].

١٠ـ فارة: قرية صغيرة تقع في ظاهر قرية «صلحة» الجنوبي ملاصقة للحدود اللبنانية، وتقوم على بقعة تقدر مساحتها بـ (٣٨) دونماً ويظن الأستاذ (مراد مصطفى الدباغ) أن اسمها تحريف لكلمة (Pera) الآرامية بمعنى معصرة عنب، أو لكلمة (Pe'ra) السريانية بمعنى مغاور وحظائر. ولهذه القرية أراض تقدّر مساحتها بـ (٧٢٢٩) دونماً ولها وادٍ كبير ينحدر من الشمال إلى الجنوب ويصب في «وادي الجش» عند «نبع البلاط» حيث يلتقي بوادي الظل، وتتجمع الوديان الثلاثة، لتنحدر نحو «الحنداج» وتصب في بحيرة الحولة.

كان عدد سكانها عام ١٩٤٥م (٣٢٠) نسمة. معظمهم من المتاولة أيضاً.

وأشهر عائلاتها آل سعد، وآل كايد، وقد لجؤوا بعد النكبة إلى سورية ولبنان.

أما القرية الآن فقد أزالها اليهود من الوجود بعد أن مسحوها مسحاً.

١١ـ كفر برعم: القرية العربية الباسلة، التي استطاعت أن تسجل صفحة مشرقة خالدة في تاريخ الصمود والبطولة للشعب العربي الفلسطيني، فهي ما فتئت تتصدى بكل ما أوتي أهلها من شجاعة وإصرار، وحب لتراب الوطن ومقام الآباء والجدود للمؤامرات الصهيونية القذرة. وما برحت تقضّ مضاجع الصهاينة وتقلقهم منذ أكثر من ربع قرن، أي منذ عام النكبة فأهل هذه القرية أصروا على البقاء في قريتهم وفي منازلهم بعد احتلالها عام ١٩٤٨م من قبل عصابات الصهاينة، وآثروا البقاء في الوطن على النزوح، ولكن الصهاينة، أجلوهم بالقوة عن قريتهم ومنازلهم إلى بلدة «الجش ـ جسكالا» المجاورة... وهنا اضطروا إلى اللجوء للقضاء الإسرائيلي، وبمجرد لجوئهم للقضاء قامت الطائرات الإسرائيلية المقاتلة فقصفت القرية، وأحرقتها عن آخرها، ولكنهم لم يتركوا أية وسيلة للاحتجاج إلاّ وسلكوها بعنادهم الجريء فكثيراً ما كانوا يحملون أطفالهم أمتعتهم ويعودون إلى أطلال بيوتهم ويقيمون عليها فتأتي السلطات الإسرائيلية وتستعمل معهم الشدة والأساليب الوحشية من ضرب وإهانة وسوق إلى السجون ومحاكمات تعسفية ولكنهم رغم ذلك العنف والاضطهاد استطاعوا أن يسمعوا أصوات احتجاجاتهم إلى العالم كافة في أوائل السبعينات ولكن بدون جدوى، فقد هدم الإسرائيليون القرية بكاملها وأقاموا على أرضها مستعمرتهم «برعام» وظل أهالي «كفر برعم» يعيشون في بيوت جارتهم

(١) الوقائع الفلسطينية ١٩٦٣. نقلاً عن «مصطفى مراد الدباغ» في ديار الجليل.

«الجش ـ جسكالا» والتي أفرغت بسبب طرد أهاليها منها بعد سقوطها بين براثن الوحش الصهيوني. وكفر برعم المذكورة تقع على بعد أربعة كيلومترات إلى الغرب من «الجش ـ جسكالا» ملاصقة للحدود اللبنانية عند بلدة «يارون» ولعل قربها من الحدود وموقعها المناسب لتسلل رجال المقاومة التي حسب الصهاينة حسابها قبل أن تظهر هو الذي عرّضها لموجة الطغيان والتعسف القاسية واللاإنسانية.

وهي تقوم على بقعة مساحتها (٩٦) دونماً وترتفع (٧٥٠) متراً عن سطح البحر، ومن اسمها الذي يعتقد أنه تعريف لكلمة (بيريام) الكنعانية، بمعنى كثيرة الثمر، يتبين لنا مدى العمر المديد الذي عاشته عبر العصور بكل طمأنينة وهدوء، إلى أن أحرقتها قنابل العدو الظالمة.

و«كفر برعم» ذات موقع أثري رائع ما يزال يحفل بالآثار القديمة الماثلة للعيان حتى الآن، ففيها آثار كنيس بقيت جدرانه قائمة إلى عهد قريب، كما أن بعض الآثار القديمة، مازالت تظهر في الحواري، وقد شاهدت بأم عيني يوم زرتها مع فريق مدرستنا لكرة القدم، تمثالاً رائعاً لامرأة، لم تعبث به يد البلى بعد. كان عدد سكانها قبيل النكبة حوالي (٧٠٠) نسمة كلهم من المسيحيين الموارنة.

وتمتلك من الأراضي ما مساحته (١٢٢٥٠) دونماً لا يملك اليهود منها شيئاً مطلقاً. وموقعها نزه بمقدار ما هو أثري ولهذا يقصدها الرحّالة للوقوف على أطلالها. فقد مرّبها الرحّالة الأمريكي «ادوارد روبنصون» في منتصف القرن الماضي آتياً من الشمال وأطال الوقوف على آثارها وعادياتها، ووصفها بقوله: «الساعة الواحدة ظهرت لنا (كفر برعم) على أكمة في رأس الوادي، ثمّ (سعسع) من خلال ثلمة على اليمين. هنا صارت التلال صخرية أكثر من ذي قبل، والوادي أضيق، ولكن فوقها قليلاً صارت الأرض أكثر حرثاً. تسلقنا التلة العالية الواقعة على الجانب الشرقي من الوادي حيث تقع (كفر برعم) فوصلناها الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والعشرين. منعنا اشتداد الريح وقرص البرد من ضرب خيمتنا. الحرارة (٥١) فارنهايت. دعينا إلى بيت الكاهن إلياس، وهو عجوز في نحو السبعين من عمره، قضى خمساً وأربعين سنة يكهن لهذه القرية المارونية. بيته رحب، ويلتف حوله خمسة وعشرون شخصاً من عائلته بين نساء وأولاد. تشغل غرف العائلة والإسطبلات الدور الأول، كما أن هناك إسطبلات أخرى حول الساحة. ترجّلنا في الساحة ثم دخلنا من باب صغير وطئ وزحفنا على درج وطئ وضيق مبني في الحائط إلى الغرفة العليا الكبيرة المخصصة للاستقبال والضيوف. وهذه الغرفة تشغل كل

الدور الأعلى. بنيت فيها ثلاث قناطر وضعت فوقها جوائز السطح. للغرفة ثلاث نوافذ اثنتان مقفلتان بسبب الريح مما جعل نظام الظلام يخيم على معظم أنحاء الغرفة، اضطرمت النار في كل غرفة، وفي غرفتنا كان الموقد المصنوع من الطين على شكل حوض أو مقلاة في وسط الغرفة. في جانب من الغرفة بسطت السجاجيد والمساند فدعينا للجلوس أو التمدد عليها بصفتنا ضيوفا، في الجانب الآخر جلس مضيفنا وشيخ القرية وبعض الجيران حول النار، وبديهي أن لا يتركونا وحدنا. راقبوا جيداً وبشيء من الاستغراب كيفية الحلاقة، ودهشوا من نسق كتابتنا، ولا زمونا بينما كنا نتناول طعام الظهر.. وأحضر لنا مضيفنا خبزاً ولباناً وزبداً، والزبد من حليب الماعز.

المرحوم نمر قاسم أيوب أخو الشهيدين محمود قاسم أيوب وصبح قاسم أيوب

ولكنا رأينا بنتا تحلب بقرة. في إحدى غرف الدور الأول مهد طفل على النمط الأوربي قيل أنه معروف شائع.

جلنا حول القرية وفحصنا الخرائب وسيأتي وصفها فيما بعد... موقعها في بقعة جميلة، سكانها موارنة، منهم مائة وستون ذكراً حسب الإحصاء. نصبنا سريرنا في الليل منعاً للمتطفلين. نام الكاهن العجوز معنا في الغرفة ملتحفاً إحراما على فراش رقيق بسطه على الأرض، ولولاه كنا في خلوة. وازدحمت الساحة ليلا، وهي مكان أمان، بالخيل والبقر والمواشي الصغيرة والعجول والبغال والحمير والكلاب والحجال والقطط والدواجن. أما الأشياء الجديرة بالاهتمام في كفر برعم فهي بقايا بنائين بدت لنا غامضة أول الأمر. أحدهما في الجهة الشمالية الشرقية من القرية، يشتمل على واجهة بناء يواجه الجنوب، أمامه صفان من الأعمدة المصنوعة من الحجر الكلسي خاصة برواق، الجدران الأمامي من حجارة منحوتة ملساء بعضها من الحجر

الضخم. في وسط باب كبير متناسق، على جانبيه ركيزتان منقوشتان، تعلوه عتبة منقوشة، في وسطها إكليل، فوق الباب تاج (كورنيش)، ثم قنطرة مستديرة متقنة يزين دائرتها إكليل. على كلا جانبي الباب الكبير باب أصغر يعلو كلا منهما تاج يختلف نقشه عن نقش الآخر فوق كل من هذين البابين الصغيرين نافذة صغيرة مغطاة بحجر مزخرف. وأكثر العمد في الصف الخارجي أو الأمامي قائمة في مكانها. رؤوس الأعمدة تظهر كأنها دورية DORIE، ولكنها مصنوعة من حلقات متتابعة تستدق وتصغر حتى تصل إلى العمود بعض هذه الأعمدة يحتفظ بتيجانه ولكن الرواق قضي عليه بالخراب.

أما البناء الرئيسي فقد هدم وحل مكانه في قسم من ساحته مسكن حقير يدخل إليه من أحد البابين الصغيرين. ولم يبق سوى عمود أو اثنين قائمين في هذه الساحة. مما يدل على سبق صف أو صفوف أعمدة في الداخل.

وفي الزاوية وراء العمودين عمود قائم، وهو مربع من الخارج ومستدير من الداخل. كأنه عمودان كالتي شاهدناها في بلاط. أما الطلل الآخر فيقع في الحقول الشمالية الشرقية ويبعد ربع ميل. وهذا البناء يشبه البناء المذكور أعلاه، ولكنه تهدم ومضى لسبيله ولم يبق سوى الباب في وسط والركيزتان المنقوشتان على جانبيه والساكفة المنقوشة وفي وسطها إكليل، وفي أسفلها حيز طويل ضيق عليه كتابة محفورة بالأحرف العبرية العادية أو الشكل المربع. ولكن تقلب الطقس شوّه الأحرف ولم نتمكن من نسخها لأن الريح كانت تعصف شديدة والبرد قارس. والكلمة الأولى، وهي سلام، هي الوحيدة الواضحة. وقد رأينا نسختين من هذه الكتابة وهما من نسخ تومسيون والمستر فان دي فالد VAN DE VELDE ولكنهما مختلفتان الواحدة عن الأخرى، ولم يتمكن المستر نيكوليسون NICOLAYSON ولا غيره من الحاخاميين فهم معناها. وقد عرفنا بعد ذلك من المستر فن FINN القنصل الإنكليزي في القدس أنه زار المكان مع رئيس حاخامي صفد في ظروف ملائمة وأن الحاخام قرر أن الكتابة تدعو لمؤسس البناء بالسلام، ولكن بدون اسم واضح أو تاريخ. وقد فحصت خصيصاً عمّا إذا كانت الكتابة زيدت في عصر متأخر ولكن كل الظواهر تدل على أنها معاصرة للنقوش التي فوقها[1].

(١) ادوارد روبنصون ـ يوميات في لبنان ـ الجزء الأول ـ ص (١٨١ ـ ١٨٥) بيروت ١٩٤٩.

ويقول الدكتور الفرنسي (لويس لورته) الذي زارها في أواخر القرن التاسع عشر: «ويكرمون في كفر برعم قبر القاضي (باراك) وقبر النبي (عوبديا) المثبتة أحكامه في التلمود[1].

تلك هي قصة جارتنا العزيزة كفر برعم في صراعها مع الطغيان الصهيوني الخبيث والذي سيزول أن عاجلاً أو آجلاً بإذن الله، ومن يعش رجباً ير عجباً.

١٢ـ سعسع: من أكبر القرى في قضاء صفد، تقع على ردف مرتفع من أرداف جبل الجرمق الشمالية الغربية في موقع يتوسط المسافة بين قريتي «كفر برعم» شمالاً و«غباطية» جنوباً.

وتبعد عن بلدتنا «الجش ــ جسكالا» مسافة خمسة كيلومترات غرباً، على الطريق العام الواصل بينهما. وموقعها المرتفع ذاك يناظر موقع بلدتنا فتبدوان كحمامتين تتسلقان السفوح الخضراء، فتتنسمان نسمات «الجرمق» العليلة المشبعة بأريج الخلال المعطرة من حولهما.

واسمها المنحدر من جذر سرياني، يدل على قدمها وعراقتها، فهي موجودة في مكانها ذاك منذ أقدم الأزمان... ويدعم قولنا هذا ما اكتشف فيها من آثار تعود إلى العصر «البرونزي» فهي بذلك من اقدم الأماكن المأهولة بالسكان في بلادنا الغالية.

وهي تقوم على بقعة من الأرض تقدر مساحتها بـ (٤٨) دونماً، في وسط غابة من الكروم وأشجار الفواكه التي اشتهرت بها وموقعها الجميل ذاك في حضن الجبل يجعلها منتزهاً من أجمل منتزهات الدنيا إذ تستنشق هواء البحر من أعالي الجبال، وتطل على مساحات شاسعة من المواقع ذات المناظر الخلاّبة.

وتمتلك من الأراضي ما تقدر مساحته بـ (١٤٥٠٠) دونماً... لا يملك اليهود منها شيئاً. ظلت هذه القرية هادئة ناعمة البال طيلة عمرها المديد، إلى أن استيقظت ليلة «السادس عشر من شباط سنة ١٩٤٨» على متفجرات الصهاينة وألغامهم، إذ داهمتها في تلك الليلة المماطرة العاصفة عصابة من عصاباتهم وبثت الألغام بين البيوت النائمة وانسحبت لتترك القرية تتهدّم على رؤوس النساء والأطفال الذين يحلمون أحلامهم الطفلية الهنيئة.

ولقد سمعت بأذني صدى الانفجارات التي هزّت المنطقة بأسرها في تلك الليلة، وشاهدت بأم عيني في صبيحة تلك الليلة الأضرار الفادحة التي أوقعها الصهاينة في القرية المذكورة... وهيهات هيهات أن أنسى تلك الليلة.

(١) لويس لورته ـ مشاهدات في لبنان ـ ص (١٩٧).

فقد كنا نسمر في بيتنا في «الجش ـ جسكالا» أنا ووالدي وجدي ـ رحمهما الله ـ وبعض أهلي وانسبائي، والليلة ماطرة وعاصفة، والبرد شديد، والموقدة تتوهج بالنيران والحرّاس يحيطون ببلدتنا من كل جهاتها ويتوقعون هجوماً صهيونياً، ويتحسّبون للطوارئ، وفي هدأة الليل وبينما الناس نيام، إذا بالانفجارات المتتالية تشق بضوضائها سكون الليل، وتستيقظ القرى المجاورة ويتصايح شباب قرية «الصفصاف» «شباب اذبحوهم» ويلعلع الرصاص في كل اتجاه، ولكن الصهاينة كانوا في منجى من الرصاص ذاك، فقد اجتازوا طريقاً وعرة في منتصف جبل الجرمق تاركين خلفهم عدداً من القرى العربية المحروسة والمتأهبة، ليهاجموا «سعسع» البعيدة والمطمئنة، قاصدين من عملهم ذاك بث الذعر في القرى والبرهنة على أن أياديهم القذرة تستطيع أن تصل إلى المكان الذي يريدون.

ومع إشراقة الصباح وهدوء العاصفة الجليلية خرج الأهلون من «الجش - جسكالا» و«الصفصاف» و«ميرون» لينجدوا شقيقتهم «سعسع» وليتبعوا آثار المعتدين، ورأينا آنذاك الطريق الوعرة التي سلكوها وخلفوا عليها آثارهم. وكانت ليلة قاسية بحق وجديرة بأن لاتنسى.

كان عدد سكان «سعسع» يزيد على الألف نسمة كلهم من المسلمين، لجؤوا إلى لبنان واستوطنوا في مخيم «نهر البارد» قرب طرابلس وفي مخيم «عين الحلوة» قرب صيدا، وفي أماكن شتى من سورية ولبنان.

وأشهر عائلاتها العربية «الخلايلة» و«اللوابنة» و«السياد» و«آل وهبة» و«أبو الشباب» و«آل الخطيب».

بعد احتلالها أقام اليهود على أنقاضها مستعمرتهم «ساسا» التي استوطنها يهود من الولايات المتحدة وكندا، «وفيها مصنع لتجفيف الحاصلات الزراعية، ومرآب ومشغل آلات كبيران يخدمان المنطقة كلها، وفيها مركز لتدريب الشبيبة، والمستعمرة من الكيبوتزات المتقدمة جداً، ولذلك يؤخذ السياح للدعاوة لهذه الحركة»[1].

كان في «سعسع» في أواخر العهد البريطاني، مدرسة ابتدائية أولية ذات أربعة صفوف، أما الطلاب الذين كانوا يرغبون في إتمام تحصيلهم، فكانوا يضطرون للمجيء إلى بلدتنا للدراسة في مدرستنا المتطورة.

(١) أنيس صايغ ـ بلدانية فلسطين المحتلة ـ ص (١٧٥).

و«سعسع» اليوم ذات مجدٍ أثيل، تدل على ذلك آثارها الظاهرة والدفينة... وعلى إحدى تلالها تظهر قلعتها الحصينة الباقية إلى اليوم.

وقد شاهدها الرحالة اللاهوتي «ادوارد روبنصون» ووصفها بقوله: «أمامنا في الجنوب الغربي على تلة بارزة قلعة «سعسع» القديمة واضحة تمام الوضوح، تبعد نصف ساعة سيراً على الطريق، وأقل من ميل في خط مستقيم، وهي الآن خربة كما قيل لنا ويظن «ستيفن شلز» أنها «كاستلوم راجيس» الصليبيين[1].

١٣ـ غباطية: قرية صغيرة من قرى قضاء صفد تقع على مسيرة خمسة كيلومترات إلى الجنوب من قرية سعسع السالفة الذكر، تتسلق سفحاً من سفوح الجرمق غربي خربة «الحميمة» التي اندثرت وبقيت عينها المتحلبة من غار كبير في جوف الصخر، والى الغرب منها تقع خربة «سبلان» المشهورة بوجود مزار أحد الأولياء فيها، والتي يزورها أهالي المنطقة في بعض المناسبات، وخاصة في حفلات الختان.

«وغباطية» على الارجح تحريف لكلمة «غبيطة» السريانية، بمعنى كثيف الشجر. كان عدد سكانها يقل عن مائة شخص، يمتلكون من الأرض مساحة قدرها (٣٠٠٠) دونم لا يملك اليهود منها شيئاً. وفيها كثير من الآثار القديمة كالمغائر، والمدافن المنقورة في الصخر والصهاريج.

(١) ادوارد روبنصون ـ يوميات في لبنان ـ الجزء الأول ـ ص (١٨٣).

الفصل الثالث

العهد العتيق
منذ بنائها واستيطانها حتى الفتح الإسلامي

أ ـ أحلب الكنعانية:

أن الآثار المتبقية على رقعة الأرض التي تقوم عليها بلدة «الجش - جسكالا» من مغائر وكهوف ومستحاثات، تدل على أن هذه البقعة قد استوطنت من قبل بني البشر منذ فجر التاريخ، وان سكان المغاور هم أول من اختار هذا المكان للإقامة فيه... منذ عهد سحيق... وإذا كان التاريخ القديم قد اغفل ذكر أولئك الذين نحتوا تلك الكهوف المتبقية في سفوح التلال على حال عجيب، إلا أن تلك الآثار مازالت تنطق وتحدث عن أحوال ناحتيها ودأبهم ونشاطهم ومهارتهم في صنع الكهوف الجميلة الخالدة، والتي تتفرع من غرفة واحدة إلى عدد كبير من الغرف في اتجاهات متعددة، وهي ذات جدران مصقولة ناعمة، لم تؤثر بها عوامل الفناء حتى هذه الأيام... بل ظلت محافظة على رونقها، وكأن أهلها قد غادروها لتوهم وهي ما زالت تنتظر عودتهم القريبة.

وهذه الآثار والكهوف لا تدل على مهارة ناحتيها فحسب، وإنما تشير بوضوح، إلى أن هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ العهد النحاسي الحجري، أي حوالي الألف الرابع قبل الميلاد، وامتداداً عبر العصر البرونزي، وهكذا فالمدونات التاريخية القديمة، لكتابات العمارنة المصرية التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، والكتابات الآشورية، ومدونات العهد القديم، هي أول من أنبأنا عن قيام مدينة كنعانية على هذه البقعة الحصينة دعيت باسم «أحلب». وليس غريباً أن يختار الكنعانيون هذا الموقع الحصين، لبناء مدينتهم، لان معظم مدنهم المشهورة قامت على سفوح الجبال القريبة من البحر للاحتماء في مواقع الدفاع، صداً للغزوات الكثيرة التي كانت تحدث بين سكان المدن الكنعانية نفسها أو بينهم وبين غيرهم من الغزاة، لا سيما وإن بلادنا في تاريخها الطويل، كانت مسرح نزاع متواصل بين البدو الرحل والحضر المستقرين...

وإذا كانت الكتابات السالفة الذكر، والتي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، تشير بوضوح إلى مدينة «أحلب»... وأن وجود مدينة ما على سطح الأرض لا يتم بين عشية وضحاها، فلا بدّ أنها تطورت ببطء منذ عهد الكهوف (٤٠٠٠) ق.م إلى عهد مدينة «أحلب» (١٥٠٠) ق.م. خلال (٢٥٠٠) سنة من الزمان... وان الكنعانيين الذين نزلوا إلى السواحل والجبال في

فلسطين (٢٥٠٠)ق.م. هم الذين طوّروها وجعلوها إحدى مدنهم المائة والتسع عشرة المذكورة في مدونات العمارنة.

ولما كانت مدونات الكنعانيين الأولين وأخبارهم المفصلة قد غابت عنّا بعد أن طمستها أيادي الغزاة الجدد من العبرانيين الذين تغلغلوا إلى المنطقة حوالي (١١٥٠) ق.م، فإننا لن نطمح أن نجد شيئاً ذا بال عن مدينة «أحلب» الكنعانية هذه إلا ما ذكره العهد القديم نفسه عن هذا الموضوع في سفر القضاة.

فقد جاء في آخر سفر الإصحاح الأول من سفر القضاة ما يلي: «ولما قوي بنو إسرائيل ضربوا على الكنعانيين الجزية و لم يطردوهم، وأفرائيم لم يطردوا الكنعانيين المقيمين (بجازر) فبقي الكنعانيون فيما بينهم يؤدون الجزية. وزبولون لم يطردوا سكان (قطرون) و(نهلول) فبقي الكنعانيون فيما بينهم يؤدون الجزية، وأشير لم يطردوا أهل (عكاء) و(صيدون) و(أحلب) و(اكزيب) و(حلبة) و(أفيق) و(رحوب)، فأقام الأشيريون فيما بين الكنعانيين أهل الأرض لأنهم لم يطردوهم، ونفتالي لم يطردوا أهل (بيت شمس) و(بيت عنات) ولكن أقاموا بين الكنعانيين أهل الأرض وكان سكان (بيت عنات) يؤدون إليهم الجزية»[1]. وذكر «أحلب» لا يرد في العهد القديم إلاّ في هذا الموضع.

والحقيقة أن ذكرها السريع على هذا الشكل المقتضب لم يعطنا الدليل الكافي على أن موقع «أحلب» الكنعانية. هو نفس بلدة (الجش) العربية. وهنا لا بد من استشارة المراجع الأخرى التي بين أيدينا. ولما كان «قاموس الكتاب المقدس» هو من أهم المراجع في هذا الباب، عدنا إليه نستوضحه عن «أحلب» فإذا به يعطينا عنها اللمحة التالية:

«أحلب» اسم عبري بمعنى(السمين) أو (المثمر) اسم بلدة في نصيب (أشير) و لم يطرد رجال هذا السبط الكنعانيين الذين كانوا يسكنون هذه البلدة، قضاة(١ ـ ٣١) ويظن الباحثون أنها و(حلبة) مكان واحد، ويرجع بعض العلماء بأن مكانها اليوم (خربة المحالب) على بعد أربعة أميال شمال غرب (صور) كما يظن آخرون أنها نفس (جوش جلب) المذكورة في التلمود، أو بلدة (الجش) الحديثة بالقرب من صفد[2].

---

(١) سفر القضاة ـ الفصل الأول ـ ص (٤٠٨) (٢٩ ـ ٣٤) بيروت ١٩٦٠.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ـ ص (٢٩).

ولنا على قاموس الكتاب المقدس ملاحظتان:

أولاهما: كيف يمكن أن يكون «أحلب» اسماً عبرياً بمعنى «المثمر» أو «السمين»، مع أن سفر القضاة نفسه يقول أنها مدينة كنعانية، والكنعانيون أهل الأرض، وسكانها قبل العبرانيين... فالاسم بالتالي لا يمكن إلاّ أن يكون كنعانياً محضاً لا علاقة له من بعيد أو قريب، باللغة العبرية، وإذا كان هناك من علاقة في المعنى، فذلك دليل واضح، على أن العبريين أنفسهم، تعلموا (الكنعانية) عن أهلها بعد سكناهم في أرض كنعان، حتى اختلط الأمر بعدئذٍ على الدارسين ونسبوا المعنى إلى الفرع المنحدر عن الأصل.

أما الملاحظة **الثانية**: فهي أن موقع «أحلب» لن يكون وموقع «حلبة» موقعاً واحداً... لأن الكلام في سفر القضاة واضح لا لبس فيه، ولا إبهام، وهو: «وأشير لم يطردوا أهل عكاء وصيدون وأحلب وأكزيب وحلبة وأفيق ورحوب» فالعبارة ذكرت كلاً من (أحلب) و(حلبة) في سياق واحد وفصلت بينهما بـ (أكزيب).

ولو كان موقعهما موقعاً واحداً لاكتفت بذكر أحد الاسمين أو ذكرتهما متجاورين كأنهما اسم واحد، وهكذا فان الوضوح التام يدل على أن لكل اسم من الاسمين موقعاً معيناً خاصاً به، ولما كان موقع (حلبة) معروفاً إذ تقع على بعد بضعة أميال شمال غرب صور، ويسمى اليوم بـ (خربة المحالب) فلاشك أن موقع «أحلب» هو موقع «جوش حالاف» أو «الجش» أو «جسكالا» بكل تأكيد. وإذا كان لي من تعليق بعد على عبارة سفر القضاة، التي وصفت الكنعانيين في موضعين متتاليين بأنهم أهل الأرض، فهذا أصدق دليل، على أن الأرض هي أرض آبائنا وأجدادنا الكنعانيين، وأن اليهود ما كانوا أصحاب حق في يوم من الأيام، بتلك الأرض الطيبة المعطاء، وما هم إلاّ مغتصبون دخلاء سواء أكان ذلك في ماضيهم السحيق أم حاضرهم المقيت، وأن الحق سيعود إلى أصحابه، أن عاجلاً أو آجلاً، مهما اشتد ساعد البغي، ومهما تعسف وظلم وجار، وزوّر من حقائق وافترى من أكاذيب.

هذا ولا يسعنا إلاّ أن نشير إلى أن بعض المؤرخين المحدثين. يجعلون (الجش) من حصة سبط نفتالي... ومن هؤلاء المؤرخين «المطران يوسف الدبس» الذي يقول في كتابه (تاريخ سورية):

«وأصاب سبط (نفتالي) ما يحاذي سبط (أشير) شرقاً فكان لـ (أشير) البلاد الساحلية ولـ(نفتالي) البلاد الجبلية فكانت حدود نصيبه سهم (أشير) غرباً، ونهر الأردن من بحيرة طبرية

إلى بحيرة الحولة شرقاً وناحية مرج عيون وبعض الشقيف شمالاً وسهم زابلون جنوباً، ومن مدنه (صفد) و(قدس) وهي قادس القديمة و(الجش) والجرمق وناحية الشاغور[1].

ولعل (المطران يوسف الدبس) قد وقع في بعض الالتباس... وسبب الالتباس، هو كون (أحلب) (الجش) واقعة على خط الحدود بين (أشير) و(نفتالي). وهي بالتالي لم تذكر في سفر القضاة بين المدن والقرى، التي كانت من نصيب (نفتالي) كـ (قادس) و(يرؤون)، وغيرهما.

ولعل مدون سفر القضاة. هو الذي دوّن السفر من ذاكرته بعد زمان طويل... هو الذي وقع في هذا الالتباس.

وتظل (أحلب) مذكورة فقط في حصة (أشير) بوضوح لا غبار عليه.

ومما يزيدنا يقيناً، بأن موقع (أحلب) هو نفس موقع «الجش - جسكالا» بقاء التسمية العبرية المحرفة عن الكنعانية، «جوش حالاف» إلى يومنا هذا فقد حرف اسمها من «أحلب» إلى «جوش حالاف» وعرفت منذ احتلالهم لها بهذا الاسم، وبقي حياً على ألسنتهم، إلى أن عادوا إلى المنطقة سنة ١٩٤٨م، وأطلقوا عليها نفس التسمية العبرية القديمة. وهي معروفة عندهم الآن بإسم «جوش حالاف» لا غير.

أما التسمية العربية «الجش» فهي ليست إلاّ اختصاراً للتسمية العبرية، وان كان بعض الأهالي يطلقون عليها اسم «جش الحليب» فما ذلك إلا تحريف للتسمية العبرية والكنعانية معاً، واليهود حتى أيامنا هذه، ينون المستعمرات الملاصقة للقرى العربية ويحرفون أسماءها بإضافة كلمة «جوش» في صدر التسمية... وما تسمية «جوش عصيون» ببعيدة عنّا.

ب - «أحلب» الكنعانية في مهب الريح

تمهيد:

لا يسعنا ونحن ندرس تاريخ هذه الحقبة المغرقة في القدم لمدينتنا الغالية «أحلب» والتي تمتد عبر زمان طويل، يزيد على الألف سنة، منذ تسلل العبريين إليها، وحتى هلاكهم على يد القائد الروماني العظيم (تيطس ابن الامبراطور فسبسيان) سنة ٧٠ م، إلا أن نعرج بعض الشيء، ونلقي ضوءاً على تاريخ هؤلاء الغزاة منذ نشأتهم في (مصر) وخروجهم منها لغزو أرض كنعان في غزوة بربرية لم

(١) يوسف الدبس - تاريخ سورية - الجزء الأول - المجلد الثاني - ص (٢١١).

يشهد التاريخ لها مثيلاً، ولا بد لنا أن نتابع مسيرتهم المتوحشة تلك عبر بلادنا الحبيبة منذ عبورهم نهر الأردن وحتى وصولهم إلى «أحلب» في أقصى الشمال، ونحن نقصد من اختصار الحوادث تلك على هذا النحو، أن نضع القارئ على مستوى الأحداث، وان نهيئ له جواً مناسباً وتيسر له فهماً اعمق لتاريخ هذه المدينة التي نحن بصدد الحديث عنها، بله تاريخ المنطقة بأسرها، موضحين ما استطعنا زيف اليهود في ماضيهم وحاضرهم، ومبينين قدرتهم على طمس الحقائق الناصعة كالشمس، دون أن يتحرك لهم ضمير أو يتأثر لهم وجدان.

هذا ولا يحسبن القارئ الكريم، أن أعداءنا استطاعوا أن يسيطروا على بلادنا طيلة هذه الفترة سيطرة تامة أو شبه تامة، كلا، فان ذلك لم يتأت لهم على الإطلاق، إذ أن هذه الفترة تتخللها بالنسبة لهم مواقف ضعف كثيرة وهزائم متكررة، سواء أمام الكنعانيين أنفسهم أم أمام الفلسطينيين تارة، وأمام الآشوريين أو الآراميين والمصريين تارات أخرى، إلى أن أدت تلك الهزائم بهم إلى التلاشي والانهيار التام أمام حراب الكلدان الزاحفة من الشرق بزعامة القائد البطل (نبوخذ نصر) ملك (بابل) الذي قادهم إلى السبي و الاضطهاد والإذلال.

جـ - طروء العبرانيين على أرض كنعان:

في أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وفي عهد الملك المصري «رعمسيس الثاني» (١٣٠١ - ١٢٣٤) ق.م. كانت جماعة من الأفاقين والمضطهدين[1]، ومن بقايا «الهكسوس» والعبرين، والعبيد الفارين، وبعض الجنود المصريين، يتطلعون إلى «أرض كنعان» بقصد جعلها ملاذاً لهم بعد أن ضاقت بهم «مصر» ذرعاً، وأساءت معاملتهم، إثر هزيمة «الهكسوس» وتحرر مصر من حكمهم الذي دام أكثر من خمسة قرون.

وهكذا أخذوا يتجمعون حول زعيمهم الديني «موسى»[2] الذي نشأ هو بدوره في قصور

(١) للتوسع في هذا الموضوع ننصح القارئ، بالعودة إلى كتاب الدكتور (أحمد سوسة) القيم (العرب واليهود في التاريخ).

(٢) هناك عدد كبير من المؤرخين والعلماء القدماء والمحدثين، يجعلون من (موسى) عليه السلام مصرياً بحتاً لا علاقة له باليعاقبة البتة، ومن هؤلاء الكاهن والمؤرخ اليهودي (فلافيوس يوسيفوس) الذي عاش في القرن الميلادي الأول (٣٨ - ٩٣)م فهو يقول أن موسى كان حاكماً أو كاهناً، وقد كان قائداً كبيراً بالجيش المصري خلال الحملة المصرية على الحبشة، التي حقق فيها نصراً كبيراً، وقد تزوج هناك من (ثربيس) بنت ملك الحبشة.
ويؤكد (ول ديورانت) أن موسى اسم مصري وليس اسم يهودي، ولعله اختصار للفظة (حموس) ويقول نقلاً عن الأستاذ (جار ستانج) عضو بعثة (مارستن) التابعة لجامعة (ليفربول) إنه كشف في مقابر (أريحا) الملكية أدلة

الفراعنة، وتربى تربية مصرية بحتة، ونهل من الثقافة المصرية الرفيعة آنذاك، إلا انه كان ذا ميول عبرانية تواقة للزعامة والسيادة التي افتقدها قومه في مصر.

وفي سنة (١٢٩٠) ق.م. على الارجح حدث خروجهم من مصر هاربين باتجاه صحراء (سيناء) وحاول المصريون اللحاق بهم، إلا أن النجاة كتبت لهم فاجتازوا البحر إلى برية (سيناء) المخيفة، ذات الحياة القاسية على حد تعبير (التوراة)، ولكنهم سرعان ما استشعروا الندامة لخروجهم من (مصر) فتألبوا على زعيمهم (موسى) وأخيه (هارون) وحاولوا العودة من حيث أتوا، إلا أن زعامتهم دبرت لهم بحنكتها ودهائها مخرجاً، وجعلتهم يطوفون في البرية أربعين عاماً بأكملها، حتى مات الجيل المتخاذل ونشأ جيل جديد، تمرس بحياة الصحراء واعتاد التقشف واكتسب الاعتماد على الذات والتغلب على الظروف الصعبة.

وفي أرض (مدين) تزوج (موسى) ابنة كاهنها، وتعلم منه عبادة الإله (يهوه) «الذي كان إلهاً عربياً شمالياً إله صحراء وبالأصل إله القمر ومقرّه في خيمة وطقوسه تشتمل بعض الأعياد والتضحيات من بين القطيع»[1].

وبعد الأربعين سنة تلك، حاول (موسى) عليه السلام أن يدخل (أرض كنعان) من الجنوب إلا انه أخفق بعد أن لقي مقاومة شديدة من سكانها، فاضطر أن يحول وجهة مسيرته نحو شرق الأردن، فمرّ بمملكة الأدوميين، بعد أن استأذنهم وحصل على موافقتهم على أن يدفع لهم ثمن ما

=ثبت أن موسى قد أنجبته في عام (١٥٢٧) ق.م. بالتحقيق الأميرة (حتشبسوت) الملكة حتشبسوت فيما بعد (١٥٠١-١٤٧٩) ق.م. وأنه تربى في بلاطها بين حاشيتها، وأنه فرّ من (مصر) حين جلس على العرش عدوها (تحوتمس الثالث) (١٤٧٩ - ١٤٤٧) ق.م. ويضيف (ديورانت) أن (يوسيفوس) ينقل عن (مانيثون) وهو مؤرخ مصري عاش في القرن الثالث قبل الميلاد - أن موسى كان كاهناً مصرياً خرج للتبشير بديانة التوحيد.

ومن العلماء المحدثين الذين بحثوا هذه الناحية من حياة النبي (موسى) العالم النفساني المشهور (سيجموند فرويد) ففي كتابه (موسى والتوحيد) انتهى إلى أن (موسى) كان مصرياً وليس إسرائيلياً مما أثار غضب الصهيونية عليه. (العرب واليهود في التاريخ) للدكتور أحمد سوسة.

(١) الدكتور فيليب حتي- تاريخ سوريا - الجزء الأول ص (١٩٣) - حريصا ١٩٥٨ م. هذا في حين يرى بعض المؤرخين الغربيين أن (موسى) اخذ عقيدة التوحيد الخالص التي تدعو إلى الإخاء العالمي من (أخناتون) الذي كان أول من قال بالوحدانية الخالصة التي تدعو إلى الإله الواحد ولا إله غيره، كما يقول العلامة (ويج). (العرب واليهود في التاريخ). ص - (٢٧٦).

يأكلون أو ما يشربون ثم تحول عن بلاد «أدوم» إلى نواحي «البتراء» حيث دفن هناك أخاه (هارون) في جبالها.

ثم تابع مسيرته وبطش (بسيحون) ملك الاموريين، وتقدم إلى (باشان) وقضى على مليكها الجبار (عوج) واستولى على دياره. وكان ذلك آخر انتصار للعبريين في حياة (موسى) الذي لم تمهله المنية، ولم يمد (يهوه) في عمره حتى يدخل أرض الميعاد «فقضى على مرتفعات (موآب) في مكان لا يعرف على وجه التحقيق»[1]. ويقول بعض المؤرخين أن الطامعين بالقيادة من المغامرين (كيوشع) وسواه هم الذين دبروا مقتله، بعد أن استشعروا فيه الضعيف لشيخوخته ولعدم قدرته إقناع العبرانيين والسيطرة عليهم، عندما تهيبوا دخول (أرض كنعان) التي تفيض لبنا وعسلا، لأن فيها (قوما جبارين) لا طاقة لهم على حربهم، ولا قبل لهم بهم.

وبوفاة (موسى) حلت عقدة المغامرين، فسرعان ما رفعوا أقدرهم على المغامرة وأكثرهم تطرفا ومغالاة إلى مركز القيادة.

وتولى (يوشع) زمام القيادة، واندفع نحو (أرض كنعان) بعد أن هيأ الأذهان وأقنع العبرين بأنهم قادرون على حرب الكنعانيين والتغلب عليهم واحتلال ديارهم.

د - السرطان اليشوعي في أرض كنعان:

قلنا أن «يشوع» اندفع نحو «أرض كنعان» بعد تسلمه زمام القيادة، فاصطدم أول ما اصطدم بمدينة «أريحا» الكنعانية ذات الأسوار المنيعة والحصون القوية، وكان قد جسها بجواسيسه وتعرف على خفاياها، بمساعدة «راحاب» وغيرها من العاهرات والبغايا. وأحسست «أريحا» بالخطر الداهم، فأغلقت أبوابها بوجه «يوشع» وعصابته التواقة إلى إراقة الدماء وصنع الشر، وإنزال الخراب والدمار.

وكان من سوء حظ المدينة المحاصرة، أن أصيبت بزلزال[2] عنيف دك حصونها وأسقط أسوارها، وجعلها لقمة سائغة لفم التنين المتوحش. الذي استباحها فقتل كل ذي نسم حي فيها، إذ صعد الغزاة البرابرة إلى المدينة «كل واحد على وجهه، وأخذوا المدينة، ابسلوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف»[3].

---

(١) محمود العابدي - من تاريخنا - ص (٦) عمان ١٩٦٣.

(٢) محمود العابدي - من تاريخنا - ص (٢٣). في حين تقول (التوراة) أن سقوط الأسوار والحصون، كان بفعل الأبواق، وصراخ المهاجرين.

(٣) سفر يشوع - الفصل السادس - ص (٣٦٩).

«واحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد فانهم جعلوها في خزانة بيت الرب»[1].

وهكذا لم ينج من أهل المدينة أحد، اللّهم إلا العاهرة «راحاب» وأهل بيتها، فقد حفظ لها (يشوع) جميلها، وأبقى على حياتها.

ثم أخذ السرطان اليشوعي يتوسع فامتد إلى مدن (لبنه) و(لخيش) و(عجلون) و(دبير) و(حبرون)، وبذلك تمت له السيطرة على معظم (أرض كنعان) الجنوبية، باستثناء (جازر) و(يبوس) وبعض الحصون القوية المتفرقة.

هـ - العبرانيون يجتاحون «أحلب»:

بقيت مدينة (أحلب) الكنعانية وجاراتها الشماليات، كحاصور (تل وقاص) وقادش (قدس) وليش (دان) ويرزون وغيرها في معزل عن الحوادث الرهيبة الدامية التي أغرقت أواسط (أرض كنعان) بالفجائع المدمرة اثر الغزو العبراني البربري المتوحش، ولكن هذه العزلة لم تدم طويلا، إذ سرعان ما داهمها (يشوع) بعصاباته الجامحة المتعطشة لسفك الدماء، والتواقة لصنع الشر، ونشر الخراب والدمار، وبث الذعر واليأس في نفوس المغلوبين من الكنعانيين سكان البلاد الأصليين.

كان (يشوع) قد حول وجهة زحفه واتجه شمالا، بعد أن اصطدم في الجنوب الغربي من بلادنا بمقاومة (الفلسطينيين)[2] العنيفة الباسلة، والذين قد عادوا لتوهم من جزر بحر ايجه، وانتزعوا الساحل

---

(١) نفس المصدر - ص (٣٧٠).

(٢) كان الرأي السائد إلى عهد قريب أن الفلسطينيين، من الشعوب الهندية الأوربية، وهم أنفسهم غرباء كالعبرانيين عن (أرض كنعان)، وقد جاؤوها من جزيرة (كريت) وغيرها من جزر بحر ايجه غزاة طامعين. إلا أن الدكتور «معروف الدواليبي» أكد في مقالة له عن (الفلسطينيين) بمجلة (الأديب) البيروتية، (أبريل ١٩٧٤) واعتماداً على ما كتبه البحاثة الأثري الفرنسي (هيلير دوبوراتون) في كتابه (الايتروسكيون في مغربنا وفي أصولنا الفرنسية) أن (الفلسطينيين) هم أصلاً من (الكنعانيين السوريين) وأنهم هم (العمالقة) أو (الجبارون) الذين عناهم القرآن الكريم. وما هم إلا فريق من (الكنعانيين) اتخذوا الحرب والجندية حرفة لهم، لحماية المجال الحيوي للمد الفينيقي الحضاري في العالم القديم آنذاك. ولهذا فهجرتهم من (أرض كنعان) إلى جزر بحر ايجه واليونان وغيرها من البلدان الأوربية، إنما كانت بدافع مرافقة القوافل التجارية الفينيقية وتأمين الحماية لها والمحافظة على المراكز الحضارية التي أنشأها الفينيقيون السوريون) في جهات مختلفة من أنحاء العالم القديم كطية في اليونان، وطروادة في آسيا الصغرى وقرطبة في الشمال الأفريقي وغيرها من مراكز الإشعاع والحضارة. أما بعد الغزو العبراني لأرض كنعان، فقد رأوا أن من واجبهم العودة السريعة لحماية الوطن الأم، فعادوا على

الفلسطيني من (غزة) إلى (الكرمل) بقوة السلاح. وهم أصحاب حضارة متقدمة، أتقنوا تعدين الحديد، وصنع الأسلحة وعربات القتال، فكان لذلك أثر قوي في صد غزوة (يشوع) وفي انتصاراتهم الرائعة فيما بعد على العبرانيين. لم تتمكن (أحلب) وجاراتها من الاستعداد للمقاومة لسببين وجيهين:

أولهما: أن «أرض كنعان» بكاملها بقيت زماناً طويلاً مسرح اقتتال عنيف بين المصريين من جهة والحثيين من جهة أخرى، وكانت ويلات الحروب قد أضعفت شوكة الكنعانيين وفتت في عضدهم.

وثانيهما: هو عامل المفاجأة الذي استغله (يشوع) بمكر ودهاء وبراعة، فلم يمكن هذه المدن من الاستفادة من مواقعها الجبلية الحصينة في أعالي جبال الجليل، فرضخت للكارثة التي أنزلها البطش اليشوعي الرهيب (فيشوع) أقام حكمه كما يقول (ول ديورانت) على قانون الطبيعة الثاني، وهو أن أكثر الناس قتلاً، هو الذي يبقى حياً. كما استلهم في فظائعه أوامر إلهه (يهوه) التي وردت في سفر التثنية: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك وفتحت لك فكل الشعب الموجود يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا وإن مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب، إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، بل تبسلها بسلاً»[1].

=جناح السرعة ليدافعوا عن عقر دارهم. وكانت لهم مع أعدائنا معارك مشرفة، وانتصارات رائعة، ستظل مبعث فخر واعتزاز لنا ولأجيالنا القادمة إلى أن يتحقق نصرنا الكبير والأخير بإذن اللّه، على أعداء الانسانيه وطاعون البشرية من الصهاينة العنصريين المجرمين. ومما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بصحة نظرية (الدكتور الدواليبي) هذه، انسجام الفلسطينيين مع سكان البلاد الأصليين وعبادتهم لآلهة الكنعانيين، في حين ظل العبرانيون نغمة نشازاً في سيمفونية الشعوب السامية التي تعاقبت على الاستيطان في بلادنا.

ومن الشخصيات الفلسطينية البارزة آنذاك (جوليات) المعروف بالجبار، و (دليله) الفتاة الحسناء، وغيرهما ممن لا يزال يعيش في بطون كتب التاريخ.

(١) سفر تثنية الاشتراع - الفصل العشرون - ص (٣٢٢-٣٢٣).

ويجدر بالقارئ الكريم هنا أن يقارن بين أوامر (يهوه) وبين تعاليم (السيد المسيح) السمحة: «قد سمعتم إنه قيل أحب قريبك وابغض عدوك. أما أنا فأقول لكم احبوا أعداءكم واحسنوا إلى من يبغضكم وصلّوا لأجل من

ولنترك سفر يشوع يحدثنا عما فعله العبرانيون في (حاصور) معقل الممالك الكنعانية الشمالية:

«وعاد يشوع في ذلك الوقت وافتتح حاصور وقتل ملكها بالسيف لأن حاصور كانت قديما رأس جميع تلك الممالك، وضربوا كل نفس فيها. بحد السيف أيسلوهم و لم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنار، وأخذ يشوع كل مدائن أولئك الملوك مع ملوكها وضربهم بحد السيف أبسلهم كما أمر موسى عبد الرب، فأما المدن الواقعة على تلالها فلم يحرقها إسرائيل بالنار إلا حاصور وحدها فأحرقها يشوع، وجميع غنائم تلك المدن وبهائمها اغتنمها بنو إسرائيل لأنفسهم وأما الرجال فضربوهم جميعا بحد السيف حتى أفنوهم و لم يبقوا نسمة[1] هذا مثال مما صنعه (يشوع) بمدن الكنعانيين، وبالطبع لم يكن حظ (أحلب) بأحسن من حظ شقيقاتها وجاراتها الكنعانيات، فقد أصابها من الخراب والقتل والتدمير والسلب والنهب والفجائع والمصائب مثل ما أصابهن، إلا أن عبارة سفر (يشوع) السابقة، تدل على أنها لم تحرق (كحاصور) ولهذا كتب لها أن تبقى على قيد الحياة و لم تزل من الوجود كحاصور التي تقع أطلالها على مسافة قصيرة جنوب غرب بحيرة الحولة.

لقد كان من الطبيعي، أن تخمد جذوة المقاومة في هذه المدن، بعد حمامات الدم التي تعرضت لها، وبعد كابوس الرعب الرهيب الذي هيمن عليها طيلة عهد (يشوع).. إلا أن بركان الثورة ما لبث أن انبثق في عهد القضاة من جديد بزعامة (يابين) ملك (حاصور) الذي استطاع أن يشكل من كنعانيي المنطقة، وبمساعدة كنعانيي (فينيقيا) جيشا بقيادة قائد قواته (سيسرا) الذي التقى بالعبرانيين في معركة حامية الوطيس عند مجرى نهر (المقطع) في مرج ابن عامر، وكان العبرانيون بقيادة القاضية (دبورة) و(باراق).

و لم يحالف الحظ الكنعانيين وقائدهم (سيسرا) هذه المرة أيضا، فاضطر بعد هزيمة جيشه إلى الهرب والالتجاء إلى خيمة امرأة عبرانية، اسمها (ياعيل) امرأة (حابر القيني) وكان بين (سيسرا) وبين

=يعتكم ويضطهدكم. لتكونوا بني أبيكم الذي في السموات لأنه يطلع شمسه على الأشرار والصالحين. ويمطر على الأبرار والظالمين». «إنجيل متى - الفصل السادس (ص - ٩)».

التاريخ الإسلامي كذلك مليء بالشواهد التي تدل على التسامح والعدل والرحمة، وذلك واضح أشد الوضوح في وصية الخليفة (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه لقائده (أسامة بن زيد): «لا تخونوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكله».

(١) سفر يشوع، الإصحاح الحادي عشر - ص (٣٨٠).

قومها مسالمة، ولكنها خانته بعد أن أمنته على حياته، وقتلته غدرا وهو نائم في خيمتها، إذ ضربته بوتد خيمة في صدغه، ويأتي سفر القضاة ليمجد غدرها وليخلد خيانتها على كر الدهور:

«ولتبارك بين النساء (ياعيل) امرأة (حابر القيني) لتبارك على جميع الساكنات في الأخبية، طلب ماء فأعطته لبنا، في قصعة الأعزاء قدمت زبده، قبضت كفها على وتد ويمينها على ميتدة الصناع، ضربت سيسرا فشدخت رأسه، وحطمت وخرقت صدغه، خر لدى قدميها وسقط وانطرح، لدى قدميها خر وسقط وحيث خر سقط صريعاً. أشرفت أم سيسرا من الكوة وأعولت من وراء الشباك لماذا بطؤت مراكبه عن الوفادة؟ لماذا ونى مسير عجلاته؟ فأجابتها أحكم نسائها بل هي أجابت نفسها أن أصابوا غنيمة فهم يقتسمونها، فتاة فتاتان لكل بطل، لسيسرا رياش مزخرفة، رياش موشاة، حلة حلتان مزخرفتان للظافر»[1].

و - الاستيطان العبراني في «أحلب»:

بعد هزيمة جيوش (يابين) ملك (حاصور) رأس الممالك الكنعانية في الشمال ومقتل قائدها (سيسرا) غدرا على يد(ياعيل) امرأة (حابر القيني) العبرانية كما رأينا سابقاً، أخذت الأمور تستتب بشكل نهائي لصالح العبرانيين الغزاة في (أرض كنعان) فقد أخمدت المقاومة الكنعانية في البلاد بسبب البطش الرهيب الذي أنزله العبرانيون بأصحاب الأرض من الكنعانيين بدون شفقة أو رحمة.

ومن ثم أخذ العبرانيون يتطلعون إلى اغتصاب أراضي الكنعانيين في طول البلاد وعرضها واقتسامها بين أسباطهم الاثني عشر، لا سيما وأنه لم يعد هناك من حاجة إلى تجمعهم في حشد كبير. يجعل منهم قوة محاربة، فقد وضعت الحرب أوزارها، وألقت إليهم بمقاليد الأمور، فلم يبق أمامهم إلا اقتسام الغنائم واغتصاب الأرض بكاملها، وجذبها من أيدي أصحابها الأصليين والتنعم بخيراتها الوفيرة، ولا غرو أن خصب الأرض وكثرة خيراتها وغلالها جعلهم يفتحون أعينهم على مصادر جديدة للرزق لم يعرفوها من قبل، وكانت حافزا قويا لهم على الخلاص من حياة التشرد والبداوة والهمجية التي يحيونها.

وقد وصف (غوستاف لوبون) أحوال العبرانيين في هذا العصر بقوله: «**كان بنو إسرائيل أقل من أمة، كانوا أخلاطاً من عصابات جامحة، كانوا مجموعة غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة أفاقة**

(١) سفر القضاة ٥: ص ٢٤-٣٠.

بدوية، تقوم حياتها على الغزو والفتح والجدب، وانتهاب القرى الصغيرة حيث تقضي عيشاً رغيداً دفعة واحدة في بضعة أيام فإذا مضت هذه الأيام القليلة، عادت حياة التيه والبؤس»[1].

إلا أن هذه العصابات والقبائل البدوية الأفاقة، ما لبثت أن استمرأت العيش على الطريقة الكنعانية المتحضرة. وبالتالي أخذت تتسلل بعد اقتسام الأرض إلى سكنى المدن الكنعانية الخاضعة لسيطرتهم، وبمرور الزمن امتصتهم المدن الكنعانية وأنقذتهم من وضعهم الزري المتخلف الذي عاشوه زماناً طويلاً.

يقول (بريستد) في هذا الشأن: «ولا يخفى أن مدن الكنعانيين كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ ألف وخمسمائة سنة، ومنازل متقنة حوت كثيراً من أسباب الراحة والرفاهية وحكومة وصناعة وتجارة، ومعرفة بالكتابة، وديانة، حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون السّذج من الكنعانيين لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم. وقد احدث اختلاط الطرفين تغييرات جوهرية في حياة العبرانيين. فغادر بعض سكنى الخيام وشرعوا يبنون بيوتاً كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية، ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية، وبعد زمن معين، لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم ممكناً في المنظر الخارجي ولا في المهنة ولا في أسلوب المعيشة لأنهم اقتبسوا الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون إلى أمريكا هذه الأيام عادات الأمريكان وأخلاقهم وملابسهم»[2].

وبالطبع كانت «أحلب» الكنعانية، إحدى هذه المدن التي أخذ العبرانيون يتسللون إليها زرافات ووحداناً، ويعيشون فيها إلى جانب أهلها الأصليين من الكنعانيين، «وقد وجدوا فيها بيوتاً مملوءة بكل خير لم ينوها وآباراً محفورة لم يحفروها، وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها»[3].

نعم، فقد كانت «حلب»عصرئذ تعيش فترة من أجمل فترات حياتها، إذ بلغت أوج ازدهارها وتقدمها، فدورها حسنة عامرة، وأراضيها خصبة منتجة، وبيادرها تغص بالغلال، وقطعانها تزدحم في التلال والهضاب من حولها، وتضيق عنها حظائرها، أما بساتينها وكرومها

(١) غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى - ترجمة عادل زعيتر - القاهرة ١٩٥٠ ص(٣٢).

(٢) جايمس هنري بريستد: - العصور القديمة - ترجمة داوود قربان ـــ المطبعة الامريكانية بيروت ١٩٣٠ ص(١٧٧-١٧٨).

(٣) سفر التثنية - ٦: ١١.

فكانت ملأى بالأشجار المثمرة، وخوابيها وجرارها وآبارها مترعة بزيت زيتونها ونبيذ كرومها، وسمن ماعزها وضأنها، وعسل نحلها، كغيرها من شقيقاتها الكنعانيات اللواتي كن قد ازدهرن قبيل الغزو العبراني أيما ازدهار، وبلغن من الحضارة، درجة يحسدن عليها آنذاك.ونحن لا ينقصنا الشاهد ولا يعوزنا الدليل على صدق ما نقول، فقد جاء في وصف المصريين القدماء لخيرات بلادنا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ما يلي: «كانت بساتينهم ملأى بفواكههم، ووجدنا أنبذتهم في دنانها، كالماء في كثرتها، وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطئ»[1].

ز - لصوص الأرض:

أفاق أهالي مدينة «أحلب» الكنعانية ذات ليلة على حركة غير عادية، تدور بين بيوتهم وفي أزقة مدينتهم، كانت الحركة آتية من خارج المدينة. ومع إشراقة الصباح استطاعوا أن يتبينوا جماعة من هؤلاء الغرباء وقد حملوا حوائجهم، وداهموا «أحلب» تحت جنح الظلام، وهاهم أولاء يحتلون قسماً من بيوت المدينة للسكن فيها، في حين يتجمع آخرون لبناء منازل مؤقتة، لم تلبث أن تحولت إلى منازل ثابتة، وتجمعت على شكل ما يسمونه في العبرية (جوش). أو ما نسميه نحن في العربية (حارة) أو مجموعة من الأبنية. تلك كانت طريقتهم الخسيسة في الاستيلاء على المدن والقرى، منذ وجدوا على أديم أرضنا الطيبة المعطاء، كانوا ما أن تعجبهم مدينة أو قرية، حتى يضمروا الشر لها ويبيتوا الغدر بها، فإذا ما لاحت الفرصة المناسبة لاقتحامها في غفلة من أهلها، داهموها بشراسة واغتصبوا ما هم بحاجة إليه من منازل وأراض زراعية، ثم الويل الويل، لمن يحتج على أعمالهم الإجرامية تلك، فلن يكون نصيبه عندئذ إلا القتل.

كان المتسللون إلى (أحلب) الكنعانية جماعة من سبط (أشير) إذ وقعت في حصتهم بعد اقتسام (أرض كنعان) بين الأسباط. وقد سبق القول إلى أن سفر (يشوع) أشار إلى أن الأشيريين أولئك، لم يطردوا الكنعانيين (أهل الأرض) من ديارهم، بل عاشوا بينهم، وبالطبع لم يكن ذلك صادرا عن كرم أخلاق، أو مروءة، فالأخلاق والمروءة منهم براء في كل زمان ومكان. وإنما كان ذلك بسبب حاجتهم إلى خبرة (الكنعانيين) المتفوقة في الزراعة والصناعة، والاستفادة منهم في مجالات حضارية عديدة وقف (العبراني) مذهولاً أمامها وكأنها معميات أو ألغاز.

(١) جون ويلسون - الحضارة المصرية - تعريب أحمد فخري (القاهرة - ١٩٥٥) ص(٢٩٩).

وبدخول قسم من العبرانيين من سبط (أشير) مدينة أحلب الكنعانية وبنائهم مجمعاً سكنياً صغيراً فيها، أطلقوا عليها تسميتهم الجديدة (جوش حلب) وأخذت التسمية الكنعانية الأصلية (أحلب) تغيب وراء التسمية الجديدة بالتدريج، إلى أن اختفت نهائياً بعد مضي زمان ليس بالقصير.

والجدير بالذكر، أن الصهاينة العنصريين، أحفاد اللصوص والقتلة. مازالوا يتبعون نفس الأسلوب في اغتصاب الأراضي العربية. وفي مداهمة القرى والمدن والمقدسات في الأراضي العربية المحتلة، والسكن فيها بالقوة رغماً عن أهلها وفي ظل الحراب والمدافع الرشاشة.

فبعد مضي ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة على اغتصاب العبرانيين القدماء لـ (أحلب) وغيرها من مدن الكنعانيين، يأتي اليوم من يدعون بأنهم أحفاد أولئك القتلة، ليكرروا نفس المأساة، وليمثّلوا نفس المشهد، على مرأى ومسمع من العالم المتمدن، وتحت بصر وسمع الأمم المتحدة وكافة الهيئات الدولية كافة.

ففي عام ١٩٧٥ م قامت جماعة من هؤلاء الصهاينة العنصريين وداهمت قرية (سبسطية) العربية بالقرب من مدينة نابلس الصامدة في الضفة الغربية المحتلة، واستوطنت في جزء منها أطلقت عليه اسم (جوش آمونيم).

وكانت عصابة أخرى قد داهمت مدينة الخليل واستوطنت بالقرب منها وأطلقت على المكان اسم (جوش عصيون) وقد نجحت هذه العصابة بالبقاء حيث هي، في حين فشلت عصابة (جوش آمونيم) من تحقيق أغراضها، إذ أرغمتها السلطات الصهيونية على ترك موقعها ذاك، لا لأنها تريد منعها من اقتراف جريمة الاغتصاب والسطو، ولكن لأن تلك السلطات تريد لهذه الجماعة الاستيطان في مراكز أكثر حساسية واستراتيجية لأنها ما زالت تضمر الشر في قرارة نفسها، وتبيت الغدر والعدوان وتنوي الاستمرار في حرب الإفناء والإبادة التي تشنها على العرب منذ ما يزيد على ربع قرن.

ح ـ ما أشبه اليوم بالبارحة:

واليوم (نحن في أوائل آذار سنة ١٩٧٦م) يحاول الصهاينة الاستيلاء على (١٥٠٠) فدان من أراضي المواطنين العرب في الجليل، بحجة استخدامها في إقامة منازل جديدة ومشاريع اقتصادية وتجارية، وليس لهم في الحقيقة من غاية إلا تهويد منطقة الجليل العربية، التي حافظت طيلة أجيال عديدة على عروبتها وأصالتها ونقائها.

ورداً على هذا المشروع الصهيوني الخبيث، يتداعى الآن زعماء العرب المقيمين في الجليل، وفي كافة أنحاء الوطن المحتل، لعقد مؤتمر عربي في (الناصرة) العربية، عاصمة الجليل، لمقاومة هذه المخططات الاستيطانية الخبيثة والرامية إلى تهويد المناطق العربية المتبقية في فلسطين. وسيعقد المؤتمر تحت شعار «ماذا بعد ضياع الأرض واستيلاء المحتل عليها ؟».

«وقد عقد الاجتماع المؤلف من رؤساء البلديات وزعماء المجالس المحلية في المدن والقرى العربية في جميع أنحاء الجليل في السادس من آذار الجاري، وطالبوا بأن توقف فوراً كافة المحاولات الخاصة بمصادرة الأراضي العربية، وأنه في حالة عدم التوقف فان إضرابا عاماً سيعم المدن والقرى العربية يوم الثلاثين من آذار (الجاري) وسيطلق على هذا اليوم اسم (يوم الأرض العربية)[1]

هذه هي قصة الاستيطان الصهيوني في بلادنا في ماضيها وحاضرها وهي في كلا الحالتين صورة بشعة طرة ونقشاً، لأنها تتجنب العدالة وتهين الكرامة الإنسانية، وتلطخ شرف البشرية، في أزهى عصورها وأرقى دهورها.

وذا كان لابدّ لنا من كلمة نقولها، فإننا نقول: أما آن لضمير الإنسانية أن يستيقظ من سباته بعد، ويضع حداً لهذه المأساة ؟ فلا بدّ لليل المظلم من آخر مهما قسا واشتد وادلهم.

ط ـ جوش حلَب العبرانية:

عرفنا فيما تقدم من بحثنا، أن العبرانيين الذين اغتصبوا جزءاً من مدينة «أحلب» الكنعانية واستوطنوا فيها، قد أطلقوا على ذلك الجزء المغتصب اسم «جوش حلب»[2]. وإذا كانت هذه التسمية قد أطلقت على الجزء الذي استوطنه العبرانيون من المدينة في البداية، إلا أنها لم تلبث أن غلبت على مدينة «أحلب» الكنعانية بكاملها لفترة طويلة من الزمن، حتى ضاع أصل التسمية للمدينة أو كاد.

هذا، وإن نكن قد أطلقنا على «جوش حلب» نعت «العبرانية» فما ذلك إلا من باب المجاز لأنها في الحقيقة لم تكن عبرانية خالصة آنذاك، كما أنها لم تكن كذلك في يوم من الأيام على

---

(١) الشعب الأردنية ـ العدد (١٦) السنة الأولى ٧ آذار ١٩٧٦ ـ عمان.

(٢) يلفظ الجزء الثاني من التسمية «حَلَب» بالمد، أو ما يسمى في اللغة العبرية بالقاماص تحت كل من (الحاء) و(اللام) ويمكننا أن نكتب الاسم بالعربية على الشكل التالي «جوش حالاف» تسهيلاً لقراءته قراءة صحيحة. أما جيم (جوش) فتلفظ كالجيم المصرية. وهي بمعنى الجبل الأبيض أو التل الأبيض.

الإطلاق ولن تكون، وإنما كانت تتألف من أقلية عبرانية متسلطة وحاكمة، وأكثرية كنعانية محكومة ومغلوبة على أمرها.

ي - جوش حَلَب والمملكة المتحدة:

ما كاد عهد القضاة ينصرم، حتى وجد العبرانيون أنفسهم بمسيس الحاجة إلى محاكاة جيرانهم الأرقى منهم حضارة وتقليدهم في إنشاء مملكة تكون قادرة على الوقوف في وجه التيارات المعادية لهم على كافة الجبهات المحيطة بهم،لا سيما وأنهم كانوا ضيوفاً ثقلاء على المنطقة ولذا امتنعت عن الترحيب بهم منذ وطئت أقدامهم أرض بلادنا المقدسة.

ونزولاً عند إرادة التحديات المتلاحقة لهم من أصحاب الأرض الحقيقيين، رأوا أن لا مناص لهم من الاستعداد الدائم والتأهب للقتال وهذا بالطبع يستوجب حكماً مركزياً قوياً يجمع طاقتهم ويشد أزرهم ويساعدهم على البقاء في بلاد ليست بلادهم، وبين جيران لا يضمرون لهم إلا العداء.

وهكذا عملوا على تشكيل مملكتهم المتحدة، ونصّبوا (شاول) أول ملك عليهم سنة (١٠٢٠) ق.م.، ولما كان تنصيبه بمثابة تحدّ للفلسطينيين، لم يلبث هؤلاء أن هاجموه وجرحوه، وقتلوا ثلاثة من أولاده، وعلقوا جثثهم جميعاً وجثته بعد انتحاره على سور (بيت شان) وأرسل سلاحه كغنيمة حرب إلى معبد «عشتاروت»[1].

وفي هذا العهد انضمت «جوش حالاف» للمملكة الجديدة، وظلت إحدى مدنها في كل من عهد «الملك داود» (١٠٠٤-٩٦٣) ق.م. الذي نصبه الفلسطينيون ملكاً بدلاً من (شاول) وكان (داود) قد التجأ إليهم وطلب حمايتهم، إلا انه عاد وقلب لهم ظهر المجن، وتخلص من نفوذهم، بل حاربهم ووسع مملكته على حسابهم، وحساب غيرهم من جيرانه. ثم جاء بعده ابنه (الملك سليمان) (٩٦٣-٩٢٣) ق.م. الملك الذي يستفيض «العهد القديم» بالحديث عنه، فهو بلا شك أعظم الملوك العبرانيين على الإطلاق، فقد بلغت المملكة العبرانية أوج ازدهارها في زمانه، وهو الذي بنى الهيكل المعروف «بهيكل سليمان» بمساعدة صديقه «أحيرام» ملك صور وقد جرّ هذا الهيكل على العبرانيين الدمار أكثر من مرة، وكان طالعه طالع شؤم عليهم في ماضيهم وأظن أنه سيكون كذلك، إذا هيئ لهم أن يبنوه من جديد.

(١) الدكتور فيليب حتي - تاريخ سوريا - الجزء الأول ص (٢٠٣).

ك - الانقسام:

إلا أن هذه المملكة ما لبثت أن شهدت انقساماً خطيراً بعد وفاة الملك سليمان سنة ٩٢٣ ق.م. وتتويج ابنه (رحبعام) بسبب ثقل الضرائب التي كان العبرانيون يرزحون تحتها، ليوفروا لمليكهم سليمان (زوج الألف إمرأة) حياة ترف وبذخ على غرار ملوك مصر وآشور.

ولما التمس بعض زعماء الأسباط من المليك الجديد - وكان في السادسة عشرة من عمره - تخفيف الضرائب أجابهم إجابة أغضبت أكثريتهم فانفصلوا عنه وشكلوا مملكة جديدة لهم، ولم يبق على الولاء له إلا سبطاً (يهوذا) و(بنيامين) وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين:

الأولى: جنوبية، وهي مملكة (يهوذا) وقد تشكلت من سبطي (يهوذا) و(بنيامين) وظل ملكها (رحبعام بن سليمان) وعاصمتها (أورشليم).

والثانية: شمالية، وهي مملكة (إسرائيل) وتشكلت من الأسباط العشرة المنفصلة، وملكها (يربعام) من سبط (أفرايم) وعاصمتها (شكيم) (نابلس اليوم) ثم (ترزة) وبقيت فيها إلى أن استقرت في (السامرة) (سبسطية اليوم).

وكان من الطبيعي أن تظل (جوش حالاف) بحكم موقعها في أعالي الجليل، وبحكم وجودها في حصة (أشير)، ضمن مملكة (إسرائيل) التي لم تعمّر طويلاً، إذ سرعان ما تقوضت أركانها على يد الآشوريين الزاحفين من المشرق بقيادة زعيمهم ومليكهم (تغلات فلاسر ٧٤٥ - ٧٢٧) ق.م. «الذي نجح بسلسلة حملات في إخضاع (دمشق) و(جلعاد) و(الجليل) وسهل (شارونة) وتحويلها إلى مقاطعات آشورية، ولم يكتف بالأسلوب القديم وهو إبقاء الحاكم الوطني كتابع، بل بدأ سياسة جديدة، تقوم على إرسال نائبي الملك من بلاد آشور، ليحكموا المقاطعات المفتتحة»[1].

وهكذا استطاع الآشوريون أن يخلصوا «جوش حالاف» من براثن العبرانيين، وأن يطلقوا عليها تسميتهم الآشورية «مجُّلبا»[2].

(١) الدكتور فيليب حتي - تاريخ سوريا - الجزء الأول - ص. (٢١٣) حريصا ١٩٥٨.

(٢) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ - ص. (١٩) دمشق ١٩٧٣.

ل ـ نهاية مملكة إسرائيل:

لم يكتف الآشوريون بما اقتطعوه من دولة إسرائيل من مقاطعات، ولكنهم لم يلبثوا أن هاجموا عاصمتها في زمن (شلمانصر الخامس) وحاصروها ثلاث سنوات متتالية حتى سقطت في أيام (سرجون الثاني ٧٢٢ ـ ٧٢١) ق.م. الذي استطاع أن يكتب خاتمة دولة إسرائيل، ويسبي عدداً كبيراً من سكانها، ويسوقهم أذلاّء إلى بلاده، وعلى يد هذا المليك العظيم، تلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد.

م ـ سقوط (يهوذا) وخراب (أورشليم) وتدمير الهيكل:

بعد القضاء على مملكة إسرائيل أخذ الآشوريون يوجهون ضرباتهم إلى رأس الأفعى المتمثل بمملكة يهوذا، للقضاء عليها ولقطع الطريق على الدسائس المصرية المتعاقبة. ولذا توالت على يهوذا غزوات (سرجون الثاني) ثم حملات خلفه (سنحاريب) إلا أنهما لم يتمكنا من القضاء عليها القضاء المبرم، وإن كانا قد قلّما أظفارها وحطّما أنياب السم فيها.

ن ـ الغضب الكلداني الساطع:

إلا أن القضاء على مملكة يهوذا لم يتم إلا بعد أن هبت على المنطقة رياح الدولة البابلية الفتية العاصفة وظهر على مسرح السياسة ملوكها الأقوياء أمثال (نابوبولاصر)وابنه العظيم الخالد الذكر (نبوخذنصر) الذي هزم الجيوش المصرية في (كركميش) وانتزع من المصريين كافة الممتلكات الآسيوية، وجعل السيادة خالصة للكلدان في المنطقة بكاملها، ووحد ما يسمى بالهلال الخصيب في دولة واحدة.

ولما لم يكن باستطاعة ملوك (يهوذا) الوقوف في وجهه ومقاومته، فسرعان ما زحفت غابات الأسنة غرباً باتجاه (أورشليم) ودخلتها سنة (٥٩٧) ق.م. وقيدت ملكها (يهوياقيم) بالسلاسل، ليحمل إلى بابل إلا انه مات وطرحت جثته خارج أسوار أورشليم. ولما لم يعتبر ابنه (يهوياقين) بمصير والده، وحاول الشغب من جديد، اضطر (نبوخذنصر) إلى حصار (أورشليم) وبعد حصار قصير استسلمت المدينة، وسبي الملك الشاب مع نسائه وأمه وموظفيه وسبعة آلاف من جنوده، وألف من مهرة الصناع إلى (بابل) وعين عمه (صدقيا) ملكاً في (يهوذا).

لما حاول (صدقيا) الاستقلال، معتمداً على مساعدة (مصر) غضب (نبوخذنصر) وعاد فحاصر المدينة سنة ونصف السنة، حتى أحدث ثغرات في الأسوار سنة (٥٨٦) ق.م. وإذ ذاك

هرب (صدقيا) مع حاشيته، ولكن رجال(نبوخذ نصر) لحقوا به في سهل(أريحا) وجيء به أسيراً إلى معسكر (نبوخذنصر) حيث قتل أبناؤه وسملت عيناه، ثم قيد بالسلاسل وحمل إلى (بابل) عاصمة المشرق آنذاك.

أما (أورشليم) فقد هدمت هي والهيكل، وسبي ما يقدّر بخمسين ألفاً من سكان (يهوذا) كما دمرت كل المدن المهمة في البلاد، وأفرغت من أهلها، ولم يبق فيها إلا الفقراء والبائسون، وظلّت على حالتها تلك زماناً طويلاً يزيد على عدة قرون.

س ـ الفرس على مسرح السياسة في بلادنا:

في الوقت الذي كان فيه ملوك الكلدان يميلون إلى الدعة وينغمسون في حياة الترف والبذخ، في قصور أسلافهم العظماء أمثال (نبوخذنصر) وغيره، ظهر الفرس على حدودهم كقوة هائلة، ما لبثت أن أوقعت ببابل والبابليين كارثة عظمى في العامين (٥٣٩ ـ ٥٣٨) ق.م. وبذلك تمت السيطرة على كافة أرجاء الدولة البابلية، ومن بينها سورية بكاملها. وهكذا أصبحت بلادنا جزءاً من إمبراطورية الفرس العظيمة، وكان من أهم نتائج الغزو الفارسي لبلادنا:

آ- إعادة اليهود من السبي البابلي. ب- ازدهار اللغة الآرامية في المنطقة، وتغلبها على العبرانية في يهوذا.

آ ـ إعادة اليهود من السبي:

عندما تمت الغلبة للفرس على البابليين، بزعامة (كورش)، سارع هذا إلى إصدار مرسوم يسمح لليهود الذين يريدون العودة إلى أرض يهوذا بالعودة، وكان واضحاً أن اليهود ساعدوا الفاتح الجديد، على احتلال مدينة (بابل) وتلك عادتهم منذ وجدوا، إذ سرعان ما يجندون أنفسهم، لخدمة أية قوة جديدة تظهر على المسرح بدافع حب الاستفادة والاستغلال.

وهكذا قطف اليهود ثمار خيانتهم للكلدان، وأخذت أعداد منهم بالعودة من حيث أتوا، في حين فضل كثيرون منهم البقاء حيث هم، في أرض بابل.

ولم يمض زمان طويل على الذين عادوا بزعامة (زرو بابل) أحد أحفاد الملك (يهو ياقين) حتى أعادوا بناء الهيكل سنة (٥١٥) ق.م. في عهد (داريوس) وعلى نفقة الدولة الفارسية.

ب ـ ازدهار الآرامية:

أما اللغة الآرامية فقد ازدهرت بعد أن حظيت بتشجيع الفرس إذ جعلوها اللغة الرسمية إلى جانب اللغة الفارسية، في كافة المقاطعات الغربية (الهلال الخصيب)، وكانت جميع المراسيم والسجلات المتصلة بهذه المقاطعات تترجم إلى اللغة الآرامية الرسمية. وهكذا استطاعت الآرامية أن تتغلب على العبرانية، التي انسحبت أمامها واندثرت، ولم تعد تستعمل كلغة محلية إلا في الشؤون الدينية.

أما الآرامية فقد ظلت توالي تقدمها وازدهارها، وتفوقها وسعة انتشارها إلى أن كان لها شرف احتضان الدعوة المسيحية السمحة وكانت لغة السيد المسيح عليه السلام.

بقي أن نقول أن اليهود بعودتهم من السبي إلى ارض كنعان وبنائهم هيكلهم من جديد، وبالحماس الذي رافق تلك العودة وذلك البناء قد غرسوا بذرة الحرب في المنطقة التي أخذت تنمو وتكبر مع الزمن حتى انفجرت مدمرة في عهد الرومان سنة ٦٧م. وسنتكلم على ذلك بالتفصيل فيما يأتي.

الفصل الرابع

جسكالا الهلنستية

جسكالا في العصر اليوناني

من دخول الإغريق إلى خروج البيزنطيين

عرفنا فيما تقدم من بحثنا أن الفرس بعد أن تم لهم الاستيلاء على الهلال الخصيب بأكمله بزعامة مليكهم (كورش) وبعد أن أقاموا إمبراطوريتهم العريضة على أنقاض إمبراطورية (بابل) بادروا بالسماح لمن يريد من يهود السبي البابلي بالعودة إلى (أرض كنعان) وفي الوقت الذي أخذ فيه بعض يهود الشتات أولئك يعودون أدراجهم، أخذت تهب على بلادنا رياح إعصار جديد قوي وعاتٍ، تمركز في (مقدونيا) وانساح نحونا مجتاحاً المنطقة بسرعة مذهلة بادئ ذي بدء، وطارداً أمامه فلول الفرس المنكفئين على وجوههم صوب بلادهم الأصلية، ولم يكن هذا الإعصار شراً كله فقد حمل في طيّاته بذور حضارة جديدة، ما لبثت أن وجدت في تربتنا الخصبة مكاناً مناسباً للنمو والازدهار.

ولم يمض إلا القليل من الزمان حتى أخذت تربتنا تحتضن تلك الحضارة الوافدة وتتكيف معها، تأخذ منها حيناً وتضيف إليها في أكثر الأحيان، وبذلك استطاعت بلادنا أن تنسجم معها بعد أن أغنتها بموروثات حضارتنا المتقدمة، التي تأصلت على أرضنا وتألقت في مدننا وقرانا وداخل مؤسساتنا الحضارية ومعابدنا عبر عصور طويلة.

ومع توالي الأيام نشأت في بلادنا حضارة جديدة، ذات سمات خاصة لا هي بالإغريقية ولا بالساميَّة، وإنما هي حضارة متميزة، تحمل في بنيتها عناصر الحضارتين معاً وتتمثلها تمثلاً كاملاً، بعد أن انصهرتا في بوتقة أرضنا الخلاّقة وبفعل تأثير شمس بلادنا الدافئة، وما إن نمت هذه الحضارة المتولدة من تمازج الحضارتين وتفاعلهما وتكاملت فيما بعد حتى أطلق عليها اسم الحضارة (الهلنستية)، وقد استطاعت هذه الحضارة أن تعيش على أرضنا فترة من الزمن تزيد على ألف سنة تقريباً بدءاً بدخول الإغريق، وانتهاءً بخروج البيزنطيين.

وليس معنى هذا أنها خرجت من البلاد بخروج البيزنطيين، واندثرت نهائياً أثر اندحارها أمام الحضارة الإسلامية الفتية، كلا فقد تركت على أديم أرضنا آثاراً وعاديات خالدات هيهات أن تزول.

ويهمنا أن نشير هنا أن مدينتنا التي عرفت باسم (أحلب) في العصور الكنعانية والتي حرّف (العبرانيون) تسميتها إلى (جوش حالاف) أثر تسلط عصاباتهم عليها، قد نزعت عنها بداية هذه العهود التسمية العبرانية القبيحة والمقيتة، وحملت اسمها الجديد الجميل (جسكالا) والذي لم يكن إلا نتاج هذه الحضارة الرائعة التي ازدهرت على أرضنا المعطاءة طيلة عشرة قرون متتالية، وأعادت إلى مدينتنا الخالدة سابق عزّها القديم، وسالف مجدها التليد الذي أحرزته في عهد أصحابها الكنعانيين بعد أن فقدته إبان التسلط العبراني من جرّاء الغزوة البربريّة التي عاثت في المنطقة فساداً وأنزلت بها دماراً وخراباً لا مثيل لهما في التاريخ.

ونحن على يقين أننا لن نغالي، إذا قلنا أن الحضارة الهلنستية قد هيّأت لجسكالا فرصة ذهبية ومنحتها ظروفاً جيدة، فجعلتها بذلك ترى أجمل أيام عمرها وترتدي أفخر وأزهى ثيابها، لا سيما بعد أن وقعت في دائرة الضوء وبؤرة النور اثر تسليط الأضواء عليها أكثر من مرّة مما جعلها تقفز قفزة عريضة لتقف في الصف الأمامي، وتساهم في صنع الأحداث في المنطقة بجرأة وشجاعة، وتسجل لها في التاريخ وفي سفر الأيام صفحات خالدات.

وسنحاول فيما يلي أن نتكلم على هذه العصور التاريخية الثلاثة التي مرّت بها مدينتنا الغالية (جسكالا) بادئين الكلام على:

١ـ العصر اليوناني:

أ ـ المد الإغريقي: بعد أن تسلم (الاسكندر المقدوني) زعامة الإغريق أثر موت والده (فيليب) عبر بجيشه آسيا الصغرى، واجتاز جبال(طوروس) إلى (سورية) بعد أن هزم الفرس بقيادة مليكهم (دارا الثالث ٣٣٦ـ٣٣٠) ق.م. في معركة (ايسوس) الفاصلة سنة (٣٣٣) ق.م. وفي الوقت الذي اخذ فيه الفرس ينسحبون نحو الشرق، تابع الاسكندر المقدوني مسيرته نحو بلادنا متخذاً من سيف البحر طريقاً له كي يتمكن من حماية خطوط إمداده، وقد سهل عليه احتلال البلاد لأنه لم يجد مقاومة تذكر إلا أمام مدينتين سوريتين هما (صور) الفينيقية و(غزة) الفلسطينية.

أما (صور) التي كانت جزيرة في البحر تبعد مسافة نصف ميل عن الشاطئ وتمتلك أسطولاً يساعدها على المقاومة والصمود فقد استبسلت استبسالاً لم يعرف التاريخ له مثيلاً، ولكنها اضطرت إلى الاستسلام بعد أن يئست من نجدة (قرطاجة) وشقيقاتها الفينيقيات، وبعد أن تمكن الاسكندر من ردم المضيق الذي يفصلها عن الشاطئ بالحجارة ليسهل على جنوده العبور إليها ومحاصرتها،

وبعد حصار دام سبعة أشهر سقطت المدينة الباسلة وعوملت معاملة قاسية. إذ قتل معظم رجال حاميتها وبيع عدد كبير من أهاليها في سوق النخاسة. واحتفل (الاسكندر) بنصره بإقامة الألعاب والشعائر الدينية في معبد اله المدينة (ملقارت) الذي اعتبره معادلاً (لهركوليس)[١].

ثم تابع (الاسكندر) مسيرته جنوباً نحو (غزة) فتصدّت (غزة) لقوات الاسكندر ببسالة، وضربت مثلاً رائعاً في الصمود والاستبسال، كعادتها دائماً، إلا أنها سقطت بعد شهرين من القتال العنيف الضاري، وقتل جميع أفراد حاميتها الذين كان معظمهم من العرب، «واقتحمها الغازي الطاغية ليكشف أن واحداً فقط من مقاتليها الأبطال على قيد الحياة، وهو مثخن بالجراح، كان ذلك هو حاكم المدينة (باتيس) الذي انصب جنون الاسكندر عليه، فأمر بالتمثيل به وهو حي، فأحرقت قدماه، ثم أدرجتا في حلقات من النحاس المحمى، ثم شد جسده المحترق إلى عربة الاسكندر الحربية التي انطلق بها الاسكندر نفسه بسرعة مجنونة ضاعت جلبتها بين قهقهة الهازئين وصيحات السكارى من جنود الطاغية»[٢].

واصل (الاسكندر) زحفه نحو (مصر) بعد سقوط (غزة) ولم يلق فيها أية مقاومة تذكر، وفي(مصر) زار معبد (آمون رع) واستقبله الكاهن الأعلى استقبالاً حافلاً واعتبره ابناً للإله (آمون رع)، وبعد بناء مدينة الإسكندرية، عاد إلى (سورية) ٣٣١ ق.م. ليعالج ثورة (السامريين) الذين انتفضوا عليه واغتالوا نائبه ثم توجه عبر سورية المجوفة ووادي العاصي، واجتاز بلاد الرافدين، وقطع نهر دجلة قرب (نينوى) وهزم آخر جيش حشده الفرس لقتاله بقيادة (دارا الثالث) نفسه الذي هرب ليفتح الطريق أمام الاسكندر إلى (بابل) العظيمة، مقر الحكومة المركزية آنذاك، واستقبله كهنتها وموظفوها بحفاوة ومكنوه من وضع يده على كنوزها الغنية.

واستمر في مطاردته (لدارا) إلى جهات (همذان) حيث اغتيل (دارا) من قبل المتآمرين في معسكره، واستغل (الاسكندر) وفاة الملك الفارسي فدفن جثته في احتفال مهيب، يليق بالملوك، ليضفي على نفسه هالة من العظمة والشرعية تمكنه من وراثة المليك الفارسي الراحل.

ثم توغل جنوباً قاصداً مدينة (كابل) في إقليم البنجاب الهندي، ومنه اضطر إلى العودة، بعد أن أنهك جنوده وضباطه، واشتد التذمر بينهم فعاد إلى (بابل) ٣٢٦ ق.م. لينغمس في الملذات.

---

(١) الدكتور فيليب حتي ـ تاريخ سوريا ـ الجزء الأول ـ ص. (٢٥٤).

(٢) محمود نعناعة ـ الاسكندر المقدوني ـ مجلة الثقافة العربية ـ العدد الثاني ـ السنة الأولى (ليبيا).

وبعد ثلاث سنوات من عودته، وفي حزيران من عام (٣٢٣) ق.م. داهمته المنية، وتوفي بالحمى في قصر العاهل الكلداني العظيم (نبوخذ نصر) بالذات.

ب ـ الاسكندر واليهود:

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن هو: هل عرّج الاسكندر على (أورشليم) لزيارتها بعد سقوط (غزة) أم أن ما جاء في المصادر اليهودية كان من نسج الخيال؟

فالمصادر اليهودية تقول بأن الاسكندر أرسل تعليماته إلى يهود (أورشليم) أثناء حصاره لمدينة (صور) وطلب إليهم أن يعلنوا ولاءهم له ويزوّدوه بالمؤن، وأنه بعد سقوط (غزة) تحول إلى (أورشليم): «وخرج (يدّوع) الكاهن الأكبر إلى ظاهر المدينة وعليه رداء أرجواني وعلى رأسه تاج محلّى بشارة ذهبية تحت اسم الله، وحوله رهط من الكهنة يرتدون أثواب الكتان وجمهوز كبير من الأهالي». وعند وصول الاسكندر انحنى باحترام للكاهن الأكبر بينما كان اليهود بصوت واحد يهتفون للإسكندر ويحيون مقدمه. ثم أعطى الاسكندر الكاهن الأكبر يده اليمنى وصحبه إلى الهيكل حيث قدم قرباناً للإله (يهوه) بإرشاد من (يدوع).

وفي اليوم الثاني سأل الاسكندر يهود (أورشليم) عن رغائبهم وبناء على طلب الكاهن الأعظم منحهم حق ممارسة شعائرهم الدينية بحرية كاملة، وأسقط عنهم الضرائب في سنتهم السابعة، وهي سنة السبت كما أمر بأن تشمل هذه الامتيازات جميع اليهود من إمبراطوريته[1].

أما الدكتور(فيليب حتي) فيكذّب هذه الرواية ويقول: «أما أمر زيارته لأورشليم في طريق ذهابه إلى مصر وتقبل خضوعها شخصياً فأمر مشكوك فيه»[2].

ونحن بدورنا، لا نستبعد حدوث هذه الزيارة، إذا عرفنا مدى شغف الاسكندر في الاطلاع على المعابد الدينية، وهو الذي قطع مسافة ألف من الكيلومترات، لزيارة معبد (آمون رع) في (سيوه) وبالطبع، لم تكن زيارته سواء لسيوه، أو أورشليم لمصلحة أهاليها، بمقدار ما كانت تسعى وراء تسخير رجال الدين أولئك ليضفوا على الاسكندر هالة القدسية والجلال الديني، ليستفيد منه في التقرب إلى الشعوب المغلوبة.

أما إذا كان الخيال اليهودي قد بالغ في وصف تلك الزيارةفيما بعد فما ذلك إلا من قبيل رد الاعتبار لذاتهم المسحوقة.

(١) محمود نعناعة ـ المصدر السابق.

(٢) تاريخ سوريا ـ ١/٢٥٦.

ج ـ بعد خمود الإعصار:

بعد أن خمد الإعصار الإغريقي بانطفاء الاسكندر، لم يستطع أحد من رفاق سلاحه أن يحافظ على وحدة الإمبراطورية الشاسعة التي خلفها وراءه.

وكان لابد في الحالة هذه من اقتسامها بين كبار القادة، فكانت (مصر) من نصيب (بطليموس)، و(بابل) وتوابعها من نصيب (سلوقس) في حين استقر (أنثيغونس) في آسيا الصغرى، وظلت(مقدونيا) الوطن الأم للإغريق، من نصيب (أنثيبارتر).

أما سورية الجنوبية، فقد بقيت طيلة عهود خلفاء الاسكندر بين أخذ ورد يتناوبها البطالمه تارة والسلوقيون تارة أخرى، إلى أن ضعفت (المملكة السورية) التي أنشأها السلوقيون، فتمزقت البلاد إلى دويلات صغيرة. فقد سيطر الأنباط على قسم من شرق الأردن وتحفز اليهود للثورة بقيادة (المكابيين)واستطاعوا أن ينتزعوا حكماً ذاتياً.

أما (الجليل) وما جاوره من بقاع، فقد أصبح موطناً للايطوريين.

د ـ فمن هم الايطوريون:

الايطوريون جيل من العرب يرقى نسبهم إلى العدنانية، ولكنهم تكلموا (الآرامية) وكانت منازلهم في شرق الأردن، منذ عهود قديمة إلا أنهم هاجروا شمالاً واستقروا في مقاطعة (أيطورية) الواقعة بين (اللجاة) و(الجليل)، ثم غلبوا على(البقاع) و(حوران) و(الجولان) و(الجليل)، ومعظم فلسطين الشمالية، وسورية المجوفة بكاملها، وفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، توغلوا في لبنان الشمالي واستولوا على (شكا) و(جبيل) و(طرابلس). وشكلوا دولة متخذين من (خالكيس) وهي (عنجر) اليوم عاصمة لهم. وقد عرفوا بشجاعتهم الفائقة وشدة بأسهم ومهارتهم في رمي السهام.

وكانوا على عداء للعبرانيين، واصطدموا بهم أكثر من مرة منذ عهد (شاول)، إلا أن اليهود بعد نجاح الثورة المكابية، خيروهم بين الطرد من الجليل أو الإختتان، فآثر بعضهم الإختتان على النزوح.

ثم أجبروا على التهود بحد السيف، وكان هذا «أقدم حادث تاريخي معروف من حوادث التعصب الديني»، كما يقول المؤرخ (توينبي)[1].

(١) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ ١ / ٥٠٠.

هـ ـ نتائج المد الإغريقي:

تعرض الاسكندر المقدوني للموت مرتين على أرض سورية. الأولى عند بوابة (كيليكيا) حين داهمه بعض الجنود الفرس ورموه أرضاً عن جواده، وسارع رفيق صباه (بارمينيو) وأنقذه، والثانية على أسوار مدينة (غزة) الباسلة، حيث أصابه خنجر مقاتل عربي، وكاد يرديه قتيلاً، هذا، وإن يكن الاسكندر قد نجا من المحاولتين، إلا انه لم يستطع أن ينجو من الحمى التي داهمته في قصر (نبوخذ نصر) وقتلته وهو في عنفوان شبابه وريعان صباه و لم يتم الثالثة والثلاثين.

ولكن الاسكندر بالرغم من العمر القصير الذي عاشه على أرضنا، والذي لم يتجاوز العقد الواحد من السنين، كان بعيد الأثر في حياة المشرق، فقد جاء إلى بلادنا حاملاً خلاصة الفكر الإغريقي وزبدة الحضارة اليونانية، كما حمل أفكاراً عظيمة وطموحات لا حدود لها، ورثها عن قومه وعن أستاذه العظيم (أرسطو)، وتتلخص هذه الطموحات بأن الاسكندر حمل فكرة دمج الشرق بالغرب في إمبراطورية عالمية واحدة، لا حدود بينها للشعوب والعناصر التي تتألف منها.

وهكذا كرّس حياته القصيرة تلك في تنفيذ هذه الفكرة، التي تستلزم وقتاً طويلاً لم يتهيأ للإسكندر، وان كان قد تهيأ بعض منه لخلفائه على المدى البعيد.

وليس معنى هذا أن جهود الاسكندر قد ذهبت هباءً في هذا السبيل، كلا، فقد اختط الخطة منذ داست قدماه ارض بلادنا، وعمل على تنفيذها بكل ما أوتي من قوة ومهارة وذكاء.

فالاسكندر هو الذي بنى الاسكندرونة في شمال سورية، وهو الذي بنى الإسكندرية في مصر. وهو الذي تزوج أكثر من أميرة مشرقية، وشجع ضباطه وجنوده على الاحتذاء حذوه، وهو الذي ارتدى ثياب المشرق الفضفاضة، وأخذ يتخلق بأخلاق المشرق، ويعمل بعادات أهله وموروثات شعوبه. وكان من أهم ما حققه الاسكندر وخلفاؤه من بعده:

- امتزاج الغرب بالشرق.
- انتشار الحضارة الهلنستية.

١ـ امتزاج الغرب بالشرق:

بعد أن خمدت نيران الحروب التي سعَّرها الاسكندر في بلادنا، وانكشف عجاجها عن نصر للإغريق غير منازع، أخذت أعداد كبيرة منهم تستوطن في بلادنا، سواء في المدن التي اختطوها وبنوها لأنفسهم، أو في المدن القديمة التي نزعوا عنها تسمياتها وأطلقوا عليها تسميات إغريقية.

فقد روى التاريخ أن الاسكندر بنى في حياته أكثر من سبعين مدينة. وتابعه خلفاؤه على نفس الطريق، فما من واحد منهم إلا وبنى أكثر من مدينة هنا في المشرق، أطلق على واحدة منها اسمه ولقبه، وعلى ثانية اسم أمه أو أبيه أو زوجته أو حبيبته، حتى عجّ المشرق بالمدن الإغريقية التي ما لبثت أن تحولت إلى مدن هلنستية، بعد تفاعل الحضارتين معاً ضمن أسوارها.

فبالإضافة إلى الاسكندرونة والإسكندرية التي بناها الاسكندر، فقد بنى (سلوقس) «ست عشرة مدينة تحمل اسم والده (انطيوخس) وتسع مدن اسمه وخمساً تحمل اسم أمه لاوديسا»[1]. ومن هذه المدن (اللاذقية) و(أفاميا) و(فيلوتيريا) (خربة الكرك جنوبي بحيرة طبريا) و(بيلا) (فحل اليوم) و(جيرازا) (جرش اليوم) و(أرثيوسا) (الرستن اليوم على العاصي) و(سيروس) (كورس) على سفوح (طوروس) قرب (إنطاكية).

كذلك حملت المدن القديمة أسماء هلنستية، فـ(عكا) أصبح اسمها (بطولمايس)، و(ربة عمون) عمان اليوم أصبح اسمها (فيلادلفيا) وبيت شان (سكيتوبوليس) وبيروت (لاوديسة) وحماة (ابيفانية) وشيزر (لاريسا) وحلب (بيرويا) وعنجر (خالكيس) وشكيم (نيابوليس) وبيت جبرين (اليوثيروبوليس) وأحلب (جسكالا) وصفورية (صفوريس) ونصيبين (نصيبس) وما إلى ذلك.

وقد عجّت هذه المدن بكافة الأجناس والعناصر، واختلطت فيما بينها وامتزجت حتى أصبحوا وكأنهم يشكلون أمة واحدة، ولا سيما وقد انفتح الغرب على الشرق والشرق على الغرب وارتفعت الحواجز، وأصبح من الممكن أن يتنقل الإنسان بين كافة هذه المقاطعات سواء شرقية منها أم الغربية.

ولعل أكبر دليل نسوقه على صدق قولنا، ما حفظته لنا كتب الأدب من شعر ذلك العصر، والذي يمثل تلك الحقبة أصدق تمثيل.

فهذا الشاعر السوري (مليغر) ابن يوكراتيس المولود في (جدره) (أم قيس) اليوم، حوالي عام (٩٠) ق.م. ينشد في إحدى قصائده:

جزيرة صور كانت مربيتي
وجدره التي هي أتيكية ولكنها تقع في سورية ولدتني

---

(١) د. فيليب حتي ـ تاريخ سوريا ١/٢٦٠.

لقد انبثقت من (يوكراتيس) أنا (مليغر).

الذي سرت بجانب عرائس (مينبوس) بمساعدة آلهه الشعر.

فإذا كنت سورياً فما هي الغرابة؟

أيها الغريب إننا نقطن بلداً واحداً هو العالم،

وشيء واحد أنبت كل البشر[1]

وفي مقطع آخر يقول:

سر بهدوء أيها الغريب.

فالرجل المسن ينام بين الموتى الأتقياء

يلفه النوم الذي هو نصيب الجميع.

هذا هو (مليغر بن يوكراتيس)

الذي قرن آلهة الحب الدامعة العذبة وآلهة الشعر مع العرائس.

لقد ولدته (صور) التي ولدتها السماء.

وتراب(جدره) المقدس حق بلغ أشده.

ورعت (كوس) المحبوبة من الميروبس شيخوخته.

فإذا كنت سورياً فأقول لك سلام.

وإذا كنت فينيقياً أقول لك (نايديوس).

وإذا كنت يونانياً فأقول لك (شيري)،

وقل أنت نفس القول[2].

٢ـ انتشار الحضارة الهلنستية:

حمل الإغريق معهم إلى المشرق كل ما يتعلق بحضارتهم، فقد حملوا أولا لغتهم، وعقائدهم، وأربابهم، وعاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم الدينية، كما نقلوا أدبهم وشعرهم وأساطيرهم، وفلسفتهم، التي كانت إذ ذاك في إبان نضجها، وقد حوت نتاج كل من (سقراط) و(أفلاطون)

(١) د. فيليب حتي ـ تاريخ سوريا ـ ٢٨٧/١.

(٢) المصدر السابق ٢٨٧/١.

و(أرسطو) وغيرهم من فلاسفة اليونان. وما أن وضعت الحرب أوزارها، حتى أخذ الجنود المسرّحون يستوطنون في المدن المشرقية، التي أصبحت مراكز للثقافة الإغريقية، والحضارة الهلنستية.

وبما أن المشرق لم يكن خالياً من الحضارة، بل كان ذا حضارة تأصلت عبر قرون طويلة، فقد أخذت الحضارتان الراقيتان تتكاملان، حتى نشأت الحضارة الهلنستية الجديدة، كما أسلفنا، أخذت تطبع الشرق بكامله بطابعها. ولم يكن الأخذ بالحضارة الجديدة متساوياً في كافة المناطق في الحقيقة، وإنما كان متفاوتاً وحسب الدرجة الحضارية التي بلغتها كل منطقة، فقد كان تأثر الساحل السوري ومدن (الديكابوليس) أشد بكثير من تأثر المناطق الداخلية التي بقيت على لغتها الآرامية فحسب. أما في (أرض كنعان) فقد انقسم اليهود إلى حزبين، حزب مؤيد للثقافة الهلنستية آخذ بها وداعٍ لها. وحزب آخر، ناصبها العداء، وشن عليها حرباً لا هوادة فيها، وتقوقع على التقاليد العبرانية وفضل عبادة الإله (يهوه) على آلهة الإغريق. وبسبب تعصب هذا الحزب انفجرت الثورة المكابيَّة.

و ـ ثورة المكابيين:

اندلعت هذه الثورة سنة (١٦٨) ق.م بزعامة (يهوذا) وهو ابن كاهن من الأسرة الحشمونية يدعى (ماتاتياس)، وكانت الثورة بمثابة تحد للثقافة والحضارة اليونانيتين، فرضها المتعصبون والمتدينون اليهود، وقد وجهت أول الأمر ضد الطبقة الغنية التي تستغل الفقراء وتتغطرس في أزياء يونانية.

ولكن هذه الثورة لم تلبث أن اتسعت، واتخذت طابع الثورة القومية الشاملة، ضد حكومة السلوقيين المركزية في (أنطاكيا) والتي كانت تعيش ظروفاً صعبة للغاية.

وقد نظم المكابيون قواتهم على شكل عصابات غير نظامية تعمل في الجبال، ولا تصادم القوات الملكية النظامية. وانتصر المكابيون وانتخب (سمعان) شقيق (يهوذا) حاكماً وكاهناً أعظم سنة (١٤١) ق.م. ومنحه الملك السلوقي (ديمتريوس الثاني) الاستقلال.

وفي زمن (يوحنا هيركانوس) (١٣٥ـ١٠٥) ق.م. ابن سمعان، اتسعت رقعة هذه الدويلة على حساب كل من الأدوميين، السامريين، والايطوريين. وأجبر بعضهم على الاختتان والتهود كما ذكرنا سابقاً.

كان نظام هذه الدولة أشبه ما يكون بالجمهورية في بادئ الأمر، إلا أن (أرسطو بولس) ابن (هيركانوس) الذي حكم من (١٠٥-١٠٣) ق.م.، اتخذ لقب ملك ووضع التاج على رأسه، واستمرت دولة المكابيين حتى سنة (٤٦) ق.م. السنة التي وقعت فيها جميع البلاد السورية في حوزة الرومانيين.

ز ـ أحوال جسكالا في هذه الفترة:

عرفنا مما تقدم أن (جسكالا) قد حملت اسمها الجديد في هذا العصر، وإن كنا لا نعرف بالضبط من هو الذي أطلق عليها هذا الاسم الجميل، والذي لم يكن على الارجح سوى اسم أميرة إغريقية، إلا أن المصادر التي وصلتنا من القرن الميلادي الأول لم تذكرها إلا باسم (جسكالا) وكانت التسميتان الكنعانية والعبرانية قد غابتا من السجلات الرسمية نهائياً.

ولا شك أن (جسكالا) قد عادت فجددت شبابها بشباب الإغريق، بعد أن اتخذت طابع المدينة الهلنستية، وشهدت أبنية جديدة على الطراز الإغريقي، إلا أن وقوع (جسكالا) في منطقة بركانية، وعلى مقربة من فوهة بركان تدل مشاهدته على تتابع هيجانه، لم يترك لنا إلا آثاراً دارسات من هذا العصر.

ولا يسعنا إلا أن نذكر، أن (جسكالا) بعد اقتسام أملاك الاسكندر، قد تأرجحت بين البطالمه والسلوقيين، إلى أن وقعت ضمن الدولة (الايطورية) طيلة مدة حكمهم، ثم استولى عليها المكابيون.

وكان لأهلها من اليهود دور بارز في الثورة المكابية بسبب وعورة موقعها، وبسبب اعتماد المكابيين على حرب العصابات.

وكان هؤلاء اليهود قد عادوا من السبي البابلي إلى سكناها بعد السماح لهم، ومنهم جماعة من سبط (بنيامين) ظهر فيهم (شاول) (بولس الرسول) فيما بعد.

الفصل الخامس

جسكالا في العصر الروماني

في القرنين الأخيرين قبل الميلاد، كانت الأحوال في (سورية) سيئة للغاية، فالبلاد تعيش حالة من الفوضى والاضطراب والانقسام والتناحر، أثر اشتداد النزعات الاقليمية والانفصالية آنذاك، لا سيما في (لبنان) و(كيليكية) و(فلسطين) ومناطق أخرى في الجنوب والشمال، إذ سيطر (الأباجرة) على إقليم الجزيرة الشمالي، واتخذوا من «الرها» عاصمة لهم. واعتدى الأنباط واليهود على الممتلكات الهلنستية في الجنوب واحتل زعماء اللصوص كثيراً من المدن الساحلية الفينيقية وجعلوا منها قواعد للقرصنة، وساعد لبنان الجبلي على تهيئة الأحوال الجغرافية اللازمة لحمايتهم، كما فعلت (كيليكية) قلعة القرصنة في شرقي المتوسط وبنى القراصنة في المتسعات البعيدة الوعرة في (كيليكية) حصونا صخرية لإخفاء عائلاتهم وكنوزهم ضمانا لسلامتهم ولتكون ملاجئ لهم في وقت الخطر»[1].

وما كان ذلك ليكون لولا الوضع السيئ الذي آل إليه الحكم السلوقي في آخر أيامه. وكان من الطبيعي أن تساعد هذه الأحوال السيئة في المنطقة على وقوع البلاد تحت سيطرة الرومان، القوة الجديدة المتصاعدة، والتي أخذت تلتفت إلى المشرق، بعد قضائها على قرطاجة الفينيقية منافستها العظيمة في الشمال الإفريقي.

وهكذا تقدمت الجيوش الرومانية نحو بلادنا، وتم لها الاستيلاء عليها سنة ٦٤ق.م. بزعامة (بومبي) «الذي أدخل سورية الجغرافية والتقليدية كلها تحت اسم واحد وهو (ولاية سورية) وحلت (ولاية سورية) محل (مملكة سورية) وأصبحت عاصمتها (انطاكية) بينما جعلت (كيليكية) ولاية قائمة بذاتها. وسمح للملوك العرب بالبقاء على ان تقتصر سلطتهم على ممتلكاتهم الاصلية، وأن يدفعوا جزية سنوية. ومع ذلك احتفظ ملك الانباط بدمشق مقابل مبلغ ضخم من المال. وأبقيت اليهودية دولة خاضعة ضمن إطار (ولاية سورية)، ولكن المدن ذات الدساتير اليونانية والتي ضمها اليهود إلى ممتلكاتهم أعيدت إلى وضعها السابق ومنحت حرية داخلية في ظل حكام الولايات. وشكلت عشر من هذه المدن عصبة عرفت بالديكابوليس وقد انضمت إليها مدن أخرى فيما بعد، ومنحت انطاكية وسلوقيا وغزة ومستعمرات أخرى الحكم الذاتي أيضاً وجعلت تحت حكام الولايات»[2].

---

(١) فيليب حتي ـ تاريخ سورية (١) ـ (٣٠٨).

(٢) المصدر السابق ١/٣٠٩.

أ - أولوس غابينيوس:

ولما كانت (ولاية سورية) ذات أهمية خاصة جداً نظراً لتراثها واستراتيجيتها وقربها من بلاد فارس، وضعت تحت الحكم المباشر، لنائب قنصل روماني، يتمتع بصلاحيات عالية، وعهد بها إلى ولاة على درجة رفيعة، وكان أول هؤلاء الموظفين البارزين (أولوس غابينيوس ٥٧-٥٥ق.م)، الذي انتقص سلطة (المملكة اليهودية) وجرد الكاهن الأعظم (هيركانوس الثاني) حفيد (أريسطو بولس) من رتبة الملكية، وفرض ضرائب ثقيلة على اليهود وقسم الدولة إلى خمسة أقاليم صغيرة يحكم كلاً منها مجلس (سنهدرين) وأعاد بناء المدن الهلنستية - السورية - التي كان المكابيون قد هدموها مثل (السامرة) و(بيسان) و(دورا) و(غزّة).

ب - المملكة الهيرودية:

وكان من الطبيعي أن يضيق المكابيون ذرعاً بتصرفات (أولوس غابينوس) تلك، وهم الذين ذاقوا طعم الاستقلال سنين طويلة تزيد على المائة، ولذا أخذوا يستفيدون من الصراع الناشئ بين القادة الرومان بعد مقتل (يوليوس قيصر) وزينوا للفرس احتلال بلاد الشام فأقدم هؤلاء وانتزعوا (فلسطين) بكاملها من الرومان لمدة سنتين (٤٠-٣٨) ق.م.، إلا أن (أنطونيو) حبيب (كليوباترا) المشهور، عاجلهم وأنقذ البلاد منهم، وفي سنة (٣٧) ق.م دخل أورشليم وعيّن (هيرودس بن انتيباتر) الأدومي ملكاً على اليهود.

وكان (هيرودس) هذا أدومياً من مواليد (عسقلان)، وكان قد أجبر على التهود كغيره من الأدوميين، إبان قوة (المكابيين)، ولذا فقد كان يتظاهر باليهودية، ويحسن الولاء لأسياده الرومان، ويتعصب للهلنستية، وقد استطاع (هيرودس) هذا ان ينتقم لأبيه (انتيباتر) الذي قتله اليهود بإيعاز من رئيس الكهنة (المكابي) (هركانوس) إبان الفتنة السابقة، وينتزع السلطة منهم ويقوض عرشهم إلى الأبد، بإعدامه (انتيغونس بن أرسطو بولس) سنة (٣٧) ق.م. بأمر من (أنطونيو) نفسه.

وفي تلك السنة بالذات وطد نفسه كملك على اليهودية، ودام ملكه ثلاثة وثلاثين سنة في ظل الرومان، الذين أحبوه حباً جماً، لأنه أصفاهم ودّه وأخلص لهم الولاء، وعمل جاهداً في سبيل نشر ثقافتهم وحضارتهم طيلة أيام حكمه، حتى جعل من (اليهودية) مملكة هلنستية بما بنى فيها من مسارح ومدارج، وميادين لسباق الخيل، وبما أقام من احتفالات على الطريقة الرومانية. وكانت (السامرة) مقره المحبب، ولذا فقد أعاد ترتيبها على شكل مدينة رومانية، وسماها (سبسطية) بمعنى (مقدس).

كما بنى مدينة (قيصرية) (قيسارية) عام (١٠) ق.م. وزينها بالقصور والمسارح والهياكل والملاعب والتماثيل، وجعلها ميناءً ومركزاً من مراكز الأسطول الحربي الروماني في سورية وقد نمت (قيصرية) وازدهرت حتى أصبحت عاصمة فلسطين الرومانية فيما بعد.

وكان من أهم أعماله على الإطلاق، إعادة بناء الهيكل من جديد، بالرغم من احتجاج اليهود على ذلك، ولكنه أقنعهم أعاد بناءه على طراز الأبنية الرومانية ووضع النسر الروماني في واجهته بالرغم من احتجاجهم.

جـ - بعد هيرودس الكبير:

توفي (هيرودس) الكبير سنة (٤) ق.م قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام بقليل، وكان قد أوصى بتقسيم مملكته بين أولاده الثلاثة (أرخلاوس) الذي حكم (أورشليم) و(الخليل) وبلاد (نابلس) و(آدوم)، وجعل (أريحا) مقرا لولايته.

أما (هيرودس انتيباس) فقد حكم الجليل مدة (٤٢) سنة (٤ ق.م - ٣٩ م) وهو الذي أعاد بناء مدينة (صفوريس) (صفورية اليوم) وجعلها أهم حصن في مملكته، كما بنى مدينة (طبرية) سنة (٢٠ م) وأسماها باسم الامبراطور (طيباريوس) وحشر فيها أخلاطا من البشر بعد أن رفض اليهود السكنى فيها لأنها بنيت على الطراز الروماني، وزينت بالتماثيل والصور التي تخالف العقائد اليهودية. وقد جرت في زمانه حادثة استشهاد (يوحنا المعمدان)[1] عليه السلام الذي انتقد زواج (انتيباس) من ابنة أخيه (هيروديا) فكان أن عمدت (هيروديا) هذه فانتقمت لنفسها شر انتقام مستخدمة فتاتها الجميلة (سالومي) للتأثير على (انتيباس) وهو يحتفل في عيد ميلاده، وكان أن قدم لها رأس (يوحنا) (عليه السلام) على طبق، بعد ان رقصت بكامل جمالها وفتنتها وأنوثتها أمام زوج

---

(١) هو يحيى بن زكريا عليهما السلام، ولد قبل ولادة السيد المسيح عليه السلام بستة أشهر، وأمه (اليصابات) قريبة سيدتنا (مريم) العذراء عليها السلام. ولا يعرف مكان ولادته بالضبط، فقد ذهب بعضهم إلى أنه ولد في (عين كارم) قرب (القدس) في حين ذهب آخرون إلى أنه ولد في (بطة) أو (الخليل) وكان والده يعمل في خدمة معبد سليمان.

كان (يوحنا) يعمد الناس في مياه نهر (الأردن) ويغسلهم من الخطايا، ومن هنا جاءته تسمية (المعمدان)، وكان من بين الذين عمدهم في مياه النهر المقدس السيد المسيح نفسه عليه السلام.

وكان (يحيى) عليه السلام شابا قوي البنية، نشأ على الوحدة والانفراد والتقشف، وكان يلبس ملابس خشنة من وبر الابل ويطعم الجراد والعسل.

أمها (انتيباس). وكانت هذه الحادثة المحزنة خاتمة عهد الهيرودين، فعندما توجه (انتيباس) إلى (روما) ليطلب لقب ملك من الامبراطور، عزله الامبراطور (كاليغولا) ونفاه هو و(هيروديا) إلى (ليون) في فرنسا حيث قضيا نحبهما هناك.

أما (فيلبس) فقد كان واليا على الجولان، وهو الذي جدد مدينة (بانيون) (بانياس اليوم) وسماها (قيصرية فيلبس) كما أعاد بناء مدينة (بيت صيدا) وأسماها (جوليا) إكراماً لابنة الامبراطور (أوغسطس).

وبانقضاء عهد (هيرودس) الكبير وأولاده، عادت (فلسطين) بكاملها لتصبح ولاية رومانية، تحكم مباشرة من قبل حاكم روماني، ولم يبق لأحفاد (هيرودس) الكبير أمثال (أغريبا) الأول وابنه (أغريبا) الثاني إلا الاسم.

وكان من أشهر الولاة الرومان، الذين حكموا اليهودية بعد خلع (ارخيلاوس) (بيلاطس البنطي) الذي حكم مدة عشر سنوات من (٢٦-٣٦)م. وفي زمانه استشهد السيد المسيح عليه السلام.

د - حرب اليهود والرومان

هـ - بذور الحرب في القرن الميلادي الأول والتنبؤ بالخراب:

كان تعصب اليهود وتقوقعهم على الذات، واحتقارهم لكل ما لا يمت إلى اليهودية بصلة ورفضهم للثقافة الهلنستية ووقوفهم في وجه الحضارة الرومانية مبعث قلق لحكام الولايات الرومانيين، وكان من الطبيعي، أن يحاول الرومان التخلص من اليهود كمركز قوة في فلسطين والحد من نشاطهم و اضعافهم حتى يسهل انقيادهم وتبعيتهم للسلطة الجديدة.

وهنا أخذ الصراع الذي خفت حدته في زمن (هيرودس الكبير) إلى الظهور بشكل قوي، وخاصة في أوائل القرن الميلادي الأول، الذي كان شؤما على اليهود والذي لم ينته إلا بعد أن جلب لهم الهلاك ولهيكلهم الخراب و الدمار.

ففي هذا القرن اضطر اليهود إلى مواجهة أخطار جسيمة، كل منها يهدد كيانهم بالزوال، وينذرهم بالفناء، فبالاضافة إلى ما كان يبيته الحكام الرومانيون من شر لهؤلاء المتغطرسين أخذت الفتن والثورات تشتد في كل مكان من أرض سورية ضد اليهود، إذ أخذ السكان الأصليون من غير اليهود يضيقون ذرعا بتصرفات اليهود العنصرية وتعصبهم المقيت وشغبهم الذي لا حدود له، فحاولوا بانتفاضتهم تلك أن يكبحوا جماحهم ليعيدوهم إلى السراط المستقيم.

وكان لا بد للمتأمل في وضع اليهود آنذاك أن يتحسس ما سيداهمهم من خطر فاجع بعد طويل من وقت حتى صدقت نبوءة أحد متنبئيهم، الذي ظهر في عيد المظلة وأخذ يعول ويصيح «صوت من الشرق، صوت من الغرب، صوت من الرياح الأربعة، صوت ضد اورشليم والبيت المقدس، صوت ضد العرائس والعرسان، صوت ضد هذا الشعب جميعه، الويل الويل لأورشليم»[١].

إلا أن أعظم خطر داهم اليهود في هذا القرن كان ظهور السيد المسيح عليه السلام على أبواب الهيكل صائحاً في الكتبة والفريسيين: «أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم»[٢] «يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت ان أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً»[٣].

و - الحرب:

وأخيراً صدقت النبوءات، واندلعت الحرب ضارية لتدمر كل شيء، ولتجعل من مدينة (أورشليم) قاعاً صفصفاً لا أثر فيه لحضارة أو عمران. ومع أن المؤرخ اليهودي (فلافيوس يوسيفوس)[٤] يحمل مسؤولية هذه الحرب للوالي الروماني (فلورس) الذي يصفه بالظلم والجور

---

(١) Jerusalem and Rome ص (١٦١).

(٢) انجيل متى ٢٣: ٣٣.

(٣) نفس المصدر ٢٣: ٣٧.

(٤) فلافيوس يوسيفوس: كاهن ومؤرخ وزعيم يهودي ولد في (أورشليم) (٣٧-٣٨)م. وتثقف بالفقه. اليهودي، وانضم إلى فرقة (الفريسيين) اوفد إلى(روما) ٦٤م ليدافع أمام الامبراطور (نيرون) عن بعض الكهنة اليهود، وليحيك مع الامبراطورة (بوبيه) مؤامرة ضد (بولس الرسول) بخاصة وضد المسيحيين بعامة، فكانت مؤامرة إحراق (روما) ومأساة المسيحيين المفجعة.
بعد عودته من روما كافأه اليهود بتعيينه والياً على الجليل. وقائداً من قواد الثورة التي اندلعت ضد سيادة الرومان بعد اسره لحق بالقائد (فسبسيان) الذي ضمّه إلى عائلته ومنحه معاشاً وحقوق المواطنة الرومانية، بعد صدق نبوءته له بالوصول إلى عرش روما هو وابنه (تيطس) عمل ناطقاً رسمياً لـ(تيطس) ثم ترجماناً له اثناء حصار (أورشليم).له عدة مؤلفات أشهرها: «آثار اليهود» و«تاريخ اليهود القديم». و«تاريخ حياته» و«رسالة في الدفاع عن اليهود». وفي كتبه مبالغات مفضوحة وتزوير واضح للحقائق، ومحاولات لتبرير انضوائه تحت راية الرومان. اعتبره اليهود خائناً لإنضمامه إلى صفوف أعدائهم، مات في روما سنة ٩٣م.

والاضطهاد والطغيان، إلا أن المتأمل لسرد (يوسيفوس) للحوادث في كتابه «حرب اليهود» والمتقصي لأسبابها البعيدة والقريبة، لا يجد مناصاً من تحميل مسؤولياتها لليهود وحدهم و(يوسيفوس) نفسه يعود فيعترف، بأن ما أصاب اليهود في تلك الحرب لم يكن الا قصاصاً الهياً عادلاً يستحقونه اذ يقول: «إنني لا أتردد في أن أبوح بما يؤلمني، انني أؤمن أنه لو أجّل الرومان عقابهم لهؤلاء الأشرار لابتلعت الأرض المدينة (أي أورشليم) أو أغرقها الطوفان، أو أحرقت بنار من السماء، كما حدث لـ(سدوم) لأن جيلهم كان أكثر شراً من أولئك الذين حلّت عليهم النقمات في سالف الأزمان، فبسبب جنونهم بادت الأمة كلها[1].

ز - الشرارة الأولى للحرب:

انطلقت الشرارة الأولى للحرب في (قيصرية) ربيع عام ٦٦م على شكل نزاع بين سكانها من (اليهود) و(الوثنيين)، إذ كان اليهود يدعون أن هذه المدينة لهم لأن (هيرودس) ملّكهم بناها، في حين ادّعى الوثنيون أن مدينتهم موجودة قبل (هيرودس) وأن يكن قد جدّد فيها بعض الأبنية، ورفعت دعوى بشأن هذا الخلاف إلى الامبراطور (نيرون) فحكم بها لصالح الوثنيين على اليهود، فاستاء اليهود من ذلك وأخذوا يتحرشون بسكان (قيصرية) فالتحم الفريقان في قتال عنيف، وعجز الحرس عن التفريق بينهم، ولما كانت الهزيمة في هذا القتال لليهود أسرع فريق من وجهائهم يشكون أمرهم إلى (فلورس) على طريقة (ضربني وبكى وسبقني واشتكى) فألقاهم في السجن لينالوا جزاء ما اقترفت أيديهم.

ومن (قيصرية) انتقلت الإضطرابات والغليان والهياج إلى (أورشليم) حيث توجد أكثرية يهودية، أخذت على عاتقها الشغب على الولاة والحكام.

ولما اشتد شغب المشاغبين، استدعى (فلورس) الملك (أغريبا) لتهدئة الخواطر، فجاء هذا من (الإسكندرية) وخطب فيهم خطبة أفصح فيها عن قوة الرومانيين وغوائل المناوأة، إلا انهم لم يذعنوا، وهاجوا وماجوا، وطردوا (أغريبا) من المدينة، وأوسعوه شتماً ورموه بالحجارة.

(١) القمص شنودة السرياني - الكنيسة المسيحية في عصر الرسل. ص /٨٨/ القاهرة ١٩٧١م.

غير أن بعضاً من الكهنة ووجهاء الشعب الذين لم ينحرفوا في تيار الحرب وآثروا الهدوء والخضوع للسلطات الرسمية لكونهم يمثلون الحزب (الهلنستي) الارستقراطي المعتدل طلبوا المساعدة من (فلورس) و(أغريبا) فأنجدهم (أغريبا) بثلاثة آلاف رجل، والتحم القتال بين الثائرين، وبينهم وكان الفوز حليف المشاغبين لكثرتهم، فأحرقوا قصر الملك (أغريبا) وقصر أخته الملكة (برنيكة).

وأخذ عدد المشاغبين يزداد، واستظهروا على خصومهم وحاصروا قلعة (أنطونيه) في أورشليم بعد احتلالهم لقلعة (مسّادا) قرب البحر الميت، وحاصروا الجنود الرومانيين في قصر (هيرودس) وقتلوهم شرّ قتلة وقام الزعيم الإرهابي (منحيم بن يهوذا الجليلي) مستعيناً بحزبه (حزب الخنجر تحت العباءة)[1] وباللصوص وقطاع الطرق ودخل (أورشليم) ونصّب نفسه ملكاً، إلا أن بعض اليهود تآمروا عليه وقتلوه، لشدة إمعانه بالعسف والبطش، وعاد المشاغبون يضيّقون على الجنود الرومانيين المتحصنين في الأبراج حتى طلبوا الأمان، فأعطوهم الأمان شريطة أن يسلموا سلاحهم لليهود، ولكنهم ما إن سلّموا سيوفهم حتى وثب عليهم المشاغبون وقتلوهم عن آخرهم.

ح - ردة الفعل الشعبية في سورية:

ما إن أخذت أخبار قتل اليهود وبطشهم بالجنود الرومانيين وبالسكان من غير اليهود، تتوارد إلى المدن السورية الأخرى حتى ثارت ثائرة الأهلين، في عديد من هذه المدن ووثبوا على اليهود واشبعوهم قتلاً ولاسيما في (قيصرية) و(بيسان) و(عكا) و(صور) و(عسقلان) وغيرها من المدن السورية، كما وصلت الفتنة بسبب اليهود إلى (الإسكندرية). أما في المدن التي أذعن فيها اليهود إلى الهدوء والسكينة، و لم يخلّوا بالأمن وراحة المواطنين فلم يلحق بهم أي أذى.

(١) القانويون: أو (الغيورون) أو السفاحون أو القتلة أو (حملة الخناجر تحت العباءة) حزب يهودي إرهابي خطير، ظهر في منطقة الجليل من فلسطين في القرن السابق لميلاد السيد المسيح، واشتد ساعده هناك في عهد (هيرودس) الكبير، ثم عظم نفوذه، إلى أن وصل إلى أورشليم.
أقدم زعماء هذا الحزب البارزين هو (يهوذا الجليلي) من مدينة (جمالا) الواقعة في هضبة الجولان، ويذكر يوسيفوس أن يهوذا الجليلي قد يكون أحد أبناء (حزقيا) قاطع الطريق المشهور الذي قتله الملك (هيرودس) دون محاكمة.
ثم انتهت زعامتهم إلى (يوحنا بن لاوي الجشي) وهو إرهابي خطير من (جسكالا). وكان للقانويين دور كبير في إثارة الشغب والفوضى، وإشاعة الرعب والقتل والاغتيال قبل الحرب كما كانوا السبب المباشر لإشعال نار الحرب وتسعيرها إلى أن تم القضاء عليهم نهائياً من قبل (تيطس) سنة ٧٠م.

ط ـ تدخل السلطات العليا في انطاكية:

ولما رأى (غلوس) والي (سورية) والمقيم في العاصمة (أنطاكية) اشتداد الثورة، وعجز (فلورس) والي (فلسطين) عن إخماد لهيبها، سار بجيشه إلى (عكا) وانضم إليه كثيرون من سكان المدن المجاورة، كما لحق به الملك (أغريبا) ببعض جنوده، وزحف قائد الجيش الروماني إلى (زابلون) ففر أهلها إلى الجبال فانتهبها وأحرق بيوتها «التي لم تكن أبنية (صور) و(صيدا) و(بيروت) أحسن منها»[1] وأحرق القرى المجاورة لها وعاد إلى (عكا). وشجعت عودته تلك اليهود على تعقب جنوده فقتلوا منهم أكثر من ألفي رجل كلهم سوريون من (بيروت).

ثم سار (غلوس) من (عكا) إلى (قيصرية) وأرسل كتائب من جيشه إلى (يافا) فباغتوا اليهود وقتلوهم عن آخرهم، ونهبوا المدينة وأحرقوها. كما أرسل (غلوس) فريقاً آخراً إلى الجليل ففتحت مدينة (صفوريس) أبوابها لجنود الرومانيين واقتدى بها غيرها من المدن. إلا أن المشاغبين والقانونيين اعتصموا في جبل (عرمون) المقابل لـ(صفوريس)، فداهمهم الجيش وقتل منهم الكثيرين، واستمر على هذا الحال إلى أن طهّر معظم المنطقة الشمالية، وسار بجيشه نحو أورشليم.

ي ـ حصار غلوس لأورشليم:

أحلّ (غلوس) جيشه في الجهة الغربية من (أورشليم)، وكان اليهود قد تجمعوا فيها من جميع أنحاء البلاد للاحتفال بعيد (المظال) فلما رأوا دنو الجيش من عاصمتهم خرجوا على جنود الرومانيين، وأزاحوا طلائعهم عن مواقعها، وقتلوا عدداً كبيراً في (٢٦ تشرين الأول ٦٦م) ثم أعاد غلوس الكرة على أورشليم فدخلها في (٣٠ تشرين الأول) وحل في أعلاها وأحرق بعض بيوتها، إلا أنه لم يتابع عملياته الحربية بل تلكأ في قطف ثمرة نصره، مما افسح المجال أمام اليهود للاستفادة من ذلك التلكؤ، فعاودتهم الحمية، وتحصنوا في الابراج، وأخذوا يقاتلون من خلف الأسوار.

وزحف بعض الجنود الرومان راصين تروسهم، وأخذوا ينقبون حائط السور فذعر اليهود وتولاهم مزيد من الرعب.

إلا أن غلوس ولسبب لم يكشف عنه حتى اليوم، أصدر أوامره برفع الحصار عن أورشليم وانسحب بجنده، مبتعداً عنها مما جعل اليهود يتتبعون ساقة جيشه ويقتلون منها عدداً كبيراً يقدر

(١) المطّران يوسف الدبس ـ تاريخ سورية ـ (٣) عد (٤٨٥).

بستة آلاف جندي، ويعودون إلى المدينة مبتهجين وقد أصابهم من الغرور الشيء الكثير، وعظم هوسهم بانتصارهم المؤقت، فنصبوا لكل مقاطعة والياً يدير شؤونها وشرعوا بالتدريب العسكري للشبان. وفي الوقت الذي حسبوا فيه انهم باتوا دولة مستقلة، كان النصارى يغادرون أورشليم إلى (فحل) في الأردن، بعد أن أدركوا ببصيرتهم، سوء العقبة التي تنتظر ذلك الغرور.

وفي الوقت نفسه كان (غلوس) يكتب إلى الامبراطور (نيرون) ويبصره بحقيقة الموقف في الجزء الجنوبي من ولايته (سورية).

ك ـ الامبراطور نيرون يتصدى للثورة:

وإزاء الحالة المتدهورة تلك، لم يجد الامبراطور « نيرون» بدأ من التحرك السريع، لإنهاء الثورة اليهودية، وإعادة الأمن إلى ربوع «سورية الجنوبية»، وفرض السيطرة الرومانية على البلاد بكل حزم وقوة، وكانت أخبار ثورة اليهود وانتصارهم على جنوده، ووفاة «غلوس» والي سورية، أثر انخذاله قد بلغته وهو في بلاد اليونان. فسارع واصدر أوامره إلى قائده المحرب «فلافيوس نسبسيان» الذي كان قد اخضع الإنكليز والألمان، فتوجه «فسبسياند» على رأس جيشه إلى «انطاكية» شتاء عام (٦٧)م وهناك التقى بالملك «أغريبا». ومن «انطاكية» تابع مسيرته إلى «عكا» «بطولمايس» حيث وافاه ابنه (تيطس) من الإسكندرية، وتحت امرته الجيشان الخامس و العاشر الرومانيان كما انضم اليه (مالك الثاني) ملك الأنباط، وكثير من المتطوعة السوريين، حتى بلغ تعداد جيشه (٦٠) ألف رجل تقريباً.

وكانت خطة (فسبسيان) أن ينهي الثورة في المناطق البعيدة، ويقضي على مقاومة الحصون والقلاع المتناثرة في الأرياف، ومن ثم يتوجه إلى «اورشليم» العاصمة، حيث يضرب ضربته القاصمة، وتنفيذاً لخطته تلك، نزل في (عكا) وباشر، بتصفية الثورة في ربوع الجليل.

ل ـ أحوال الجليل قبل وصول فسبسيان:

كان اليهود ابان انتصارهم المؤقت على «غلوس» وانسحاب الجند الروماني أمامهم، قد توهموا أنهم فازوا بالحكم الذاتي والاستقلال، ولذا فقد أخذوا يتدبرون أمورهم ويعينون ولاة للأقاليم لتنظيمها ودعم الثورة فيها، وكان المؤرخ «يوسيفوس» الذي سبق ذكره، في جملة العمال الذين أقامهم اليهود على الأعمال، فقد ولوه على (الجليل) مكافأة له على نجاح وساطته مع الملكة (بوبية) كما سبق وتحدثنا.

ولم يكن (يوسيفوس) هذا ثورياً، بل كان ميالاً للسلم، ويدرك عظمة الرومانيين واقتدارهم، ولكنه كان يأمل أن يستفيد اليهود من ثورتهم تلك، فيحصلوا على استقلال ذاتي، أو يعطوا بعض الامتيازات، أو يكلف الملك «أغريبا الثاني» بتدبير شؤونهم، كما كان جده «هيرودس الكبير» على أقل تقدير.

ومثله كان الملك «أغريبا» فبالرغم من إظهار استيائه من الثورة والثوار، إلا أنه كان يأمل أن تكون له حصة الأسد من نجاح الثورة، فيوسع بذلك حدود مملكته.

وصل (يوسيفوس) إلى (الجليل) وشرع يدبر شؤونه، فأقام ندوة مؤلفة من سبعين رجلاً من وجهاء الجليل، لمساعدته في إدارة البلاد، وعين سبعة رجال في كل مدينة للفصل في الدعاوى، وأخذ يحصن المدن، ويجمع الجند ويأمر بتدريبهم استعدادا للطوارئ.

م - جسكالا تناوئ يوسيفوس:

إلا أنه بالرغم من كل تلك الإجراءات التي اتخذها (يوسيفوس)، لم يرق في عيون الإرهابيين المنتشرين في جبال الجليل، والداعين إلى الثورة والطغيان، وكانوا على علم ودراية بنفسية (يوسيفوس) الميالة إلى الموادعة و الاستسلام. وكان على رأس أولئك الذين تصدوا لمقاومته حزب (القانويين) الخطر، بزعامة الثائر الجسور (يوحنا بن لاوي الجشي)، الذي يعتبر أخطر شخصية إرهابية عرفها تاريخ اليهود على الإطلاق، وهو من مواليد (جسكالا) ومن المجايلين ليوسيفوس، وكان باعتراف خصمه (يوسيفوس) نفسه، شخصية خطرة لا تضاهى في ميادين العنف والشر.

هذا وان يكن كل من الرجلين، قد جامل خصمه في البداية، فسمح (يوسيفوس) ليوحنا، أن يحتكر بيع الحنطة والزيت في المنطقة، حتى اغتنى وشرع في تحصين مدينة (جسكالا) مسقط رأسه، وإعادة بناء أسوارها، وحاز بذلك على إعجاب (يوسيفوس) ورضاه، إلا أن كلا من الرجلين كان يبطن الغدر بصاحبه ويضمر له الشر، سيما وأن (يوحنا) كان يطمح إلى الاستيلاء على كامل الجليل، ولذا فسرعان ما انفجر الصراع بين الرجلين، وأخذ كل واحد منهما يكيل التهم جزافا للآخر.

ن - جسكالا تتزعم جبهة الرفض والمقاومة:

وكان (يوحنا) قد أعد عدته، وجمع عددا من الثوار الذين اعجبوا بجرأته وجسارته، وأخذ عدد محاربيه يزداد يوما عن يوم حتى عظم خطره، واشتد بلاؤه، سيما وأنه كان يحسن اختيار رجاله، اذ كان حريصاً على ألا يقبل أي شخص يمكن أن يكون فريسة سهلة لأي هجوم، بل اختار

الرجال البازرين جسداً وجرأة ومعرفة بفنون الحرب، وتمرسا بأعمال الشقاوة والاغتيال، وكان جلهم من منطقة (صور) والقرى المجاورة. وهكذا جعل من (جسكالا) نقطة لانطلاقهم في إشاعة الفوضى في نواحي (الجليل) والشغب على (يوسيفوس).

وعندما اطمأن (يوحنا) إلى قوة رجاله، أخذ يجاهر بالعداوة (ليوسيفوس) ويشيع بين الناس أنه موال للرومانيين، وخائن لأمته، وكتب إلى (أورشليم) يشكوه، بأنه يحشد جيشاً كبيراً وفي نيته أن يستحوذ على العاصمة، ولقى (يوحنا الجشي) أذناً صاغية، من صديقه (سمعان بن غمالئيل) رئيس مجمع أورشليم، ومن صديقه، (حنان) الذي كان رئيس الأحبار. فأرسل هؤلاء ألفين وخمسمائة جندي وأربعة من وجوه أورشليم لينذروا الشعب بالارتداد عن (يوسيفوس).

وانقسم الجليليون، فكان بعضهم محازباً ليوسيفوس، والبعض الآخر (ليوحنا الجشي)، وجاهر بالعداوة ليوسيفوس، أهل (جسكالا) و(بيسان) و(طبريا)، وكذلك جاهره بالعداوة أهل (صفورية).

إلا أن أحداً من الرجلين لم يستطع أن ينتصر على الآخر، إذ سرعان ما داهمتهم القوات الرومانية وهم على هذه الحال من الانقسامات والخصومات.

س - فسبسيان يقمع ثورة الجليل:

لم تكد قدما (فسبسيان) تطآن ارض (عكا) حتى وفد إليه أهل (صفورية) معلنين الانضمام الى صفوفه، وكان (يوسيفوس) قد أساء معاملتهم، وأمر جنده بانتهاب مدينتهم، ولذا أصحبهم (فسبسيان) بألف من فرسانه وستة آلاف راجل، وأخذوا يشنون الغارات كل يوم على مجاوريهم فينهبون ويقتلون.

ومضى قادة (فسبسيان) يتجولون في البلاد، ويقتلون من يقع في أيديهم، فاحتلوا (يوثاباط) (جفت اليوم) غربي (قانا الجليل) على مقربة من جبل (كوكب). و(كابارا) (الكابري اليوم) بالقرب من (عكا). كما احتلوا (يافة الناصرة). و(طبريا) و(تاريكا) (كرك اليوم - جنوبي طبرية على البحيرة) و لم يستطع (يوسيفوس) المقاومة برجاله، الذين انسلوا من معسكره قبل ان يروا جيش الرومانيين، ولما رآهم أوغاداً لا يرجى منهم ثبات، اعتزل بمن بقي معه وأرسل يخبر ندوة (أورشليم) بحالة الجليل، ويسألهم إنجاده، أو الترخيص له في تعاطي الصلح معهم.

واحتل الرومانيون جميع مدن الجليل، باستثناء مدينتين اثنتين هما (كامالا) الواقعة شرقي بحيرة طبرية، و(جسكالا). وبسقوط (كامالا) بعد صراع دامٍ عنيف، لم يبق في الجليل إلا مدينة (جسكالا) تنتظر مصيرها المحتوم.

ع ـ سقوط جسكالا:

بعد أن تمت لفسبسيان السيطرة على (كامالا) وقلعة (طابور) في الثالث والعشرين من تشرين الأول سنة ٦٧م، أرسل ابنه (تيطس) إلى (جسكالا) في ألف فارس، وكان (يوحنا بن لاوي الجشي) قد تحصن فيها مع أشياعه ومحازبيه، ولكنه كان يدرك تماماً أنه لا يستطيع الصمود أمام جيوش الرومان، فاضطر الى اللجوء للحيلة ليتخلص من الحصار المضروب حوله، وعند انتهاء (تيطس) إلى (جسكالا) خاطب أهلها برقيق الكلام وقال: «أتأملون أن تنتصروا وحدكم على الرومانيين، وقد قهروا العالم وسائر مدن بلادكم وبقيتم متفردين».

فصوب (يوحنا الجشي) كلامه وقال: «صدقت لكن اليوم سبت وسنتنا تحظّر علينا كل عمل فيه، فإن شئت فأمهلنا الى الغد، ننفذ لك طائعين».

فأمهلهم (تيطس) واحل جنوده بعيداً عن المدينة و لم يخفرها، فقام (يوحنا) وأخذ محازبيه وأنصاره ومن مالأه من المشاغبين، وتعجل الفرار بهم الى (أورشليم).

ولما أتى (تيطس) في الغد إلى (الجش ـ جسكالا) فتح له أهلها أبوابها والتقوه رجالاً ونساءً مرحبين، وكانوا يسمونه منقذهم والمحسن اليهم، وأخبروه بفرار (يوحنا) فاغتم لنجاته، وأرسل كتيبة من فرسانه في أثره فلم يدركوه[1].

ف ـ أورشليم في انتظار الكارثة:

لم يتابع (فسبسيان) زحفه نحو (أورشليم) بعد إخضاع كامل الجليل، بل سار بجيشه إلى (قيصرية) ليريح جنده من المشاق التي قاسوها، وليستعد للجولة الحاسمة في إخضاع اليهودية وإذلالها، بعد ان اشتد أوار الفتنة وكاد لهيبها يحرق المنطقة بأكملها.

وفي هذه الاثناء وصلت أنباء من العاصمة (روما) تفيد بانتحار الامبراطور (نيرون) في التاسع من حزيران (يونيو) سنة ٦٨ م، فاضطر (فسبسيان) الى التريث، ريثما يتلقى الأوامر من الامبراطور الجديد، ولكنه لم يلبث ان نودي به امبراطوراً في تموز (يوليو) سنة ٦٩م فعاد الى روما على جناح السرعة ليقوم بأعباء منصبه الرفيع في حين أسند قيادة جيشه الموجود في المشرق الى ابنه (تيطس) وكلفه بحصار أورشليم وتصفية الثورة اليهودية.

(١) المطران يوسف الدبس ـ تاريخ سورية ـ ٣ عد (٤٨٨).

كانت أورشليم تعيش آنذاك حالة من الفوضى والاضطراب والغليان لم تشهدها مدينة من قبل أو من بعد (اللّهم الا مدينة بيروت ابان الحرب الاهلية سنة ١٩٧٦م) فقد تجمع فيها الفوضويون والمشاغبون والمخربون واللصوص وقطاع الطرق وشذّاذ الآفاق والرعاع، وكل أصحاب الأغراض الدنيئة من اليهود والادوميين وغيرهم. وكان على رأس هؤلاء جميعاً حزب القانويين (حزب الخنجر تحت العباءة) وزعيمه الإرهابي الخطير (يوحنا بن لاوي الجشي) الذي كان قد وصل لتوه إلى أورشليم بعد سقوط مدينة (جسكالا) في أعالي الجليل.

ص ـ يوحنا الجشي في أورشليم:

أذعنت (جسكالا) للقائد الروماني العظيم (تيطس) في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ٦٧م ـ كما أسلفنا ـ إلا أن زعيمها الإرهابي الخطير (يوحنا بن لاوي الجشي) استطاع أن يفلت من الحصار الذي ضربه (تيطس) على المدينة، وان يتابع طريقه إلى (أورشليم) العاصمة، لينظم المقاومة وليلعب دوراً خطيراً جداً في الأحداث الجارية هناك.

وهكذا فقد أخفى (يوحنا) هزيمته في (جسكالا) حال وصوله إلى (أورشليم) وأعلن أنه فضّل المجيء للدفاع عن العاصمة المقدسة (مدينة الرب) التي لا يستطيع الرومان الاستيلاء عليها إلا إذا كانت لهم أجنحة[1]. وأخذ بذكائه وحنكته ودهائه يبعث الحماسة في نفوس اليهود ويحضهم على الدفاع والصمود والاستبسال، وجعل يهوّن عليهم الخطب، ويصغّر من شأن الرومان في عيونهم، ويقلل من قيمة قوتهم، ويعلن بأن الرومان فقدوا قدرتهم على مواصلة القتال، بعد أن خسروا الكثير من جنودهم في جبال الجليل، وفي حصار المدن الصغيرة والقرى والحصون المنتشرة في تلك البقاع.

ولشجاعته وقوة حجته، صدقه الناس والتف سوادهم الأعظم من حوله، وناصره الجليليون لأنه منهم، ولرجحانه على كافة الرؤساء اليهود ذكاءً وشجاعةً ودهاء، ولذا فقد تكاثر عدد أنصاره وازداد عدد مؤيديه فاشتد خطره وعظم بلاؤه، وأصبح السيد المطاع والأعظم نفوذاً في (أورشليم).

ق ـ عامان آخران من الفوضى:

وكان من الطبيعي أن تعم الفوضى في (أورشليم) لغياب السلطة الرادعة، من ناحية، ولاختلاف الشيع والأحزاب في أغراضها وفيما تهدف إليه من ناحية أخرى، ولتكاثر اللصوص

(١) Jerusalem and Rome: page (224).

الذين لم يكن لهم من هدف إلا السرقة والنهب والاعتداء على الممتلكات والأغراض، وما كان من أحد يجرؤ على منعهم من دخول (أورشليم) لأنهم جاؤوها بحجة الجهاد والدفاع عن المقدسات.

ولما أمعن هؤلاء اللصوص بالنهب والسرقة والاعتداء والقتل، وأسرفوا في اغتيال الوجهاء والسادة، ثارت ثائرة الشعب بتحريض من الكهنة، ونشب بين الطرفين قتال مرير.

وبقي (يوحنا الجشي) يرقب الأحداث بعينه البصيرة، وينتظر الفرصة المناسبة، لينقض على الطرفين، وليحصل على السيادة كاملة في (أورشليم).

ولذا فقد أظهر ميله لحزب الشعب وبالغ في إكرام (حنان) رئيس الكهنة، ومن طرف آخر لم يغضب المشاغبين بل أظهر لهم أنه يؤيدهم ويعتمد على مساندتهم، ولما رأى أن كفة حزب الشعب هي الراجحة، وان هذا الحزب ميال إلى الاستسلام والإذعان للرومان، وكان (يوحنا) بطبيعته ميالاً للعنف والقتال، مال نحو المشاغبين، وأقنعهم بالاستنجاد بالادوميين، فصوبوا رأيه، وأرسلوا في طلب الأدوميين، الذين جاؤوا بعشرين ألف رجل، ولكنهم توقفوا عند أبواب (أورشليم) المغلقة بعد ان أمر(حنان) رئيس الكهنة بإيصادها. ولكن المشاغبين استغلوا ليلة عاصفة ماطرة، ركن فيها الحراس للراحة، وفتحوا أبواب المدينة واندفع الأدوميين يثأرون لكرامتهم المهدورة فقتلوا كل من وجدوه في طريقهم، حتى ان كثيرين من اليهود ألقوا بأنفسهم من فوق الأسوار استعجالاً للموت والخلاص من حالة الرعب التي سادت في المدينة.

ر ـ شمعون بن جيورة في أورشليم:

ومما زاد الطين بلة في (أورشليم) ظهور إرهابي خطير آخر على أبوابها، هو (شمعون بن جيورة). إذ بينما كانت الحرب الأهلية تدور على اشدها بين حزب الشعب وزعمائه من الكهنة، وبين القانويين وزعيمهم (يوحنا بن لاوي الجشي) برز على ساحة الأحداث (شمعون ابن جيورة) وهو إرهابي خطير من مدينة (جرش)، كان يرئس عصابة كبيرة تزيد على العشرين ألفاً من المخربين واللصوص وقطاع الطرق، وتمركز في قلعة (مسادا) وأخذ يسطو على بلاد الأدوميين، ونواحي اليهودية، ويعيث فساداً في المنطقة بأسرها، ثم اضطر إلى حصار (أورشليم) لاستنقاذ زوجته التي سباها المشاغبون من الداخل، وشدد قبضته على أبوابها، وطفق يقتل كل من يخرج من المدينة أو يقطع يديه، وأمعن في العسف والإرهاب حتى ردوا عليه زوجته.

ولما غاد القتال والتحم بين حزب الشعب والقانويين، أطلق (يوحنا بن لاوي الجشي) لرجاله ومحازبيه العنان وسمح لهم أن يصنعوا ما يشاؤون، فعظمت وطأتهم على حزب الشعب، فاضطر هؤلاء إلى الاستنجاد (بشمعون بن جيورة) فكانوا بذلك (كالمستجير من الرمضاء بالنار) كما يقول الشاعر العربي، فلبى (شمعون) دعوتهم ودخل المدينة في نيسان ٦٨م، وأقام الحصار على الهيكل الذي تحصن في داخله (يوحنا الجشي)، بعد أن انفضّ عنه بعض رجاله بقيادة (أليعازر) أحد كبار مساعديه، وفيما هم على هذه الحالة من النزاع والشقاق والاقتتال العنيف وسفك الدماء، فضلاً عن انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات (حتى اضطرت إحدى النساء واسمها «مريانة» إلى أكل لحم وليدها)[1] . داهمهم جند الرومان وأطلّوا عليهم من المرتفعات الشمالية التي تشرف على القدس حيث نصبوا خيمة قائدهم العظيم (تيطس).

ش ـ تيطس يحاصر أورشليم:

ودّع (تيطس) أباه (فسبسيان) وجاء من(الإسكندرية) إلى (قيصرية) على رأس جيش كبير بلغ تعداده (٨٠) ألفاً، ووصل (أورشليم) في آذار سنة ٧٠م وفي (نيسان) من السنة نفسها، ضرب حصاره الشديد على المدينة، وشرع جنوده في بناء أربعة أبراج تجاه قلعة (أنطونية) التي كان (يوحنا الجشي) ورجاله يتحصنون فيها، فبادر (يوحنا) مع بعض رجاله إلى إحراق تلك الأبراج بعد التسلل إليها عن طريق سرداب تحت الأرض.

وكان من الطبيعي أن تتهادن العصابات اليهودية المتنافسة بعد شعورها بدنو الخطب العظيم، وراحوا يتعاونون في تحصين أسوار (أورشليم) والدفاع عنها. واستمر القتال العنيف حول الأسوار خمسة أشهر متتالية. وضيّق (تيطس الحصار وأخذت منجنيقاته تفتح كل يوم ثغرات في السور. ولكن اليهود كانوا ينون في الليل ما تهدم في النهار. وانتشر الوباء ومات الناس جوعاً حتى استولى الغيظ على جندي روماني، فاصبح في حالة جنونية، ودون أن يتلقى أي أمر من قائده، ودون أن يشعر بخطورة عمله، خطف مشعل نار ووقف على كتف رفيقه وألقاه في النافذة الذهبية التي تؤدي إلى المحراب بالهيكل. فشبت النار وتصارخ اليهود صراخاً عالياً، وتعادوا إليها لكي يطفئوها، ولم يكن أحد يبالي بحياته أو يضن بقوته بعد أن رأى كل شيء يحارب من اجله قد ذهب. احترق

(١) المطران يوسف الدبس ـ تاريخ سوريا ـ ج (٣) عد (٤٨٩).

الهيكل وامتدت السنة اللّهب إلى أنحاء المدينة، وبقيت مشتعلة مدة شهر حتى لم يبق في القدس سوى ثلاثة أبراج وقطعة من سور الهيكل التي تعرف اليوم بجدار المبكى. ودخل (تيطس) المدينة الخربة، في التاسع من آب (أغسطس) سنة ٧٠م وذبح جنوده من بقي من سكانها اليهود[١].

ويقول الدكتور فيليب حتي: «**لقد هدمت المدينة وأحرق المعبد، وهو المعبد المزخرف الذي بناه (هيرودس) فوق أبنية متعاقبة في نفس الموقع. وكان التهديم الذي قام به (تيطس) تاماً حتى ان الناس نسوا إذا كان المعبد قد بني على التلة الشرقية أو الغربية في (اورشليم). وقد فشلت جميع محاولات إعادة بنائه بالاستناد الى وصف التوراة وحدها، وقدر بأن مليون يهودي قد هلكوا في هذه الحرب. وأجبر كثير من الأسرى بأن يقاتل الواحد الآخر أو يقاتلوا ضد الحيوانات المفترسة في المدرجات. ومنعت البقية الباقية من اليهود من الاقتراب من عاصمتهم، والواقع أنها لم تعد عاصمتهم. وزالت اليهودية كدولة سياسية من الوجود. وأصبح اليهود منذ ذلك الحين شعباً بدون وطن**»[٢].[٣].

ت ـ نهاية يوحنا الجشي وشمعون بن جيورة:

عندما حمي وطيس المعركة طلب (يوحنا الجشي) ومنافسه (شمعون بن جيورة) أن يستسلما لتيطس شريطة ان يترك لهما سلاحهما ويخرجا بأهلها من المدينة الى البرية، فرفض تيطس طلبهما، وأمرهما بالاستسلام دون قيد او شرط فلم يذعنا واستمر القتال. وبعد سقوط (اورشليم) اختفى (يوحنا) في مخبأ أمين وبقي فيه حتى اشتد جوعه وضاق ذرعه عن تحمله، فخرج طالباً العفو من الرومانيين، فقبضوا عليه وسيق الى السجن المؤبد في (روما). أما (شمعون) فقد اختفى في مغارة مع بعض أصدقائه وحاولوا حفر سرداب ينتهي بهم إلى خارج المدينة، ولكنهم أخفقوا في مسعاهم لإعتراض آلات حفرهم صخرة صلدة، فاضطر إلى الاستسلام، ثم كبّل بالحديد واقتيد ليلحق برفيق نضاله (يوحنا الجشي).

---

(١) محمود العابدي ـ من تاريخنا ـ ص (٣٢) ـ عمان ـ ١٩٦٣.

(٢) الدكتور فيليب حتي ـ تاريخ سوريا ـ ج ١ ـ ص (٣٧٦) ـ بيروت ١٩٥٨.

(٣) لم تقم لليهود قائمة الا بعد مرور اكثر من نصف قرن على ثورتهم الكبرى، إذ عادوا إلى الثورة على الرومان سنة ١٣٢م بزعامة (شمعون بارخوخبا) (ابن الكوكب) واستمرت ثورتهم ثلاث سنوات إلى أن سحقها (هادريان) بقسوة، ودمر كافة مدنهم وقراهم، وحوّل (أورشليم) الى مستعمرة رومانية باسم (ايليا كابيتولينا) وبنى مكان المعبد القديم معبداً للآلهة الروماني (جوبيتر).

وكان الرومان يأتون بهما في حفلات الظفر ومواكب النصر مكبلين بالحديد وبعنقيهما حبال يجرونهما بها، ويحملونها آنية الهيكل، ومنارة الذهب، والمائدة الذهبية، ولفافة من التوراة.

وأخيراً ألقي بـ (شمعون بن جيورة) من فوق صخرة عالية فمات. في حين ترك (يوحنا الجشي) في أحد سجون (روما) الى ان قضى نحبه.

وبموتهما أسدل الستار على فصل مرعب من فصول المأساة اليهودية الدامية[١].

---

(١) يجدر بنا هنا للامانة والتاريخ ان نذكر اننا استقينا معلوماتنا الواردة في هذا الفصل والمتعلقة بحرب اليهود والرومان من المصادر والمراجع التالية مرتبة حسب أهميتها بالنسبة للاعتماد عليها:

أ ـ المطران يوسف الدبس (تاريخ سوريا) الجزء الثالث... وهو بدوره اعتمد على كتابات (يوسيفوس) في كتابه (حرب اليهود) وعلى الجزئين الثالث والرابع على وجه الخصوص.

ب ـ على كتابات (يوسيفوس) نفسه. والمدونة في كتاب (Jerusalem and Rome) المنتخبة من قبل (ناحوم جليتزر) وهو أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة (براندیس) في الولايات المتحدة الأمريكية. والكتاب مطبوع في بريطانيا سنة ١٩٦٠م وصادر عن مكتبة (فونتانا). (The Fontana Library).

جـ ـ على ما كتبه الأستاذ (محمود نعناعة) في مجلة(الثقافة العربية) الليبية تحت عنوان:

حامل الخنجر تحت العباءة ـ خراب الهيكل ومعاداة السامية.

السنة الاولى العدد (١٢) أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ م ص (٥٤) وما يليها.

* نيرون وبوبيا ومعاداة السامية.

السنة الاولى العدد (١١) سبتمبر (أيلول) ١٩٧٤ م ص (٣١) وما يليها.

ومحمود نعناعة يعتمد بدوره على المصادر التالية:

1- Encyclopedia Britanica ,U.S.A.1970.
2-Jewish Encyclopedia , N.Y. 1901.
3-The Cambridge Ancient History.
Cambridge , 1925-1939

د ـ على المراجع الوارد ذكرها في الحواشي.

جسكالا في عهد السيد المسيح

كانت (جسكالا) في أوج ازدهارها وذروة بهائها، عندما ناهز (يسوع المسيح) عليه السلام الثلاثين من عمره وأغلق حانوت النجارة في (الناصرة) وأخذ يطوف في طول البلاد وعرضها داعياً الى ملكوت السموات، بعد أن أزفت ساعة القيام بمهمته السماوية.

و لم يمض على تطوافه الا اليسير من الزمان، حتى كانت الخراف الضالة تتبعه من كل حدب وصوب، طالبة الهداية أحياناً والشفاء من الأمراض المزمنة في أكثر الأحيان. كما أخذت اخبار عجائبه تنتشر بمثل سرعة البرق في كافة أنحاء البلاد المقدسة، سواء في (اورشليم) العاصمة او في اليهودية وعبر الأردن او في بلاد الجليل.

إلا أن الحدثين الهامين اللذين أثراً على مجريات الحوادث وأجبرا السيد المسيح عليه السلام على ترك (أورشليم) والانتقال الى الكرازة في الجليل فهما:

آ - طرد الباعة من الهيكل.

ب- استشهاد يوحنا المعمدان عليه السلام.

آ - طرد الباعة من الهيكل:

ففي أواخر آذار من سنة ٢٨م حل عيد الفصح وتقاطر الحجاج اليهود من كافة أنحاء البلاد للاحتفال بالعيد، وغصت بهم في الشوارع وازدحمت الطرقات، فلجأ الباعة إلى باحة الهيكل يبيعون فيها ويشترون، وجلس الصيارفة إلى موائدهم يبدلون العملة.

وجاء (السيد المسيح) عليه السلام فرأى بيت الله وقد تحول إلى سوق، تفشى فيها ما يتفشى في الأسواق عادة من غش وخداع واحتيال وسرقة وربا، فتناول حبلاً من على الأرض وعقده سوطاً وطرد الباعة صائحاً فيهم: «اخرجوا من هنا إن بيتي بيت صلاة يقول الرب، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص»[1].

كما مر بالصيارفة والمرابين وانتهرهم وقلب موائدهم وبعثر دراهمهم.

وكان من الطبيعي أن تصل بحقه شكوى إلى السلطات المسؤولة آنذاك وأن تنبه إليه الأنظار، وتثير حوله زوبعة من البغض والكراهية، من مجتمع قذر نخره السوس وأبلاه الفساد.

---

(١) إنجيل متى ٢١: (١٢-١٣).

ب - استشهاد يوحنا المعمدان:

وفي أول أيار من السنة نفسها سجن (يوحنا المعمدان) بمؤامرة من الكتبة والفريسيين اليهود، و لم يلبث أن قتل في آذار سنة ٢٩م في قلعة (ماكيرونتس)[1] بشرق الأردن على يد (هيرودس أنتيباس) زوج (هيروديا) وبواسطة ابنتها الجميلة (سالومي) كما أسلفنا. وبموته تفرغ الفريسيون لملاحقة السيد المسيح عليه السلام ليس غير.

ومنذ سمع (السيد المسيح) عليه السلام بسجن (يوحنا المعمدان) وأحس بأن الفريسيين أخذوا يضمرون له الشر، عقد النية على الابتعاد عنهم والارتحال للتبشير في الجليل.

فارتحل شمالاً ماراً ببلاد السامريين، وبنابلس ثم بـ (قانا الجليل)[2] إلى أن وصل إلى (كفر

---

(١) الأب ميشيل يتيم - حياة يسوع المسيح - ص (٤٥) - حلب ١٩٦١م.

(٢) وتسمى اليوم (كفر كنة) وتقع على الطريق العام بين (طبريا) و(الناصرة) وعلى مسافة تسعة كيلومترات شمال شرقي(الناصرة) وتقوم على بقعة من جبل (سيخ) طاب هواؤها وعذب ماؤها، وتحيط بها غابة من أشجار الرمان والتين والزيتون والتوت. تبلغ مساحة أراضيها (١٩٤٥٠) دونماً تقريباً وكلها ملك أهاليها العرب. أما تعداد سكانها العرب. قبيل النكبة فكان يناهز الألفي نسمة، ثلثاهم من المسلمين، والثلث الآخر يتوزع بين طوائف اللاتين والروم الكاثوليك والروم الأرثوذكس، وفيها ثلاثة أديرة، أشهرها (دير المعجزة) الذي يحتفظ بالجرن الذي يعتقد أن معجزة تحويل الماء إلى نبيذ قد تمت فيه. أشهر عائلاتها العربية آل سمارة، والعودة، والجراية، وآل حشان وآل غريب وآل صفوري، ومن هؤلاء الآنسة (ماري صفوري) التي أحبها شاعر فلسطين المرحوم (إبراهيم طوقان) في شبابه عندما كان طالبا في (كلية بيروت الأميركية) وقال فيها معظم قصائده الغزلية ذاكرا عهوده معها في (وادي الرمان) الذي تشتهر به (كفر كنة) ومنها قوله:

أيا وادي الرمان لا طبت منزلا	إذا هي لم تنعم بظلك سرمدا
ويا وادي الرمان، لا ساغ طعمه	إذا أنا لم أمدد لهذا الجنى يدا
ويا وادي الرمان، واهاً وعندهم	حرام على المحزون أن يتهدا
كأني لم أنزل ديارك مرة	و لم أثن في أهليك حبا ولا ندى
و لم تسقني كأس المدام حبيبة	وردت ثناياها مع الكأس مورد
و لم توح لي شعرا ولا قمت منشدا	و لم يرو شعري عندليبك منشدا

وفي هذا المعنى يتغزل الشاعر الفلسطيني (عبد الكريم الكرمي) ببنات (كفر كنة) وينسب قصيدته لصديقه (إبراهيم طوقان) مداعبا ومثيرا لواعج الغرام فيقول:

يا بنات الكفر كنة	آه من أعينكن

ناحوم)[1] واتخذها مقراً له، وكانت آنذاك من أكبر مدن الجليل، وتقوم على الشاطئ الشمالي لبحيرة الجليل (بحيرة طبريا) اليوم. ولا تزال آثارها ماثلة للعيان إلى يومنا هذا. كما كانت عقدة مواصلات هامة تلتقي عندها طرق عديدة آتية من الشمال والشرق والجنوب.

وكان من الطبيعي أن يختار (السيد المسيح) عليه السلام، بلاد الجليل موطناً لدعوته لأسباب كثيرة أهمها:

---

(١) وصف عزت زكي (كفر ناحوم) في كتابه (فلسطين كما عرفها المسيح) فقال: «شوارعها ضيقة مرصوفة بالحجر الأبيض والبيوت صغيرة متلاصقة في ارتفاع متقارب بحيث تستوي سطوحها.

وغالبا ما تكون فوق السطح علية للضيف القادم، يستطيع أن يصل إليها من الخارج بدون ازعاج أهل البيت عن طريق درجات خارجية توصل إلى السطح، وأحيانا كانت الدرجات الواحدة توصل إلى سطوح عدة منازل متقاربة في مستواها، لا يفصل السطح عن السطح الا حواجز صغيرة. أما السطح فهو المكان المفضل للجلوس بعد أن تنكسر حدة حرارة الشمس وتميل إلى المغيب. وهناك تجتمع الجارات والصويحبات ويجلسن معا وهن يلكن الأحاديث.

وفي أثناء النهار تستطيع أن تستمع إلى ضجيج التجار في سوق المدينة، وأسراب الباعة والمتجولين وهم يذرعون طرقات المدينة الملتوية الضيقة وينادون على سلعهم التي يحملونها على رؤوسهم أو على الدواب، ويعلو بين الحين والحين نباح الكلاب ومشاجرات الصبية ومساومات الباعة مع المشترين وهناك سوق للأسماك وقسم منه للتمليح وعمل «الفسيخ». وهناك «حي الصيادين» ولعلك تتخيلهم وهم ينظفون شباكهم وقد فاحت رائحتها. أما الشحاذون فما أكثرهم إنك تصطدم بهم في مسيرك بين كل خطوة وأخرى وانك لا ريب تشمئز من قروحهم الفاغرة والصديد يسيل منها والكلاب الأليفة تلعقها في رفق.

ولن تعدم في مسيرك أن ترى حنديا رومانيا يدق الأرض في قدميه في اعتداد، وقد لمعت خوذته في أشعة الشمس بينما الناس يفسحون له الطريق «ومدينة كفر ناحوم» أنيقة وكبيرة بمبانيها الفاخرة ومجمعها الفخم بأعمدته الرخامية الذي ما تزال خرائبه باقية حتى الآن. ولكونها مركزاً تجارياً هاماً فقد بلغ تعداد سكانها من خمسة عشر إلى عشرين ألفاً من النفوس ص (٧٩). ومن «كفر ناحوم» «القديس متى» أحد حواريي السيد المسيح، وهو صاحب الإنجيل المعرف بإنجيل متى، وكان قبل إيمانه يعمل في جباية الضرائب في بلده (كفر ناحوم) واسمه بمعنى (عطا الله) أو (عطية الله).

وقد بشر أولاً في اليهودية، وقيل أنه اجتاز البحر إلى بلاد الحبشة، وكرز في بلاد الهند والصين، وقضى الشطر الأخير من حياته الكرازية في الهند، وقد انتهت في (ملابار) إذ هجم عليه بعض الكهنة الأوثان وسلخوا جلده وهو حي، ثم أخذوا يطعنونه بالرماح حتى مات (الكنيسة المسيحية في عهد الرسل) ص(٣٢٣).

آ ـ بعدها عن الخطر الكامن في (أورشليم).

ب ـ كونها منبعه الأصلي، وموطن أهله وذويه.

جـ ـ خلوها من أكثرية يهودية طاغية. وذلك لأن معظم سكان الجليل آنذاك كانوا من الكنعانيين سكان البلاد الأصليين، ومن اليونانيين والرومانيين الطارئين بسبب الغزوين الإغريقي والروماني بالإضافة الى أقلية يهودية عادت من السبي البابلي واستوطنت في البلاد، ولهذا فمعظم المصادر تطلق على بلاد الجليل اسم (جليل الأمم).

السيد المسيح في جسكالا:

لم تحدثنا المصادر التاريخية او الدينية القديمة، عن المدة التي قضاها السيد المسيح في (جسكالا) إلا أن (خارطة الأرض المقدسة)[1] تشير بوضوح إلى أن السيد المسيح، مرّ بجسكالا، وتجاوزها شمالاً إلى (قانا) الشمالية في جبل (عامل) وشرقاً إلى (قيصرية فيلبس) (بانياس اليوم) والى كافة المدن والقرى المجاورة.

وإذا كنا قد عرفنا سابقاً أن (جسكالا) كانت آنذاك ملجأ أميناً وحصيناً للقانونيين (حزب الخنجر تحت العباءة) ولزعيمهم الإرهابي (يوحنا بن لاوي الجشي) وهم فئة من المشاغبين المتعصبين، أدركنا السبب الذي من أجله لم تحدثنا المصادر عن أعاجيب صنعها السيد المسيح في (جسكالا).

ولكن (جسكالا) وأن تلكأت في الحقيقة بادئ ذي بدء عن السير في ركاب الهداية والإيمان بالانضمام إلى الدعوة السماوية الجديدة بفعل ضغط القانونيين وإرهابهم، إلا أنها لم تلبث أن قدمت للعالم أجمع، أشهر شخصية مسيحية بعد السيد المسيح على الإطلاق، ألا وهو القديس (بولس الرسول) عليه السلام.

بولس الرسول ابن جسكالا الخالد

صحيح أن (بولس الرسول) ولد في (طرسوس) عاصمة (كيليكيا) في أقصى الشمال السوري، الا أن عدداً من المؤرخين والدارسين القدماء والمحدثين يؤكدون أن والديه ارتحلا من (جسكالا) في الجليل الأعلى، قبل ميلاده، وأقاما في (طرسوس) وحصلا على الرعوية الرومانية، وفيها رزقا ولدهما العظيم (شاول الطرسوسي) (بولس الرسول) فيما بعد.

---

(١) the Journey's and Deed's of Jesus Christ-Pilgrim's map of the Holy land .

ولعل أشهر من ذكر ذلك من القدماء القديسان (أوريجينس)[1].

و(ايرونيمس)[2]. أما من المحدثين، فالمطران (يوسف الدبس) مؤلف كتاب (تاريخ سوريا) والقمص (شنوده السرياني) (بابا الإسكندرية) اليوم مؤلف كتاب (الكنيسة المسيحية في عصر الرسل).

ويدافع المطران (يوسف الدبس) عن فكرته فيقول: «إن بولس وكان أسمه أولاً (شاول) هو من سبط (بنيامين) ولد في (طرسوس) وروي القديس (ايزونيمس) أن أصل أهله من (الجش) أي (جسكالا) في الجليل، وقد امترى في ذلك (كاران) في كلامه على (الجش) استمساكا بأن بني (بنيامين) كانت مواطنهم في اليهودية لا في الجليل حيث (الجش) (جسكالا) على أنه مما لا يتردد فيه أن بني إسرائيل لا سيما بعد عودتهم من الجلاء لم يحفظ أسباطهم مسكن أجدادهم الأولى، (فيوسف ومريم) كانا من سبط (يهوذا) ومساكن آبائهم في اليهودية وقد صرح الإنجيليون أنهما كانا

---

(١) أوريجنس (١٨٥-٢٥٣)م ولد في الإسكندرية وأصبح أشهر أساتذة مدرستها اللاهوتية، ومن نوابغ الفكر البشري، ترك آثاراً واسعة في اللاهوت وشرح الأسفار المقدسة. تطرف في بعض تعاليمه (المنجد في الاعلام ص٩٢).

(٢) القديس ايرونيموس أو القديس (جيروم) أحد العلماء الأربعة المشهورين في الكنيسة اللاتينية. ولد في (ستريدون) من (دلماسيا) نحو ٣٤٠ م وتوفي في (بيت لحم) في ٣٠ ايلول سنة ٤٢٠ م. درس اليونانية واللاتينية والآداب والفصاحة في (رومة) وزار (فرنسا) وبريطانيا، ثم عاد إلى (ايطاليا) وتفرغ لدراسة الكتاب المقدس واللاهوت.

زار (سورية) وأقام مدة في (انطاكية) واستمع فيها لخطب في تفسير التوراة ودرس اللغة العربية.

تفرغ للبحث في الأماكن المذكورة في التوراة، والتضلع من اللغة العبرانية والكلدانية وزار أشهر الأماكن المذكورة في الكتاب المقدس.

استدعى إلى (رومة) وعين كاتبا لأسرار البابا. ثم ارتحل إلى الشرق وزار أديرة الصعيد ومصر السفلى وانتهى مطافه إلى الاستيطان في (بيت لحم) حيث توفي فيها، ونقل جثمانه إلى (رومة) ودفن في كنيسة (سانتا ماريا ماجيوري) ويحتفل بعيده في (٣٠) ايلول.

اجتمع علماء التوراة على أن خدمته للكنيسة أجل من أن تبارى، ومجموع تأليفه يحتوي على مجلد من مكاتيبه وعدة قصص تتعلق بسيرة حياته، ومباحث جغرافية وغراما تيقية في جغرافية العبرانيين وتاريخهم، وحواش على العهد القديم والعهد الجديد، وله عدة ترجمات ومن بينها ترجمة التوراة إلى اللاتينية، وقد اعتنى كثيرون من الافرنج بطبع تأليفه.

(بطرس البستاني) (دائرة المعارف) المجلد (٤) ص ٧٥٢.

يسكنان (الناصرة) في الجليل»[1].

ومن كلامه السابق يظهر أنه يقتنع بكون (بولس الرسول) من (جسكالا) (الجش) وليس غير. أما القمص (شنودة السرياني) فيقول: «بناء على رواية (جيروم) التي يحتمل أن يكون أخذها عن (أوريجينوس) أن والدي (شاول) نزحا من (جسكالا)» ويتابع فيقول: «ولعل في إرسال (شاول) ليتعلم في (أورشليم) ووجود أخت له متزوجة فيها، ما يؤيد هذا الرأي»[2]. ونحن بدورنا نؤيد ما ذهب إليه هؤلاء المحققون، ونضيف، بأن الأولى أن يكون (بولس الرسول) من (جسكالا) لا من (طرسوس) لأن (طرسوس) لم تكن في يوم من الأيام موطنا أصليا من مواطن اليهود، وأن اليهود الذين عاشوا فيها، كانوا بالطبع من الذين هاجروا من (فلسطين) بدون ريب لسبب أو لآخر.

وبالتالي يكون (بولس الرسول) وإن ولد في (طرسوس) مواطنا تفخر به (جسكالا) لأنها منبته الأصلي ومنبت ذويه، وفي هذا شرف كبير لها، ويحق لنا نحن أن نفخر بأن المدينة التي أنجبت بولس الرسول، كانت مسقط رأسنا، وأن اسمه من الآن فصاعداً ليس (بولس الرسول الطرسوسي) فقط وإنما (بولس الرسول الطرسوسي الجشي)[3].

ميلاده ونشأته:

ولد في (طرسوس) عاصمة (كيليكيا) من أبوين يهوديين فريسيين من سبط (بنيامين) عقب ميلاد السيد المسيح بسنوات قليلة، لا تزيد عن خمس أو ست سنوات، وحمل اسم (شاول) تيمناً باسم أول ملوك بني إسرائيل، الذي كان من سبط (بنيامين).

كما عرف أيضاً باسمه الروماني (بولس) بسبب تمتع أهله بالرعوية الرومانية و«كانت هناك عادة منتشرة أن يحمل الشخص اسمين، أحدهما عبراني والآخر يوناني، أو روماني، والأمثلة على ذلك كثيرة في العهد الجديد».

أرسل منذ حداثته إلى (أورشليم) ليتلقى تعليمه الديني، على يد (غمالائيل) أعظم معلمي اليهود، في القرن الميلادي الأول، فأتقن العبرية والآرامية كما كان له إلمام كبير بالثقافة اليونانية

---

(١) المطران يوسف الدبس - تاريخ سورية ج (٣) ص (٤٦٩).

(٢) القمص شنودة السرياني - الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص (٣٢٧).

(٣) ولم نقل «الجسكالي» لأن اسم البلدة الآن (الجش) وبهذا الاسم ذكرت في مؤلفات المطران (يوسف الدبس) جريا على التسمية الشائعة في زمانه.

بحكم نشأته في (كيليكية) التي (يشهد الجغرافي «سترابو») بأن مدارسها كانت تنافس مدارس (أثينا) و(الإسكندرية)[1]، وكان واسع الثقافة ومطلعاً على آداب الديانة الوثنية وأقوال فلاسفتها وشعرائها.

ويمكننا القول، إنه كان ذا شخصية فريدة فجمع من الثقافات اليهودية والهيلينية والرومانية ما أهّله ليكون رسولاً للعالم أجمع.

إيمانه بالمسيح:

برز (بولس) أول ما برز كعدوٍ لدود للكنيسة، ثم كان شراً مستطيراً على المؤمنين إلى أن تم اهتداؤه للمسيحية عند أبواب (دمشق) في قصة مشهورة، سنة ٣٧م. وما أن اعتمد وامتلأ من الروح القدس حتى تحوَّل من مضطهد إلى مجاهد، ومن يهودي متعصِّب لبني جنسه إلى رسولٍ عملاق»[2].

نضاله الرسولي:

بعد اهتدائه للمسيحية، أمضى ثلاث سنوات في العربية (مملكة الأنباط) في خلوة للتأمل والصلاة ودراسة أسفار العهد القديم بروح جديدة على ضوء العهد الجديد.

وبعد انتهاء خلوته تلك عاد إلى (دمشق) ليبدأ خدمته بحماس منقطع النظير، فأثار بذلك عليه اليهود، فاستعدوا عليه واليها العربي (الحارث) الذي شدّد حراسة أبوابها للقبض عليه، ولكن اخوته المؤمنين في المدينة استطاعوا تدبير أمر هربه، فدلوه بسل كبير، من طاقة الأسوار بواسطة الحبال، وتقوم اليوم في ذلك المكان كنيسة مشهورة باسم (بولس الرسول) يزورها السوّاح، على بضعة أمتار الى الجنوب من باب دمشق الشرقي محاذية لسور المدينة القديم وعلى مقربة من بيت (حنانيا) الذي اعتنق (بولس الرسول) المسيحية على يده. والذي استشهد رجماً بالحجارة، بأمر من والي دمشق الروماني آنذاك...

وبعد هربه ذهب الى (أورشليم) فلاحقته المكائد اليهودية محاولة القضاء عليه، فأرسله المؤمنون إلى (قيصرية) ومنها إلى مسقط رأسه في (طرسوس).

---

(١) نفس المصدر السابق. ص(٣٢٨).

(٢) المصدر السابق. ص(٣٢٨).

رحلاته التبشيرية:

قام (بولس الرسول) بعد انتهاء خلوته في (العربية) سنة ٤٠ م، بثلاث رحلات تبشيرية كبيرة، استمرت البقية الباقية من حياته الى ان استشهد في روما سنة ٦٧ أو ٦٨م. هذا بالإضافة الى رحلات قصيرة، منها زيارته لأورشليم خمس مرات بين الفينة والفينة للإتصال بكنيسة (أورشليم).

ويمكننا تلخيص رحلاته الثلاث بما يلي:

١ـ الرحلة الأولى:

واستمرت هذه الرحلة خمس سنوات من (سنة ٤٥ـ٥٠)م. وفيها انطلق (بولس الرسول) من (أنطاكية) عاصمة (سورية) آنذاك بعد أن اتخذها قاعدة لرحلاته، برفقة (برنابا) و(مرقس) إلى (سلوقية) ميناء أنطاكية على البحر المتوسط، وأقلعوا منها إلى جزيرة (قبرص) كما اجتازوا (قبرص) إلى (آسيا الصغرى).

وكان من نتائج هذه الرحلة، ايمان والي (قبرص) الروماني، (سرجيوس بولس).

٢ـ الرحلة الثانية:

واستمرت أربع سنوات من (٥١ـ٥٤)م. وفيها انطلق (بولس الرسول) عبر (آسيا الصغرى) إلى بلاد اليونان فكرز في (فيلبي) و(تسالونيكي) و(بيرية) و(أثينا) ثم مضى إلى (كورنثوس) التي «كانت بمثابة القنطرة التجارية بين الشرق والغرب ومركزا هاما من مراكز الثروة والثقافة وبؤرة للفساد و الرذيلة»[1] فأمضى فيها سنة ونصف وأسس فيها كنيسة.

٣ ـ الرحلة الثالثة:

واستمرت أربع سنوات من سنة (٥٤ـ٥٨)م. وفي هذه الرحلة قصد (أفسس) التي كانت آنذاك المدينة الأولى في آسيا الصغرى، حيث معبد الآلهة (ديانا) وبقي فيها ثلاث سنوات، وجعلها مركزا لانطلاقه الكرازي، وعاد من ثم فزار الكنائس التي أسسها في بلاد اليونان، وفي نهاية هذه الرحلة، عاد إلى (أورشليم) مارا بصور وقيصرية، حاملا معه تبرعات المسيحيين اليونانيين إلى اخوتهم في اليهودية، بعد أن أصيبت البلاد بمجاعة شديدة.

---

(١) القمص (شنودة السرياني) ـ الكنيسة المسيحية في عصر الرسل. ص (٣٣٤).

بولس الرسول في السجن:

وقع (بولس الرسول) بسبب دسائس اليهود أسير السجن في حياته مرتين.

الأولى: في (قيصرية) عاصمة (فلسطين) آنذاك، فقد تعرض له اليهود ودبروا مؤامرة لقتله في (أورشليم) بعد أن اتهموه بتدنيس الهيكل، وجروه خارج الهيكل ليقتلوه، لولا تدخل ضابط روماني اسمه (ليسياس) كان على مقربة من الحادث فأنقذه وأرسله تحت حراسة قوية إلى الوالي الروماني (فيلكس) في (قيصرية) حيث بقي أسيرا لمدة سنتين من (٥٨-٦٠)م. بانتظار محاكمته.

ولما لم تجر له محاكمة، طلب (بولس) من الوالي الروماني (فستوس) الذي خلف (فيلكس) أن ترفع دعواه إلى (قيصر) بسبب حمله للجنسية الرومانية، فوافق على طلبه، وأرسل إلى (روما)، في رحلة قاسية، تحطمت فيها السفينة بسبب العواصف، فاضطر (بولس) إلى قضاء فصل الشتاء في جزيرة (مالطة).

ثم وصل (روما) في آذار سنة ٦١م. وانتظر سنتين للفصل في قضيته، بعد أن حددت أقامته، وأقام في مسكن خاص، استأجره وعين له حارس يلازمه وهو موثوق بالسلاسل. ورغم كل ذلك فقد استطاع أن يقوم بعمله التبشيري على أكمل وجه، فقد كان لكلامه تأثير شديد في الجنود الذين يتناوبون حراسته، كما استطاع أن يصل إلى بعض موظفي البلاط الإمبراطوري، ويدخلهم إلى حظيرة الإيمان.

الأسر الثاني والاستشهاد في روما:

لم يترك (بولس الرسول) في (روما) حرا لفترة طويلة، فها هي ذي دسائس اليهود تلاحقه بخاصة وتلاحق المسيحيين بعامة في عاصمة الإمبراطورية، معتمدة على ما للإمبراطورة (بوبية) اليهودية من نفوذ عند الامبراطور (نيرون).

فالتاريخ يحدثنا أن الزعامة اليهودية في (أورشليم) كانت قد أرسلت المؤرخ (يوسيفوس) المار ذكره إلى (روما) سنة ٦٣م. في مهمة سرية، لم يكشف النقاب عنها، وقبل عودته إلى (أورشليم) حصلت الكارثة، فأحرقت روما سنة (٦٤م)، وسيق المسيحيون إلى الموت زرافات ووحدانا، سواء بحد السيف، أم قذفوا للوحوش المفترسة في الملاعب والساحات. وكان بين القتلى (بطرس الرسول). أما (بولس الرسول) فقد ألقي القبض عليه فظل أسيرا طيلة أربع سنوات إلى أن قتل بحد السيف في

أواخر أيام (نيرون)، وبمقتله استطاعت الزعامة اليهودية أن تقطف ثمار نصر قذر، عادت ودفعت ثمنه دمارا كاملا للشعب اليهودي ولأورشليم، و(هل يحيق المكر السيئ إلا بأهله).

وهكذا قضى ابن (حسكالا) الخالد، بعد أن ترك في نفوس الأجيال المتعاقبة بسيرته ورسائله، آثارا هيهات أن تمحي، فسلام عليه في الخالدين.

رسائل القديس بولس:

ترك بولس الرسول ثروة دينية مسيحية هائلة شغلت حيزاً كبيراً من العهد الجديد، وتتمثل هذه الثروة الغنية برسائله الأربع عشرة وهي رسائله الى أهل: رومية، وكورنتس، وغلاطية، وأفسس، وفيلبي، وكولسي، وتسالونيكي، ثم رسائله إلى تلاميذه تيموتاوس، وتيطس، وفيلمون. وتأتي في آخر رسائله رسالته المشهورة الى العبرانيين، التي يظهر أنه وجهها الى العبرانيين، بعد اختفائه عن الأنظار في (روما) قبيل أسره واستشهاده، وعندما شعر بملاحقة اليهود له ولأتباعه وتضييق الخناق عليهم.

جسكالا في العهد البيزنطي

ولم يأت العهد البيزنطي، حتى أصبح معظم سكان (جسكالا) مسيحيين، وأكبر دليل على قولنا هذا، هو بناء كنيستين اثنتين في البلدة في القرن الثالث الميلادي، وهو القرن الذي انتصرت فيه المسيحية وأعلنت ديانة الدولة الرسمية بفضل الامبراطور البيزنطي (قسطنطين) وأمه المؤمنة (هيلانة).

وقد بقيت هاتان الكنيستان عامرتين زمناً طويلاً إلى أن سقطتا بفعل الزلزال المدمر الذي حدث (للجش) عام ١٨٣٧م. وطمرتا في المكان الذي يسمى اليوم بالمخسوفة، وظلتا مطمورتين إلى أن كشفت عنهما بعثة أثرية ألمانية عام ١٩٠٥م. كما أسلفنا.

بطرس الرسول ابن جسكالا أيضاً:

كما أن المراجع والمصادر القديمة كلها تؤكد على أن بطرس الرسول، هو ابن جسكالا أيضاً، ولكنه استوطن في مدينة (بيت صيدا) على شاطئ بحيرة (طبريا) لاشتغاله بصيد السمك في شبابه.. ثم كان إيمانه بالسيد المسيح ونضاله في سبيل الدعوة واستشهد في الملعب بروما.. وفيه يقول السيد المسيح (على مثل هذه الصخرة تبنى الكنيسة) وأهل الجش في هذه الأيام يعرفون هذه الحقيقة ولهذا أسموا كنيستهم الكبرى باسم (كنيسة مار بولس وبطرس).

الفصل السادس

العهد الوسيط

منذ الفتح الإسلامي حتى الاحتلال البريطاني

جسكالا في العهود العربية الإسلامية

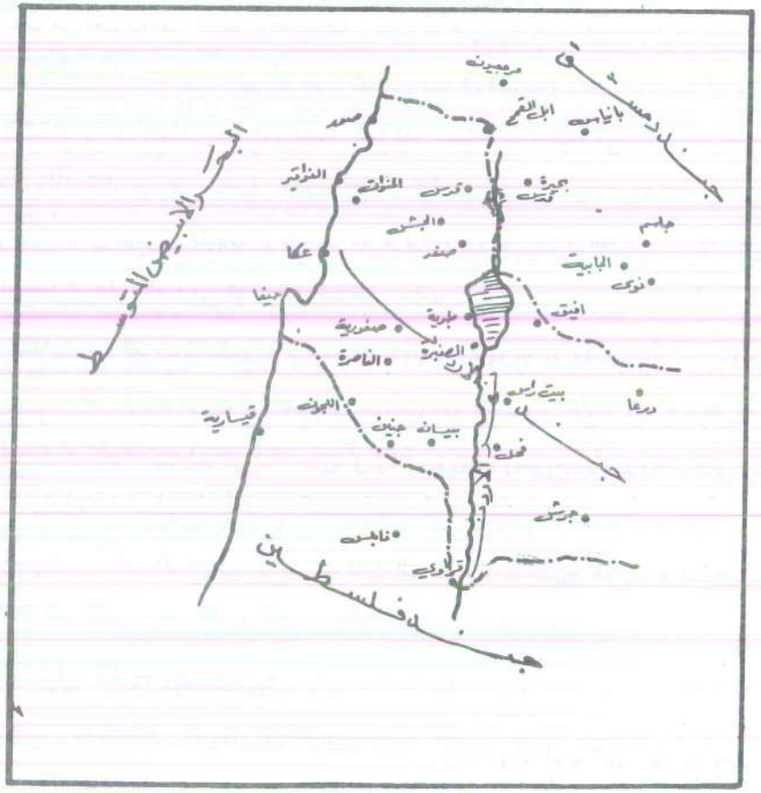

جند الأردن

. . . . . الحدود بين جند الأردن وجندي دمشق وفلسطين

١- جسكالا في أواخر العهد البيزنطي:

إذا كانت (جسكالا) قد بلغت ذروة مجدها في العهود الهلنستية، وخاصة في أيام الرومان، وعرفت المزيد من الازدهار والرقي والتقدم والعمران في تلك العهود، وتصدّرت الأحداث لفترة طويلة آنذاك، إلا أنها لم تلبث أن أخذت تتقلص وتنحسر في أواخر العهد البيزنطي، وأخذت دواعي الانحطاط تهاجمها وتعيق نموها وتعود بها القهقرى، لتصبح بلداً صغيراً متواضعاً، لا ينشط ليلعب دوراً كبيراً في الأحداث الجارية.

وكان من أهم دواعي التأخر والانحطاط، كثرة أصابتها بالزلازل العنيفة، لوقوعها على مقربة من فوهة بركان، تدل مشاهدته على أنه ثار اكثر من مرة في التاريخ، وعلى الارجح أن هذا البركان ثار سنة ٥٥١م، ودمّر أجزاء كبيرة من المدينة كما دمر مساحات واسعة من مدن سورية وفلسطين.

ومنذ ذلك التاريخ وهي تناضل جاهدة لاستعادة أمجادها دون جدوى، فالنكبات المتتالية والتي سنتعرض لذكرها في فصولنا القادمة لم تتح لها الفرصة المناسبة للنهوض والازدهار. ولهذا فان المتتبع لدراسة تاريخها لا يجد مناصاً من الاعتراف بحقيقتين هامتين هما:

إن الفاتحين من العرب المسلمين، لم يجدوا فيها أثناء فتحها إلا بلداً صغيراً و لم يؤد فتحه إلى أمور ذات بال، ولهذا لم يتعرض لذكر اسمها أي من المؤرخين المسلمين الأوائل، كـ (البلاذري) في (فتوح البلدان) أو (الواقدي) في(فتوح الشام) أو (الطبري) في (تاريخ الأمم والملوك). ومثلها في ذلك مثل جارتها (صفد) التي لم تذكر في كتبهم أيضا لأنها لم تكن آنذاك شيئاً مذكوراً.

أن اسم (جسكالا) قد اختفى نهائياً منذ ذلك التاريخ وان المسلمين العرب قد أطلقوا عليها اسم (الجش) بضم الجيم، وهو الاسم الذي ما زالت تعرف به حتى اليوم.

٢- جسكالا إبان الفتح الإسلامي:

فتح العرب المنطقة المسماة (فلسطين الثانية) حسب التقسيم الإداري الرومانى في أيام الخليفة العظيم (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - فبأمر منه وجّه قائد جيوش الشام (أبو عبيده عامر بن الجراح) الذي تسلم القيادة بعد القائد العبقري (خالد بن الوليد المخزومي) قائد جيوش المسلمين في معركة اليرموك، وجّه فرقة من الجند بقيادة الصحابي (شرحبيل بن حسنة) ففتح المنطقة التي أطلق

عليها من ثم اسم (الأردن) أو (جند الأردن) بدلاً من التسمية الرومانية، وظلت طيلة العهود الإسلامية أحد أجناد الشام الخمسة، (جند فلسطين) و(جند الأردن) و(جند دمشق) و(جند حمص) و(جند قنسرين) ويصف البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) فتح المنطقة فيقول:

افتتح (شرحبيل بن حسنة) (الأردن) عنوة ما خلا (طبرية) فإن أهلها صالحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم. وفتح (شرحبيل) مدن الأردن وحصونها ففتح (بيسان) وفتح (سوسية) وفتح (أفيق) و(جرش) و(بيت راس) و(قدس) و(الجولان)، وغلب على سواء الأردن وجميع أرضها، وفتح (شرحبيل) (عكا) و(صور) و(صفورية) وقال (أبو بشر المؤذن)، أن (أبا عبيده) وجّه (عمرو ابن العاص) إلى سواحل الأردن فكثر به الروم، وجاءهم المدد من ناحية (هرقل) وهو بالقسطنطينية، فكتب إلى أبي عبيده يستمدّه، فوجّه (أبو عبيده) (يزيداً) و(عمراً) إلى سواحل الأردن، فكتب أبو عبيده بفتحها لهما، وكان لمعاوية في ذلك بلاء حسن وأثر جميل[1]. وبعد فتح المنطقة جعلت مدينة (طبرية) عاصمة لها بدلاً من (بيسان) وظلت هذه التسمية الإدارية سارية، طيلة العهود الأموية والعباسية، إلى أن زالت التسمية في عهد المماليك يوم حلّت المملكة الصفدية، مكان (جند الأردن)، وبرزت مدينة (صفد) لتتزعم المنطقة بدلاً من جارتها مدينة (طبريا).

ولمحة سريعة نلقيها على خارطة الأردن آنذاك[2] ترينا أن (جند الأردن) كان يحتل مساحة من الأرض على ضفتي نهر الأردن الشرقية والغربية، يلاصقها من الجنوب (جند فلسطين) في حين يلاصقها من الشمال والشرق (جند دمشق).

وأن أشهر مدن الضفة الشرقية هي (درعا) و(جرش) و(بيت رأس) و(فحل) في حين كانت أشهر مدن الضفة الغربية هي (طبرية) و(بيسان) و(جنين) و(اللجون) و(الناصرة) و(صفورية) و(حيفا) و(عكا) و(صفد) و(الجش) و(قدس) و(المنوات) و(النواقير) و(صور).

ونلاحظ أيضاً أن جند الأردن، قد أخذ أجزاء من لبنان وفلسطين والأردن وحوران. وباستكمال الفتح واستتباب الأمن، عيّن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (شرحبيل بن حسنة) أول أمير على (جند الأردن)، ولكن عهد إمارته لم يطل، إذ عاد الخليفة (عمر بن الخطاب) سنة (٢١ هـ) وأضاف لمعاوية حكم البلقاء والأردن وفلسطين وغيرها من بلاد الشام.

---

(١) البلاذري - فتوح البلدان ص (١٥٩-١٦٠).

(٢) انظر الخارطة المرفقة. وقد نقلناها عن (مصطفى مراد الدباغ) ص (١٣) الجزء السادس (بلادنا فلسطين).

وعندما جمع الخليفة (عثمان بن عفان) - رضي الله عنه - لمعاوية إمارة عموم الشام، عيّن معاوية (أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي) عاملاً على الأردن، وكان (أبو الأعور) هذا أحد القادة الذين أبلوا بلاءً حسناً في معركة اليرموك، وفي فتوح الشام وخاصة الأردن، وأخذ الأمراء يتعاقبون على إمارة الأردن، وكان أشهرهم (حسان بن بحدل الكلبي) والد (ميسون) زوجة الخليفة (معاوية بن أبي سفيان) وأم ولي عهده (يزيد بن معاوية).

وميسون هذه هي صاحبة أبيات الشعر المشهورة التي طلّقت بسببها بعد أن تضجّرت فيها من سكناها القصور في المدن وعبّرت عن شديد حنينها إلى الصحراء، وهي:

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحبّ إليّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقرّ عيني ... أحبّ إليّ من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي ... أحبّ إليّ من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فجٍ ... أحبّ إليّ من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني ... أحبّ إليّ من قطٍ أليف
وعلج من بني عمي شديد ... أحب إلي من ملك ظريف

التسمية الجديدة:

عرفنا أن اسم (جسكالا) قد اختفى نهائياً مع الفتح الإسلامي، وأن العرب المسلمين أطلقوا على البلدة اسمها التي مازالت تعرف به حتى اليوم وهو (الجش) بضم الجيم.

إلا أن تعاقب السنين حرّف الضم إلى كسر، فهي تلفظ الآن بكسر الجيم ليس غير، ولا شك أن في كسر الجيم سهولة على الألسنة مستحبة. والعرب في جزيرتهم العظيمة المترامية الأطراف عرفوا مثل هذه التسمية في أكثر من موقع، ولمعرفة أصول تلك التسمية لا بدّ لنا من العودة إلى المعاجم العربية: فلسان العرب لابن منظور المصري يعطينا في مادة (جَشّ) ما يلي:

الجش: ما ارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً.

الجش: النجفة فيه غلظ وارتفاع.

الجش: الموضع الخشن الحجارة.

وجاء بعد (جش) من الليل أي قطعةٍ.

(وجش أعيار) موضع معروف قال النابغة:

ما اضطرك الحرز من ليلى إلى بَرَدٍ ... تختاره معقلاً عن جشّ أعيار

وفي ياقوت البيت (لبدر بن حزان)[١].

أما (مجد الدين الفيروزبادي) في القاموس المحيط فيشرح مادة (جَش) بقوله:

والجَش (بفتح الجيم) الموضع الخشن للحجارة، ومن الدابة والقفر وسطهما كالجشّان بالضم. والجش (بضم الجيم) الجبل والجمع حشاش، ومن الليل سلعة منه، وشبه شفة فيه غلظ وارتفاع. وبلد بين صور وطبريا. وجبل صغير بالحجاز لجشم. وجبل عند أجأ بذروته مساكن عاد وعجائب.

وجش أعيار: موضع أو ماء ملح بأكناف شَرَبّه»[٢].

هذا وفي الوقت الذي كانت الخيول العربية الأصيلة تعبر مخاضات الأردن نحو (الجش) وغيرها من بلدان الأردن، كانت الرسالة المحمدية السمحة تجد لها مستقراً في نفوس أهالي البلدة، وأهالي المنطقة بكاملها، كما لقيت العناصر الكنعانية العربية خلاصها بالدين الحنيف.

ولم يمض طويل زمان حتى تحولت (الجش) إلى بلد إسلامي العقيدة عربي الطابع، وأخذ الأذان يرتفع من على مآذن مساجدها ليجلجل في الجبال والوهاد المحيطة بها يدعو المومنين إلى الصلوات الخمس.

«الجش» في زمن الحروب الصليبية:

ظلت «الجش» تنعم بالهدوء والطمأنينة طيلة خمسة قرون متوالية عاشتها في ظل السيادة العربية الإسلامية المتسامحة، سواء كان ذلك في ظل بني أمية أم ظل أبناء عمومتهم بني العباس[٣]،

---

(١) ابن منظور المصري - لسان العرب - ج (٦) ص (٢٧٤-٢٧٥) بيروت - (دار صادر).

(٢) مجد الدين الفيروز بادي - القاموس المحيط - ج (٢) ص(٢٦٥) مصر (١٩١٣)م.

(٣) كان أشهر من ولّي (جند الأردن) من العباسيين، الأمير العباسي (عبد الله بن علي) فقد وليه سنة ١٣٣ هـ، ثم أضيفت إليه قنسرين وحمص وكورة دمشق. أما في أوائل القرن الرابع الهجري فقد ولّي (طبرية) و(جند الأردن) الأمير (بدر بن عمار الاسدي) وليها سنة ٣٢٨ هـ. وقد خلّده الشاعر (أبو الطيب المتنبي) بمدائحه المشهورة، بعد أن أقام عنده في (طبرية) مدة سنتين. ولعل اشهر تلك القصائد لاميته في وصف الأسد الذي طرحه (بدر) أرضا بضربة من سوطه وهي طويلة نختار منها هذه الأبيات:

أمعفر الليث الهزيز بسوطه ... لمن ادخرت الصارم المصقولا

وبقيت طيلة هذين العهدين الزاهرين، بلداً من بلدان (جند الأردن) وعرفت في هذه القرون الخمسة عهداً من الرفاه والاستقرار. قلما عرفته في أية عصور أخرى، فقد عمّ العدل كافة الطوائف المحكومة، بعد أن سيطرت الشريعة المحمدية السمحة وظهرت آثارها الطيبة في نفوس المحكومين من أهالي البلاد الأصليين من عرب وكنعانيين وسريان ويهود، فأخذوا يدخلون في دين الله أفواجاً، مما جعل عدد المسلمين الجدد يتزايد، كما أخذت الألسنة تتبدل بالعربية الفصحى اللغات المحلية الدارجة من كنعانية وعبرانية وآرامية.

وإذا كانت السريانية (الآرامية) قد سيطرت في المنطقة زماناً طويلاً قبل العربية كما ذكرنا آنفاً، إلا أن العربية في هذا العصر شرعت تحل محل شقيقتها السريانية، التي أخذت تنزوي بالتدريج حتى انطفأت شعلتها في المنطقة بعد أن ظلت وهّاجة طيلة عصور مديدة، وانحسرت من ثم للاستعمال في الطقوس الدينية و لم تعد لغة محادثة ومشافهة منذ تلك الأزمنة على وجه التقريب، هذا ولا ننكر قط أن العربية استعارت من شقيقتها السريانية الكثير مما تحتاجه، وأن كلمات لا حصر لها من السريانية عاشت حتى اليوم بين المفردات العربية وخاصة في اللهجة العامية ودرجت على الألسنة حتى أصبح من الصعب تمييزها عن مفردات شقيقتها العربية، ولا عجب في ذلك فاللغتان في الأساس تعودان إلى اصل واحد، وهما ليس اكثر من لهجتين للغة واحدة ازدهرت كل لهجة على حدة فحصلت تلك الفروق البسيطة المتبقية إلى يومنا هذا.

وعلى كل فلم ينقض عهد بني أمية إلا وأصبحت «الجش» بلداً لا إسلامي المذهب والعقيدة فحسب. بل بلدا عربي الوجه واليد واللسان، فقد أشرقت العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم على الألسنة التي لم تجد فيها صعوبة تذكر، سيما وأن معظم سكان البلدة من المسلمين والمسيحيين منذ أقدم عصورهم يعودون إلى الأرومة العربية الكنعانية.

وقعت على الأردن منه بلية ... نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد إذا ورد البحيرة شارباً ... ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس ... في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه إلا ظنتا ... تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان إلا أنه ... لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى متوقفاً من تيهه ... فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته إلى يافوخه ... حتى تصير لرأسه إكليلا

عودة إلى حمامات الدم من جديد:

ولكن نعمة الاستقرار والهدوء تلك لم تدم طويلا بعد انحسار السيادة العباسية، إذ سرعان ما انقلبت إلى فتن وحَروب جرت الخراب والدمار، وأنزلت المصائب والكوارث وجلبت الويلات، فقد شهد القرن الحادي عشر الميلادي أبشع اقتتال دموي عرفه التاريخ بين الشرق والغرب.

و لم يكن للشرق فيه أية يد، بل كان لحمة وسدى من صنع ذوي الأغراض الدنيئة والمطامع التي لا تحد من إقطاعيي أوربا ومهووسيها.

فبعد أن اخفق أولئك الإقطاعيون في تحقيق مطامحهم في إنشاء إمارات ودوقيات لهم في بلادهم، توجهوا تحت تأثير السلطات الدينية الحاكمة آنذاك وخاصة (البابا ايربان الثاني) نحو المشرق متذرعين أصلا بدعاوى باطلة لا أساس لها من الصحة، ووجد كثير من المشعوذين الدينيين أمثال (بطرس الناسك)[1] و(والتر المفلس) وغيرهما من هذه الدعاوى طريقا للظهور والبروز على شكل متدينين وقديسين، فجروا بحماقتهم تلك البشرية من مسيحيين ومسلمين إلى اقتتال عنيف دام زهاء قرنين من الزمان، سفكت فيه دماء بريئة وأزهقت فيه أرواح طاهرة لا ذنب لها ولا جريرة.

وما كان للصليبيين أن يتسللوا إلى بلادنا لو بقيت الخلافة الإسلامية على ما كانت عليه من القوة، إلا أن الحالة المتردية للخلافة العباسية في أواخر الخلافة الفاطمية التي تمركزت في مصر والمغرب وسلخت معظم الديار الشامية عن العاصمة (بغداد) كل هذه الأحوال السيئة فسحت المجال أمام الغزو الصليبي فتدفق جنوده كالسيل الجارف عبر آسيا الصغرى، بالرغم من تصدي الأتراك السلاجقة الباسل للحملات الأولى وإبادتها عن بكرة أبيها بزعامة (قليج أرسلان) إلا أن كثرتهم وإصرارهم جعلهم يغلبون على المنطقة ويمتدون من (أمارة الرها) (اورفة اليوم) في الشمال الشرقي من سورية، إلى كافة مدن الساحل السوري بما فيه ساحل لبنان وفلسطين. واستطاعوا بعد سيطرتهم على هذا الجزء الكبير من بلاد الشام من إقامة ممالك وامارات لهم في (عكا). و(بيت المقدس) و (صور) و(طرابلس) و(إنطاكية) وغيرها.

---

(١) يصف المؤرخ البريطاني (ستيفن رنسيمان) في كتابه العظيم (تاريخ الحروب الصليبية) (بطرس الناسك) بقوله: «كان بطرس قصير القامة، داكن اللون ذا وجه طويل نحيل، أشبه ما يكون في قبحه بوجه الحمار الذي يمتطيه. والذي لقي من التكريم و التبجيل مثلما لقي بطرس». ج (١) ص(١٦٩) ترجمة الدكتور السيد الباز العريني.

أما (الجليل) حيث تقع بلدتنا (الجش ـ جسكالا) فقد استولى عليه الزعيم الصليبي (تانكرد) وشكل أمارة الجليل، وتألفت هذه الأمارة من مرج بني عامر، والتلال الممتدة من (الناصرة) إلى بحيرة (الحولة)، على أن أطرافها كانت اكثر تعرضا للاعتداء، إذ كان من اليسير الوصول إليها من البحر المتوسط، ومن جهة الشرق، باتخاذ الطرق المؤدية إلى شمال بحر الجليل وجنوبه، على أن عددا كبيرا من المسلمين غادروا هذه الأمارة أيضا و لم يبق بها إلا المسيحيون، فضلا عن بعض الجاليات اليهودية بالمدن الصغيرة، ولا سيما (صفد) التي تعتبر من قديم الزمن الموطن الأصلي للتلمود، غير أن معظم اليهود آثروا مغادرة البلاد واللحاق بالمسلمين إلى المنفى، بعد أن تعرض إخوانهم في الدين للمذابح في بيت المقدس وطبرية، وبعد أن أعلنوا معارضتهم للمسيحيين في (حيفا)، وتعتبر الحافة الوسطى والجليل نواة المملكة، غير أن محاولات التوسع أخذت تمتد إلى المناطق المجاورة التي يكثر بها المسلمون، وظفرت أمارة الجليل أخيرا بمنفذ إلى البحر المتوسط عند (حيفا)[1].

وكان حظ بلدة «الجش ـ جسكالا» تعيساً جداً لوقوعها في بؤرة صليبية مغروسة بالقلاع الحصينة والحصون المنيعة من كافة نواحيها.

فإلى شمالها تقع كل من قلعة (هونين) وقلعة (تبنين) المعروفة باسم قلعة (تورون) والقلعتان باقيتان إلى يومنا هذا تتحديان عوامل الفناء.

كما كانت تقوم على مقربة إلى الغرب منها قلعة (سعسع) التي لم تصمد فانهدمت و لم يبق منها إلا بقايا آثار دارسات.

ولعل أهم القلاع القريبة منها آنذاك هي قلعة (صفد) أو قلعة الملكة استير التي كان يتحصن فيها جماعة (الداوية) المعروفون باسم (فرسان الهيكل).

ويرجع سبب كثرة القلاع في هذه المنطقة إلى أن (تانكرد) لما غادر أمارة الجليل، ليتقلد زمام الحكم في (إنطاكية) خلفه على أمارة الجليل (هيوسانت أومر) بأمر من الملك (بلدوين) الذي شجعه أن ينتهج سياسة عدوانية مع المسلمين، فكان أول ما قام به (هيو) من أعمال تشييده على الجبال المطلة على الطريق الذي يربط بين صور وبانياس ودمشق، تلك القلاع الآنفة الذكر، كما يهيئ أحسن الظروف للقيام بغارات على الأراضي الخصيبة الواقعة إلى الشرق من بحر الجليل[2].

(١) ستيفن رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية ج(٢) ص (١٤) ترجمة الدكتور السيد الباز العريني.

(٢) المصدر السابق ج (٢) ص (١٥٥).

و لم يكن بد أمام أهالي المنطقة من المسلمين والحالة هذه إلا أن يهجروا مواطنهم ويلحقوا بإخوانهم في (دمشق) وغيرها من مدن الشام الصامدة في وجه هذا الإعصار العنيف.

إلا أن عهد ذلتها لم يطل، إذ سرعان ما هب السلطان الخالد الذكر (صلاح الدين الأيوبي) رضوان الله عليه. لنجدة المنطقة، ودحر الصليبين وخلص (صفد) وقلعتها الشهيرة منهم، كما خلص بيت المقدس، بعد أن كسر شوكة الصليبين في معركة (حطين).

وفي الثالث عشر من شوال سنة ٥٨٨ هـ. مر السلطان (صلاح الدين الأيوبي) رحمه الله في طريق عودته من (بيت المقدس) إلى دمشق بصفد، ونزل ببلدة (الجش) وكان نزوله فيها شرفا كبيرا لها ستظل تفخر به على مدى الزمان.

فقد جاء في كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي)[1] للعماد الأصفهاني[2] قوله: «ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة (صفد) تحت الجبل، وصعد السلطان إليها و أمر بتسديد ما فيها من الخلل. ثم سار يوم الجمعة على طريق جبل عاملة ونزل ضحوة بضيعة يقال لها (الجش) وهي عامرة محتوية على سكانها كأنها العش، وسرنا منها وخيمنا على مرج (تبنين) وبتنا بأحوال قلعتها معتنين»[3].

إلا أن (الصالح اسماعيل) أحد ورثة (صلاح الدين) أعاد المنطقة للصليبين أثر عقده معاهدة معهم والسماح لهم بدخول دمشق وشراء الأسلحة منها، مما أثار عليه نقمة المسلمين وشيخهم العز ابن عبد السلام، وظلت بأيديهم إلى أن أنقذها (الظاهر بيبرس) سلطان المماليك.

(١) الفتح القسي سجل لما قام به (صلاح الدين الأيوبي) من جهاد وحروب منذ سنة ٥٨٣ هـ حتى سنة ٥٨٩ هـ ضد الصليبين، أي منذ السنة التي فتح فيها بيت المقدس إلى السنة التي توفى فيها.

(٢) العماد الأصفهاني: هو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن هبة الله القرشي الأصفهاني. ولد بأصفهان سنة ٥١٩هـ ونشأ بها ثم قدم بغداد مع أبيه شابا حدثا فأقام بها مدة، انتظم في سلك المدرسة النظامية. اتصل السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٠ هـ. وأصبح كاتبه. وقد خلد أعماله العظيمة في كتابه السابق.

(٣) العماد الأصفهاني ـ الفتح القسي ص (٢٤٥) القاهرة.

«الجش» في عهد المماليك

في الوقت الذي كان فيه نجم الأيوبيين يميل إلى الأفول، كان نجم المماليك يتألق على صفحة السماء ساطعا وهاجا.

فقد تألق نجم الأمير (بيبرس) قائد قوات السلطان (قطز) بعد أن هزم المغول في معركة (عين جالوت) قرب (بيسان) شرّ هزيمة. «وكان (بيبرس) قائداً شجاعاً ضربت ببطولته الأمثال، وذاعت شهرته في الآفاق، ونسبت إليه أعمال تشبه المعجزات وتجعله في مصاف رجال الأساطير»[1].

وإثر خلاف بينه وبين مولاه (قطز) أقدم (بيبرس) على قتل (قطز) وتولى السلطة باسم (الملك الظاهر بيبرس) ومنذ لحظة توليه الحكم كرّس حياته لتخليص هذه البلاد كلها من الفرنجة، فحاربهم في (أرسوف) و(قيصرية) و(يافا) و(إنطاكية) و(صفد). و أعاد البلاد جميعها إلى حظيرة الإسلام.

وتابع المنصور (قلاوون) الحروب التي بدأها (الظاهر بيبرس) على الصليبيين أخرجهم من (طرابلس).

أما ابنه الاشرف (خليل) فقد اخرج الصليبيين من (عكا) التي كانت آخر مراكزهم في البلاد. فجاء إليها على رأس جيش كبير تسانده قوات من جبل نابلس والخليل والقدس، ودك أسوارها بمنجنيقاته سنة ١٢٩١ م وحرر أرضها بخيوله وأسر وقتل علوجها ورعى مروجها. ثم تحولت هذه القوات الفلسطينية لتطهير الساحل من الفرنج، فأخليت صيدا وصور وبيروت وأنطرطوس وعتليت.. ثم لم تلبث جزيرة أرواد أن استسلمت للمسلمين.

نيابة صفد:

قسّم المماليك بلاد الشام إلى ست قواعد، كانت كل قاعدة منها مملكة مستقلة بجميع شؤونها وهي نيابات دمشق وحلب وحماة وطرابلس وصفد والكرك... وكان سلطان مصر يرسل نوابه ليحكموا هذه النيابات.

وأخذت (نيابة صفد) تحل محل (جند الأردن) مع شيء من تعديل الحدود (راجع الخارطة المرفقة).

وأصبحت (الجش) إحدى بلدان (نيابة صفد) لقربها من المدينة، وظلت على حالها ذاك طيلة حكم المماليك.

وقد توالى على حكم نيابة (صفد) كثير من الحكام لا مجال لذكرهم.

(١) محمود العابدي ـ صفد في التاريخ ـ ص. (١٣) عمان.

أحوال الجش في أيام المماليك:

كان عصر المماليك نسبياً عصر ازدهار في العلوم والآداب، فقد انتشى المسلمون بنشوة النصر على الصليبيين، وجعلوا من ثمّ يتعلقون بتراثهم الفكري والحضاري والديني.

وإذا كانت (صفد) قد أنجبت في هذا العصر (الصلاح الصفدي) أكبر أدبائها على الإطلاق. فإنّ (الجش) قد أنجبت هي الأخرى الكاتب (محمد بن محمد الشعبي الجشي) الدمشقي، الذي تميّز وكتب مصاحف كثيرة جداً وغير ذلك، بعد أن كتب على (الزيلعي) وتصدى للتكتيب، وانتفع به غالب الشاميين، وكان صالحاً خيّراً ومات تقريباً سنة (٨٦٣ هـ)[1].

وهكذا ظلت (الجش) إحدى بلدان (نيابة صفد) إلى أن خرجت من يد المماليك نهائياً بعد هزيمتهم الساحقة في مرج (دابق) على يد الجيش العثماني.

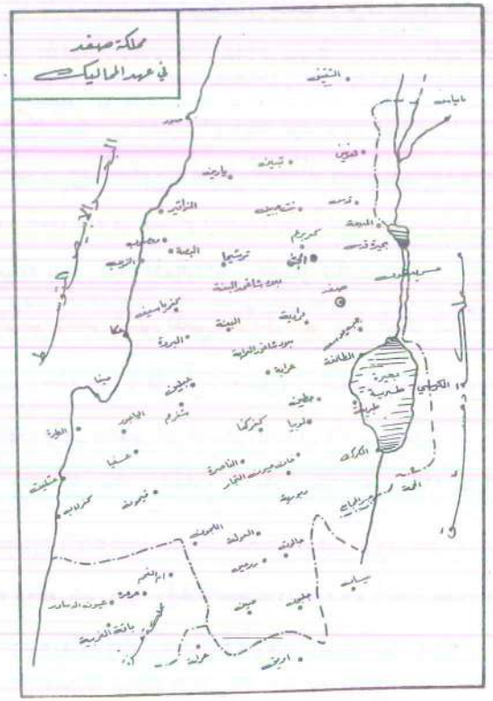

خارطة مملكة صفد في عهد المماليك

(١) أحمد سامح الخالدي ـ أهل العلم والحكم في ريف فلسطين ـ ص. (١٠٤) عمان ١٩٦٨.

«الجش» في العهود العثمانية

التوسع العثماني باتجاه الشام:

عندما اعتلى السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) عرش السلطنة العثمانية، أوقف التوسع في أوربا وانصرف إلى الفتوحات في بلاد الشرق، وكان هذا السلطان من أعظم سلاطين آل عثمان وقد اشتهر بشجاعته وحكمته السياسية ومهارته في قيادة الجيوش، هذا بالإضافة إلى شهرته بالقوة وسفك الدماء، فقد قضى على جميع اخوته وأبناء اخوته عندما وصل إلى العرش[١].

بدأ السلطان سليم بفارس حيث كان يحكمها الشاه (اسماعيل الصفوي) الذي أظهر عداءه للسلطان العثماني، والتقى الجيشان في موقعة (تشلديران) قرب (تبريز) ١٥١٤م حيث هزم الصفويون، وعاد السلطان سليم إلى عاصمته منتظرا، ليتوجه من ثم إلى حرب المماليك الذين كانوا يحكمون سورية ومصر آنذاك ويمالئون الصفويين. وكانت أحوال السوريين قد ساءت وثقلت عليهم الضرائب، وحصلت بينهم المجاعات والأوبئة، ولهذا توجه السوريون بأنظارهم إلى الدولة العثمانية الفتية، كدولة منقذة لهم من ظلم المماليك.

وبعد سنتين من حروبه مع الصفويين توجه السلطان سليم إلى سورية، وهزم المماليك وعلى رأسهم السلطان (قانصوه الغوري) في مرج (دابق) إلى الشمال من (حلب) عام ١٥١٦م. وقد ساعده على الانتصار خيانة بعض قواد المماليك، وانحياز نائب (حلب) (خيربك) و(جان بردي الغزالي) نائب (حماه) والأمير (فخر الدين المعني) الأول أمير جبل لبنان إليه[٢].

تابع السلطان سليم زحفه جنوبا فدخل (دمشق) في التاسع والعشرين من شعبان ١٥١٦ م. وقابل أمراء البلاد وأعيانها، وأمر بتعمير قبر الشيخ الصوفي (محي الدين بن العربي) وأنشأ بجواره جامعاً على أجمل طراز، وأقام إلى جانب الجامع زاوية، ووقف على ذلك عدة قرى.

وفي رجب (أغسطس) ١٥١٦م تسلم السلطان سليم الأول قصبة (صفد) صلحاً وجعلها سنجقاً كسنجقي (غزة) و(القدس) من إيالة (دمشق) ولما مرّ السلطان في أراضي قرية (جب يوسف) وهي ضيعة بين (صفد) و(طبرية) وصله وفد من وجوه (صفد) برئاسة الشيخ (أحمد

(١) الدكتور جورج حداد ـ المدخل إلى تاريخ الحضارة ـ ص. (٣٤) مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٦.

(٢) نفس المصدر السابق ـ ص. (٣٥).

البقاعي) الصوفي الشهير، والذي عرف فيما بعد بالأسدي[١]. ليقدم الولاء والطاعة.

ثم تابع السلطان زحفه نحو (مصر) وانتصر على سلطان المماليك (طومان باي) في موقعة (الريدانية) سنة ١٥١٧م وولى على (مصر) (خير بك) نائب (حلب) السابق، كما ولى (جان بردي الغزالي) على ولاية (دمشق).

وبهذا أصبحت (الجش) إحدى بلدان سنجق (صفد) الذي تبع بدورة إيالة الشام. وبقيت على حالتها تلك مدة قرن من الزمان إلى أن ألحقت بإمارة جبل لبنان في زمن الأمير فخر الدين المعني الثاني.

الجش ومنطقتها في زمن فخر الدين المعني الثاني:

في سنة ١٦١٣ م انعم الوزير (جركس أحمد) باشا، والي (دمشق) بسنجق (صفد) على الأمير فخر الدين المعني الثاني، حاكم جبل لبنان، ثم انتزعها (احمد باشا الجوخدار) أعادها لحسين اليازجي، وكان اليازجيون قد تولوا على (صفد سنة ١٦٠٤ م، ولكن فخر الدين المعني، عاد وحشد رجاله، وأسرع إلى (صفد) ودخلها عنوةً واستردها من اليازجي، بعد أن فتك به وأعمل السيف في رقاب رجاله، ورضيت عنه السلطة في (دمشق)، فأحضرت له أمراً من (استنبول) بولاية (صفد) إضافة إلى (صيدا) و(بيروت).

وتسنى للأمير التبسط جنوباً حتى بلغ أسفل جبل الكرمل، وضم (غزير) و(بيروت) و(صيدا) و(صور) و(عكا) و(صفد) و(دير القمر) و(الشقيف) و(بانياس) و(الحولة) و(طبرية) و(الناصرة) و(قانا) وجبل (طابور)[٢].

ويظهر أن الفوضى كانت قد ضربت اطنابها في المنطقة قبل ضمها إلى الإمارة المعنية فقد وصف (الخالدي)[٣] البؤس والخراب والفوضى التي حلت بصفد ومنطقتها من ظلم الحكام وتغير

(١) محمود العابدي ـ صفد في التاريخ. ص(٦٤) عمان (١٩٧٧).

(٢) الخوري بولس قرالي (فخر الدين المعني الثاني) مطبعة حريصا ١٨٨٣.

(٣) الخالدي: هو أحمد بن يوسف الخالدي ـ ذكره، المحبي بقوله «الفقيه الأديب الحنفي» كان إماما بارعاً، فقيهاً مطلعاً، وكان حسن المطارحة. ولد بصفد ونشأ بها ثم ارتحل إلى القاهرة، وأخذ من علمائها ورجع إلى صفد ودرس وأفتى وناب في القضاء، وألف، وله شعر حسن. ومن مولفاته شرحه المفصل على الكافية، ومنها أيضا تخميس لقصيدة (البوصيري) الهمزية، ورحلة إلى بيت المقدس، ورحلة أخرى إلى الحج. تقرب الخالدي إلى

الأحكام، وفقد الأمن، إلى أن منَّ الله عليها بالدولة المعنية وولى عليها من هو فخر الدين وعماد المساكين.

ولكن (صفد) ومنطقتها بما فيها (الجش) لم تخلص لفخر الدين، فقد ثار أهلها سنة ١٦٣٣م وقتلوا ابنه (علياً) وعاث البدو فساداً في المنطقة إلى أن عاد (فخر الدين) واستردها، وملأها بأخلص رجاله من الدروز وجعلها حصناً للدفاع عن أملاكه في الجليل.

وفي هذا العهد بالذات، وصل قسم من الموارنة الذين جلبهم (فخر الدين) من لبنان الشمالي، فاستوطنوا في (الجش) و(ورميش) و(عين ابل) و(يارون) و(كفر برعم) ومازالوا يستوطنون في هذه البلدان إلى اليوم، وكانت الغاية من استقدامهم من الشمال أن يكونوا على مقربة من (صفد) التي كانت كثيرة الانتفاضات والثورات، كما هدف (فخر الدين).

إلى تنشيط الزراعة في الجنوب اللبناني وفي (الجليل الأعلى)[1]. لتدر المال على خزينته وتوفر له ولرعيته الاستقرار والرفاه.

الجش بعد فخر الدين المعني:

لم يلبث الأمير فخر الدين المعني أن احتزت رأسه في (استنبول) في الثالث من نيسان سنة ١٦٣٥ م، مع رؤوس ثلاثة من أبنائه، وعموته عادت البلاد إلى الفوضى والاقتتال والخراب، وقوي الصراع بين القيسية واليمنية إلى صورة لم تشهد لها البلاد مثيلاً. وكثر اللصوص وقطاع الطرق والنهابون، وأفلت حبل الأمن واختلّت موازين الطمأنينة حتى لم يعد أحد يأمن على نفسه وماله.

ولعل أصدق وصف للحالة المتردية التي عاشتها المنطقة بكاملها في تلك الأيام ما جاء على لسان الرحالة التركي (أوليا شلبي)[2]. الذي قام في تلك الأثناء برحلة من مسقط رأسه «استنبول»

=الأمير فخر الدين المعني الثاني فاحبه واعتمد عليه ببعض المهمات، ثم أشار إليه بتدوين ما وقع للأمير من حوادث وحروب، فألف كتابه «تاريخ فخر الدين المعني» وكانت وفاته بصفد سنة ١٦١٥م. واليه ينتسب (آل قدورة الحالدي) وهم من أشهر العائلات العربية في (صفد). وجلّهم يعيش الآن في (دمشق) بعد أن هجروا مدينتهم أثر نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨م.

(١) الدكتور فيليب حتي - تاريخ سورية - ج ٢ ص. (٣٣٠).

(٢) أوليا شلبي (١٦١٢- ١٦٧٩م) ولد في استنبول ابناً لأسرة تركية عريقة في الجندية، وتولى هو نفسه مناصب في الجيش العثماني، وشارك في الحروب التركية في روسيا وترانسلفانيا والمجر. وقد قام بحكم مناصبه بسياحات في

إلى بلاد الشام فقد قال: «من صيدا سرت مع القافلة نحو الجنوب الغربي، وكم كان منظر البحر اللازوردي ساحرا، عندما بدأنا نتسلق الجبال التي تلف السهول، وبقينا نسير من قرية إلى أخرى، إلى أن وصلنا إلى قرية (يارون) التي فيها مائة بيت لغيرالمسلمين، ولم نلبث فيها إلا قليلا ثم واصلنا سيرنا إلى أن حططنا رحالنا في بلدة (الجش) التي فيها مائة بيت لغير المسلمين، لقد ظهرت لنا بنات «الجش» كالحور العين يأسرن الناظر برشاقة قوامهن، ويسلبن لبه بجمال عيونهن، فتبارك الذي خلق.

انتهينا من الأحلام الجميلة عندما بدأنا نعبر (وادي الجش) الذي ذكر لنا رفاقنا أن القافلة التي سبقتنا منذ أيام قضى عليها لصوص ذلك الوادي وقطاع طرقه عن بكرة أبيهم. ولما تجسم لنا هذا الخطر حمل كل واحد منا سلاحه،

ووضعه قيد الاستعمال عند أول بادرة. وكم طارت قلوبنا هلعا وذهبت أنفسنا حسرات كلما طار طير، أو هبت الريح.

وإلى أن اجتزنا هذا الوادي الموحش تنفسنا الصعداء ، وحمدنا حامي البرية على السلامة وحسن العافية[1].

«الجش» في القرن الثامن عشر

لقد تسنى للجش في هذا القرن أن تعايش عن قرب شخصيتين سياسيتين خطيرتين لعبتا دورا بارزا في الأحداث السياسية الهامة التي جرت آنذاك على الساحة في بلاد الشام. وهاتان الشخصيتان هما: الشيخ ظاهر العمر الزيداني، وأحمد باشا الجزار. الزعيمان اللذان استطاعا أن يقلبا موازين السيادة الإقليمية في المنطقة بكاملها، بعد أن جعلا من (عكا) حاضرة لكافة الديار الشامية مدة تزيد على نصف قرن من الزمان.

=مختلف أنحاء الإمبراطورية العثمانية وفي البلقان وقد زار أيضا مصر والشام. ويعتبر كتابه (سياحتنا مه) الذي نقل عنه هذا الفصل، باكورة الأدب النثري التركي الخالص، والذي مكّن للغة التركية من الاستقلال عن الأدب الفارسي، وزودها بالصيغ النثرية السلسة الحية، رغم شغفه بسرد قصص الخوارق ــ وقد نقل هذه الرحلات عن التركية للإنكليزية (أسطفان حنا أسطفان) ونقلها إلى العربية الأستاذ محمود العابدي.

(١) محمود العابدي - صفد في التاريخ ص (٨٠) عمان ١٩٧٧.

١ ـ الشيخ ظاهر العمر:

عرفنا فيما تقدم من بحثنا ما آلت إليه أمارة جبل لبنان بما فيها ديار الجليل من فوضى واضطراب وقلاقل واقتتال وسفك للدماء وخاصة بين حزبي القيسية واليمنية، والتي استمرت ردحا من الزمن ليس بالقصير، بعد مقتل الأمير (فخر الدين المعني) في (استنبول) حتى اضطر الحال أعيان لبنان إلى عقد مؤتمر قومي لهم في (السمقانية) قرب (بعقلين) سنة ١٦٩٧ م للنظر في أحوالهم المتردية تلك والعمل على الخروج من مآزقهم المستعصية، وبعد مداولات ومشاورات تم انتخاب الأمير (بشير الشهابي الأول) وهو من أبناء (راشيا) أميرا وحاكما عليهم، وأرسلوا بقرارهم هذا إلى والي (صيدا) مؤكدين أنهم يؤدون عن يده الرسوم والضرائب القانونية. ولما تمت الموافقة من سلطات (صيدا) تسلم الشهابيون تراث المعنيين السياسي وقبضوا على زمام الحكم ردحا من الزمن امتد حتى عام ١٨٤١.

وكان الاختيار بادئ ذي بدء قد وقع على الأمير (بشير) ليكون وصيا على الأمير (حيدر الشهابي) الحاصباني ابن بنت الأمير (أحمد معن) ريثما يبلغ أشده، ولما حكم (حيدر) تميزت إمارته (١٧٠٧-١٧٣٢)م بقضائها على حزب اليمنية قضاء مبرما في معركة (عين داره) عام (١٧١١). فهاجر الكثيرون من الحزب اليماني المغلوب إلى (حوران)

وأنشؤوا هناك جالية درزية جديدة. ثم تعقب الشهابيون مناوئيهم من آل (علم الدين التنوخي) اليمانيين وأبادوهم[١] ولكن المناوشات بين اليمنيين والقيسيين لم تهدأ وظلت بين أخذ ورد إلى عهد ليس ببعيد. ولما كان عهد الشهابيين بمثابة انتصار للقيسية عامة، فقد ولى الأمير (بشير الشهابي الأول) ابن أخيه الأمير (منصور الشهابي) على ديار (صفد) وجعل تحت يده (عمر الزيداني) شيخا على تلك الديار لأنه قيسي. وعندما توفي الأمير (منصور) أبقى الأمير (بشير) بعده الشيخ (عمر الزيداني) واليا[٢].

وحوالي سنة ١٧٣٧ م برز (ظاهر العمر) على المسرح السياسي، وكان رجلا عصاميا عظيم الهمة شديد البأس، واسع الحيلة حكيم التدبير، ويقول (فولني) عنه: «**أنه مضى زمن طويل على**

(١) الدكتور فيليب حتي ـ تاريخ سورية ج ٢ ص ٣٣٤ والدكتور جورج حداد ـ المدخل إلى تاريخ الحضارة ص١٥١.

(٢) محمود العابدي صفد في التاريخ ص (٧٣).

سورية لم تر رجلا مثله، وكانت أطماعه فوق قدرته، وكانت العدالة ضاربة أطنابها في بلاده ولا فرق عنده في شمولها أهل المذاهب المختلفة»[١].

ولد (ظاهر العمر) في صفد سنة ١٦٨٩ من أسرة علوية من سلالة (زيد) بن الإمام الثاني (الحسن بن علي بن أبي طالب) عليهم السلام، وقد هاجرت عشيرته من المدينة المنورة إلى بادية (حماه) و(معرة النعمان) ونزلت في (بني أسد) ثم انتقلت إلى (فلسطين) ونزلت في (طبرية) ثم في (عرابة البطوف) من ديار (صفد) واستطاعت أن ترتفع بظاهر إلى حكم (صفد) و(عكا) وسائر الجليل.

وقد استطاع هذا الداهية أن يحقق طموحاته باتحاده مع عرب (الصقر) كبرى عشائر المنطقة، وبمصاهرته لكبار رؤساء العشائر المخيمة في (سورية الجنوبية)، فاشتد بذلك أزره وسعى عام ١٧٦٨م فمنحته الدولة العثمانية لقب (شيخ عكا وأمير الأمراء وحاكم الناصرة وطبرية وصفد وسائر الجليل) كما أحيلت ولاية (صيدا) إلى عهدته[٢].

ولما تم له كل ذلك أخذ يتطلع إلى محالفة جيرانه، فتطلع أول ما تطلع إلى محالفة (المتاولة) (شيعة جبل عامل) وعقد مع شيخ مشايخهم (ناصيف النصار) معاهدة هجوم ودفاع وقعت في (عكا) يوم الجمعة الواقع في الثامن من رجب عام (١١٨١) هـ و١٧٦٧م وحلف الشيخان اليمين على السيف والمصحف أن يكونا وشعباهما متصافيين ما دامت الأرض والسماء. وأخلصا الود لبعضهما كل الخلاص، وخاضا بجيشيهما جنبا إلى جنب عدة معارك حامية ضد خصومهما من البدو حينا وولاة (دمشق) وأمراء (الشوف) من الشهابيين أحيانا أخرى وكانت أهم هذه المعارك:

١ ـ معركة بحيرة الحولة في ٣٠ آب ١٧٧١م ضد (عثمان باشا) والي دمشق.

ـ معركة كفرمان ـ النبطية، ضد الأمير (يوسف الشهابي) في ٢٩ تشرين الأول ١٧٧١م.

ـ معركة الحارة وسهل الغازية في العاشر من حزيران عام ١٧٧٢م وفيها تصديا معاً لجيش كبير من العثمانيين يزيد تعداده على ثلاثين ألف رجل، إضافة إلى قوات الأمير الشهابي. وكان النصر المؤزر في كل هذه المعارك لصالح (ظاهر العمر) وحلفائه (المتاولة).

(١) محمد جابر آل صفا تاريخ جبل عاهل ص (١١٥).

(٢) للتوسع في تاريخه يستحسن العودة إلى كتاب (ميخائيل نيقولا الصباغ العكاوي (تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني) مطبعة (حريصا).

وكاد يؤلف دولة صغيرة على ضفاف البحر المتوسط لولا معاكسة الأقدار له وفساد بطانته وضعف عقلية أبنائه وانتقاضهم عليه، مما كان سببا لزوال تلك الإمارة الفتية وضياع مجدها[1].

فتألق نجمه على هذا الشكل أثار عليه نقمة الحساد، وخاصة (أحمد الجزار) الذي أخذت تقاريره تتوالى بحق (ظاهر) إلى (الآستانة) بالوشايات والإغراء به خصوصاً بعد تحالفه مع روسية القيصرية ، مما جعل العاصمة تنظر إليه نظرة الريبة والشك، فأخذت تتربص به الدوائر، وقررت أخيراً التخلص منه، فأرسلت القبطان (حسن باشا الجزائري) يطلب من (ظاهر) الأموال المتراكمة عليه لمدة سبع سنوات، ولما لم يوافق مستشاره (إبراهيم الصباغ) على دفعها، توجه الجيش العثماني ومعه (محمد باشا العظم) والي (دمشق) و(أحمد الجزار) محافظ السواحل السورية إلى (عكا) فاضطر (ظاهر) إلى الهرب بعد أن رفض جنوده قتال جنود السلطان (وكان ذلك بمؤامرة من ابنه عثمان) وفي أثناء هربه قتله أحد جنوده المغاربة، وأرسلت رأسه إلى استنبول وقبض القبطان على كل من (إبراهيم الصباغ) و (أحمد آغا الدنكزلي) قاتل (ظاهر) فأخذت الأموال من الأول وقتل، في حين صلب الثاني على صاري المركب لخيانته لسيده. وبمقتل (ظاهر) انقضى عهد كان من أحسن العهود التي مرت على البلاد.

أحوال «الجش» في زمن ظاهر

في هذا العهد الزاهر الذي كانت «فيه البلاد براحة واطمئنان والطريق بأمان بحيث إذا سافرت المرأة وعلى كفها الذهب لا يعترضها أحد في الطريق ولا تخاف على نفسها أمراً»[2]. عاشت «الجش» أياماً حلوة من الطمأنينة والعز، فقد اختارها الشيخ (علي الظاهر) لإقامته وسكناه، إثر توليه قلعة (صفد) القريبة منها، وبعد أن صاهر أهلها. فقد تزوج من ابنة (الشيخ حسن الخليل) أحد أجداد: (حمولة الخلايلة)) كبرى حمائل المنطقة، وسيأتي الحديث عنها في موضعه). وكان (الشيخ حسن) هذا من اعظم رجال عصره، ولد في (الجش) ودرس في (صفد) ثم انتقل إلى (القاهرة) وتابع الدراسة في الأزهر الشريف؛ وعاد إلى البلاد ليتسلم المناصب الرفيعة.

وإذا كانت ترجمته قد ضاعت لطول العهد إلا أن مكتبته العامرة التي خلّفها بعد وفاته وصلتنا بكاملها، وهي تدل على رفعة شأنه وعلو كعبه في العلوم الدينية واللغوية والأدبية.

(١) محمد جابر آل الصفا - تاريخ جبل عامل - ص (١١٦).

(٢) ميخائيل نقولا الصباغ - تاريخ الشيخ ظاهر العمر - ص(٥٠) حريصا.

وقد ظلت مكتبته تلك إلى زماننا وهي موقوفة على أبناء (حمولة الخلايلة) فقط، وكانت تملأ عدة صناديق كبيرة، وقد استعرت منها في صباي أكثر من كتاب.

ولكن هذه المكتبة الغنية عادت فضاعت بضياع البلاد أثر نكبة فلسطين، وضاعت بالتالي أخبار الشيخ الجليل، مع ما ضاع من آثاره ولم يعد بإمكاننا إعطاء صورة واضحة عن نشاطه الثقافي والأدبي والعلمي، (فحسبنا الله ونعم الوكيل).

وفي (الجش) فتح (الشيخ علي الظاهر) (وكان من أكرم وأشجع وأجمل أهل زمانه) أبواب داره العامرة لاستقبال الضيوف والوفود، «وكان من بين زواره في (الجش) (الشيخ عباس وولده الشيخ حسين) أصحاب مقاطعة (صور) ومقاطعة (قانا) و(شحور) من مشايخ جبل عامل»[1].

كما اشترك شباب (الجش) وفرسانها في كافة المعارك التي خاضها جيش (ظاهر) وخاصة في المعارك الثلاثة السلفة الذكر، وكنا في طفولتنا نستمع إلى الشيوخ وهم يتناولون أخبار تلك الحروب بالأحاديث والأشعار الشعبية والعتابا. ومن ذلك قول أحد الشعراء الشعبيين في معركة مرج (علما):

طلعنا طلعة النجمة مع الضو ... لقينا الخيل ملتحمة مع الضو

علي الظاهر يا أخو نجمة مع الضو ... بسيفك واذبح جيوش العدا[2]

أحمد باشا الجزار:

بعد مقتل (ظاهر العمر) كوفئ الجزار بولاية (صيدا) سنة ١٧٧٦، وامتد بذلك سلطانة إلى الجنوب، وحل محل (ظاهر) في (عكا) فعمد إلى تدعيم حصونها مسخرا لذلك رجال القرى المجاورة، كما بنى أسطولا صغيرا وأنشأ جيشا عماده المغاربة و الأرناؤوط، ثم أن طموحه جعله يتطلع إلى ما وراء فلسطين ولبنان، وفي سنة ١٧٨٥م تسلم براءة بتعيينه واليا على دمشق.

وكان ذلك بعد أن استطاع إيقاف زحف (نابليون بونابرت) على أسوار (عكا) بمساعدة السير (سدني سميث) قائد الأسطول البريطاني، وبذلك بلغ أوج مجده وازداد جبروته وطغيانه فاعتمد أسلوب البطش والقسوة للقضاء على منافسيه، وسحق أنصار سلفة بلا رحمة ولا شفقة، وأوقع أول

(١) محمد جابر آل صفا تاريخ جبل عامل ص (٩٢).

(٢) نقل بيت العتابا هذا عن (أحمد خليل الزغموت) وهو بدوره نقله عن أبي زوجته، الذي سمى ابنته (نجمه) لشهرة هذا البيت من العتابا، ولمحبة أهالي المنطقة (لعلي الظاهر).

ما أوقع بالمتاوله في معركة (يارون). وقتل زعيمهم العظيم (ناصيف النصار) سنة ١٧٨٠ وشتت جموعهم. «ثم اكتسحت جنوده البلاد وأحرقت القرى ودمرت المنازل، وشحن ما في مكاتب جبل عامل من التأليف والمخطوطات النادرة حيث أحرقت في أفران (عكا)، وشكاه علماء البلاد إلى (الآستانة) ولكن حكومة الباب العالي أرسلت إليه الشكوى عينا فانتقم من موقعيها، وأسرف رجاله في ذلك الشغب قتلا وذبحا، وقبض على فريق من الوجهاء فأماتهم خنقا في سجون (عكا) وشرد من بقي منهم إلى البلاد المجاورة»[١].

كما نشر الرعب في كافة أنحاء سورية ولبنان، بعد أن أعدم المئات على الخوازيق في (عكا) ويذكر (ميخائيل مشاقة): «أن الجزار إذ ارتاب يوما بتصرف حريمه وعددهن (٣٧) امرأة أمر خصيانه فجروهن واحدة واحدة وألقوا بهن فوق كومة من الحطب، أضرمت فيها النار فاحترقن جميعهن»[٢].

وكان أثناء ولايته على (دمشق) يقيم في (عكا) ويرسل متسلما إليها. ويتردد عليها خاصة في موسم الحج، وفي ثاني سنة من ولايته أمات مائة وستين نفرا خنقا بالقلعة بعد حضوره من الحج[٣].

وفي محرم سنة ١٢١٩ هـ (٢٤ نيسان ١٨١٤) مات الجزار بالاستسقاء، بعد أن حكم البلاد مدة ثلاثين سنة دون أن يعكر صفوه أي معكر، وسر أعداؤه بموته حتى أن أحد الشعراء أرخ وفاته شعرا بقوله:

وافى السرور وصح ترجيح الأمل ... بهلاك غاشم لا يعادله مثل

لله درك يا منون فقد بدت ... منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

فاز الأنام وأرخوه بمقصد ... هلك الشقي وإلى جهنم قد رحل[٤]

أحوال «الجش» في أيام الجزار

خسرت «الجش» في بداية عهد (الجزار) الشيخ (علي الظاهر) الذي هرب أمام الجزار وتحصن في قلعة (دير حنا) إلا أن الضغط المتزايد، جعله يهرب بأهله وولده من منطقة إلى منطقة، على عادة البدو الرحل، حتى قطع مياه الشريعة (الأردن) عند جسر بنات يعقوب، وهناك قتل غدراً بمؤامرة

(١) محمد جابر آل صفا (تاريخ جبل عامل) ص (١٣٧) بيروت.

(٢) ميخائيل مشاقة (مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان) القاهرة (١٩٠٨).

(٣) الدكتور جورج حداد المدخل إلى تاريخ الحضارة ص (١٧٢).

(٤) ميخائيل مشاقة ص (٧٠).

حبكها (إبراهيم آغا الأظن) وهو شيخ عشيرة نورية، بالاتفاق مع والي الشام (محمد باشا العظم) وقطعت رأسه وأرسلت إلى (استنبول) مع ولديه (الحسن والحسين)[١] وهما حفيدا الشيخ (حسن الخليل) السالف الذكر.

و لم نعرف ما حدث للشيخ (حسن) وان كنا نرجح أن الجزار قد قتله فيمن قتل من أعيان البلاد الموالين للزيادنة.

وقد عانت (الجش) وأهاليها مثلما عانى كافة أهالي البلاد من أعمال السخرة واحتكار المواد والظلم والاضطهاد. حتى ثارت منطقة (صفد) بكاملها عليه، إلا أن الجزار عاد وأصلى الصفديين ناراً حامية وفجر قلعة صفد بالمتفجرات حتى أذعنت واستكانت.

«الجش» في عهد محمد علي باشا

بعد وفاة (الجزار) لم تستطع أسوار مدينة (عكا) الحصينة، التي صمدت لجيش (نابليون بونابرت) وصدّته عنها مدحوراً مذموماً، أن تصمد للجيش المصري الحديث النشأة والمدرب أحسن تدريب على أيدي ضباط فرنسويين، والذي زحف على بلاد الشام بقيادة (إبراهيم باشا) بن (محمد علي باشا) بالذات، وكان قائداً مظفراً، وإن لم يكن سياسياً داهية. وهكذا تم له الاستيلاء على كافة بلاد الشام، واندفع شمالاً حتى أصبحت أبواب (استنبول) مفتوحة أمام جيشه.

ولما كانت منطقة الجليل قد تنفست الصعداء بعد وفاة الجزار، واعتادت الفوضى إبان هجوم الفرنسيين على المنطقة بقيادة الجنرال (مورا) واندحاره بعد شهر واحد من احتلاله (صفد) وتوابعها. فإن المنطقة تلكأت في الإذعان لحكم المصريين القاسي، والذي لم يستطيع فهم نفسيات عرب الشام، فأخذ يزيد الضرائب ويجمع السلاح من الاهلين والقبائل البدوية، ويحتكر الأصناف التجارية ويفرض زراعة التبغ والقطن على أناسٍ لا عهد لهم بتلك الأنواع من الزراعات، ولهذا سرعان ما ثارت (صفد) ومنطقتها على (محمد علي باشا) و لم تلبث الثورة أن عمّت بلاد الجليل والخليل ونابلس والقدس وسائر أنحاء فلسطين.

وإزاء هذه الحالة المتردية، أوعز (محمد علي باشا) إلى حليفه الأمير (بشير الشهابي)، أمير جبل لبنان، بالتحرك إلى (صفد) لمعاقبة الثائرين.

(١) ميخائيل الصباغ - تاريخ الشيخ ظاهر العمر - ص(١٦١) حريصا.

فأسرع هذا على رأس قوة، وتحرك من (بيت الدين) في ٢٨ حزيران ١٨٣٤ م وتوجه إلى (صيدا) وأخذ يجمع العساكر وتوجه جنوباً إلى أن وصل نهر القاسمية، وهناك وافاه وفد من الصفديين برئاسة قاضي (ترشيحا) الشيخ (صالح) وعرض عليه طاعة أهالي منطقة (صفد).

وطلب الأمير من الوفد أن يلاقيه مشايخ الصفديين في (بنت جبيل) وعند وصوله إليها، حضر المشايخ وقدموا له الطاعة، وساروا معه مارين ببلدة (الجش) إلى قرية (الصفصاف) حيث وافاه ابنه (أفندي) حاكم (راشيا) برجاله، فأمره بدخول (صفد) وكان ابنه (خليل) قد وصل إليها من الناصرة ومعه خمسمائة فارس.

وعندما تهيأ له دخول (صفد) بقواته، قلب للصفديين ظهر المجن وأنزل فيهم من العقوبات ما لا يعرف التاريخ له مثيلا، فقد ضبط بيوتهم وأرزاقهم، وأخذ يعذبهم بأشد صنوف العذاب، حتى مات عدد عظيم من الرجال تحت سياط عذابه.

ولا يزال بعض المعمرين من أهالي (صفد) يتناقلون أخبار العذابات التي أنزلها جند الشهابي فيهم وفي نسائهم، كوضع القطط المفترسة في سراويلات النساء، أو ضغط نهودهن تحت حافات الصناديق، وما إلى ذلك من صنوف العذابات الجهنمية، هذا ناهيك عن إرسال وجوه المدينة والقرى المحيطة بها إلى السجون والمعتقلات، وكان كل ذلك بسبب تهمة باطلة لفقها يهود (صفد) لعنهم الله.

إلا أن هذا الظلم لم يطل فقد ثار الشاميون على هذا الحكم الظالم ودحروه خارج حدودهم بعد حكم دام عشر سنوات من (١٨٣١-١٨٤٠)م وبطرده من الشام عادت البلاد إلى الحكم العثماني المباشر من جديد.

وبالرغم من قصر هذا العهد، إلا أنه كان من أسوأ العهود التي مرت على بلادنا، وخاصة على بلاد (صفد) والجليل، فقد لقيت في هذا العهد من الظلم والقسوة والاضطهاد ما لم تلقه حتى ولا في عهد الطاغية أحمد الجزار.

و إذا كانت (صفد) وجاراتها قد ذاقت ما ذاقت من عسف الأمير (بشير الشهابي) إلا أن كل ذلك لم يكن يساوي شيئا أمام ما أصابها من غضب الطبيعة الرهيب الذي حل بها عام ١٨٣٧م.

الزلزال الكبير يدمر الجش وصفد وتوابعها في ١٨٣٧/١/١م:

ظل المعمرون من أهالي بلدة (الجش) يتحدثون برعب شديد عن ذلك اليوم الرهيب المستعار من (جهنم). يوم غامت السماء وتلبدت بسحاب أحمر غطى الآفاق بكثافة رهيبة، ثم أخذ يمطر نارا

وحمما بركانية ما زالت آثارها باقية على أديم أراضي بلدة (الجش) إلى يومنا هذا. كما يذكرون كيف زلزلت الأرض زلزالها الشديد فتداعت البيوت وسقطت على من فيها من السكان، ثم كيف عم الذعر والخوف وارتفعت صيحات الفزع بين الناس، وتعالت الاستغاثات من كل ناحية، بعد أن ظن الناس أنه يوم الهول، وأن القيامة قد قامت، وهاهي الأرض تحترق بمن عليها.

وما هي إلا دقائق قليلة، حتى تخسف الأرض ببلدة (الجش) فتسقط بيوتها في هوة سحيقة (تسمى اليوم المخسوفة) فتحت شدقيها الواسعين في باطن الأرض لتوها، ولم تكن موجودة قبل ذلك اليوم المشؤوم.

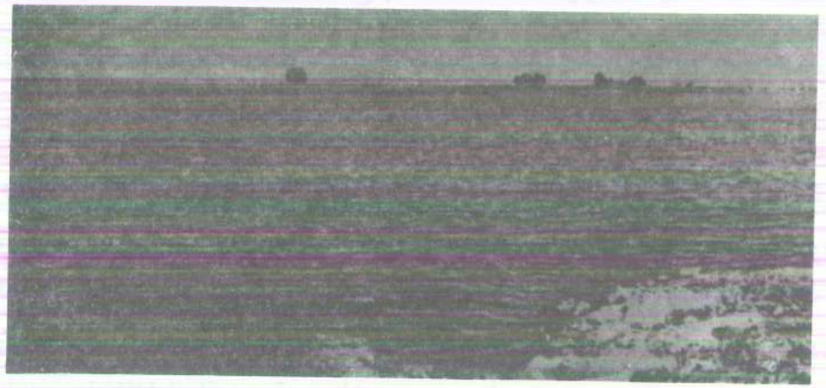

بركة المرج شرقي القرية أقيمت فوق أرض المرج البازلتية

بركة المرج القديمة - الصغيرة - تبدو كفوهة جبل بركان قديم

ولم تكن تلك الهوة التي ابتلعت البلدة إلا صدعا عميقا في باطن الأرض أحدثه الفراغ الحاصل في باطن الأرض من جراء البركان الذي انفجر على مقربة كيلو مترين إلى الجنوب الشرقي من بلدة (الجش) تاركا مكانه بركة كبيرة تسمى اليوم (بركة الجش) وما زالت فوهة البركان ظاهرة للعيان فيها إلى يومنا هذا.

أجل لقد كان هذا الزلزال أعظم كارثة شهدتها بلدة (الجش) طيلة حياتها الممتدة عبر آلاف السنين، فقد ترك فيها آثاراً وسمات بارزة هيهات أن تزول.

وإذا كان هذا البركان الرهيب قد انفجر في أراضي بلدة (الجش) وعلى مسافة يسيرة منها، إلا أنه لم يكتف بتدميرها فقط، بل نراه يتسع ويشتد شاملا بأضراره الجسيمة مساحة تمتد من بيروت إلى غزة ومنزلا بالجش وصفد وجاراتها أبلغ الأضرار.

وإذا كان السماع لا يفي بإعطاء مثل هذا الموضوع حقه من الإيضاح، لأن المتحدثين عن الزلزال في زماننا لم يكونوا ممن شاهدوه، بل ممن سمعوا عنه، لذا سنترك الحديث عن الزلزال لشاهد عيان هو (الدكتور طومسون) الذي كان آنذاك في (بيروت) وشهد الزلزال بأم عينه، ارتحل إلى (الجش) و(صفد) وطوف في ديار الجليل متفقدا آثار الزلزال وما أوقعه من مصائب وكوارث، وترك لنا وصفا مؤثرا لنتائجه الرهيبة في كتابه (الأرض والكتاب).

يقول الدكتور (طومسون): قبل غروب شمس يوم السبت، الواقع في اليوم الأول من شهر كانون الثاني سنة ١٨٣٧، انحجب قرص الشمس، واستولى على الناس سكون مخيف، وشلت الحركة في مدينة (بيروت)، وتوقف النشاط، واسودت الحياة، فهرع الناس إلى الكنيسة.

وما كادت الصلاة تبدأ حتى شعرنا أن البناء يترنح كالسكران، ذات اليمين وذات الشمال. وبدأ سقفه يتساقط، فخرجنا إلى ساحة الكنيسة وعلت الأصوات الزلزال، الزلزال، وفي طرفة عين، أصبحت الكنيسة كومة أنقاض. ولحسن الحظ، لم تحصل خسارة في الأرواح. ولصعوبة المواصلات في هذه البلاد، لم تصلنا أخبار الخراب الذي حصل في القرى والمدن إلا بعد أسبوع. وكان أشدها إيلاما ما قيل عن نكبة (صفد).

ثم أخذت أتثبت من صحة هذه الأخبار الفاجعة، وتلك الخسائر الفادحة وفي أثناء ذلك، قمت بجمع التبرعات من (بيروت)، وعزمت على مغادرتها، لتفقد الأماكن التي انتابها الزلزال، ولما تم لي كل ما أردت، اصطحبت أحد الأصدقاء وخرجنا إلى (صيدا)، ومنها أخذنا صديقا

آخر وابنته. وكان الثلاثة أطباء. وقد غادرنا (صيدا) في منتصف الليل لأن أصابتها بالزلزال لم تكن حادة.

لقد استولى علينا الذهول، حينما صعب علينا اجتياز شوارع (صور) التي كانت تملأها أنقاض البيوت. وسوف لا أنسى ما حييت، تلك الليلة التي قضيناها بين زعازع الرياح وزمجرة العواصف المخيفة، التي كانت تتردد في خرائب صور.

وجدنا أهل صور وقد افترش أكثرهم الغبراء والتحف الزرقاء، وأقلهم نام في الخيام، وأندرهم التجأ إلى القوارب الراسية في الميناء، ولكن الجميع كانوا مسترسلين في نوم عميق، وكأنهم قد استمرؤوا صفير الرياح التي كانت تعبث بشبابيك البيوت وأبوابها التي صدعها الزلزال، بأنغام مرعبة.

غادرنا صور متسلقين الجبال. وفي السابع عشر من الشهر نفسه، وصلنا إلى قرية الرميش. فوجدناها قد دمرت بأكملها، ومات أكثر سكانها تحت أنقاض بيوتهم، ولم ينج منهم إلا الذين كانوا في الكنيسة، فقد حماهم من الموت سقفها المنخفض. ومن الرميش استقينا أوثق الأخبار عن نكبة صفد. وبعد أن وزعنا بعض المال والملابس على الأحياء القلائل فيها توجهنا إلى قرية (الجش)، فوجدنا أن جميع بيوتها ـ حتى الكنيسة ـ قد هدمت ومات من أهلها ١٣٥ شخصا، ولم ينج من المصلين إلا الخوري الذي كان يقوم بالصلاة تحت قبة متماسكة البناء، وأما باقي الكنيسة فقد خرّ إلى الأرض بأسرع من لمح البصر.

وفي صباح اليوم التالي، غادرنا (الجش)، ومررنا بقرية (قديثا) التي إختفت معالمها من الوجود، وفي الطريق التقينا بحاكم (صيدا)، وقد حكى لنا حكاية ابنته التي كان قد أرجعها. وملخصها أنه زوجها من تاجر صفدي. ولما حصلت الزلزلة، هدمت الدار، فبقي زوجها تحت الأنقاض مدة حتى مات وأما هي فقد أنقذها أحد الناس، وها هو يعود بها أرملة وقبل أن ترزق ولداً.

أول نظرة ألقيتها على أكمة صفد العالية، أوحت إليّ عبرة لن أنساها ـ ألا وهي مقدرة الله على إنزال أكبر نقمة في لحظة واحدة، على بلد مهما كانت جبارة ـ لقد وقفنا مشدوهين أمام هذا الغضب الإلهي، حينما أسفرت لنا الحقيقة المؤلمة بأبشع صورها، عندما كنا في بيروت، شككنا في صحة الأخبار التي وصلتنا، ولكننا الآن تيقنا أنّ الناقل لم يستطع أن يصف نصف الواقع.

وصلنا إلى الحي اليهودي، الذي زرته قبل سنتين، وكان فيه أربعة آلاف يشتغلون بجدٍ ونشاط. أما الآن فقد خيّم عليه الهدوء واستولى عليه السكون، إذ لم يبق فيه بيت قائماً. والسبب الذي جسّم المصيبة، هو أن بيوت صفد، مبنية على سفح جبل، بحيث أن اسطحة البيوت السفلى، كانت ممرات وطرقات للبيوت التي هي أعلى منها. ولما زلزلت الأرض زلزلتها انهدمت البيوت العليا، على البيوت السفلى فهدّمتها، وهذه على التي أوطى منها، وما كاد الأحياء يصحون من هول الموقف العظيم، حتى خيّم الظلام على البلد. فالذين لم يقتلوا حالاً، ماتوا قبل إنقاذهم. والسعداء منهم، أنقذوا من تحت الردم، بعد ستة أو سبعة أيام.

حدّثني صديق من سكان صفد قال: «عندما حدثت الزلزلة، سقط البيت علينا وطمرني التراب إلى ما فوق الركبتين، فأخذت أصيح، وإذا بامرأة تحمل ولدها على ذراعها اليمنى، والصغير على كتفها اليسرى، ولم تستطع الحراك بهما. ولما جاع الصغير أخذت ترضعه، ثم انعقد الغبار في الجو فحجبها عن ناظري وأخذنا نستغيث، ولكن أين المغيث؟ سكت صوتها وفي الصباح يسّر الله من أنقذني، فجررت نفسي لإنقاذها، فوجدتها ماتت وطفلاها.

وقد روي لنا الشيء الكثير عن مثل هذه الحكاية. وكم من مرة سمعت الآباء نداء أولادهم يستغيثون ويصرخون، ولكن الموت كان يخرس أصواتهم. يا إله العدل والرحمة! أيموت سكان مدينة، أو أربعة أخماسهم تحت التراب؟ إن نفس الإنسان ليأكلها الألم حين تسمع أنّات الجرحى، وحشرجة الأنفاس وتألمات النفوس.

تجولنا بين الأنقاض، فما كنا نرى غير الثياب والمناضد والكراسي وباقي أنواع الأثاث والمتاع مبعثرة هنا وهناك بين الأنقاض، ولا يزال بعض الأحياء يحملون جثث الجرحى الذين ماتوا، إلى مراقدهم الأخيرة.

غطيت وجهي وأسرعت بالمشي لأتخلص من هذه المناظر المؤلمة، فمررت برجال أحياء يبكي بعضهم بحرقة وحزن، ويضحك آخرون بلهاً وسفهاً، لهول المصيبة، رأيت شخصاً خائر العزم، يقف فوق بيته المتهدّم، يندب أسرته التي كانت تملأ البيت حياةً ومرحاً، فأصبحت تحت التراب. رأيت طفلاً يلعب، لأنه كان أصغر من أن يدرك انه فقد والديه وذويه حتى لم يبق له أحداً في هذه الدنيا. رأيت بعض الجرحى ممدودين في الطرق، لا يستطيعون الانتقال أو التحرك.

أسرعنا لنصب خيامنا خارج البلد، ثم ذهبنا لزيارة بعض الجرحى الذين جمعوا في مكان واحد، وهناك رأينا منظراً يفتت الأكباد ـ أجساماً مشوهة وأعضاء مبتورة. أناساً يموتون جوعاً بين الآونة والأخرى. هذه المناظر جسمت لنا الحاجة الماسة لإقامة مستشفى، فأقمناه في اليوم التالي في الخيام، وجمعنا فيه بعض الجرحى الذين وضعتهم تحت عناية طبيب، استأجرته لهذه الغاية، من سكان صفد، وزوّدته بالأدوية اللازمة.

تحت تأثير هذه المناظر المؤلمة كرهت الإقامة في صفد، فغادرتها إلى طبريا، ولم استنشق الهواء النقي، إلا في ضوء القمر، على شاطئ البحيرة الساجية، وقد وجدت أن ضحايا طبريا لم يزيدوا على الستمائة ضحية، وأن اكثر الجرحى نقلوا إلى الحمامات الساخنة حيث زرتهم ووزعت عليهم الأدوية.

غادرت طبريا متوجهاً إلى (الناصرة) ومررت بقرى (لوبيا) و(الشجرة) و(الرينة) وكلها أصيبت بأضرار جسيمة. أما (كفر كنا) فقد كانت خسائرها قليلة. وقد وصلنا إلى (الناصرة) في الثاني والعشرين من الشهر نفسه، وكان عملنا فيها خفيفاً، ثم رجعنا إلى (بيروت)، بعد أن قضينا في رحلتنا هذه، ثمانية عشر يوماً، نعين المحتاجين ونسعف الجرحى»[1].

(١) الدكتور طومسون (The land and The book) ترجمة (محمود العابدي).

«الجش» في أواخر العهد العثماني

ترك زلزال عام ١٨٣٧ م «الجش» وهي خاوية على عروشها، بعد أن هدم كافة بيوتها ومبانيها، وقتل قسماً كبيراً من أهاليها، وأجبر قسماً آخر على الرحيل عنها إلى أماكن أخرى قريبة منها لم تتعرض للإصابة بالزلزال. أما من تبقى من أهلها فقد لجؤوا إلى المغاور والكهوف المحيطة بها، فغدت البلدة قاعاً صفصفاً لا أثر فيه لحضارة أو بناء أو عمران.

وكان ممن ارتحل عن الجش (آل الجشي) الذين استوطنوا بعدها في قرية (سحماتا) وقرية (ترشيحا) و لم يبق من هذه العائلة إلا أسرة واحدة في(الجش) ثم هاجر رب الأسرة فيما بعد إلى أمريكا اللاتينية.

أما المسيحيون الذين هاجروا عن البلدة فقد استوطنوا في القرية اللبنانية (عين إبل) القريبة من (الجش) ومازالوا إلى اليوم يدعون بآل الجشي أيضاً ومن هذه الأسرة برز فيما بعد الشاعر الشعبي الشهور (مطانس الجشي) الذي مازال المعمرون يذكرون سرعة بديهته وذكائه الحاد، ويتناقلون أزجاله وأشعاره الشعبية إلى اليوم. وقد كان مفنناً مبدعاً سريع الارتجال مع أنه كان ضريراً، و لم يكن في زمانه شاعر في المنطقة يجرؤ على الصمود أمامه في حلبة السحجة التي كانت تقام في الأعراس والأفراح.

و لم تبق «الجش» على حالتها الزرية طويلاً، إذ سرعان ما انقضى فصل الشتاء القاسي الرهيب ذاك، وأطلت شمس ربيع ذلك العام ساطعة دافئة، ونهض الأهلون لإعمار بلدتهم من جديد، وكان ذلك بهمة شيخها المقدام (علي أحمد خليل)[1] الذي أعاد بناء داره، وبنى مسجداً قريباً منها، وقد ظلّ المسجد قائماً في آخر زقاق الخلايلة إلى أيامنا حيث أعيد بناؤه بالإسمنت المسلح

(١) هو ابن أخي الشيخ (حسن الخليل) المار ذكره سابقاً، كان شيخ البلدة وعيناً من أعيان المنطقة، ومنصباً من مناصب البلاد، وسيداً جليلاً اشتهر بشجاعته وتقاه وغناه وبعد صيته، وما زال المعمرون يذكرون إلى اليوم عرس ابنه (محمد علي) على (ذية الاسدي) ابنة (أبي ذياب الأسدي) من (صفد) إذ أن المنطقة لم تشهد عرساً أكبر من ذلك العرس، ولا فاردة أكبر من تلك الفاردة «الفاردة: الجماعة التي تذهب لإحضار العروس من بلدها» فقد دعا وجوه بلاد (الجيزة) وقضاء (صفد) للاشتراك بها. وكانت (ذية) تلك إحدى فارسات زمانها. فهي لا تخرج إلا على صهوة جوادها متقلدة سيفاً وبندقية. والشيخ (علي) أحد أحداد حمولة (الخلايلة) ومن أحفاده ما يزيد على المائتين يعيشون اليوم في (دمشق) و(حلب) و(طرابلس) و(حمص) و(حماة) والأرجنتين والبرازيل والنروج، بينهم عدد من المثقفين بين مهندس وطبيب وأستاذ. وهو الجد الرابع لكاتب هذه السطور.

من جديد. كما عمد الشيخ (علي الأحمد) إلى تنشيط الحياة الزراعية في البلدة لإعادة الثقة إلى نفوس الاهلين فأمر غلمانه وفلاحيه ورعاة مواشيه بإعادة استصلاح البساتين والأراضي التي خرّبت بفعل الزلزال، و لم يمض إلا وقت قصير حتى عادت المياه إلى مجاريها، وازدهرت البستنة في موقع المخسوفة إلى الشرق من البلدة، بعد أن غصّت بأشجار الفاكهة والخضراوات.

وبعودة الحياة الطبيعية إلى البلدة، أخذ الناس يعودون أدراجهم إليها لبناء بيوتهم وزراعة أراضيهم، وهكذا أعيد بناؤها كاملة إلى الغرب من موقعها القديم الذي خسفت به الأرض، وأخذت بيوتها تتسلق سفح التل المسمى بالعنقور.

ومع مرور الأيام استردت البلدة عدداً كبيراً من أهلها واسترجعت بعض عمرانها، وما ان عادت البلاد لسلطة آل عثمان بعد انسحاب (محمد علي باشا) حتى رأينا «الجش» وقد غدت بلدة عامرة ومن أكبر بلدان محافظة (بيروت) الجنوبية.

ففي سنة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م فصلت ولاية (بيروت) عن ولاية (سورية) وضمت كلاً من (صفد) و(عكا) و(نابلس) و(جنين) إليها[1].

وهكذا ظلت «الجش» ملحقة بقضاء (صفد) التي كانت بدورها قد أعلنت مركز قائممقامية في سنة ١٣٠٠ هـ وألحقت بولاية (بيروت) الجنوبية وبقيت «الجش» على حالتها تلك إلى أن انفصلت (فلسطين) بكاملها عن باقي التراب السوري بفعل الاحتلال البريطاني البغيض سنة ١٩١٨م.

في هذا العهد عاصرت «الجش» أربعة من السلاطين العثمانيين:

١- السلطان عبد الحميد (١٨٣٩-١٨٦١)م.

٢- السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) م.

٣- السلطان مراد الخامس (١٨٧٦).

٤- أما أشهر سلاطين تلك الحقبة من الزمان فكان السلطان (عبد الحميد خان الثاني) الذي يعتبر من أعظم سلاطين بني عثمان، بل من أعظم الخلفاء المسلمين على الإطلاق، فقد دامت خلافته ثلاثاً وثلاثين سنة (١٨٧٦-١٩٠٩)م عاشها كلها وهو يناضل بكل ما أوتي من قوة للحفاظ على هذه الدولة الشاسعة الأطراف من التقسيم والانهيار، بعد أن أحاط به الطامعون والمتآمرون من

(١) المطران يوسف الدبس - تاريخ سورية - ج (٨) ص (٦٨٧).

الداخل والخارج، فقد خاضت الدولة في زمانه عدة حروب في اليونان وبلغاريا وغيرها، كما تصدّت للثورات والفتن الداخلية كثورة الأرمن سنة ١٨٩٣ وغيرهم.

وقد حاول السلطان العظيم محاولات شجاعة للنهوض بالعالم الإسلامي والوقوف في وجه الأطماع الاستعمارية، كما سجّل التاريخ له صفحة رائعة في وقوفه ضد الأطماع الصهيونية بأرض فلسطين، إلا أن جهوده الرائعة تلك باءت بالفشل لكثرة الأعداء واستشراء الداء وخاصة بعد ثورة الاتحاديين المجرمين الذين خلعوه في الثالث عشر من نيسان سنة ١٩٠٩م - رحمه الله.

أحوال الجش في هذا العهد:

في عام ١٨٨٦م صدر قانون التجنيد الإلزامي وأخذت الدولة تسوق أبناء البلاد إلى القتال في الجبهات، وإخماد الثورات الملتهبة في اكثر من مكان في جوانب السلطنة المترامية الأطراف، وأخذ الخرق يتسع على الخارق، ولم يعد بإمكان الدولة المحافظة على حدودها فانفصلت عنها بعض الأجزاء، وتسلطت الدول الاستعمارية على كثير من الممتلكات.

وسيق شباب بلدة «الجش» كما سيق غيرهم إلى الحروب في أقاصي المعمورة وفي هذا العهد قاست البلدة كثيراً من مرض الريح الأصفر (الكوليرا) الذي فتك بعدد كبير من أهاليها، حتى انه قضى على عائلات بكاملها، لم تزل قبورهم ماثلة إلى اليوم، كمقبرة (آل بليبل) التي تضم في تحويطتها المبنية من الحجر البركاني الأسود أضرحة أفراد أسرة بكاملها يرقدون تحت ظلال شجرة غرست في وسط المقبرة.

مرض الهذلان سنة ١٩٠١م:

ولم تكتف الكوارث والأوبئة بما أنزلته بالبشر، بل تعدتهم إلى الحيوانات أيضا، ففي سنة ١٩٠١ م عانت البلدة من مرض (الهذلان) وهو مرض خبيث أصاب بقر البلدة، وقضى على معظم أبقارها وثيرانها وعجولها، وإذا عرفنا أن البقر في بلادنا يستخدم في حراثة الأرض أدركنا أية مصيبة أصابت البلدة آنذاك. فقد أنزلت تلك المصيبة خسارات فادحة في الاهلين وتركت في الشعر الشعبي صدىً بعيداً وقصائد ما زال الشيوخ يتناشدونها إلى اليوم. وكانت أشهر تلك القصائد قصيدة نظمها الشاعر الشعبي (خليل أحمد إبراهيم سعد) المعروف (بالمكنّى). وهو شاعر شعبي مشهور، كانت المنطقة كلها تعرفه وتقدر فنه وتدعوه إلى الأعراس والحفلات. ومنطقة صفد بكاملها تردد

مطلع قصيدته الشعبية التي كانت بمثابة شعار الصفديين في الأفراح وفي ساحات النزال وهي:

حنا يا بنات عجيل — حنا عجيل الصفدية
عادتنا بنرد الخيل — بسيوفنا الهندية

وقد بقي حياً يرزق إلى أوائل الثلاثينات، حيث توفي تاركاً وراءه ذكريات حية لا تنسى، وشعراً ضاع كله ولم يصلنا منه إلا هذه القصيدة، ولو لم نبادر إلى كتابتها وحفظها لكان مصيرها مصير أخواتها من شعر الشاعر الكبير.

وننقل بعضها هنا لطرافتها يقول: (المكنّى) في (الهذلان)[١]:

إجا الهدلان الوافي — تيشرع بالانصاف
لاقى البلد متكافي — والعمالات فيها كثار[٢]
صار يبرم فيها ويدور — تخطم نواحي «العنقور»
من حسين عيسى طلب دستور — وحوّل عندو بأرض الدار
راح عند شحادة الطه — مسك البقرة ورماها
وقفت مريم بحداها — حسّبت منّا بيتعذر
قلا مريم لا تحكيش — لا تقولي هذا غشيش[٣]
هذا ياخذ ما بيعطيش — بيحرمك ترمي البذار
راح عند أحمد عثمان — قلّو ثبت حالك يا فهمان[٤]
مبين وجهك مش زعلان — اطلع لي الكل من الدار
من عند أحمد تعشّى — ولعند شحادة تمشّى[٥]

---

(١) تكرم علينا الأستاذ «عبد الكريم سعد» وكتب لنا هذه القصيدة التي وعتها ذاكرة والده المرحوم (محمد إبراهيم سعد). وبعث بها إلينا من (حماة) إذ كان يعيش فيها مع والده ووالدته الأرجنتينية الأصل.

(٢) العمالات: الثيران.

(٣) أهل «الجش - جسكالا» يستعملون حرف الشين دائماً في أواخر الأفعال.

(٤) أحمد عثمان: هو الجد الثاني للمؤلف كان حجة في معرفة الأنساب وصاحب معرفة في التاريخ واسعة كما يذكره معاصروه.

(٥) شحادة: هو شحادة بن ياسين قاسم أحمد الخليل، أب لعائلة كبيرة من حمولة الخلايلة ومن وجهاء «الجش - جسكالا» في زمانه.

إحـــا للعجلـــة ونشـــا و أطلعهـــا بريـــت الـــدار[1]
راح لعنـــــد هلـــــوم بكيـــت تعمـــت العيـــون[2]
قـــالت يـــا إبراهيـــم قـــوم انكســـر نـــيرك واتشـــحّر
انشـــا الله مـــا انكســـر النـــير لازم نعمـــــلاّ تدبـــــير
الســـنة منفلـــح عـــل الحمـــير وغـــير الســـنة منتدبّـــر
قـــالت تعـــو يـــا بنـــات جـــرّوه لتحـــت التينـــات
عَلَـــوّا أخوكـــن مـــات وظـــل الثـــور بـــأرض الـــدار[3]
راح عنـــد أحمـــد الحســـين صـــار يتقلـــب علجنبـــين[4]
لاقـــى عنـــدو بقرتـــين وثـــلاث أربـــع عجـــول صغـــار
صـــار حســـين يغمـــز موســـى بدنـــا شـــي شـــقفة نحوســـا[5]
قلّـــوا بلكـــي مقروصـــة؟ كلياتنـــــا بتتـــــودّر[6] [7]

ويتابع الشاعر جولته في اثر الهذلان من بيت إلى بيت، واصفاً تلك المصيبة بأسلوب تغلب عليه الفكاهة الهادئة المبطنة بشماتة معقولة.

فالقصيدة بكاملها تبدو خالية من العاطفة الجياشة ولا اثر فيها لوصف المواقف الحزينة التي وقفها أصحاب المواشي النافقة، وهي ليست أكثر من كلمات وألفاظ عادية تعتمد وزناً شعبياً معروفاً، لا يثير في النفس حزناً عميقاً أو حسرة على هؤلاء الفلاحين البسطاء الذين كانوا يفقدون في أقل من غمضة عين أعزّ ما يملكون من حيوانات كانت عمدتهم الوحيدة في حراثة أراضيهم وتحصيل أرزاقهم وأقواتهم.

(١) نشا: نفرها.

(٢) هلوم: امرأة من حارة النصارى.

(٣) عَلَوّا: بمعنى ياليت. وتستعمل للتمني.

(٤) أحمد الحسين: أحد أجداد آل العلي من «الجش - جسكالا».

(٥) حسين وموسى أولاد أحمد الحسين المذكور. (نحوسا): نقليها.

(٦) بلكي: بمعنى: ربما.

(٧) نتودّر: هنا بمعنى: نهلك.

وإذا كانت القصيدة لا تتسع لفيض من أسىً أو لشحنة من عاطفة، فيكفيها أنها سجلت بلطف بعض ما كان أجدادنا البسطاء يقاسون منه.

هذا وبالرغم من استغاثات الاهلين بالأولياء والصالحين من أمثال (الزعبي) و(سعد الدين)، كما يقول الشاعر: فإن الهذلان لم يخرج من البلدة، إلا بعد أن أطعم أهلها لحوم أبقارها ولم يترك فيها إلا كل طويل عمرٍ من الأبقار.

«الجش» في الحرب العالمية الأولى

في الوقت الذي خلع فيه السلطان (عبد الحميد الثاني) كان العالم كله يرقص على برميل من البارود، والدول العظمى آنذاك تختبئ وراء الاتفاقيات والتحالفات السرية التي جرّت العالم بأكمله إلى الحرب الكونية الأولى التي جلبت الخراب والدمار للعالم، وكادت تقضي - لولا لطف الله - على حضارة المعمورة.

وكان حادث مقتل الأرشيدوق (فرانز فرديناند) ولي عهد النمسا في ٢٨ حزيران ١٩١٤م في مدينة (سراجيفو) بمثابة إشعال فتيل الحرب التي استمرت خمس سنوات وجرّت معظم سكان العالم لخوض جحيمها وللاصطلاء بنارها.

فقد انقسم العالم إلى فريقين كبيرين متحاربين، ضم الفريق الأول كلاً من النمسا، وألمانيا، وبلغاريا، والسلطنة العثمانية، في حين ضم الفريق الثاني بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا ومن ثم أمريكا.

وخاضت هذه الدول بجيوشها معارك كثيرة في جبهات عديدة، وصراعات رهيبة أودت بحياة الملايين ولم تنته إلا بعد أن أزالت دولاً بكاملها عن سطح الكرة الأرضية وغيّرت خريطة الكون من جديد.

ونحن في الحقيقة لا يهمنا الخوض هنا بأسباب الحرب ونتائجها، بمقدار ما يهمنا تأثير تلك الحرب على بلدتنا «الجش» التي عانت مثلما عانى غيرها من قرى العالم وبلدانه من كوارث هذه الحرب اللعينة.

«الجش» وكوارث الحرب:

لقد عانت «الجش» إبان الحرب العالمية الأولى من عدة كوارث كان أهم هذه الكوارث ما يلي:

- التجنيد الإجباري (السفر برلك).
- الهجرة إلى العالم الجديد.
- الجراد.

١- التجنيد الإجباري (السفر برلك):

لما كانت (السلطنة العثمانية) حليفة لألمانيا في هذه الحرب، وكان الطرفان قد وقعا اتفاقية سرية قبيل الحرب، كان لا بد للسلطنة من القيام بالتزاماتها الحربية تجاه حليفتها التي راحت تخوض ميادين القتال على جبهات متعددة في فرنسا وروسيا بشجاعة لا مثيل لها. ولما كانت الحرب كالغول أو كالرحى الضروس التي تأكل الأرواح بالملايين. كان لابد لقادة الحرب من إعلان النفير العام في كافة أنحاء المعمورة، وجر الشباب والشيوخ وحتى الصبية إلى ساحات هذه الحرب.

وكان هذا شأن السلطنة، فقد أعلنت النفير العام، وأخذت تسوق كل من يصلح للحرب إلى ميادين القتال.

وكان نصيب بلدتنا الصغيرة التي لم يكن عدد سكانها يتجاوز آنذاك الألف شخص نصفهم من غير المسلمين لائحة تضم ستة وتسعين اسماً دعوا إلى الالتحاق بقطعاتهم في أسرع وقت.

وكان أشهر أولئك الذين شاركوا في هذه الحرب من ابناء البلدة واستشهدوا هم كما يلي:

١- أحمد محمود صالح خلايلة: مات في عمان أثناء الحرب.

٢- محمود محمد أحمد خلايلة: مات في دمشق الشام.

٣- علي محمد علي أحمد خلايلة: المعروف (بعلي ذيبة) نسبة إلى أمه (ذيبة الأسدي) ذهب إلى الحرب في(بلغاريا) وانقطعت أخباره ولم يعد بعد الحرب.

٤- صالح أيوب: قتل في حرب بلغاريا.

٥- سعيد أحمد أيوب: أخذ مأذونية من (شنا قلعة) ومات في دمشق.

٦- قاسم محمد أيوب: المعروف بقاسم زهرة وهو من الشجعان المعدودين كما ذكر معاصروه، مات في سجن القلعة في دمشق، وكان محكوماً لضربه عريفاً في (بنت جبيل) وروى بعضهم أن سلطات السجن قتلته بالسم لظهور بوادر قومية عربية مبكرة عنده.

٧- سعيد عبد الكريم زيدان: مات في طبرية.

٨ - نايف عبد الكريم زيدان: مات أيضا مع أخيه في طبرية.

٩- علي سعد المعروف بالبلطجي:مات أثناء الحرب في (عين العجلة) بأراضي الحولة.

١٠- إبراهيم احمد سعد: مات في حرب اليمن.

١١- أحمد عوض أبو زينب: قتل في (باقو) على بحر الخزر. وهي اليوم إحدى مدن الاتحاد السوفييتي.

١٢- موسى أحمد عيسى كلثوم: ركب من (جلابولي) ومات في البحر قبل الوصول إلى (ميدوس).

أما الذين خاضوا غمار هذه الحرب وعادوا سالمين فهم:

١- عمر عبد اللطيف الخلايلة: عاد من الحرب سالماً وتوفي في (الجش) عام ١٩٤٧ عن عمر يناهز السبعين سنة.

٢- محمد حسين علي أحمد الخلايلة: المعروف بمحمد خزنة والمكنى بأبي سرحان توفي ودفن في (الجش) في الأربعينات.

٣- عثمان أحمد عثمان علي أحمد الخلايلة: (جد كاتب هذه السطور لأبيه) عاد سالماً وعمر إلى أن بلغ المائة تقريبا وتوفي في (الجش) بعد النكبة ودفن فيها في مطلع عام (١٩٥١)م.

٤- حسين علي حسين العلي: عاد سالما وعمر حتى بلغ المائة وتوفي ودفن في (حماه) في أوائل الستينات. وهو جد زوجة كاتب هذه السيطور لأمها.

٥- حسن مصطفى قاسم زامل: المعروف بحسن بركة، عاد سالما ودفن قبيل النكبة في (حيفا).

٦- حسين كريم حسين علي أحمد الخلايلة: عاد سالما وتوفي ودفن في (حمص) بعد النكبة عن عمر يناهز الثمانين في أواخر الستينات.

٧- قاسم عبد اللطيف محمد علي أحمد الخلايلة: توفي في طرابلس الشام في لبنان بعد النكبة عن عمر يناهز عمر أخيه (عمر) عام (١٩٤٩).

٨ - قاسم محمد أبو جوهر الخلايلة: عاد سالما بعد أن أسر في الاتحاد السوفياتي وطال عمره حتى نيف على المائة، وتوفي ودفن في (حلب) بمقبرة (النيرب) عام ١٩٧٣م. ومنه استقينا معظم هذه الأخبار.

٩- ياسين حسن سعد: توفي في (الجش) بعد النكبة لأنه لم يهاجر.

١٠- علي مصطفى قاسم أبو زينب (المعروف بعلي شهينة) عاد سالما ولجأ إلى لبنان بعد النكبة وفيه توفي في أوائل الخمسينات.

١١- محمود يوسف أحمد الخلايلة: عاد سالما وانتخب مختارا بعد ابن عمه (محمود محمد أحمد)

وهاجر إلى لبنان بعد النكبة وتوفي في طرابلس الشام في تموز عام ١٩٥٦ م ودفن في تربة المينا.

١٢ـ حسين احمد حسين العلي: المعروف بالنحوي. هاجر بعد النكبة إلى سورية وتوفي في (مخيم النيرب) (حلب) في أوائل الخمسينات ودفن هناك.

١٣ـ أحمد عبد الله عزام: توفي في (مخيم النيرب) في أوائل السبعينات عن عمر يناهز السبعين.

هذه هي الأسماء التي وعتها ذاكرة المرحوم الحاج (قاسم محمد أبو جوهر الخلايلة) وهي لا تتجاوز الستة والعشرين اسماً من اصل ستة وتسعين اسماً، فقد غابت بقية الأسماء في طي النسيان، ولا يسعنا والحالة هذه إلا أن نستمطر شآبيب الرحمة على كل تلك الأرواح الطاهرة... فقد أصبحت كلها في ذمة الله.

٢ـ الهجرة إلى العالم الجديد:

كانت أسباب الهجرة إلى العالم الجديد، كثيرة ومتنوعة ولعل التجنيد الإجباري الذي كانت مدته تطول إلى العشرين سنة كان أحد أسباب الهجرة إضافة إلى الأوضاع السيئة التي عاشتها بلادنا في أواخر العهد العثماني من فقر وتأخر وفقدان للحرية وما إلى ذلك... وفي اعتقادي أن هناك سبباً آخر مهما نسيه الباحثون في أسباب هذه الهجرة ألا وهو مطامع الصهيونية في ارض فلسطين بعد الحرب فأخذت تنشر الشائعات عن غنى المهاجرين إلى أمريكا اللاتينية وهي تبغي من وراء شائعاتها ودسائسها تلك إلى تفريغ البلاد التي تطمح إلى الاستيلاء عليها من عناصر الشباب... وهكذا كان.

فقد أخذت الأعداد الكبيرة من أبناء بلادنا لا سيما أبناء ولاية (بيروت) بقسميها الشمالي والجنوبي تهاجر إلى العالم الجديد تاركة وراءها وطناً معذّباً. وكانوا يحلمون بالمال والحرية ... وبالخلاص من النير العثماني.

وهاجر أبناء بلدتنا «الجش» كما هاجر غيرهم من أبناء فلسطين ولبنان وسورية. حتى بلغ عدد المغتربين من أبناء البلدة مائة وثمانين رجلاً يمكن أن نقسمهم إلى قسمين:

١ـ قسم هاجر ولم يعد.

٢ـ قسم هاجر وأقام في المهجر مدداً متفاوتة ثم عاد إلى أرض الوطن، وأشهر الذين هاجروا ولم يعودوا هم:

المغترب محمد عبد الحليم الخطيب وزوجته

المغترب أحمد خليل أحمد الخليلي وزوجته

١ـ محمد حسن حسين الخلايلة: هاجر إلى الأرجنتين وله فيها أولاد إلى اليوم.

٢ـ محمود جوهر الخلايلة: توفي في الأرجنتين وترك عقباً فيها.

٣ـ حسين محمد جوهر الخلايلة: مات في الأرجنتين ولم يترك عقباً.

٤ـ عيسى محمد احمد الخلايلة: مات أيضا في الأرجنتين.

٥ـ علي إبراهيم الشيخ الخلايلة: مات في الأرجنتين ولم يتزوج.

٦ـ أحمد الشيخ عمر سعد: مات في الأرجنتين.

٧ـ طه الشيخ عمر سعد: مات في الأرجنتين.

٨ ـ محمود علي غنيم سعد: مات في الأرجنتين.

٩ـ إبراهيم علي غنيم سعد: مات في الأرجنتين كأخيه محمود.

١٠ـ محمد عبد الحليم احمد بليبل: هاجر إلى الأرجنتين وله فيها عقب يشكل عائلة كبيرة تزيد على الثلاثين، وله ثلاثة أولاد ذكور (عبد الكريم) و(اسماعيل) و(عمر) وجميعهم لا يزالون أحياء ولهم عائلات وأولاد وأحفاد ويسكنون الأرجنتين والولايات المتحدة الأمريكية. توفي رحمه الله في الأرجنتين ودفن هناك.

أما الذين هاجروا وأقاموا مدة في المغترب ثم عادوا إلى ارض الوطن فهم:

١- إبراهيم عثمان الخلايلة: والد كاتب هذه السطور، هاجر إلى الأرجنتين وبقي فيها عشر سنوات، ثم عاد إلى «الجش» ولجأ إلى سورية بعد النكبة وتوفي في دمشق ودفن في مقبرة (الشيخ رسلان) في ١٩٦٤/١٢/٢٨م.

٢- محمود يوسف احمد الخلايلة: هاجر إلى الأرجنتين بعد عودته من «السفر برلك» وأقام فيها مدة ثم عاد إلى (الجش) ولجأ إلى لبنان بعد النكبة وتوفي في طرابلس - لبنان، ودفن في (تربة المينا) في تموز ١٩٥٦م.

٣- محمد يوسف احمد الخلايلة: توفي في دمشق في ١٩٧٦/٥/١٢م ودفن في مقبرة مخيم اليرموك.

٤- كريم يوسف احمد الخلايلة: توفي في دمشق ودفن في مخيم اليرموك في ٢٨/أيلول/ ١٩٦٨م.

٥- إبراهيم يوسف احمد الخلايلة: توفي في «الجش» عام ١٩٤٨م ودفن هناك.

٦- يوسف بن إبراهيم الشيخ الخلايلة: توفي في «الجش» بعد النكبة في أوائل الخمسينات لأنه لم يترك البلدة بعد الاحتلال الصهيوني.

٧- سعيد عمر عبد اللطيف الخلايلة: توفي في مخيم النيرب بحلب في ١٩٥٤/١١/١١م ودفن هناك.

٨ - عبد اللطيف محمد احمد الخلايلة: وهو أحد مخاتير «الجش» في زمانه... ومن رجالها المشهورين المعدودين كرماً وخلقاً وتقىً. توفي في «الجش» عام ١٩٣٧م... بعد إجراء عملية الزائدة الدودية له.

٩- قاسم محمد احمد الخلايلة: وهو أخو عبد اللطيف السابق الذكر، عاد بعد الهجرة إلى «الجش» ثم لجأ إلى سورية بعد النكبة، وتوفي في (حمص) في تشرين الثاني عام ١٩٦٩م ودفن هناك.

١٠- محمد اسعد ياسين الخلايلة: توفي في «الجش» عام ١٩٤٨ م قبيل النكبة بقليل.

١١- أحمد خليل احمد الخلايلة: وهو أيضا أحد مخاتير بلدتنا «الجش» هاجر إلى الأرجنتين قبيل الحرب، وتزوج من(مادلين زندر) المولودة في (روساليو سانتافيه) عام ١٩٠٦ من أب ألماني وأم إيطالية. وقد جاءت معه إلى «الجش» وعاشت فيها مدة من الزمان إلى أن لجأ بأولادهما إلى (حمص) وتوفي فيها في ٣ أيار ١٩٥٩م.

أما (مادلين) (أم العبد) فقد توفيت في (حمص) عام ١٩٧١ م. وقد رزقا ولدهما (عبد الكريم)، وهو صيدلي مرموق في (حمص) اليوم، في الأرجنتين في ١٩٢١/١١/٢٨م.

١٢- محمد عبد الله عزام: هاجر إلى الأرجنتين وتزوج فيها (نيليدا سلفادور بيليس) من مواليد (روساليو سانتافيه) عام ١٩١١م، ورزق فيها ابنته (بدرة) أو (بلانكا) وابنه (محمود) أو (منويل). بقي في الجش ولم يهاجر وقتله اليهود أثناء احتلالهم البلدة في تشرين ثاني عام ١٩٤٨م بينما لجأت زوجته مع أولادها إلى (حلب) وتوفيت فيها في أوائل السبعينات.

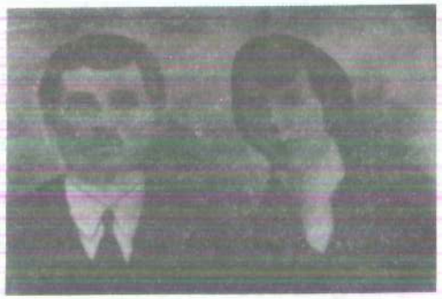

المرحوم محمد عبد الله عزام وزوجته

المرحوم محمد ابراهيم سعد وزوجته وأولاده

١٣- محمد إبراهيم سعد: هاجر إلى الأرجنتين عام ١٩١٠م وأقام في (بوينس ايرس) و(روساليو سانتافيه) وتزوج من (بلنتينا غونسالي سبستيان) ورزق فيها ولداه (إبراهيم عام ١٩٣٢م) و(خليل عام ١٩٣٤) وعاد إلى «الجش» بصحبة زوجته الجميلة ورزق في «الجش» ولده (علي عام ١٩٣٩) أما ابنه عبد الكريم فهو من مواليد (حماه). ثم انتقل بأولاده إلى (دمشق) وتوفي في (مخيم اليرموك) في ١٩٧١/٥/٢١، ودفن هناك.

١٤- محمد عبد اللطيف عزام: المعروف بمحمد عيشة، هاجر إلى الأرجنتين وعاد وتوفي في (الجش) قبل النكبة.

١٥- محمد سعيد عزام: توفي في «الجش» قبيل النكبة.

١٦- اسماعيل سعيد عزام: توفي في مخيم النيرب في ١٩٦٢/١١/٢٤.

١٧- مصطفى أيوب: توفي في(حمص) في ١٩٥٤/٩/٢٦.

١٨- عبد الله أيوب: توفي في حمص أيضاً.

١٩- علي محمد أيوب: توفي في(الجش) قبيل النكبة.

٢٠- كايد نايف زيدان: توفي في مخيم النيرب بحلب في أواخر الخمسينات.

٢١- خليل أحمد زيدان: هاجر إلى الأرجنتين، وأصيبت إحدى رجليه في حادثة قطار فقطع مشطها، عاد إلى البلدة، ولجأ إلى (حلب) بعد النكبة. ثم رحل بأولاده إلى (دمشق) وتوفي فيها في ١٩٥٩/٦/١٦م. ودفن في مقبرة الشيخ رسلان.

٢٢- أحمد حسين عيسى كلثوم - المعروف بالزين: وهو أحد وجهاء «الجش» في زمانه، توفي في «الجش» عام ١٩٤٤م، ولم يترك أولاداً ذكوراً.

٢٣- سعيد عبد الغني محمد أحمد الخلايلة: توفي في «الجش» في الأربعينات ولم يترك عقباً.

٢٤- أما حسين كريم خلايلة، وعمر عبد اللطيف خلايلة، ومحمد عبد اللطيف الخلايلة فقد هاجروا إلى الأرجنتين بعد الحرب، وعادوا إلى «الجش» وقد سبقت الإشارة إليهم.

رحمهم الله جميعاً، فقد انتقلوا إلى رحمة الله، بعد أن تركوا لنا ذكريات جميلة عن دنيا اغترابهم، وكم قصّوا علينا القصص الرائعة عن حياة العالم الجديد في لياليا الطويلة إلى جانب المواقد في فصول الشتاء القرّة.

الجراد:

كان غزو الجراد لبلادنا إبان الحرب ثالثة الأثافي ونكبة من أعظم النكبات التي شهدتها بلادنا في تاريخها الطويل.

ففي الوقت الذي كانت فيه الحرب على اشدّها والناس والدولة أحوج ما يكونون إلى المواد الغذائية: داهمت أرجال الجراد البلاد في ربيع عام ١٩١٥م، وفتكت بالمزروعات.

فقد أفاق أهالي «الجش - جسكالا» ذات صباح ليبصروا أرجالاً كثيفة من الجراد تحوم في سمائهم وتحجب قرص الشمس، ثم تحط في حقولهم وكرومهم وبساتينهم وغاباتهم، مالئة الأغوار والسفوح والمنحدرات، ومغطية التراب والصخور وغصون الأشجار وسطوح المنازل والعرصات.

وينبري لها الأهلون البسطاء بأساليبهم البدائية، من هش بالعصي وقرقعة بصفائح التنك، ولكن هيهات. فقد تكاثر الجراد بين طيار وزحاف ولم تمض زحوفه وأرجاله إلا بعد أن قضت على كل شيء أخضر.. وانتزعت اللقمة من أفواه الفلاحين الجياع، كما حرمت بهائمهم وحيواناتهم من مراعيها.

وكانت فاجعة قاسية تلك التي نزلت في البلاد، فمسكين ذلك الذي لم يختزن من غلة العام الفائت كفايته أو بعضها، فقد غلا ثمن المحصول وفقدت المواد الغذائية، وأحاق بالناس جوع كافر رهيب. فبيعت الأملاك والعقارات الثمينة ببعض القوت، فكم من بستان يساوي الألوف من الليرات بيع بمد من طحين، وكم من جائع قتله الجوع وهو يحلم بكسرة من رغيف.

ومر عام قاس رهيب، وظل المعمرون من أهالي بلدتنا يتندرون على تلك الأيام العصيبة، ويذكرون كيف أكلوا لحاء الشجر والبلوط وأي شيء كان يمكن للمعدة الإنسانية أن تهضمه.. ومر العام المشؤوم ذاك، وأثمرت حقول الفول أول ما أثمرت في العام الثاني، وعاد الفلاحون البسطاء يملأون معدهم بعد طول خواء.

الحياة الاجتماعية في «الجش» في أواخر العهد العثماني

عاشت «الجش» أسوأ أيام حياتها في أواخر العهد العثماني. فالكوليرا، والهذلان، والجراد، ومن ثم الفقر والجوع والمرض، كانت كلها السمات الأساسية لذلك العهد المظلم.

وتلك السمات جرت البلدة إلى تأخر عجيب لا مثيل له، حتى أصبح من النادر أن تجد واحدا من أهاليها يحسن القراءة أو الكتابة - اللهم - عدا إمام المسجد الشيخ (عبد الحليم بليبل) والذي كان بدوره أقرب إلى الأمية منه إلى العلم.

فقد ران الجهل، وسيطرت الأمية، بسبب الفقر المدقع الذي منع الأهلين من الرحلة في طلب العلم، مع أنهم كانوا في عصور سابقة يرسلون أبناءهم إلى (الأزهر) الشريف، أو إلى (استنبول) أو (بيروت) لتلقي العلم. أما في هذا العهد، فتراهم يكتفون بقراءة القرآن الكريم في مسجد البلدة دون الطموح إلى تعلم الكتابة أو الحساب.

لهذا فقد تفشى الجهل على صورة مزرية لم تعرف البلدة لها مثيلا في سالفات أيامها. وإبان الحرب العالمية الأولى، حاولت السلطات العثمانية أن تتدارك الأمر، فافتتحت في البلدة مدرسة ابتدائية، ولكن لم يكتب لها النجاح، إذ سرعان ما أغلقت أبوابها، وعادت البلدة إلى سيرتها الأولى.

الزراعة:

أما من حيث الزراعة والإنتاج الزراعي، فقد كانت أيضا على حالة يرثى لها من التأخر، فبالرغم من أن المنتجات الزراعية والحيوانية كانت المورد الأساسي للأهلين، وكنا رأينا ازدهار الزراعة والبستنة فيما سبق من عهود، إلا أن سوق الرجال والشبان إلى الخدمة الإجبارية، وموت الأبقار بسبب مرض الهذلان، كل ذلك جعل الزراعة تتأخر تأخرا فظيعا، فخربت كروم العنب التي كانت تزنر البلدة من جهاتها الأربع، وتوقفت زراعة القطن والتبغ التي نشطت في عهد (محمد علي باشا) بسبب نقص الأيدي العاملة. وقيام النساء والصبية بالأعمال الزراعية، ولهذا تراجع الإنتاج، وأصبح البيت المستور هو الذي يستطيع أن يقي أفواه ذويه الجوع.

الصناعة:

وطيلة هذا العهد لم تعرف البلدة أي نوع من الصناعة، حتى الأنوال التي كانت تغزل القطن والصوف فيما مضى نراها تتوقف الآن عن غزلها إلى غير رجعة.

التجارة:

وتدهورت الأعمال التجارية بشكل ملحوظ، وأغلق الخان الوحيد الذي عرفته البلدة أبوابه في وجه المكارين والتجار المتنقلين، فقد أصبح من العسير عليهم القيام بأعمالهم، بعد أن تهددت السابلة من قبل اللصوص وقطاع الطرق والجنود الفارين. وبعد أن كثرت حوادث السرقة والسطو ونقب البيوت ونهب محتوياتها وسرقة المواشي والاعتداء على الآمنين. أما الضرائب فقد أصبحت تشكل عبئا كبيرا على دافعيها، وأخذ الفلاح الساذج البسيط يئن تحت وطأتها دون أن يجد من يرأف لحاله أو يستمع لشكواه. كل هذه الأحوال السيئة التي تعرضت لها البلدة، جعلتها تعيش أسوأ أيام حياتها وأوصلتها إلى درك أسفل من التأخر والانحطاط.

التحول في زعامة البلدة:

وفي هذا العهد تحولت زعامة البلدة إلى (فخذ) آخر من حمولة (الخلايلة). فبعد أن كانت مشيختها بيد شيخها الكبير (علي أحمد الخليل) طيلة أيام حياته المديدة السعيدة، نراها تنتقل في هذا العهد إلى أيدي أبناء أخيه (محمد أحمد الخليل). والحقيقة أن أحوال أبناء الشيخ (علي) قد تأخرت كثيرا في أخريات أيامه، فقد توفي ولده (عثمان) شاباً وبقي له ولدان هما (محمد العلي) و(حسين

العلي). ثم توفي الشيخ (علي) وهلكت مواشي أولاده التي كانت تعد بألوف رؤوس الماعز، بسبب سيل عارم داهمها ذات شتاء فجرف منها ما جرف وغرز منها ما غرز في سهل (الشوط) القريب من البلدة، ولم يستطع كل أهالي البلدة والبلدان المجاورة الذين هبوا لنجدتها من إنقاذ شيء منها.

وبضعف فخذ الشيخ (علي الأحمد) انتقلت مشيخة البلدة إلى ابن ابن أخيه (محمد أحمد بن محمد أحمد الخليل) وكان قد أنجب سبعة أولاد شدوا أزره وحموا ظهره في بيئة لا تحسب إلا لعدد الرجال حساباً.

أما أولاد (محمد أحمد) فهم (محمود وقاسم وعيسى وعلي وعبد الغني وعبد اللطيف وكريم) وقد سبق ذكر بعضهم فيمن هاجر إلى الأرجنتين أو فيمن اشترك بالسفر برلك. وليس منهم أحد الآن على قيد الحياة، فقد توفي آخرهم المدعو (كريم محمد) في شتاء عام ١٩٧١ م ودفن في (حمص). إلا أنهم تركوا خلفهم جيشا لجبا من الأحفاد يعيش الآن في عدد من المدن السورية وخاصة (دمشق وحمص وحلب) بينهم عدد من الشباب المثقف.

عبد الرحمن عزيز:

ومما يجدر ذكره في هذا المجال، أن رجلا تركيا من الأناضول يدعى (عزيز أفندي) جاء إلى مدينة (عكا) بعد أن عين (متسلما) لها إثر خروج المصريين من بلاد الشام، وكان (عزيز أفندي) هذا تقيا صالحا، أحسن معاملة الأهلين فأحبوه، ونشأ بينه وبين الشيخ (علي أحمد الخليل) صداقة متينة بحكم اتصال الشيخ بدوائر الحكومة وكان أن توفيت زوجته التركية في (عكا)... فخطب (عزيز أفندي) إلى الشيخ (علي الأحمد) حفيدته (زهرة الحسين) فزوجه إياها، وأنجب منها ولدين وابنتين، هم (عبد الرحمن عزيز) و(توفيق عزيز) و(شريفة وأمون العزيز). وتوفي (عزيز أفندي) عن زوجه وأولاده الصغار، فعادت الأم إلى بيت والدها في (الجش).

وشب (عبد الرحمن عزيز) في بيت جده لأمه (حسين علي الأحمد) على غير مثال، ذكيا فطنا لبيبا، وآنس منه جده مخايل الذكاء والنجابة. فأرسله إلى (السلط) ثم إلى (اسطنبول) فدرس الحقوق، وعاد إلى (الجش) ومنها إلى (عكا) ليزاول مهنة المحاماة، وليعمل في الوظائف الحكومية.

وظل (عبد الرحمن) على اتصال دائم ببلدة أخواله «الجش» وبنى فيها داراً فاخرة تعتبر من أجمل دور زمانها، وعاد هو بدوره وتزوج امرأتين من (الجش) هما (حشمة البيكة) من (آل سعد)

و(زهرة العلي) من (آل الخطيب). إلا أنه لم ينجب أولاداً ولا بنات. ومات في (عكا) عن عم يناهز السبعين سنة قبيل الحرب العالمية الأولى.

محمد جمال بن توفيق عزيز صفد / فلسطين ١٩٢٤

وبيعت داره الجميلة الرائعة بعد وفاته، وكانت من نصيب (أحمد حسين عيسى) المعروف بالزين، ثم انتقلت بعد وفاة الزين إلى ملكية أخيه (محمد حسين عيسى) المعروف بأبي يحيى.

وتزوجت زوجته (حشمة) من (أمين درويش السلطي) من أهالي (صفد) في حين تزوجت (زهرة العلي) من (محمد العبد كعوش) أحد وجهاء قرية (ميرون).

مجلس سمر في دار عبد الرحمن عزيز:

ظلت دار (عبد الرحمن عزيز) طيلة حياته، ملتقى للأضياف والزوار، وظل ديوانه عامرا بالسهرات، والتف حوله أهالي البلدة جميعهم، بعد أن أحبهم وأحبوه، وأحسن خدمتهم والدفاع عنهم في دوائر الدولة، وكانت مجالس السمر تعقد في هذه الدار إلى مطلع الفجر.

ولعل من المفيد والممتع في آن واحد، أن ننقل للقارئ الكريم بعض ما كان يدور في تلك المجالس. ففي إحدى الأمسيات، يختتم (عبد الرحمن) السهرة ببيت من العتابا، ويرد عليه كل من الحاضرين ببيت مماثل فكانت هذه المساجلة العذبة:

الافندي (عبد الرحمن عزيز):

ركبنا الخيل بسروج تعلى — وحطينا في قلوب الضد علة
يا جيف عا ديرة كانت لأهلنا — غدت ميدان لخيول العدابا

توفيق بن محمد جمال بن توفيق عزيز ـ عمان الأردن عام ١٩٩٧

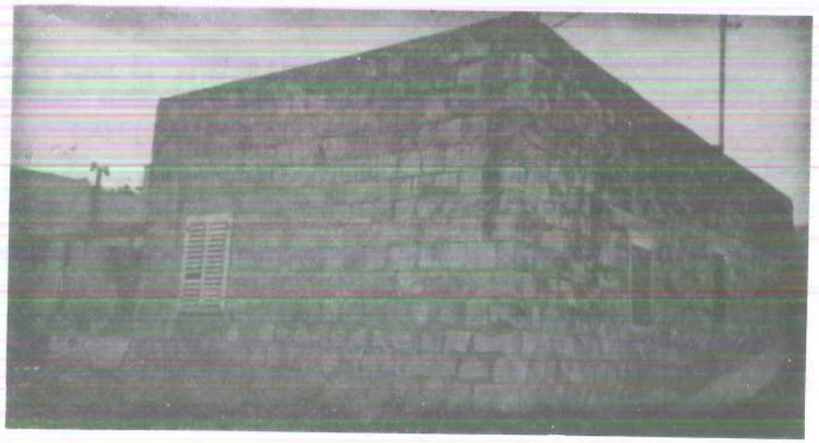

منزل والد المؤلف

أبو نايف (عبد الكريم زيدان):

ركبنا الخيل وألحنا بدينا — شراف ونذبح الحايل بدينا
أكم قليعة جبنا بدينا — جبنا الحق والباطل سوابا

صورة لبيت تقليدي قديم

علي أيوب المعروف بعلي شيخة:

ركبوا الخيل بيدن سيف ماضي　　عجيل ويطردون أولاد ماضي

أنا لو قطعوني بسيف ماضي　　مظن أحيد من وجه العدايا

قاسم محمد أبو جوهر الخلايلة:

شدوا لي على سابق من الطيب　　وكني شارب القهوة مع الطيب

جيت الدار شبان معا طيب　　نشامى والشوارب واقفابها

يوسف سعيد عزام:

أبو خد يد عليه الورد عمّال　　وجرح بالقلب دوّد وعمّل

يَربي ويش بلاني بناس همّل　　بجم ما بيفهموا ردّ الجوابا

وغضب الأفندي لسوء مقاله، وطرده من مجلسه شر طردة.

رحيمة:

ولعل ما يذكر في هذا المجال، أن رجلاً من أهل «الجش» يدعى «عبد الرحيم زيدان» ويلقب برحيمة، عاش في هذه الفترة، وكان صاحب فكاهة وحيلة، إضافة إلى كونه قوياً أيّداً.

وقد دعي (رحيمة) هذا إلى الجندية مع المدعوين، فذهب إلى (عكا) لإجراء الفحوص الطبية، ووقف مع الواقفين على شاطئ (عكا) انتظاراً لدوره، وكان قد وضع الفلفل في عينيه وادعى العمى تهرباً من الجندية.

وفيما هو ينتظر مع المنتظرين، خرج من بين الصفوف شاب درزي مزهو بشبابه وقوته، يريد المصارعة على عادة أهل ذلك الزمان كلما اجتمعوا في حشد. وقف الشاب صائحاً: من يبارزني؟ من يباطحني؟ وأخذ الشباب ينظرون إليه متهيبين منازلته لكبر جسمه وعظم هامته. إلا انه اشتط في طلب المبارزة، وأخذ يتحدى أهل الساحل،أهل الجبل صائحاً: (حراج ساحل جبل)[1] فتضايق منه أهل الجبل والتفوا حول (رحيمة) يشجعونه على منازلته وهم يعرفون مدى قوته.

ورفض (رحيمة) المنازلة بادئ الأمر بحجة أن السلطات لن تعفيه من الجندية إذا عرفت حقيقة أمره. ولما ضمن له أهل الجبل مؤونة سنة كاملة إذا سيق إلى الجندية، قفز إلى الساحة بشجاعة وصاح بالمتحدي (ولاك قل ساحل ولا تقل جبل) ولم يستجب له خصمه بل ظل على غطرسته، فما كان من رحيمة إلا أن هجم عليه وألقى به على كاهله، واخذ يفتل به في الساحة بسرعة مذهلة حتى افقده وعيه، وطرحه أرضا دون حراك وقد قذف ما بمعدته وعلا الزبد على شدقيه، ووقف (رحيمة) يرمقه بتشفٍ بين تصفيق المعجبين وصياحهم.

أسرعت زوجة الدرزي إليه تؤنبه وتقول له: كم قلت لك: لا تتحدّ أهل الجبل فلم تسمع كلامي.

ودخل (رحيمة) إلى الفحص الطبي، فأعفي من الجندية لضعف بصره وعاد إلى «الجش».

---

(١) حراج: كلمة دارجة في لغة أهل «الجش» المحكية وتفيد معنى التحدي.

الفصل السابع

منذ الاحتلال البريطاني حتى عام النكبة ١٩٤٨م

الجش في العهد البريطاني الأسود:

انجلت غمرة الحرب العالمية الأولى عن انتصار باهر للحلفاء من إنجليز وفرنسيين، وعن هزيمة ساحقة للألمان والعثمانيين وأخذ نفوذ العثمانيين يتقلص بسرعة مذهلة عن بلاد الشام، سيما بعد أن أخذت طلائع الجيش العربي بالتقدم على عدة محاور بقيادة المغفور له الأمير (فيصل بن الحسين) وذلك بعد إعلان والده شريف مكة (الحسين بن علي) الثورة على العثمانيين، ودخول الحرب إلى جانب الحلفاء (١٠ حزيران ١٩١٦). وفي الوقت الذي كانت فيه القوات العربية تتقدم إلى (دمشق) و(بيروت) وترفع على دوائرها الحكومية رايةَ العروبة، كانت الجيوش البريطانية تزحف بقيادة الجنرال (اللنبي) لتحتل بيت المقدس، وتفرض سيطرتها على كافة البلاد الواقعة غربي الأردن والمسماة بـ (فلسطين).

ولم يأت اليوم الثاني والعشرون من أيلول سنة ١٩١٨م حتى أتمت القوات البريطانية سيطرتها على كامل التراب الفلسطيني. وأخذت تدير البلاد بواسطة مندوب سامي بريطاني صهيوني هو (هربرت صموئيل).

الذي أخذ على عاتقه إدارة البلاد بأسلوب تعسفي يبغي من ورائه تنفيذ بنود اتفاقية الخيانة (اتفاقية سايكس ـ بيكو) سنة ١٩١٦ لتقسيم بلاد المشرق العربي (العراق، سورية، لبنان، فلسطين) إلى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية، وإطلاق يد الصهاينة في فلسطين حسب وعد (بلفور) المشؤوم ٢ تشرين الثاني ١٩١٧.

وتلاحقت الأحداث بسرعة على ساحة الأرض الشامية، ففي أقل من سنتين على نهاية الحرب العالمية الأولى، انهار استقلال المملكة السورية بزعامة المغفور له جلالة الملك (فيصل بن الحسين) وزحفت القوات الفرنسية الباغية بقيادة الجنرال (غورو) على (دمشق) وسحقت الجيش العربي الفتي في بطاح (ميسلون) في الرابع والعشرين من تموز عام ١٩٢٠م واستشهد وزير الحربية السوري البطل يوسف العظمة.

وانهارت الآمال العربية العريضة التي ملأت صدور الأحرار العرب والتي بذلوا من أجلها كل غال ورخيص، وذوت أزاهير الحرية التي لم يكتمل تفتحها، بعد أن داستها سنابك خيل الفرنجة من جديد.

وأسدل الستار على فصل من أبشع فصول المأساة، ووجد العرب في (فلسطين) و(الشام) و(العراق) وجها لوجه أمام الغدر البريطاني الذي اغتال براءتهم وحطم آمالهم.

الثورات المتعاقبة وكفاح البلدة (١٩٣٦-١٩٣٩):

أصيب العرب في (فلسطين) بخيبة أمل كبيرة، بعد أن أحسوا بالتواطؤ البريطاني الصهيوني، وأخذوا يرون بأم أعينهم ألوف المهاجرين من اليهود يتسللون إلى (فلسطين) بمعونة الغدر البريطاني، وأخذت البلاد تتأهب للثورة بزعامة مفتي (فلسطين) الأكبر ورئيس اللجنة العربية العليا سماحة الحاج (محمد أمين الحسيني)[1] طيب الله ثراه.

وأخذت الثورة أشكالا متعددة، من مظاهرات وإضرابات واصطدامات مع السلطات البريطانية وأعوانها الصهاينة إلى أن عمت كامل التراب الفلسطيني في السنوات ١٩٢٩- ١٩٣٦- ١٩٣٩.

---

(١) هو زعيم فلسطين الأكبر وسيد ساداتها وقائد ثوراتها وانتفاضاتها، والمناضل الشجاع الجريء، الذي لم تعرف له دنيا العروبة مثيلاً.

- ولد في القدس عام (١٨٩٨) وتلقى تعليمه الأولي والثانوي فيها، ثم التحق بالجامع الأزهر، كما حضر الدروس والمحاضرات في كلية الآداب في الجامعة المصرية.
- في الحرب العالمية الأولى تخرج ضابطاً في الجيش العثماني في (استنبول) والتحق بالفرقة (٦٤) التي كانت مرابطة في ولاية (ازمير).
- عاد إلى فلسطين بعد الحرب، ليستقبل عهداً جديداً من الكفاح والنضال في سبيل وطنه (فلسطين) وأمته العربية، وعمل على تأليف الجمعيات والأندية العلمية والثقافية والسياسية، وبث روح النهضة والحرية في شبان العرب. وقاد الحركة الوطنية الفلسطينية.
- انتخب سماحته عام (١٩٣٦) بإجماع أحزاب فلسطين لرئاسة اللجنة العربية العليا التي أدارت الثورة في اشد الأوقات خطورة واضطلع بالعبء كاملاً، وفي عام ١٩٤٦م انتخب سماحته لرئاسة الهيئة العربية العليا، وشرع بتنظيم صفوف الفلسطينيين لاستئناف الجهاد لتحرير فلسطين. تنقل في البلاد العربية والأجنبية خدمة لبلاده، ولقي صنوف الضغوط والملاحقات والمضايقات بنفس صابرة مؤمنة شجاعة إلى أن لاقى وجه ربه بعد ظهر ١٩٧٤/٧/٤ في بيروت... وفقدت فلسطين بفقده الزعيم الأمثل والقائد المحنك والمناضل الشجاع المخلص، وتنفس الصهاينة الصعداء لفقده رحمه الله رحمة واسعة.

المرحوم الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر

الجش في ثورتي ١٩٣٦-١٩٣٩:

كان اشتراك أهالي (الجش) في ثورة عام (١٩٢٩) محدودا كغيرها من بقية بلدان فلسطين الشمالية، لبعدها عن مراكز الصدام الحارة في وسط فلسطين (القدس) (يافا) و(نابلس) و(الخليل) وغيرها، إلا أن استمرار الثورة الشجاعة، جعلها تشمل كافة المناطق الفلسطينية من أقصاها إلى أقصاها.

ولم يأت عام (١٩٣٦) حتى كانت(الجش) على أهبة الاستعداد للاشتراك في كافة المعارك، وأخذ ثوارها الأشاوس يهاجمون نقاط الجيش البريطاني، وحرس الحدود، ويتصدون للدوريات العسكرية المصفحة. كما كلف ثوار (الجش) الأبطال، وثوار البلدان المجاورة مثل (الصفصاف) و(طيطبا) و(دلاتا) و(قديثا) و(الرأس الأحمر) و(سعسع) و(ميرون) بقطع الطريق الشمالية التي عبدتها السلطات البريطانية على طول الحدود الشمالية اللبنانية الفلسطينية وحصنتها بالأسلاك الشائكة والألغام، وسيرت عليها الدوريات الآلية المسلحة لضبط الحدود ومنع تهريب الأسلحة من (سورية) و(لبنان) إلى رجال الثورة الفلسطينية.

وأخذت السلطات تجبر الأهلين على العمل في النهار لتعبيد الطريق، ويعود العمال أنفسهم في الليل لتخريب ما عملوه في النهار، وكثرت الصدامات مع الدوريات على طول الحدود.

وأخذت السلطات البريطانية تضيق الخناق على الأهلين، فكم من مرة استيقظنا صباحا لنجد البلدة مطوقة بالجنود الإنكليز، ولنتلقى الأوامر الصارمة بمغادرة البيوت والتجمع في مكان قرب البلدة، أطفالا ونساء وشيوخا، وتنتهي أعمال التفتيش ويعود الناس إلى بيوتهم ليجدوها على حالة يرثى لها من التخريب وتحطيم الأثاث، وخلط أنواع الحبوب مع بعضها من عدس وفول وقمح وشعير، وسفح السوائل التي توجد في المنزل من زيت ودبس وما إليه فوقها.

و لم تكن الدوريات الإنكليزية وحدها هي التي تداهم البلدة، بل كثيرا ما كان الثوار أنفسهم يلجؤون إلى البلدة في الليالي المظلمة، لأخذ قسط من الراحة والتزود بالطعام.

كانت البلدة كلها تستنفر ليلة يزورها الثوار، نساء تعد الطعام وتغسل الثياب، ورجال يقومون بالحراسة المشددة حتى ينام الثوار بطمأنينة.

وأما الأطفال فكانت زيارة الثوار للبلدة بمثابة عيد لهم، وان كانت تنبيهات الكبار بالصمت والسكوت تزعجهم، إلا أنهم كانوا ينامون على أحلام جميلة، ويستيقظون ليلعبوا لعبتهم الصبيانية الجميلة (عسكر وعصابة) وتتدلى على أكتافهم العصي المربوطة بالخيطان تقليدا للأبطال الثوار.

أما كلاب البلدة المسكينة فقد دس لها السم وماتت اتقاء لنباحها الذي كان ينبه السلطات البريطانية على وجود الثوار في البلدة.

أشهر المعارك التي خاضها ثوار البلدة:

إضافة إلى الصدامات المحدودة التي قام بها ثوار بلدة (الجش) البواسل مع الدوريات البريطانية على الطريق الشمالية، فقد خاض ثوارها الشجعان معظم المعارك التي نشبت في اللواء الشمالي وكانت أشهر تلك المعارك هي: معركة وادي عروس، ومعركة جرن حلاوة ومعركة الجرمق.

معركة وادي عروس:

نشبت هذه المعركة في الساعة الرابعة مساء من يوم الثامن والعشرين من أيلول سنة ١٩٣٨[1] بعد هجوم شنه فصيل من الثوار مكون من (٣٠) مجاهداً معظمهم من أهالي (الجش) على سيارة بوليس إنجليزي في (وادي عروس) على مقربة من بحيرة (الحولة) وقتلوا جميع أفرادها واستولوا على

(١) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين ــ القاهرة ١٩٦٧م. ومنه ومن شهود عيان استقينا كافة المعلومات عن المعارك المذكورة.

أسلحتهم، وعلى الأثر حلقت طائرات الإنجليز، وأسرعت نجدات إنجليزية واصطدمت مع الثوار في معركة حامية الوطيس دامت ثلاث ساعات واستمرت إلى ما بعد غروب الشمس، وقتل في المعركة عدد من الجنود الإنجليز، كما استشهد البطل الجريء ابن (الجش) البار (محمود قاسم أيوب) (أبو اسماعيل) رحمه الله.

كيف سقط الشهيد:

كان (أبو اسماعيل) رحمه الله زين شباب بلدة (الجش) على الإطلاق، وكان شجاعاً مقداماً، ورث الشجاعة والإباء عن أبيه (قاسم أيوب) المعروف بـ (قاسم زهره) و(قد سبق الحديث عنه)، وعن أسرة أبية لا يصطلى لها بنار.

كان هو و بعض ثوار بلدته منهم (حسين علي شهينة) و(محمود عزام) و(مصطفى أيوب) و(محمد علي شهينة) وغيرهم يكمنون على مقربة من الطريق العام، عندما مرت سيارة البوليس البريطاني، رشقوها برصاصهم، فألقوها على جانب الطريق، وهنا تناخى الثوار للإجهاز على من فيها،وكان أسرعهم في الوثوب على السيارة المقلوبة البطل (محمود قاسم أيوب)[1] ولسوء حظه، رشقه جندي من جنود السيارة كان ما يزال حيا رشقة بالرشاش مزقت أحشاءه ، في حين انقض هو على الجندي وأشبعه طعنا بخنجره حتى مات.

وحمل الثوار رفيقهم المصاب، وكانت إصابته بالغة، ولما شعر بدنو أجله واشتد ضغط الإنجليز على الثوار، أوعز إليهم أن يتركوه، وينسحبوا، وأوصاهم بفرسه وأطفاله الصغار خيراً.

(١) هو محمود بن قاسم بن محمد أيوب، أمه (أمون بنت أحمد عثمان علي أحمد الخلايلة). ولد في «الجش» سنة ١٩٠٥ ورث عن أبويه الشجاعة والأقدام.. توفي والده (قاسم أيوب) في سجن القلعة بدمشق بعد محاكمة صورية أجريت له لضربه عربيا تركيا في (بنت جبيل) أثناء الحرب العالمية الأولى. وعاش مع أخويه (صبح) و(نمر) أيتاما.. إلى أن شبوا. تزوج من (شريفة) بنت (إبراهيم خليل الشيخ) من الخلايلة. و أنجب منها ولده «اسماعيل» ثم طلقها وتزوج من (فطوم بنت علي محمد علي أحمد الخلايلة) ورزق منها ابنة أسماها (نوره) تعيش اليوم في (حمص) وولدين هما (محمد محمود قاسم أيوب) و(علي محمود قاسم أيوب) ويعيشان اليوم في (فلسطين) المحتلة. استشهد في ريعان شبابه وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، وخلف أولاده أيتاما صغارا في حضانة عمه (طه أيوب) له عدد من الأحفاد يعيشون اليوم في (حلب) و(حمص) وفي (الجش) نفسها، رحمه الله.

٢ـ معركة جرن حلاوة:

وقعت هذه المعركة في منطقة (الجب يوسف) على طريق (صفد ـ طبريا) في اليوم السادس من شهر حزيران سنة ١٩٣٩ م، في منطقة جبلية وعرة، وكان فصيل من الثوار يقدّر بخمسة وثلاثين رجلاً يقودهم (عبد الله الشاعر) من أهالي (صفد) قد سدّوا الطريق بالحجارة الكبيرة ونصبوا كميناً على مقربة من الطريق، انتظاراً لقافلة عسكرية كانت ستجتاز تلك المنطقة في ذلك اليوم.

وفي الساعة الحادية عشرة قبل ظهر ذلك اليوم، وصلت القافلة البريطانية المكونة من اثنتي عشرة سيارة عسكرية متنوعة، مع سيارة (باص) يهودية، إلى موقع (جرن حلاوة) فوجدت الطريق مسدودة، ولما ترجل عدد من الجنود لإزاحة الحجارة عن الطريق، أطلق قائد المجاهدين رصاصته الأولى وانهمر الرصاص كالمطر من بنادق الثوار المتحصنين وراء الصخور المنيعة، أوقعوا بجنود الإنكليز خسائر فادحة، فأرسلوا يطلبون النجدة، فحضرت على الأثر نجدات عسكرية بريطانية من (صفد) وحاولت تطويق الثوار، إلا أن نجدات عربية من عرب السمكية والقديرية والمواسي والزنغرية والظاهرية وغيرها حضرت لتوها واشتبكت مع الجنود الإنكليز في معركة ضارية واستطاعت أن تفك الطوق عن الثوار بعد أن استمر القتال الرهيب ثماني ساعات إلى ما بعد غروب الشمس. وقد استشهد في هذه المعركة (رشيد الشاعر) شقيق قائد المعركة، كما استشهد من أبناء (الجش) الشهيد (محمد سعيد عزام) ـ رحمه الله.

٢ـ معركة الجرمق:

حصلت هذه المعركة قبل المعركتين السابقتين إذ وقعت في الرابع من شباط سنة ١٩٣٨، إلا أننا أخرنا الحديث عنها لأهميتها، ولكونها أشد معارك (فلسطين) ضراوة، وقد اشترك فيها معظم أهالي بلدان اللواء الشمالي، (كالجش) و(الصفصاف) و(ميرون) و(سعسع) و(سحماتا) و(دير القاسي) و(ترشيحا) وأهالي (بيت جن) و(البقيعة) و(سخنين). كما امتازت هذه المعركة بفقدان قائد كبير من قادة الثورة هو الشهيد (عبد الله الأصبح) الذي ترك استشهاده رنة حزن وأسى عميقين في نفوس الأهلين.

وتتلخص المعركة بأن عددا من الثوار ورجال المقاومة الشعبية يربو على أربعمائة رجل، احتشدوا على مقربة من الحدود اللبنانية، في انتظار شحنات من الذخيرة كانت ستأتيهم من

(دمشق) عن طريق (لبنان). ويظهر أن السلطات الفرنسية في(لبنان) أشعرت البريطانيين في فلسطين بالصفقة، فخرجت القوات البريطانية للتصدي للثوار، ورغم قصف الطائرات لمواقع الثوار إلا أنهم استطاعوا إنقاذ الذخيرة وتوزيعها على المحتاجين، وأخذوا يتفرقون في القرى المجاورة.. غير أن قوات بريطانية كبيرة أخذت تطوق المنطقة الواقعة على طول جبل الجرمق، وحلقت الطائرات البريطانية فوق قرية (بيت جن) حيث تمركزت قيادة (عبد الله الأصبح).

واشتد القتال بين القوات البريطانية، ورجال الثورة، واستشهد الكثيرون واستبسل في القتال الشيخ (سعد الخالدي) وأخذ يزغرد وهو يعاني سكرات الموت بعد أن قتل خمسة من علوج الإنجليز وهو جريح.

وأصابت الطائرات البريطانية من القائد (عبد الله الأصبح) مقتلاً، واستطاع الجنود الإنجليز أن يصلوا إلى جثمان القائد الشهيد، وأخذ قائدهم يعبث به، مما أثار سخط بعض الثوار، فأعادت ثلاثة فصائل هي فصيل (الصفصاف) و فصيل (الجش) وفصيل (عين الزيتون) الكرة على الجنود الإنجليز، وفتكوا بعدد كبير منهم، ونيف عدد القتلى الإنجليز على الأربعين.

وفي أثر هذه المعركة، جرت معركة إلى الجنوب من قرية (الصفصاف) اشترك فيها فصيل (الجش) وفصيل (الصفصاف) استمرت قرابة ساعة واستشهد فيها المرحوم (صبح قاسم أيوب) وهو شقيق الشهيد (محمود قاسم أيوب) ـ المار ذكره رحمهما الله.

هذا مجمل لبعض المعارك الخالدة التي خاضها ثوار بلدة (الجش) الأشاوس إلى جانب إخوانهم من مجاهدي (فلسطين) لخصناها هنا وفاءً لأرواح الشهداء الأبرار التي مازالت ترفرف في سماء الوطن المقدس، داعية الأحفاد إلى إعادة الكرة لاستنقاذ الوطن السليب من براثن الصهاينة المجرمين.

انتكاس الثورة في الجش

أبدى أهالي (الجش) من مسلمين ومسيحيين تعاوناً فريداً في بداية الثورة، فجمعوا المال اللازم واشتروا سلاحاً يكفي لخمسين رجلاً على الأقل، ولما كان رجال البلدة يزيدون على هذا العدد بكثير. لذا كانوا يتناوبون حمل السلاح بالدور وحسب نظام مرسوم وترتيب معين. كما أنشؤوا فصيلاً للجش من رجال أشداء كانوا على أهبة الاستعداد للاشتراك في كل قتال يحدث في المناطق المجاورة.

ولكن الدسائس والمؤامرات، لم تترك الأمور تسير سيرها الطبيعي، بل أخذت تتدخل بشكل أو بآخر لإفساد الثورة وإثارة العصبيات القبلية وبث الأحقاد والضغائن.

وكان مما عجل في انتكاس الثورة في (الجـش) تعيين (حسين علي أبو زينب) المعروف بـ (حسين شهينة) قائداً لفصيل (الجش).

ففي مطلع عام ١٩٣٦ صدر أمر القيادة العامة للثورة الفلسطينية بتعيين الموما إليه قائدا لفصيل (الجش)، ثم ألحقت به فصائل كل من قرى (طيطبـا) و(قديثـا) و(دلاتـا)، ولم يكـن تعيـين المذكـور غلطة من القيادة أو من باب الصدفة.. فالرجل أثبت في أكثر مـن مناسبة رجولتـه وشـجاعته وبعـد نظره وحنكته وقدرته على القيادة الحكيمة المتزنة، فقد كان ذا شخصية مهيبة، طويل القامة، عريض المنكبين، كبير الهامة، تتألق في وجهه عينان كعيني النسر، وينتصب شارباه على وجه أسمر جميل تبدو عليه سمات الجبروت،وكان بالإضافة إلى كل هذه الصفات كريماً، مضيافاً، متفوهاً، شديد العارضـة، قوي الحجة، ينظم الشعر الشعبي مع أنه كان أمياً، وكانت له مواقف خطابيـة رائعـة، على مستوى اللواء الشمالي بأكمله. وقد أسهم في السفر إلى سورية ولبنان لشراء الأسلحة وقام بمهمته خير قيـام. وكان مما شجع القيادة العامة على تعيينه هربه من السلطات البريطانية التي اعتقلته ذات يـوم وسـاقته إلى سجن (عكا).. ولما حاولوا نقله إلى (حيفا) بالقطار انتهز الفرصة، وقفز من القطار، وهـو مقيـد اليدين وفر في البراري إلى أن وصل إلى مضرب من مضارب البدو، فحطموا قيده، وألبسوه ثياباً غير ثياب السجن، وعاد متسللاً إلى بلدته (الجش). وبقي مختبئاً في بيت عمته (شيخة أبو زينـب) زوجـة (عثمان أحمد خلايلة) ستة أشهر، حتى شفي من جراحه.

المرحوم حسين علي مصطفى قاسم أبو زينب (المعروف بحسين شاهينة) قائد الثورة في الجليل الأعلى

والحقيقة أنه كان يستحق منصبه ذلك بجدارة، إلا أن كل عيبه أنه لم يكن ابـن حمولـة كبـيرة. كما كانت تحوم حوله شبهات في مقتل شاب من (الزيادنة) هو (مصطفى أحمد عبد اللطيف زيدان) وإن لم يكن هنالك دليل قاطع على اشتراكه في مقتله. وساء تعيينه نفرا مـن حمولـة (الخلايلـة) أكـبر حمائل البلدة على الإطلاق، فأخذوا يكيدون له في البلدة آناً، وعند قيادة الثورة أحياناً.. ويظهر أنهم وجدوا من بعض رجال القيادة العامة أذناً مصغية، فقلبت له القيادة ظهر المجن، وأخـذت تـتربص بـه الدوائر لتوقعه في ورطة لا خلاص له منها.

وكان لحسين علي هذا أخ أصغـر منـه سناً، اسمـه (الشيخ أحمـد) درس في (المدرسـة الغـراء) بدمشق، وتخرج فيها والتحق بالثورة، وكان شجاعا مقداما كأخيه، بل قل كان يتفوق عليـه بعلمـه ومعرفته، وجرأته التي بلغت حد التهور.

وشاءت الأقدار أن يقتل (الشيخ أحمد) في ظـروف غامضة، لوعـت أهلـه وذويـه إذ كـان في ريعان شبابه وتفتحه، كما جرت محاولة لقتل (حسين علي) نفسه، فقد جاء ذات يوم إلى بيتـه زائـر غريب، فرحب به (حسين) أحسن ترحيب وأكرمه غاية الإكرام. ولما شاهد الرجل الغريب منه تلك المعاملة الحسنة ورأى أي رجل هو فاتحه بأنه مرسل من القيادة العامة لقتلـه، ولكنـه لم ينفـذ مهمتـه، وإعراباً عن حسن نواياه أخرج مسدسه وأعطاه لحسين، إشعارا بالأخوة والصداقة.

ولعل ذلك كله كان مؤامرة من المخابرات البريطانية بالذات، وبعد رحيل الرجل الغريب شعر (حسين علي) بأنه مهدد في بلده،وأن الثوار سيقتلونه كما قتلـوا أخـاه، فصمـم علـى الالتحـاق هـو وبعض أهله بالسلطات البريطانية، ومعاداة الثورة وهكذا كان.

واختفى (حسين علي شهينة) عن البلدة أياماً وعاد ليداهمها ذات صباح بقوة بريطانية كـبيرة طوقتها، وأخرجت أسلحة الثـوار مـن مخابئهـا بمسـاعدته، إذ كـان بحكـم وجـوده علـى رأس قيـادة الفصيل خبيراً بمخابئ الأسلحة، فما كان منه إلا أن أخرج البنادق المطمـورة في الـتراب واحـدة إثـر واحدة، وأخذ يسلم كل بندقية لصاحبها بالذات.. وكانت السلطات البريطانية المداهمـة قـد ألقـت القبض على معظم رجال الفصيل الذين لم يتمكنوا من الفرار، وقد أجبر كل رجل منهـم علـى حمـل بندقيته منكسة، وسيقوا إلى سجن (عكا) بين عويل النساء وصراخ الصبية.

وكان بين الذين سيقوا إلى السجن عمر عبد اللطيـف الخلايلـة، وابنـه حسـين عمـر الخلايلـة، ومحمود يوسف الخلايلة، وأحمد شحادة الخلايلة ومحمد حسين علي أحمد الخلايلـة ـ المعـروف بـأبي

سرحان - ومحمد أسعد الخلايلة، وعبد الله أيوب، وخالد يونس، من (الصفصاف) وأفلت من الطوق (علي عمر الخلايلة، وسرحان محمد الخلايلة، والشيخ نمر أحمد حسن زيدان، وأخوه علي أحمد حسن زيدان) كما أفلت من الطوق أولاد (أحمد شحادة الخلايلة) الثلاثة (محمد وعلي وقاسم) خصوم (حسين علي شهينة) الألداء، وهربوا من البلدة، والتجؤوا إلى أقاربهم في بلدة (سخنين) ونزلوا ضيوفاً على شيخها (إبراهيم العبد الله الخلايلة) قائد المنطقة في تلك الجهات. وأخذوا يكيدون لحسين علي ولأقاربه في (الجش) وكان أن جاءت قوة من الثوار، وأحرقت بيته وأسرت أبناء حمولته القلائل وسجنتهم في بئر مهجورة. فرد هو بزيارة ثانية للبلدة على رأس قوة بريطانية طوقتها من جديد وأخرجت سكانها، ثم نسفت خمس بيوت، أربعة منها لحمولة (الخلايلة) وهي بيت (أحمد شحادة الخلايلة) وبيت (سرحان محمد الخلايلة) وبيت (عمر عبد اللطيف الخلايلة) وبيت (محمود يوسف الخلايلة) أما البيت الخامس فكان بيت (سليم علي أيوب).

واستمر أوار الفتنة في البلدة بشكل لم يسبق له مثيل، وأخذ كل طرف يتحين الفرص للفتك بالطرف الآخر، إلا أن ضغط السلطات البريطانية وإجراءاتها التعسفية وسجنها لبعض الثوار وتشريدها للبعض الآخر، منع الأطراف المتخاصمة من تنفيذ مآربها الرخيصة.

وعاجلت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ على إطفاء جذوة الثورة الفلسطينية بعد إعلان معظم الحكام العرب الانضمام إلى جانب الحلفاء، ومناشدتهم ثوار فلسطين على الإخلاد إلى الهدوء والسكينة ريثما تنتهي الحرب.

وبادرت السلطات البريطانية في (فلسطين) فأصدرت عفواً عاماً عن رجالات الثورة والمحكومين والسجناء، وهيأت لهم الوظائف المناسبة، وجعلت تعد المشاريع لإلهاء الناس بالعمل، حتى انتهت الحرب بانتصار الحلفاء على دول المحور، وخاب أمل زعيم فلسطين الأكبر المغفور له سماحة (الحاج محمد أمين الحسيني) الذي كان قد فر من (فلسطين) والتجأ إلى (ألمانيا) الهتلرية، مؤملاً الحصول على استقلال (فلسطين) إذا ما انتصر الألمان. وإزاء الحالة هذه لم يكن أمام عرب (فلسطين) إلا الإذعان التام أمام الظروف الطارئة التي خلفتها نتائج الحرب.

أحوال الجش إبان الحرب العالمية الثانية:

بعد خمود نار الثورة في فلسطين، إبان الحرب العالمية الثانية استغنت السلطات البريطانية عن خدمات (حسين علي شهينة) فأرسلته هو ووالده إلى جزيرة (قبرص) حماية لهما، ولأنه كان من

المتعذر عليه العودة للعيش في (الجش) لنقمة أهاليها عليه.. كما غادر أولاد (أحمد شحادة الخلايلة) (سخنين) إلى (جبل عامل) واستجاروا بزعيمه (كامل الأسعد) فأجارهم، ثم تدبر لهم الأمر مع السلطات البريطانية، فعادوا إلى (الجش) وأقاموا بين أهلهم وذويهم،

الصلح بين (حسين علي شهينة) وأهل (الجش):

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، طلبت السلطات البريطانية من (حسين علي شهينة) أن يتدبر أمره مع أهل بلدته، وكانت الغربة في (قبرص) بعيداً عن زوجته وأولاده الصغار قد أمضته، فأزمع على العودة إلى بلده مهما كلفه الأمر.. فغادر (قبرص) هو ووالده عائداً إلى (فلسطين) والتجأ إلى حمى الشيخ (خالد المعجل) شيخ عشيرة القديرية، احدى عشائر منطقة (صفد)، وكان (خالد المعجل) - رحمه الله - شيخاً مهيباً وقوراً ومحترماً من كافة أهالي المنطقة، فعطف على (حسين علي) وآمنه على حياته وأكرمه ووعده بحل مشكلته. وبعد مداولات ومشاورات دارت بين وجوه البلدة والشيخ (خالد المعجل) جرى الاتفاق على إجراء الصلح بين (حسين علي شهينة) وأهالي بلدته.

وذات يوم جاء الشيخ (خالد المعجل) مع وفد من وجوه العشائر المجاورة بـ (حسين علي شهينة) وهو يسوقه أمام جواده حافياً مكتوفاً، حاسر الرأس، ودخلوا (الجش) فاستقبلهم أهالي البلدة بالترحاب، وقبلوا وساطتهم أحسن قبول، وتقدم بعض وجهاء البلدة وفكوا قيد (حسين علي) وصافحوه بعد أن عفوا عنه على مرأى من الشيخ (خالد المعجل)، وهم (حسين علي) وصافح كل الموجودين من وجوه القوم المجتمعين في ساحة البلدة، ونحرت الذبائح وأولمت الولائم إكراماً للجاهة الكريمة، وعقدت راية الصلح، وتنوسيت الأحقاد، وعادت المياه إلى مجاريها، وحل الوئام محل الخصام، وعفى الله عما مضى.

وكان مما ساعد على إجراء الصلح، شعور أهالي البلدة بالخطر الصهيوني الداهم، الذي برز في أعقاب الحرب، وتوجس الأهلين خيفةً من العواقب الوخيمة التي قد يجرها انتصار الحلفاء.

الجش في عام ١٩٤٨:

بعد انطفاء جذوة ثورة عام ١٩٣٩م، إثر تدخل ملوك العرب وزعمائهم آنذاك وإذاعتهم البيانات المطمئنة والمهدئة. أخذت البلدة تسترد أنفاسها وتنعم ببعض الهدوء والراحة، وتمسح عن وجهها الآثار السيئة التي خلفتها الخلافات والانقسامات التي نشبت بين الحمائل إبان الثورة. والتي

أزالها الصلح العشائري الذي تمّ في أواخر عام ١٩٣٩م. كما ركنت البلدة إلى السكينة والهدوء طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية، فقد عمل الإنجليز آنذاك على استرضاء الأهلين بتوفير العمل للناس وتأمين الوظائف المناسبة لأولئك الذين كانوا قادة للفصائل إبان الثورة. وعاش الناس آنذاك في بحبوحة مؤقتة من جرّاء ما كسبوه من أموال الإنجليز.

ولكن السعادة تلك لم تطل، إذ مرت السنوات سراعاً حاملة في طياتها أخبار الأخطار الداهمة من قبل اليهود، الذين كانت استعداداتهم وتدريباتهم العسكرية، ومهاجمتهم لمراكز السلطات البريطانية، تنبئ بشرٍ مستطير. وأخذ الأهلون يستطلعون الأنباء المثيرة التي كانت تطفو على السطح، وكانت في طليعة هذه الأنباء المخيفة، قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين الصادر في ٢٩/تشرين الأول/ ١٩٤٧م.

أثر قرار التقسيم على أهالي البلدة:

في البدء خرج شباب البلدة في مظاهرة صاخبة، وطافوا حواري البلدة وساحاتها وهم يزغردون وينشدون الأغاني والأناشيد الوطنية، وما زلت اذكر تلك الأمسية الرائعة من أمسيات البلدة ـ وكنت في الرابعة عشرة من عمري ـ حيث احتشد الشباب مسلمين ومسيحيين وهم يتفجرون وطنية وحماسة ويغنون بصوت واحد:

هـــي يـــاربعي يـوم الكـــون لا تذلـــوا[1]

نحـــن الشـــباب أكـــبر مجلـــس بنحلـــو

وانفضت المظاهرة. وعاد الشباب إلى بيوتهم، وأخذ العقلاء يتوجسون خيفة من الخطر الداهم، فأين السلاح؟

أخذ الجميع يتأهبون للحصول على السلاح، ويستعدون للمعركة الداهمة.

لجنة شراء الأسلحة:

في أواخر عام ١٩٤٧م اجتمع وجهاء البلدة، وشكّلوا لجنة وألقوا على عاتقها شراء الأسلحة من سوريا ولبنان والأردن ومصر وغيرها من البلاد العربية. وجمع المال من جميع أهالي البلدة، وسافرت اللجنة وعلى رأسها (حسين علي أبو زينب) إلى سوريا ولبنان والأردن، وقابلت وجهاء

(١) يوم الكون: أي يوم المعركة.

هذه الأقطار، ووصلت في بحثها عن السلاح إلى (القامشلي) في سوريا على الحدود التركية، ولكنها لم تعد إلا بالنزر اليسير، فقد عادت ببعض البنادق القديمة، ورشاشين صغيرين (ستن جن) و(تومي جن) ليس غير.

ثم استعرت تجارة السلاح، حتى اقتصرت سوق البلدة على بيع أنواع الأسلحة دون غيرها، ولكنها كانت بمجملها أسلحة قديمة ورديئة ومتنوعة.

فوزي القاوقجي يزور البلدة:

وإن أنس لا أنسى ذلك اليوم من عام ١٩٤٧م، يوم زار (فوزي القاوقجي) البلدة، مع عدد من ضباط جيش الإنقاذ الذي شكّل لحماية فلسطين وإنقاذها من براثن الصهاينة.

خرجت البلدة عن بكرة أبيها، لتشاهد القائد البطل، الذي قاد فيما مضى ثورة عام ١٩٣٦م واستحوذ على سمعة وشهرة أسطوريتين. وكنا ونحن أطفال نغني الأناشيد الحلوة التي كانت تشيد بأعمال ذلك البطل[1]:

فـوزي بـــك ركـــب حصـــانو الله عـــــــــــــانو

ســـاق جيشـــو قدّامـــو زي الغـــــــــــزلان

(١) ولد في طرابلس الشام عام ١٨٩٠م. وتخرج من الأكاديمية الحربية في (استنبول) وقاتل الجيش البريطاني عندما كان الأتراك في نابلس يدافعون عن مواقعهم ضد هجوم (اللنبي) ومن الضباط الذين قاتلوا تحت قيادته (كمال أتاتورك).
اشترك القاوقجي في عدد من الثورات أهمها ثورة جبل العرب بقيادة (سلطان باشا الأطرش) ومعركة ميسلون التي قادها القائد العظيم (يوسف العظمة)، وثورة عام ١٩٣٦م في فلسطين، وثورة (رشيد عالي الكيلاني) في العراق عام ١٩٤١م.
وتولى في عام ١٩٤٨ م قيادة جيش الإنقاذ، ثم اعتزل الحياة العسكرية بعد إخفاقه في إنقاذ فلسطين، وعاش في محلة (فردان) في بيروت.
في جسده (٢٢) إصابة وعدد من الشظايا. حاز عدة أوسمة من مختلف الدول العربية، ووسام القيصر (ويلهلم) ووسام الصليب الجديد.
توفي في بيروت يوم الاربعاء ١٩٧٦/١٢/١٥ م عن (٨٦) عاماً إثر تدهور مفاجيء في صحته بعد إدخاله إلى مستشفى (البربير) وبموته انطوت صفحات عسكرية من التاريخ العربي المعاصر.
*(جريدة الثورة السورية ـ السبت ١٩٧٦/١٢/١٨م.

أنـــا العربـــي يـــاعيوني
لاحمـــي اســـم الصهيونـــي

عنـــد المـــوت حطونـــي
وأحمـــي بـــلادي فلســـطين

المرحوم فوزي القاوقجي

المرحوم العقيد أديب الشيشكلي

حامية البلدة تستقبل القاوقجي:

اصطف الأهلون على جنبات الطريق العام لاستقبال القاوقجي، فيما اصطفت الحامية التي شكلها أهالي البلدة لاستقباله وعلى رأسها قائدها (علي حسين العلي) (أبو حاتم) وكانت الحامية مشكلة من شباب البلدة الذين سبق لهم وخدموا في قوات حرس الحدود (الزنار الأحمر) البريطانية أو في سلك الشرطة، وبانتهاء الانتداب عادوا إلى قراهم وبلدانهم يتزقبون الأحداث.

ومرّ القائد القاوقجي أمام رجال الحامية يستعرضهم وقد قدّموا له التحية العسكرية، بعد أن أوعز لهم قائدهم بتقديم التحية باللغة الإنجليزية. سرَّ القاوقجي لأداء رجال الحامية، إلا انه أمرهم أن يتركوا اللغة الإنجليزية ويستعيضوا عنها باللغة العربية، واعتذر قائد الحامية، بأن جميع رجال الحامية قد دربوا في القطعات البريطانية.

كانت حامية البلدة ظاهرة طيبة، لأنها تشكلت من مجموعة من شباب البلدة المدربين والمتحمسين، والذين كانت تبدو عليهم حماسة منقطعة النظير وشجاعة فائقة.

السيد علي حسين العلي

السيد نمر عبد الكريم سعد

المرحوم علي نمر زيدان

المرحوم محمد عبد اللطيف الخليلي

إلا أننا للحق والتاريخ نقول: إن معظم أسلحتهم كانت قديمة وفردية ومن جميع الأنواع، فيها البندقية البريطانية الشريفية والفرنسية الطويلة والقصيرة ، والألمانية، والعصملية، وحتى اليونانية ذات الطلقة الضخمة ....فكانت بمجموعها كرنفالاً من أنواع الأسلحة. إضافة إلى انعدام وجود الرشاشات والقنابل اليدوية.

جيش الإنقاذ يصل المنطقة:

في ٢٣ كانون الثاني من عام ١٩٤٨م اجتازت قوات فوج اليرموك الثاني بقيادة المقدم «أديب الشيشكلي» الحدود اللبنانية عند (بنت جبيل) إلى الجليل الأعلى. وفي شهر شباط توزعت هذه القوات على الشكل التالي:

١- صفد: بقيادة الملازم إحسان كم الماز.

٢- عكا: بقيادة الملازم عدنان مراد.

٣- المالكية: بقيادة الملازم فتحي الأتاسي.

٤- الصفصاف: بقيادة الملازم محمد جديد غريب.

وفي شهر نيسان أفرزت قيادة الجيش بطارية مدفعية مع الملازم الأول فائز القصري والملازم وديع نعمة. وإلى جانب قوات الشيشكلي كان هناك فوج جبل العرب الذي قاده الرائد (شكيب وهاب) واتخذ مواقعه في منطقة (شفا عمرو) قرب الناصرة، والمفرزة العراقية بقيادة الملازم (حسين عبد اللطيف) والمفرزة الحموية بقيادة الملازم (صلاح الشيشكلي)، والمفرزة الشركسية بقيادة الملازم (جلال برقوق) والمفرزة الادلبية بقيادة الرئيس (عبد الغفار) والمفرزة الأردنية بقيادة الرئيس (ساري فنيش) والسرية السورية النظامية بقيادة الملازم (عثمان حاجو) والمفرزة اللبنانية بقيادة الملازم الأول (محمد زغيب) وحامية عكا بقيادة (خليل كلاس) والمفرزة البدوية بقيادة الملازم (محسن يعيش) ومفرزة مجدل شمس الدرزية، وأخيراً المفرزة اليوغوسلافية بقيادة الرئيس الأول (شوقي اليوغوسلافي) وفصيل مدفعية من مدفعين بقيادة الملازم (فائز القصري)[1].

وكان بين المتطوعين عدد من شباب سوريا المثقف أمثال (أكرم الحوراني) والدكتور (عبد السلام العجيلي) و(عبد الكريم زهور) و(عبد الحميد السراج) و(غالب العياشي) وغيرهم.

اتخذ المقدم الشيشكلي قرية (الصفصاف) قاعدة لقيادته، وجعل قادة الأفواج ينظمون الحراسة والدفاعات حول البلدان والقرى من المسلحين الفلسطينيين أنفسهم.

وأخذت حامية بلدة «الجش - جسكالا» على عاتقها حراسة البلدة، فوضعت جدولاً شمل أسماء كل القادرين على حمل السلاح، وجعلت تدربهم على إطلاق النار واستخدام السلاح، ثم

(١) هاني الهندي - جيش الإنقاذ - ص(٥٤ -٥٥) دار القدس - بيروت - ١٩٧٤م.

بدأت بتحصين البلدة بحفر الخنادق واقامة الاستحكامات الترابية على أطراف البلدة وفي المواقع الحصينة في جهات البلدة الأربع. وجعل رجال الحراسة يتواجدون في هذه الخنادق مع غروب الشمس ويبقون فيها إلى شروقها في اليوم التالي، ثم يعودون إلى بيوتهم للنوم والاستراحة، في حين ينوب عنهم رجال آخرون في الليلة التالية.

وبالطبع كان رجال الحرس ينطلقون من منزل قائد الحامية. بعد أخذهم كلمة السر منه بالاتفاق مع قيادة جيش الإنقاذ، فيما كانت دورية مراقبة مشتركة تزورهم في الليل متفقدة حرصهم ومدى تيقظهم وقد ساهمت شخصياً في أعمال الحراسة هذه، رغم صغر سني آنذاك بدلاً من والدي وعمي أحياناً، وكان نصيبي فيها اكثر من عشر ليلات من ليالي البرد القارس، الذي كان يجتاح ديار الجليل.

اليهود يهاجمون قرية «سعسع»:

مازلت أذكر تلك الليلة الرهيبة، ليلة السادس عشر من شباط ١٩٤٨م، ليلة هاجم اليهود قرية (سعسع) الواقعة في أعماق القطاع الغربي من الجبهة، بعد أن تجاوزوا عدة قرى عربية وهاجموها في جوٍ عاصف ماطر رهيب، وكانت غايتهم إشاعة الذعر والخوف في القرى المجاورة، وليدللوا على قدرتهم وطول ذراعهم البطاشة، وقد تمكنوا من مداهمة القرية ونسف عدة منازل فيها، فيما كان أهاليها يسمرون غير آبهين لما يحيق بهم من أخطار.

ولكن تلك الهجمة الشرسة كانت غير عابرة، ولم تفت في عضد حامية بلدتنا، بل زادتهم إصرارا على اليقظة وحذرتهم من أساليب اليهود الشيطانية.

سقوط قرية عين الزيتون:

وقبيل غروب شمس السادس من أيار عام ١٩٤٨م وقبل سقوط مدينة (صفد) بخمسة أيام، شهد أهالي بلدتنا فصلاً حزيناً من فصول مأساة فلسطين الدامية. إذ شاهدوا عدداً من نساء قرية (عين الزيتون) يدخلن البلدة مع أطفالهن، في حالة يرثى لها من الذعر والخوف، وقد اتشحن بالسواد والذل. وهربن إلى (الجش) يحتمين فيها، بعد أن احتلت قوات الصهاينة الغادرة قريتهن وقتلت معظم أهلهن ورجالهن.

وكان اليهود قد أطبقوا على هذه القرية الجميلة الوادعة، والمحصورة بين مستعمرة (عين زيتيم) شمالاً، وحي اليهود في مدينة (صفد) جنوباً، وتغلبوا على مقاومتها الباسلة وعلى شجاعة مقاتليها

الذين استقبلوا الموت بنفوس راضية، وسقطوا شهداء في ساحة الشرف دفاعاً عن الأرض والعرض. ولم يتمكن أحد لا من جيش الإنقاذ ولا من المقاومة الشعبية أن ينجدهم لتعذر الوصول إليهم. وعندما دخل اليهود القرية، جمعوا من تبقى حياً من أهلها في الجامع ثم نسفوه على رؤوسهم جميعاً بوحشية ما عرف التاريخ لها مثيلاً. أما اللواتي نجون من القبر الجماعي - وكن قليلات العدد - فهربن باتجاه الشمال، ودخلن بلدتنا في حالة من الرعب والحزن الذي يفتت الأكباد ويبعث الأسى والحسرة في أقسى القلوب البشرية[1].

المرحوم العقيد أديب الشيشكلي والدكتور عبد السلام العجيلي (في الجليل الأعلى)

سقوط مدينة صفد:

ثم سقطت مدينة (صفد) في ليلة (١٠-١١) من أيار عام ١٩٤٨م بعد معركة حامية الوطيس استمرت ليلتين أو أكثر بين قوات البالماخ وسرايا جيش الإنقاذ والمسلحين الفلسطينيين، الذين تدفقوا إلى (صفد) من كل اتجاه، عن طريق وادي الطواحين المنفذ الوحيد المتبقي للوصول إليها، للدفاع عنها وحمايتها إلا أن جهودهم ذهبت هدراً دون أية جدوى، رغم ما بذلوه من تضحيات، وأراقوا من دماء.

(١) مصطفى مراد الدباغ - بلادنا فلسطين - (ج٦ ق ٢) ص (١٨٨) دار الطليعة بيروت ١٩٧٤م.

فهزيمة أهالي (صفد) باتجاه الشمال، رجالاً ونساءً وأطفالاً في حالة من اليأس والذعر الشديدين، هبط بمعنويات أهالي بلدتنا إلى الحضيض، واضطرهم إلى الرحيل شمالاً باتجاه (بنت جبيل) اللبنانية، ولكنهم آثروا البقاء على مقربة من بلدتهم، في حين تابع أهالي (صفد) وغيرهم من أهالي البلدان الأخرى مسيرتهم للجوء إلى سوريا ولبنان.

عودة جيش الإنقاذ من جديد:

في أوائل صيف عام ١٩٤٨م عادت إلى الجليل الأعلى قوات جيش الإنقاذ من جديد، وكانت قد انسحبت من المنطقة إثر سقوط مدينة (صفد) للاستراحة واعادة التنظيم، وها هي ذي تعود اليوم للدفاع عما تبقى من (الجليل الأعلى). وكان على رأس هذه القوات الرئيس (غسان جديد) قائد الفوج العلوي.

وصل (غسان جديد) على رأس فوجه، وانتشرت قوات هذا الفوج على خط قتالي ممتد من قرية (ميرون) جنوباً على سفوح جبل الجرمق الشرقية المطلة على مدينة (صفد) والتي أصبحت الآن في قبضة اليهود، واتجه خط الدفاع الجديد شمالاً إلى قرية الصفصاف) فبلدة (الجش) فقرية (الرأس الأحمر). واتخذ (غسان جديد) بلدة (الجش) مقراً للقيادة.

كان خط الدفاع يتمتع بمواقع حصينة واستراتيجية، حيث يطل في بعض نواحيه على منحدرات الغور السحيقة، ويتوسطه (مرج الجش) الفسيح والذي كانت أطرافه الشرقية في قريتي (طيطبا) و (قديثا) قد احتلت من قبل الصهاينة.

الشهيد المقدم غسان جديد (قائد الفوج العلوي)

الفوج العلوي وتحصين الجش:

عندما وصل (غسان جديد) إلى بلدة (الجش) كان في ريعان شبابه، يتدفق حيوية ونشاطاً. ويتألق حماسة وشجاعة، في حين كان فوجه من المتطوعين الجدد في جيش الإنقاذ، وكان جلّهم قادماً من محافظة (اللاذقية) و (طرطوس) ويمتازون بقوة الشكيمة والشجاعة.

وما أن تمركز الفوج في أماكنه على خط القتال، حتى شرع ببناء حصونه في مرج الجش إلى الجنوب الشرقي من البلدة. أصبحت تلك الحصون قادرة على صد الهجمات التي كان متوقعاً لها أن تشن من مدينة صفد الواقعة على بعد عشرة كيلومترات من حصون المرج. وكان من المحتم أن تساندها المستعمرات القريبة منها كـ(عين زيتيم)، والتي كانت هجمات متتالية سابقة من قبل فوج اليرموك الثاني بقيادة (أديب الشيشكلي) قد أخفقت باقتلاعها من طريق صفد وبقيت صامدة تحمي حارات صفد الشمالية والطريق المؤدية إليها ببسالة عجيبة.

الاستعداد للمعركة:

عمل (غسان جديد) وأخوه (فؤاد) بجدٍ واخلاص وشجاعة، وأخذا يعدان العدة للمعركة المنتظرة ويبثان الحماسة في نفوس جنودهما ونفوس الأهلين معاً. وكان الجميع يحبون قائدهم حباً جماً ويفتدونه بالغالي والنفيس وكثيراً ما كنا نراهم يعقدون حلقات الدبكة ويهزجون بالأهازيج الحلوة والتي مازال رنينها يملأ أذنيّ حتى اليوم، وما زالت ذاكرتي تحتفظ بواحدة منها تقول:

رايحة وجاي عا درب العان ... فليحيا الرئيس غسان

ولسوريا ما منعود ... تنخلي العاصي ينهان

كانوا يغنونها ويرقصون الدبكة على ألحانها، فيبعثون في النفوس المتعطشة إلى النضال شتى الأحاسيس الوطنية.

المعركة وسقوط بلدة الجش:

ولم يطل انتظار المعركة، ففي عصر التاسع والعشرين من تشرين الأول كنا كعادتنا ـ ونحن صبية ـ نلعب الكرة أمام مبنى المدرسة، وكانت المدارس قد أغلقت أبوابها بعد انسحاب البريطانيين عن أرض فلسطين وانتهاء عهد الانتداب.

وأثناء لعبنا وتصايحنا وتراكضنا وراء الكرة، دوت أصوات طائرتين كانتا تحلقان في الجو آتيتين من الجنوب الشرقي باتجاه البلدة على مقربة من جبل الجرمق. جعلنا ننظر إلى الطائرتين بدهشة، وفي الحال أخذت مدفعية الفوج تقذفهما بطلقات المدفعية، وكم كانت دهشتي كبيرة، عندما انفجرت إحدى قنابل المدفعية في الجو أثارت سحابة كبيرة من الدخان، ولكن إحدى الطائرتين ظلت متخذة سمتها بكل هدوء ومرّت بتؤدة عبر السحابة الدخانية، أخذت الطائرتان تقذفان الحمم على الأهلين الذين فرّوا مذعورين باتجاه الكروم المحيطة عندما فررت مذعوراً. كان أول من التقيت به في الطريق الرئيس غسان جديد وكان مسرعاً يحث خطاه باتجاه مقر قيادته في مستوصف البلدة قرب المدرسة، كان يعرفني بشكل جيد، فصاح: بي أن ابتعد وأسير على مقربة من الجدران لأحمي جسدي من شظايا القصف.

أوقعت الحمم المتساقطة من الطائرتين أضراراً بالغة بالبلدة أوقعت عدداً كبيراً من القتلى والجرحى في أهاليها وأهالي البلدان المجاورة الذين التجؤوا إلى البلدة بعد سقوط بلدانهم وقراهم. إذ كان القصف مركّزاً ومحكماً. وعندما عادت الطائرتان من حيث أتيتا، خرجنا نتفقد القتلى والجرحى، وننقل المصابين إلى المستشفى الذي أعدّته قوات الفوج في مبنى المدرسة.

ليلة الهول:

عاشت البلدة ليلة من الذعر الشديد، وهرب الأهلون إلى المغاور والكهوف القريبة منها ليحتموا من القصف. ومع غياب الشمس أخذت المدفعية وراجمات الألغام اليهودية تمطر (الجش) والبلدان المجاورة بوابل من قنابلها، فعمّ الذعر بين الأهلين لأنهم ما اعتادوا أصوات مثل هذا النوع من السلاح.

وأراد الرئيس غسان جديد بحكمته وشجاعته أن يبث في الأهلين الحماسة ويهدئ من روعهم، فأرسل بعض جنوده ينادون في الناس: أن الجيش سيهاجم مدينة (صفد) وعلى جميع المسلحين الالتحاق بفصائلهم على وجه السرعة.

وانصاع الجميع للأمر، وكانت ليلة رهيبة حافلة بالهول، إذ هاجمت قوّات الصهاينة خط القتال من وسطه، فتصدّت لها الحصون المنزرعة في المرج بكل قوة وبسالة، وردّتهم على أعقابهم أكثر من مرة بعد أن أوقعت فيهم مقتلة عظيمة، إلا انهم أعادوا الكرّة مستعينين بقوة مدرعة كبيرة،

وهاجموا خط القتال من الجنوب، وداهموا قرية (ميرون) بعيد منتصف الليل، وأشعلوا فيها حرائق كبيرة، كنا نشاهدها بأمّ أعيننا من بعيد. وتقدم رتل الدبابات شمالاً باتجاه قرية (الصفصاف) وكان على مقربة من مدرستها استحكام فيه مدفع واحد مضاد للدبابات، ولكنه انفجر من الطلقة الأولى، وأصبحت الطريق مفتوحة باتجاه القرية، فداهمها الصهاينة واحتلوها وأوقعوا بأهلها مجزرة رهيبة، ذبحوا فيها الشباب، وسبوا عدداً من البنات والنساء، اللواتي كن قد منعن من الفرار من قبل رجال الفوج حفاظاً على المعنويات.

الدبابات تتجه إلى الجش:

اتجهت الدبابات شمالاً باتجاه بلدة (الجش) وهي لا تبعد عن قرية الصفصاف إلا نحو كيلومترين اثنين أو أقل، بعد انتهائها من احتلال الصفصاف.

وعندما وصلت الدبابات إلى بيادر (الجش) التقت بفوج مشاة بقيادة المقدم (علم الدين القواص) جاء لنجدة الفوج العلوي، إلا أن فصائل هذه القوات وصلت متأخرة، ولم يشعروا إلا وهم بين قوات الصهاينة المتمركزة في أماكنها وبآلياتها فأمطروهم وابلاً من الرصاص، وأوقعوا فيهم خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات.

وتابعت آليات الصهاينة طريقها باتجاه بلدة (الجش) وعندما وصلت مفرق الطرق، تمكنت من قطع الطريق على جنود الفوج المتمركزين في حصون المرج، ولكن شجاعة (فؤاد جديد) مكنته من الإفلات من الحصار وانسحب مع جنودهشمالاً باتجاه الحدود اللبنانية، فيما انسحب الأهلون أيضاً من كل قرى الجليل الأعلى، ليلتقوا في بلدان جبل عامل في صباح اليوم التالي.

أما (الرئيس غسان جديد) فقد كان آخر المنسحبين، ولم ينسحب إلا بعد أن وصلت الدبابات أمام مركز قيادته، فاضطر إلى الانسحاب ليلتقي بفوجه في الأراضي اللبنانية.

كانت خسائر الفوج قليلة للغاية، رغم قتاله الباسل وإيقاعه بقوات الصهاينة المهاجمة خسائر فادحة.

(وكان الصهاينة قد دفعوا إلى أرض معركة (الجليل) أربعة ألوية هي: كارميلي ـ غولاني ـ وعوديد ـ واللواء السابع بقيادة (موشي كارميل) وكان هدف العملية التي أطلقوا عليها اسم (حيرام) تدمير جيش الإنقاذ والسيطرة على الجليل الأعلى لبناء خط دفاعي على طول الحدود الشمالية لفلسطين. كما كانت أيام الانتداب، وقد بدأت عملية (حيرام) في ليلة (٢٨ ـ ٢٩) تشرين

الأول، وانتهت في (٦٠) ساعة. وقد استطاع الصهاينة بهذه العملية أن يخرجوا قوات الإنقاذ من الجليل وأن يحتلوا هذه المنطقة العربية، كما احتلوا عشرين قرية في جنوب لبنان)[1].

وهكذا أسقطت بلدة (الجش) وقرى الجليل الأخرى، ميرون والصفصاف والرأس الأحمر وسعسع وكفر برعم وصلحة وفاره وغيرها، كما سقطت البلاد الساحلية الغربية أمام الهجمات الصهيونية كجدين والدير القاسي وترشيحا وغيرها في نفس الليلة، والتفّت قوات الصهاينة التي هاجمت الجبهتين في بلدة (سعسع) ٥ كم غربي (الجش)، وهي عقدة مواصلات في شمال فلسطين.

القتلى والجرحى في الجش:

وكان من جرّاء المعركة أن سقط عدد كبير من القتلى والجرحى، من أهالي الجش وأهالي البلدان المجاورة، نقل بعضهم إلى المستشفى المتواضع الذي أنشأته قوات الإنقاذ في مدرسة البلدة، لكن فقدان الأدوية والأمصال وانعدام وجود الأطباء والممرضات أودى بحياة الكثيرين، كما أجبر أهالي المصابين على نقلهم إلى مستشفيات لبنان في صيدا وبيروت على وجه السرعة. في حين ترك القتلى في أماكنهم عند فرار الأهالي تحت أزيز الرصاص ودوي القنابل وهدير الدبابات.

وكان من بين القتلى:

١ـ الشاب يوسف محمد قاسم الخليلي: وكان وحيد أبويه وفي الرابعة عشرة من عمره، جميل الصورة دمث الأخلاق طيب المعاشرة.وكان زميلي في المدرسة ويصغرني بعام، وقد هرب أثناء القصف، ولكن شظية إصابته فقتلته في الحال، وهرع الناس لإنقاذه ولكنه استشهد، فحملوه إلى منزل والديه وظل ذووه يبكونه ويندبونه وينوحون عليه، إلى أن صدمت المنزل دبابة صهيونية فزلزلته من أركانه، فهرب أهله وتركوه نائماً على سريره.

٢ـ أحمد حمود زيدان: المعروف بأحمد فهده نسبة إلى أمه، وكان بيته في مدخل البلدة الجنوبي، مقابل بيت محمد قاسم الخليلي من الغرب.وقد بقي في منزله ولم يهرب، وعند اجتياح الجنود الصهاينة للبيوت قتلوه مع زوجته (خزنة أيوب) وابنه (محمد) و ابنته (فاطمة).

٣ـ رفاعية محمود حسين العلي: داهمها الجنود الصهاينة في بيتها وكانت طاعنة في السن فقتلوها ولم يحترموا شيخوختها وأمومتها. وهي والدة (محمد سعيد زيدان) أبو عادل.

---

(١) هاني الهندي ـ جيش الإنقاذ ـ دار القدس ١٩٧٤م بيروت ـ ص(١٠٩).

٤- فطوم سعيد زيدان.

٥- شريفة حمود زيدان.

٦- نزهة الخطيب.

٧- نجية أحمد الخطيب: ابنة أمام وخطيب البلدة، وقد مررت بها ورأيت الحفرة التي حفرتها القنبلة التي ألقتها الطائرة. كان طفلها الصغير نائماً على صدرها بينما وقعت طفلتها الصغيرة ضحية إلى جانبها والأخرى جريحة.

٨ - محمد عبد الله عزام: المعروف بالامريكاني وقد مرّ ذكره سابقاً، فقد رفض الهرب وقتل في منزله.

٩- هندية عبد الله حليحل: وابنها عطا خالد حليحل.

١٠- وستة أفراد من عائلة (سنداوي) هم: رضوان محمد سنداوي وزوجته شريفة حمود سنداوي وأولادهما (خضرة) و(مروان) و(محمود) و(مريم).

وكان من بين القتلى المسيحيين من أهالي البلدة:

١١- رضا أيوب حوّا وزوجته (فومية).

١٢- فارس اندراوس حداد وأخوه الياس.

١٣- يوسف حنا صادر.

١٤- رفول هشول. ويوسف سليم هاشول.

أما من المشاهد المؤثرة المحزنة فكان وفاة الطفل (علي بن محمود محمد شحادة عزام). فقد كان أبوه (محمود) شاباً من خيرة شباب البلدة. وكانت زوجته (فاطمة سرحان أحمد حسن زيدان) من زينة صبايا البلدة أيضا، وكان يحبها حباً جماً ويحترمها لأدبها وأخلاقها، وقد ولدت مرتين وكان طفلها في كلتا المرتين يموت وهو صغير، فتغّص ذلك عليهما حياتهما، ولما ولدت ابنها (علياً) في أوائل عام ١٩٤٨م جددت بذلك أفراحها وأفراح زوجها وسرورهما، وكان الطفل غالياً على أبيه وعلى جميع أفراد الأسرة. وكانوا يحيطونه بالعناية والرعاية الفائقتين، ولكن القدر لم يمهله.

فلما قصفت الطائرات البلدة، حملته أمه وهربت به شمالاً بين الهاربات والهاربين من الأطفال والأولاد، وجلس الجميع تحت شجرة تين كبيرة في (العنقور) فسقطت إحدى القنابل على الشجرة

التي احتموا تحتها مباشرة، فخافت(فاطمة) على ولدها، فأحاطته بكامل جسدها لتحميه ولكن شظية أصابتها وأفقدتها الوعي، فسقطت فوق طفلها فقتلته.

ولما وصلناها أنا وزوجها وكنا نتفقد القتلى والجرحى، وجدناها على تلك الحالة المريعة، ولا تسل عن حال زوجها عندما رأى ذلك المصاب الأليم. ولكننا سارعنا ونقلناها إلى المستشفى فشفيت من جراحها، لكنها فقدت طفلها الوديع الجميل البريء.

وكان بين الجرحى أختها الصغيرة (كفى سرحان احمد حسن زيدان) والشاب (خالد محمد احمد شحادة الخليلي) إذ قطعت كف يده اليسرى ونقل إلى المستشفى في بيروت، وشفي. وهو الآن يعمل في التجارة بمدينة (حمص) بعد تخرجه في كلية الحقوق بجامعة دمشق.

وبالطبع فقد كان عدد القتلى والجرحى أكثر بكثير ممن ذكرناهم، ولم يعد بالإمكان ذكر أسمائهم لأن الزمن قد غيّبها في طياته بعد رحلة طويلة، سيما وان معظمهم لم يكونوا من أهالي بلدتنا، بل من أهالي البلدان المجاورة التي سقطت قبل (الجش) كقرى (عين الزيتون) و(طيطبا) و(دلاثا) وغيرها، والذين هربوا من قراهم واحتموا ببلدتنا، وأدركتهم منياهم على ترابها الطهور رحم الله الجميع مسلمين ومسيحيين رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته.

دفن الشهداء في مقبرة جماعية حفرتها الجرافات بقسيمة رقم (١) بلوك رقم (١٤١٠٨)[1].

الجش أثناء حرب عام ١٩٤٨م

عملية «حيرام» واحتلال القرية من وجهة نظر الأعداء:

أن قرار تقسيم فلسطين الصادر عن هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ والذي ينص على تقسيم البلاد لدولتين، يهودية وعربية فلسطينية كان مؤشراً لتجدد النزاع بين الطرفين فبدأت في الجليل الأعمال الحربية مبكراً، وانتهت قبل أن ينتهي القتال في بقية مناطق البلاد فبانتهاء عملية (حيرام) (مبتساع حيرام) في أواخر تشرين أول عام ١٩٤٨ م انتهت الأعمال الحربية وتم احتلال الجليل والجش بضمنه.

منذ بداية الحرب في الشمال والجليل عملت في هذا القطاع قوات «الهجاناه» بقيادة الجنرال موشيه زيلتسكي كرمل هذا من طرف اليهود، أما من طرف الفلسطينيين فالقوات الأساسية التي شاركت في

(١) مصطفى العباسي - الجش سنديانة الديار الصفدية - الجش ١٩٩٤م.

الحرب كانت مؤلفة من أبناء المنطقة ومن المتطوعين العرب الذين نظمتهم الجامعة العربية أطلقت عليهم اسم جيش الإنقاذ، وكان هذا الجيش تحت قيادة فوزي القاوقجي ١٨٩٠- ١٩٧٧م وهو لبناني ولد في طرابلس، تلقى علومه العسكرية في المدارس الحربية العثمانية، شارك في أعمال النضال والثورة في سوريا والعراق وفلسطين خلال ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩م وعاد إلى فلسطين ثانية بعد أن وافقت الجامعة العربية على إقامة قوة من المتطوعين العرب وأوكلت قيادة المتطوعين إليه رسمياً بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٧م، في ظل ظروف شديدة الصعوبة وعدم التكافؤ بين المتطوعين والقوات الإسرائيلية.

بعد تجدد العمليات الحربية في الجليل قررت قوات الهجاناه العمل وفق خطة «حيرام» والتي تلخصت بأن الهجوم على قوات جيش الإنقاذ يكون من قبل الفرقة رقم (٧) بقيادة بين دونكمان على محور صفد، ميرون، الصفصاف، سعسع، الجش[1].

فقد اعتبر هذا المحور اسهل من محور الجليل الغربي، لأن المناطق المأهولة والتجمعات السكنية فيه قليلة.

كان من المقرر أن تبدأ عملية «حيرام» في ليلة ١٩٤٨/١٠/٢٧م ولكنها تأجلت ليوم واحد بسبب تأخر وحدة «عوديد» في جنوب البلاد والمؤلفة في فرقتي مشاة وفرقة من أبناء الاقليات الدرزية والشركسية والتي طلب إليها مساعدة القوات في الشمال وكان قائدها يتسحاق فونداك.

في ليلة ٢٩/٢٨ تشرين أول بدأت الفرقة رقم (٧) بالهجوم على المحور المذكور، منطلقة من مدينة صفد والتي كانت أحتلت قبل عدة أشهر وتحديداً بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٠ م على المحور المذكور وبعد أن تغلبت على المقاومة في ميرون توجهت صبيحة نهار ٢٩ تشرين أول نحو الجش مهاجمة إياها من الجهة الجنوبية من ناحية جارتها الصفصاف حيث احتلت الصفصاف بسرعة ونذكر هنا انه خلال احتلال الصفصاف قتل العشرات العزّل من أهلها بينهم النساء والشيوخ وقد قام بعض شبان الجش لاحقاً بإخراج جثثهم من عين الصفصاف التي كانت قد امتلأت بالجثث.

خلال الهجوم الشامل على الجش والذي استعملت فيه المدفعية والطائرات أيضا قدمت فرقة سورية من جهة سعسع ووصلت إلى موقع النبعات جنوب القرية ولكنها جوبهت قبل أن تتخذ مواقع قتالية مما تسبب في سقوط العديد من أفرادها الذين دفنوا في إحدى الكهوف المجاورة.

---

(١) نقلاً عن كتاب «مصطفى العباسي» - الجش سنديانة الديار الصفدية - الجش - ١٩٩٤.

خلال ساعات تمكنت قوات الفرقة رقم (٧) من السيطرة على الجش وتحولت من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع ومن ثم توجهت بعض القوات إلى مفترق قرية سعسع حيث احتلتها فجر يوم ١٩٤٨/١٠/٣٠ م.مع سقوط الجش وسعسع بدأت قوات جيش الإنقاذ بالتراجع والانسحاب في المناطق الأخرى قرب ترشيحا وسحماتا وكانت معركة الجش عملياً آخر المعارك الهامة في هذا القطاع، في تلك الأثناء تقدمت قوات أخرى نحو قرى الرأس الاحمر، ديشوم والمالكية حيث تمت السيطرة على الجليل واستمرت عملية " حيرام " بمجملها ستين ساعة فقط، هذا وقد ترك لنا قائد الحملة الجنرال موشي كرمل وصفاً شاملاً من وجهة نظره عن الحملة وعن معارك الصفصاف والجش في كتابه «معركوت هتصفون» معارك الشمال، أوردها مترجمة عن العبرية.

«خلال ليلة واحدة تحركت الوحدات بسرية تامة إلى قواعد الانطلاق... مع حلول الظلام عجّت الطرقات في الجليل الشرقي... مئات السيارات المصفحة... أطفئت الأضواء ومرت محدثة ضجيجا قويا على الطرقات المظلمة؟ وقبل بزوغ الفجر كانت الوحدات جاهزة للعمل... تنتظر ساعة الصفر وتخفي نفسها عن عين العدو...

لقد كانت هذه العملية ذات نطاق واسع وبقوة كبيرة شاركت فيها وحدات من المشاة مجنزرات مدفعية وسلاح الجو هدفها تحرير الجليل والقضاء على جيش القاوقجي... قبل المساء وقفنا على سطح منزل في صفد ونظرنا إلى الغرب إلى المكان الذي ستنشب به خلال ساعات معارك ضارية... هناك قواعد العدو الحصينة ميرون، الجش، سعسع التي تحمي مركز الجليل... مع حلول مساء ٢٨/ تشرين الثاني بدأت القوات تتحرك، قصفت الطائرات مراراً ترشيحا، سعسع، والجش، المدافع تقصف تجمعات العدو... القوات الطلائعية بدأت تتحرك من صفد نحو الغرب باتجاه ميرون والجش وسعسع... كان على القوة المتجهة من صفد التغلب على عوائق كبيرة في الطريق... عندما كان المهندسون مشغولين بإعداد الطريق، كانت المعارك مع الوحدات البرية قد بدأت... وفق الخطة سيطرت قواتنا على قديثا وطيطبا... ولكن قرية ميرون أظهرت مقاومة شديدة واستمرت المعركة ساعات عدة وأوقف هجوم قواتنا، ولكنها عادت وشنت هجوماً عنيفاً على البيوت الحصينة في ميرون وفي الساعة الثامنة والنصف استسلم العدو حيث وجدت قوة كاملة من قواته مهزومة مقتولة وعلى الأقل قتل ثمانون من جنود العدو في هذه المعركة.

وبعدها وعلى الفور توجه الرتل المدرع نحو قرية الصفصاف التي كانت محمية جداً، وفي ساعات الصباح الباكر اقتحمت القوات القرية... انكسرت المقاومة وعثر على جثث القتلى مطروحة في الحقول... قطعان الماشية تراكضت بدون هدف ودون من يجمعها بعضها جريحة وتنزف دماً مثل الناس، وقبل أن استعدت وحداتنا للدفاع عن القرية التي احتلت... قام العدو بهجوم مضاد من جهة الجش بهدف اخراجنا من الصفصاف، كانت لحظات مصيرية، كانت وحداتنا موزعة في الحقول وغير منتظمة... قائد الوحدة... اتخذ المبادرة... وبدأ يعمل فوراً ... الهجوم المضاد فشل واستعدت وحداتنا فوراً لإستكمال الهجوم على الجش، وحدة مجنزرة حاولت التقدم ولكنها صدّت، ولكن وحداتنا عاودت ونظّمت نفسها للهجوم... بعد أن رأى العدو أننا نهاجمه بقوات ضخمة وان خطوط دفاعه تنهار... طلب فوراً مساعدة من الجيش السوري، فرقة[1] مشاة سورية والتي كانت على ما يبدو مستعدة مسبقاً لذلك، خرجت من قواعدها في قرية مرج عيون أسرعت للجش لإنقاذها، واجه مهاجمونا الفرقة السورية في الساعة التي وصلت فيها للجش، وقبل أن تتخذ مواقع قتالية، والمنطقة غير معروفة لها... وقد أدى هجومنا إلى قتل أعداد كبيرة من هذه الوحدة، وانتشرت جثث القتلى على جوانب الطرقات، بين كروم الزيتون قرب بيوت القرية، وقد خلّف العدو وراءه مائتي قتيل... هاجمت قواتنا القرية بسرعة وسيطرت عليها سريعاً.

ويستمر موشيه-كرمل في وصفه قائلاً:

«مررت في الحقل متنقلاً بين جثث القتلى الكثيرين، الذين كانوا مطروحين في كل مكان، محطمي الأعضاء تعلوهم بقع الدم السوداء... إلى جانبهم وجدت أغراضهم، أسلحتهم، وجوههم الصامتة... لم تعبر عن شيء، لقد بدوا شباباً صغار السن لم يعيشوا حياتهم بعد.

من الوصف المذكور أعلاه حول مادار في الجش يتضح أن قوات جيش الإنقاذ حاولت وقف تقدم قوات الهجاناه، ولكنها أخفقت و لم تثبت شجاعتها فقد دفعت إلى المعركة دون أن تعلم عن طبيعة المنطقة شيئاً، مما سبب في سقوط عدد كبير من الضحايا بلغ نحو مائتي جندي.

إضافة إلى ضحايا الإنقاذ فقد استشهد من أبناء القرية خمسة وعشرون شخصاً بين رجل وامرأة وشاب وطفل وقد استشهد هؤلاء، أما بالقصف الجوي وإما في الطرقات والحقول وإما في داخل البيوت.

---

(١) ليس المقصود بكلمة «فرقة» المعنى العسكري الحرفي وإنما هي فوج بقيادة الملازم عز الدين علم الدين.

أهل الجش في الشتات:

مع فجر يوم الثلاثين من تشرين أول عام ١٩٤٨م كان أهالي بلدة (الجش) يتجهون شمالاً مذعورين حاملين بعض حاجياتهم. تلاحقهم الطائرات الإسرائيلية حتى الحدود اللبنانية. ثم اجتازوا قرية (يارون) على الحدود الفلسطينية اللبنانية، واتجهوا إلى مدينة (بنت جبيل) ومنها تابعوا مسيرتهم إلى بلدة (تبنين). وبعد إقامة يسيرة تحت أشجار زيتونها إلى الشرق من قلعتها المشهورة، نقلوا مع غيرهم من الهاربين بالسيارات إلى مدينة (صور) بمساعدة الرئيس (غسان جديد)، الذي أحب أهالي البلدة وأحبوه بعد أن أقام بينهم هو وأخوه (فؤاد) ورجال فوجه عدة أشهر.

كان رمل شاطئ (صور) يفيض بالنازحين عن بلدانهم، وبعد انتظار يومين أو ثلاثة أيام، وصل قطار كبير، وصعد إليه الآلاف من أبناء الجليل ومن بينهم أهل الجش، وأخذت اللجنة التي شكلت للعناية بالنازحين، توزعهم على البلدان التي مر فيها القطار، فمنهم من أنزل في (صيدا) ومنهم من أنزل في (بيروت) ومنهم من أنزل في (طرابلس). ومنهم من تابع مسيرته في القطار إلى (حمص) و(حماة) و(حلب) في الجمهورية العربية السورية.

الباقون في البلدة:

و لم يتبق في البلدة إلا عدد ضئيل من أهلها المسلمين، وكان معظمهم من الشيوخ الذين لم يستطيعوا الهجرة لكبر في أسنانهم أو عجز في صحتهم. فآثروا البقاء حيث هم على ثرى بلدهم ومن هؤلاء:

١- عثمان أحمد عثمان خلايلي: جد المؤلف - وقد رفض المحاولة من ولديه إبراهيم ومحمد اللذين حاولا نقله، ولكنه أبى إباء شديداً وصمم على البقاء في المغارة القريبة من منزله، ثم عاد إلى المنزل، وبقي فيه إلى أن توفي عام ١٩٥١. رحمه الله.

٢- الحاج محمد شحادة العزام: وهو زوج عمتي (فطوم عثمان خلايلي) وكان قد بقي في البلدة، وهاجرت زوجته وأولاده وبناته إلى (طرابلس) ولكنها لم تلبث أن عادت مع بناتها (آمنة ورقية وعائشة) للعناية بزوجها ووالدها إلى أن توفيا ...وعاشت بعدهما ردحاً طويلاً من الزمن، أما بناتها فقد تزوجن في البلدة ولهن اليوم عدد كبير من الأبناء والأحفاد.

٣- يوسف بن إبراهيم الشيخ - من الخلايلة - وزوجته.

٤- مرعي حسن أبو زينب وولده (قاسم).

٥- محمد حسن أبو زينب ــ المعروف بأبي زهية، وكان قد تزوج (خديجة محمد شحادة) ابنة عمتي(فطوم). بعد زوجته (شيخة أحمد شحادة) التي هاجرت واستوطنت في (حمص) وتوفيت في أواخر الثمانينات دون عقب. أما خديجة فقد ولدت له عدة أولاد يعيشون الآن في (الجش).

٦ - طه أيوب وزوجته.

٧ - حسين موسى حوراني وزوجته (زهرة محمد أحمد الخليلي) وهو أصلاً من أهالي حطين. تزوج من الجش واستوطن فيها إلى أن توفي.

٨ - مصطفى حمود زيدان - المعروف بمصطفى فهده وابنه(محمد) وابنته.

٩ - حسين نمر عزام وولداه

١٠- ياسين حسن سعد، وابنه محمود

١١- علي محمود عبد الرحيم زيدان، وأمه وأخته.

١٢- محمد محمود قاسم أيوب.

١٣- علي محمود قاسم أيوب.

١٤- أحمد عبد الغني عزام، المعروف بأحمد غنوم.

١٥- أحمد حسن أيوب المعروف بأبي طه.

١٦- فارس نجيب علي أيوب واخوته.. وقد ظلوا في أماكنهم وكانوا يستوطنون مدينة (حيفا).

١٧- قاسم صبح أيوب، وأخوه. وكانا صبيين صغيرين يتيمين يعيشان في رعاية زوج أمهما في (حيفا).

١٨- يوسف ذيب، وابنه (علي) وكان (علي) هذا زميلي في المدرسة.

١٩- مريم حمود عزام، وكانت امرأة طاعنة في السن وعاشت في البلدة بعد النكبة في منزل ولدها، محمد شحاده عزام، إلى أن توفيت في أوائل الخمسينات.

٢٠ - محمد سعيد زيدان وأولاده: وكان موظفاً في بلدية (حيفا) قبل النكبة وبقي على رأس عمله، و لم يتمكن من الهجرة، وله عدد من الأولاد المتعلمين. فيما يترأس ولده (عادل) نقابة رجال الدين الإسلامي في إسرائيل، بعد تنقله في عدة وظائف في الأوقاف الإسلامية إماماً في مسجد (الجش) وقد قام بأعمال جليلة في خدمة الأوقاف الإسلامية في (حيفا) و(الجش) حيث

استطاع أن يحمي مقبرة (الخلايلة) من البيع ويسورها، بعد أن كانت السلطات الإسرائيلية قد أجرتها لأحد أهل (كفر برعم) فتصدى للمؤامرة وإقامة الدعوى على السلطات وربح الدعوى وحمى المقبرة من العبث الإسرائيلي.

كما أهتم بتجديد بناء المسجد، وبنى له مئذنة عالية، ووضع عليها مكبرات الصوت، حتى أصبح صوت الأذان يرن بقوة فوق تلك التلال المهيبة إلى مسافات بعيدة.

٢١- وقد تخلف في البلدة أيضاً (آل حليحل) وهم (محمد حليحل) وأولاده صالح وأحمد ومحمود وأولادهم وأحفادهم، وهم أصلاً من أهالي قرية (قديثا) المجاورة لبلدتنا، وقد لجؤوا إلى (الجش) بعد سقوط مدينة (حيفا) حيث كانوا يعملون ويستوطنون، وهم الآن يشكلون حمولة من أكبر الحمائل المستوطنة في بلدة الجش.

أما أهل البلدة من المسيحيين، فقد عادوا إلى البلدة مع إشراقة الشمس بعد أن نصحهم بذلك رجال الدين، وقرعوا أجراس الكنائس ورفعوا الرايات البيضاء على المنازل واستسلموا، واستمروا في العيش في منازلهم وعلى أرض آبائهم وأجدادهم.

وقد حاولوا جاهدين إعادة أبناء بلدهم من المسلمين إلى البلدة، فأرسلوا في إثرهم الأستاذ الشماس (أتناس يوسف عقل) لينصحهم بالعودة إلى بيوتهم وأملاكهم، ولكنهم أبوا واستكبروا وركبوا رؤوسهم وأصروا على الهجرة، وإتمام مسيرة الشقاء والعذاب التي بدؤوها عند سقوط البلدة.

الفظائع التي ارتكبها اليهود في البلدة عند احتلالها:

كانت بعض أعمال النهب ذات طابع أكثر شخصية، وهذا النوع من النهب الآثم حصل في قرية (الجش) في منطقة (صفد)، فبعد يومين من احتلال القرية نهب الجنود كل ما وقعت عليه أيديهم من حلي ونقود وأشياء ثمينة أخرى.

أشار أحد أعضاء الكنيست العرب لاحقاً «إلى الأهالي الذين سرقوا بأن يحصلوا على إيصالات عن الأشياء التي سلبت منهم، لكن بدلاً من ذلك اقتيدوا إلى مكان منعزل حيث تمت تصفيتهم». واحتج سكان القرية أمام قائد المنطقة على الممارسات الإسرائيلية بعد أن أعيدت الجثث إلى القرية وقد قطعت أصابع إحداها لسلب الخاتم منها. وكشف أحد مستشاري بن غوريون

العسكريين الموثوق بهم، فرد غرونيش عن «الفظاعات التي شهد عليها في قرية (الجش) العربية لدى الاستيلاء عليها واصفاً إياها بالجريمة البشعة ومجزرة المدنيين»[1].

أما ما حدث في قرية الصفصاف المجاورة فيصفه المؤلف على الشكل التالي:

«كانت الصفصاف قرية صغيرة تقع على إحدى الطرق التي سلكتها إحدى الجحافل الإسرائيلية في ليل ٢٩/ تشرين الأول، قتل الكثير من أبناء القرية نتيجة الغارات الجوية التي مهدت الطريق لدخول الإسرائيليين القرية صباح اليوم التالي:

تتذكر أم شحادة الصالح ذاك الصباح المأساوي فتروي كيف أصيب القرويون بالذعر، عندما طلب منهم الإسرائيليون التجمع في ساحة القرية وهناك اختاروا أربع فتيات من الجمع وطلبوا منهن مرافقتهن إلى البئر لجلب المياه، لكن «بدلاً من ذلك اصطحبهم الإسرائيليون إلى منازلنا الخالية واغتصبوهن».

ولم يكن مصير شباب الصفصاف بأفضل، تقول أم شحادة والفزع بادٍ على وجهها: «حوالي السبعين من شبابنا قتلوا رمياً بالرصاص بعد أن عصّبت أعينهم الواحد تلو الآخر أمام أعيننا»[2].

السلطات الإسرائيلية تنقل أهالي «كفر برعم» إلى الجش:

وقد مرَّ ذلك في سابقاً في حديثنا عن بلدة (كفر برعم) وهي بلدة كبيرة، وكل سكانها من المسيحيين الموارنة، وملاصقة للحدود اللبنانية.

فقد نقلتهم السلطات الإسرائيلية بالقوة إلى بلدة (الجش) رغم احتجاجهم العنيف اكثر من مرة. وأجبرتهم على العيش في الجش، وقد يئسوا من العودة إلى بلدتهم. ورغم المحاولات الجادة والاحتجاجات والإضرابات التي قاموا بها عبر سنين طويلة، ورغم الدعاوى التي أقاموها أمام القضاء الإسرائيلي، ولكن أحداً لم يصغ لهم. وحرموا من حقوقهم العادلة، وظلوا يعيشون في بلدة (الجش) مع أهلها من مسيحيين ومسلمين، وقد انسجموا للحياة معهم مرغمين، مع أن بلدتهم وأملاكهم ومزارعهم وبيوتهم تقع على مرمى السهم إلى الشمال الغربي من بلدة (الجش) وهم الآن يستأجرون أراضي الغائبين من المسلمين، من السلطات الإسرائيلية ويزرعونها لتأمين معاشهم.

---

(١) ميخائيل بالومبو: كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام ١٩٤٨م - دار الحمراء بيروت ١٩٩٠م. ص١٥٨.

(٢) المرجع السابق - ص(٥٦/١).

الجاليات «الجشية» في سوريا ولبنان وسائر أنحاء العالم

استوطن أهالي بلدة (الجش) بعد هجرتهم عن وطنهم إثر سقوط بلدتهم عام ١٩٤٨م في أماكن كثيرة هي:

١- في لبنان:

وزِّع بعض أهالي بلدة (الجش) المهاجرين إثر النكبة على مخيمات كانت قد أعدت مسبقاً لهم في أنحاء متفرقة من لبنان الشقيق، واهم هذه المخيمات هي: مخيم المية ومية قرب صيدا، ومخيم برج البراجنة في بيروت، ومخيم البداوي إلى الشرق من مدينة طرابلس وفي أنحاء أخرى كمخيم الرشيدية في صور. ومخيم البص في صور أيضاً.

أ- مخيم المية ومية:

والعائلات التي استوطنت في مخيم المية ومية هي:

١- محمود مصطفى قاسم أبو زينب - المعروف بمحمود شاهينه وأولاده (محمد)، و(أحمد)، و(قاسم).

٢- حسين علي قاسم أبو زينب - المعروف بحسين شاهينة وأولاده (محمد) و (مروان). وآخرون لا نعرف أسماءهم.

٣- محمد علي قاسم أبو زينب وأولاده.

٤- محمد مرعي حسن أبو زينب وأولاده.

٥- حسين مرعي حسن أبو زينب وأولاده.

٦- حسن مرعي حسن أبو زينب وأولاده.

٧- إبراهيم عزام وولداه (محمد) و (محمود) ثم ارتحلوا أخيراً إلى مخيم البداوي بعد مقتل ولده (محمد) في الحرب اللبنانية، ومن جراء القصف الإسرائيلي على المخيمات الفلسطينية.

٨ - علي عزام وولداه (حسين) و(محمد) وأولادهما.

ولا يسعنا إلا أن نذكر أن معظم العائلات التي تحسنت أحوالها المعيشية وتحسنت دخولها السنوية أخذت تتنقل من المخيمات والسكن في المدن القريبة من هذه المخيمات... ولذا فإن الكثيرين من أهالي (الجش) ذابوا في المدن السورية واللبنانية التي استوطنوها... كدمشق وحمص وحماة وحلب وطرابلس وصيدا وصور وغيرها.

ب ـ في مخيم البص على مقربة من صور:

ويعيش في هذا المخيم أهالي بلدة (الجش) الذين انحدروا من جدهم المرحوم (محمـود مصطفى قاسم أبو زينب) وأولاده (محمّد) و(أحمد) و(مصطفى).

وقد عرفنا منهم السادة:

١ـ علي مصطفى محمود قاسم: وهو مهندس مدني.

٢ـ محمد مصطفى قاسم: دكتوراه في الفيزياء.

٣ـ وبسام مصطفى قاسم: مهندس ميكانيك.

٤ـ نمر محمد نمر عزام وأولاده.

٥ـ عيسى محمد حسين عيسى كلثوم، وولده (محمد).

ج ـ في مخيم برج البراجنة:

١ـ سليم علي أيوب (آخر مختار لبلدة الجش) قبل النكبة.

٢ـ رجا محمد أيوب وأولاده.

٣ـ محمود عبد الله أيوب وأولاده.

٤ـ محمود أيوب المعروف بمحمود أبو غنيم.

٥ـ محمد أيوب المعروف بمحمد أبو غنيم وأولادهما.

٦ـ حسين محمود زينه. المعروف بأبي صوله وأولاده.

٧ـ محمد حزو وأولاده.

د ـ في مخيم صور والرشيدية:

١ـ حميد علي أيوب وأولاده استوطنوا في مدينة (صور).

٢ـ محمد نجيب علي أيوب.

٣ـ محمود نجيب علي أيوب.

٤ـ محمد محمود عبد الرحيم زيدان. استوطنوا في الرشيدية مع أولاده (عبد) و(زيدان) و(أحمد)

المرحوم رشيد سعيد زيدان

السيد محمود محمد شحادة العزام

هـ ـ في مخيم البداوي:

أما في مخيم البداوي القريب من مدينة طرابلس، فقد استوطن عدد كبير من أهالي البلدة وهم:

١ـ محمد محمود حسين خلايلي وأولاده (قاسم) و(محمود) و(عبد الكريم) و(أحمد).

٢ـ قاسم عبد اللطيف محمد خلايلي وولداه (نمر) و(أحمد).

٣ـ محمود يوسف أحمد الخليلي. (أحد مخاتير الجش).

٤ـ محمد يوسف إبراهيم خليل خلايلي. وأولاده (أحمد) و(محمود) و(يوسف) و(زيدان) و(خالد) الذي استشهد في حادثة مطار (عينيتي) وكان رئيس الزمرة التي اختطفت الطائرة.

٥ـ محمد محمود شحادة عزام وأولاده (علي) (أحمد) (سمير) (يحيى) (وليد).

٦ـ قاسم محمد شحادة عزام وأولاده (محمد) و(محمود) (عبد الناصر) (طه وأحمد).

٧ـ محمد عزام وولداه (طه) و(محمود).

٨ـ محمود عبد الرحيم زيدان وأولاده (محمد) و(حسين) و(عبد الناصر).

٩ـ سرحان أحمد حسن زيدان وولداه (محمد) و(أحمد).

١٠ـ كريم نايف عبد الكريم زيدان وولداه (محمد) و(أحمد).

١١ـ حسين نايف عبد الكريم زيدان وأولاده (محمد) و(محمود) (أحمد) و(زيدان) (علي)

١٢ـ محمد علي أيوب وأولاده (علي) و(خالد) و(محمود).

١٣- أحمد عبد اللطيف أيوب. المعروف بأحمد الشاويش وولداه (محمود) (محمد)

١٤- محمد عبد اللطيف أيوب وولداه (رجا)و(أحمد).

١٥- قاسم أيوب وأولاده (العبد) و(محمد) (المعروف بقاسم أبو غنيم)

١٦- محمد عبد الله سعد المعروف بالبلطجي وأولاده (عبد الله) و(علي) و(خالد) و(أحمد).

١٧- محمود اسماعيل سعد. وأولاده (اسماعيل) و(علي) و(أحمد).

هذا وقد استوطنت عائلة مسيحية واحدة في مدينة (طرابلس) يقال لهم أولاد (صادر) وما عرفت اسم رب هذه العائلة.

المرحوم محمد حسين خلايلي

المرحوم الأستاذ حسين جوهر

الحاج علي خلايلي

الأستاذ فؤاد علي الخطيب

الأستاذ محمود خلايلي

٢- في سوريا:

أما الذين وصلوا إلى سوريه من أهالي بلدة (الجش) فكانوا أكثر عدداً من الذين بقوا في لبنان. وقد وزعوا على مخيمات (النيرب) على مقربة من مدينة (حلب) وعلى مخيم العاندين (بحمص) ومخيم العاندين بحماه.ثم نزح

عدد كبير من هذه المخيمات واستوطن في دمشق.

أ- في مخيم النيرب: وكان الذين استوطنوا في مخيم النيرب هم:

١- إبراهيم عثمان أحمد خلايلي. وولداه (خليل - مؤلف الكتاب) و(محمد).

٢- سعيد عمر عبد اللطيف خلايلي وولداه (محمد)و(أحمد).

٣- حسين عمر عبد اللطيف خلايلي وأولاده (محمد) و(إبراهيم) و(علي).

٤- حسين علي محمد خلايلي وأولاده (علي) و(محمد) و(خالد).

٥- خالد يوسف إبراهيم خلايلي وأولاده (محمد) و(أحمد) و(إبراهيم).

٦- علي يوسف إبراهيم خلايلي وأولاده.

٧- قاسم محمد حسين الخليلي. وأولاده (جميل) (أحمد) و(خالد) و(علي).

٨- محمد أحمد شحادة الخليلي وأولاده (محمود)و(خالد)و(أحمد) و(علي).

٩- قاسم أحمد شحادة الخليلي وأولاده (محمد) (أحمد) (علي) (خالد) (يوسف).

١٠- كريم يوسف خليلي. وأولاده (محمد) و(خالد) و(علي).

١١- كامل عبد الغني محمد الخليلي. وولداه (محمد) (أحمد).

١٢- محمد عبد اللطيف محمد أحمد الخليلي. وأخوه (محمود) وقد انتقلا فيما بعد إلى (دمشق) واستوطنا مع أولادهما في مخيم (اليرموك).

١٣- عزيز طه عزام وأولاده (محمد) (أحمد) (طه) (محمود).

١٤- سرحان طه عزام. وابنه (محمد وليد)؟

١٥- أحمد عبد الله عزام وأولاده (محمود) (علي) (محمد).

١٦- محمود محمد عبد الله عزام. وأخوه (إبراهيم) ولهما الآن عدد كبير من الأولاد.

المرحوم الشيخ محمد يوسف الخليلي

قائد الفصيل القسامي

المرحوم الشيخ محمد عثمان خلايلي

المرحوم محمد أحمد شحادة الخليلي

١٧ـ خالد عبد الغني عزام. وأولاده.

١٨ـ حسين عبد الله عزام. وأولاده (محمد) (اسماعيل) (فؤاد).

١٩ـ محمد عبد الغني عزام وأولاده.

٢٠ـ أحمد قاسم حمود عزام وأولاده.

٢١ـ سعيد شحاده عزام. وابنه (محمد).

٢٢ـ اسماعيل سعيد عزام. وولده (محمود)، (أحمد محمد النمر عزام وأولاده)

٢٣ـ خليل أحمد عبد اللطيف زيدان وأولاده (إبراهيم) (أحم) (محمود). وقد انتقلوا إلى (دمشق).. وله الآن عدد كبير من الأحفاد.

٢٤ـ رشيد سعيد عبد الكريم زيدان. و لم يترك أولاداً ذكوراً.

٢٥ـ كايد نايف عبد الكريم زيدان. وأولاده (علي) (أحمد) (محمود) (محمد) (صالح) (عبد الله).

٢٦ـ نمر أحمد حسن زيدان. وأولاده (علي) (محمد) (أحمد) (محمود).

٢٧ـ محمد سليم عبد اللطيف زيدان وأولاده (سليم) (أحمد) (قاسم) (علي).

٢٨ـ اسماعيل محمود قاسم أيوب. وأولاده.

٢٩ـ حسين علي حسين العلي (المعروف بالنحوي) وأولاده(أحمد) و(محمد).

٣٠ـ أحمد الناصر العلي وولده (خالد).

٣١ـ خليل محمد عيسى كلثوم ـ المعروف بخليل أمون.وقد توفى دون عقب.

٣٢ـ حسين علي عيسى كلثوم ـ المعروف بحسين ريا وولداه (أحمد) (نمر).

٣٣ـ محمد علي كلثوم وأولاده (محمود) (موسى) (نصر) (إبراهيم) (علي).

٣٤ـ محمود حسين زينه وولداه (محمد محمود حسين زينه) و(علي محمود حسين زينه) المعروف بالطحبوش. وله اليوم عدد من الأحفاد.

ب ـ في مخيم العائدين بحمص: أما العائلات التي استوطنت في مخيم حمص فهي:

١ـ محمد عثمان أحمد خلايلي.وأولاده (أحمد) و(محمود) و(خالد) و (عثمان).

٢ـ حسين كريم حسين خلايلي وولداه (كامل) و(محمد).

٣ـ سرحان محمد حسين خلايلي وولداه (أحمد) و(محمد).

٤ـ حسن خليل إبراهيم خليل الشيخ خلايلي ـ المعروف بالبيك وأولاده (أحمد) و(خليل).

٥ـ علي أحمد شحادة الخليلي وولداه (العبد) و(محمد).

٦ـ محمد علي محمد الخليلي وأولاده (علي) و(خالد) و(أحمد).

٧ـ كريم محمد أحمد الخليلي وولده (محمد) وأحفاده.

٨ـ قاسم محمد احمد الخليلي وولده (محمد) المعروف بأبي يوسف.

٩ـ حسن محمد حسن حسين الخليلي. وأولاده (محمد) و(محمود) و(أحمد) و(يوسف).

١٠ـ أحمد خليل احمد الخليلي. وولده (عبد الكريم) وأحفاده (وهو أحد مخاتير الجش).

١١- محمد محمود حسن حسين الخليلي. وأولاده.

١٢- محمد إبراهيم يوسف الخليلي. وولداه (محمد) و (أحمد).

١٣- رشيد عمر عبد اللطيف خلايلي وأولاده.

١٤- خالد سعيد عبد الكريم زيدان وأولاده (سعيد) و(علي) و(معين) و(أحمد) و(وفاروق) و(عبد الفتاح).

١٥- علي أحمد حسن زيدان وولداه (محمد) و(أحمد).

١٦- نمر قاسم أيوب وأولاده.

١٧- مصطفى أيوب. وليس له أولاد ذكور.

١٨- نمر حسن أيوب. وأولاده (حسن) و(محمد) وغيرهما.

١٩- خالد محمد أسعد ياسين وأخوه (محمد أسعد ياسين) الخليلي. وكانا طفلين صغيرين بعد وفاة والدهما، ثم كبرا وتزوجا ولهما الآن عدد من الأولاد.

٢٠- عبد الكريم سعد وولده (نمر) وأحفاده (عدنان) و(محمد) و(فتحي) و(يحيى) و(أحمد).

٢١- قاسم محمد عيسى كلثوم. المعروف بقاسم أمون ..وولده (محمد).

٢٢- محمد حسين عيسى كلثوم وولده (يحيى) و(أحفاده).

٢٣- محمود الناصر العلي. وأولاده.

٢٤- محمد حزو وأولاده.

٢٥- قاسم محمد الخطيب بليبل وولداه (محمد) و(أحمد).

٢٦- أحمد عزام (المعروف بأبي فخري) وفخري توفي غرقاً ١٩٤٧ في بركة الشوط وولداه (محمد) و(محمود).

٢٧- خليل حسن قدورة العلي. وولداه(حسن) و(محمد).

٢٨- حسين يوسف جوهرثم استقر في مدينة حلب وتوفي فيها (١٩٨٠). وشغل في آخر حياته مدير تربية (حلب) كما شغل قبلها مدير التربية في وكالة الغوث بدمشق.

ج - **مخيم العائدين بحماه**: وفيه استوطنت العائلات التالية:

١- علي عمر عبد اللطيف خلايلي. وولداه (محمد) و(أحمد).

٢- محمد يوسف أحمد الخليلي. وولداه (يوسف) و(أحمد). ثم انتقلوا جميعاً إلى مخيم اليرموك بدمشق.

٣- حسين علي حسين العلي. وأولاده (علي) (محمود) (أحمد) (طه) و(وليد).

٤- علي حسين العلي. وأولاده. (حاتم) و(عماد) و(جهاد) و(فؤاد) و(حازم).

٥- أحمد عبد الحليم بليل وأولاده (علي) و(عبد الحليم) و(محمد) وهو آخر إمام لمسجد الجش قبيل النكبة.

٦- أحمد علي غنيم سعد وولده (علي) وأحفاده (محمد) (أحمد) (حسين) (عدنان) و(خالد).

٧- محمد إبراهيم سعد وأولاده (إبراهيم) و(خليل) و(علي) و(عبد الكريم) ثم انتقلوا إلى مخيم اليرموك.

٨ - رشيد إبراهيم سعد وولداه (أحمد) و(علي).

٩- محمد خليل أحمد إبراهيم سعد (ابن المكنى) وأولاده (خليل) (سعيد) (أحمد) (محمود) (علي) (إبراهيم) و(جهاد).

١٠- رشيد صالح أبو زينب.. وكان قد توفي في (الجش) قبيل النكبة. وجاءت زوجته (سعدى سعيد زيدان) وولداه (محمود ومحمد) وعاشا في مخيم حماه.

١١- محمد محمود نمر عزام وأولاده (محمد) (عبد) (أحمد) و(خالد).

بنات جسكالا يزهرن في الشتات

ميسون خلايلي

الدكتور لميس خلايلي

تعيشان في لندن

الدكتورة عتاب خليل خلايلي

(مخبر القصر بحلب)

الجالية الجشية في دمشق:

تتشكل الجالية الجشية التي استوطنت في دمشق، والتي انتقلت إليها من المحافظات السابقة من الأسماء التالية:

١- علي محمود يوسف خليلي.
٢- نبيل علي محمود خليلي
٣- أحمد علي محمود خليلي
٤- زياد علي محمود خليلي
٥- نزار علي محمود خليلي
٦- محمد علي محمود خليلي
٧- خليل إبراهيم عثمان خلايلي
٨- غالب خليل خلايلي
٩- مصعب خليل خلايلي
١٠- إبراهيم خليل خلايلي
١١- نهار خليل خلايلي
١٢- أحمد محمد عثمان خلايلي
١٣- محمود محمد عثمان خلايلي
١٤- عثمان محمد عثمان خلايلي
١٥- محمد نمر زيدان
١٦- أحمد نمر زيدان
١٧- محمود نمر زيدان
١٨-إبراهيم خليل أحمد زيدان
١٩- أحمد خليل أحمد زيدان
٢٠- محمود خليل أحمد زيدان
٢١- سليم محمد سليم زيدان - وأولاده
٢٢- قاسم محمد سليم زيدان - وأولاده
٢٣- جميل قاسم أبو جوهر - وأولاده
٢٤- أحمد محمد أحمد شحادة - وأولاده
٢٥- علي محمد أحمد شحادة - وأولاده.
٢٦- علي محمد إبراهيم سعد - وأولاده.
٢٧- عبد الكريم محمد إبراهيم سعد - وأولاده.
٢٨- عدنان نمر عبد الكريم سعد - وأولاده.
٢٩- محمد أحمد عزام - وأولاده.
٣٠- يوسف محمد يوسف الخليلي - وأولاده.
٣١- أحمد محمد يوسف الخليلي - وأولاده.
٣٢- عبد اللطيف محمد عبد اللطيف الخليلي - وأولاده.
٣٣- عمر محمد عبد اللطيف الخليلي.
٣٤- رمزي محمد عبد اللطيف الخليلي.
٣٥- أحمد محمد عبد اللطيف الخليلي.
٣٦- محمد إبراهيم يوسف الخليلي.
٣٧- محمود محمد كامل الخليلي.
٣٨- محمد كريم يوسف الخليلي.
٣٩- خالد كريم يوسف الخليلي.
٤٠- علي كريم يوسف الخليلي.
٤١- هشام علي حسين خلايلي.
٤٢- أحمد محمد حسين كريم الخليلي.

الهجرة خارج الوطن العربي

وجدير بنا أن نذكر أن عدداً كبيراً من شبابنا المثقف قد هاجر إلى بلدان العالم خارج الوطن العربي كأميركا وأوروبا، وكان الغرض من هجرتهم إما متابعة الدراسات العليا والتخصص أو العمل.. ومنهم كثيرون اكتسبوا جنسية البلدان التي هاجروا إليها، ونستطيع أن نذكر من أولئك.. الأسماء التالية.

١ـ في أميركا:

١ـ الدكتور نزار علي الخليلي. وهو طبيب مختص في الطب النفسي يفتح عيادة للطب النفسي في أميركا، وكان قد هاجر إليها بعد تخرجه في كلية الطب بجامعة دمشق، وقد لقي نجاحاً وتفوقاً وهو اليوم أستاذ في إحدى كليات الطب.

٢ـ خالد محمد سرحان زيدان، وهو يعمل في التجارة.

٢ـ في النرويج:

١ـ الأستاذ عبد اللطيف نمر خلايلي. وهو مدرس في معهد صناعي بمدينة (هوني فوس) بعد تخرجه في كلية الهندسة بالمدينة نفسها.

٢ـ جميل نمر خلايلي، وهو شاب ذكي ونشيط، وقد افتتح مدرسة في (هوني فوس) للغطس، وتزوج نروجية. وأحواله وأحوال أخيه علي ما يرام.

٣ـ في السويد:

وفي السويد اليوم جالية كبيرة من أهالي الجش وقد حصلوا على الجنسية السويدية وهم:

١ـ محمد سرحان زيدان وأولاده نبيل ويحيى وعلي ويوسف وابنته ناديا زوجة محمد إبراهيم زيدان. وابنتاه منى وأمل.

٢ـ أحمد سرحان زيدان وأولاده ماجد وماجدة وناهدة وأمل.

٣ـ محمد إبراهيم زيدان وعائلته وابنه لؤي.

٤ـ عبد اللطيف أحمد زيدان.

٥ـ محمد يوسف خلايلي(أبو زيدان).

٦ـ أحمد محمد يوسف خلايلي.

٧ـ يوسف محمد يوسف خلايلي.

٨ـ أحمد رشيد عمر خلايلي.

٩ـ أحمد محمود شحادة عزام.

١٠ـ سمير محمود شحادة عزام.

١١ـ وليد محمود شحادة عزام.

١٢ـ طه قاسم محمد شحادة عزام.

١٣ـ محمود حسين نايف زيدان.

١٤ـ زيدان حسين نايف زيدان.

١٥ـ خالد نمر قاسم أيوب.

١٦ـ جمال محمد حسن كريم خلايلي.

١٧ـ وليد محمد حسين كريم خلايلي.

٤ـ في ألمانيا:

١ـ أحمد قاسم شحادة الخليلي(طبيب).

٢ـ خالد قاسم شحادة الخليلي.

٣ـ علي قاسم شحادة الخليلي(طبيب داخلية)

٤ـ محمد قاسم الخليلي(ضابط سابق).

٥ـ مصطفى إبراهيم زيدان (رسام).

٦ـ حسين محمود عبد الرحيم زيدان وأخته (صباح) وزوجته (هناء إبراهيم زيدان).

٧ـ محمد أحمد قاسم عبد اللطيف خلايلي.

٨ ـ كامل حسين خلايلي.

٩ـ مازن كامل حسين خلايلي.

٥- في بريطانيا:

١ ميسون خليل خلايلي.

جسكالا خليل خلايلي

أول فتاة حملت اسم البلدة مواليد ١٩٧٦م

٦- في الدانمارك:

١- علي حسن محمد الخليلي.

٢- ناصر قاسم شحادة عزام.

٧- في روسيا:

١- زيدان محمد نمر زيدان. وهوطالب يدرس الهندسة في بطرس برج وقد تزوج فتاة روسية.

٢- أحمد علي حسين خلايلي. وهو طالب هندسة وأوشك على التخرج.

٨ - في رومانيا:

١- حسين خالد حسين خلايلي. وهو طالب في كلية الطب.

٢- عبد الله كايد نايف زيدان.. طالب في كلية طب الأسنان.

هذا ولا يسعنا إلا أن نذكر أن عدداً كبيراً من شباب البلدة المثقفين،قد انتشروا في بلدان الخليج للعمل في الكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين والسعودية، وأغلبهم أطباء ومهندسون وأساتذة، ولا نرى داعياً لتعدادهم وذكر أسمائهم لسببين أولهما كثرة العدد وثانيهما عودتهم كل صيف لقضاء الإجازات بين أهلهم وذويهم في سوريا ولبنان، ولأن غربتهم مؤقتة.

الهجرة منذ عام ١٩٤٨ م من داخل الأرض المحتلة:

أ - الولايات المتحدة:

المرحوم الشيخ قاسم أحمد شحادة الخليلي

١- شحادة زكريا شقير.

٢- إلياس زكريا شقير.

٣- عازر حنا منصور.

٤- بصيلة حنا منصور.

٥- شفيق زكريا طنوس.

٦- توفيق زكريا منصور.

٧- عيسى رضا جبران.

٨- الياس أديب خريش.

٩- الياس طعمة نجم.

١٠- حنا طعمة نجم.

١١- جميل سعيد جبران.

١٢- حبيب جبران جبران.

١٣- حنا جبران جبران.

١٤- الياس فوزي جبران.

١٥- سيمون فوزي جبران.

١٦- ريمون فوزي جبران.

١٧- حنا لطيف الياس.

١٨- شربل لطيف الياس.

١٩- رئيف حنا الياس. (توفي ودفن في الجش).

٢٠- موسى فؤاد هاشول.

٢١- فيصل أحمد عزام.

٢٢- الياس ميخائيل حبيب.

٢٣- ناجي عازر منصور.

٢٤- كريم اسحق.

٢٥- اكرم اسحق.

٢٦- حليم اسحق.

٢٧- زيد احمد عباسي.

٢٨- حسين احمد عزام.

٢٩- علي احمد عزام.

٣٠- عمر احمد عزام.

٣١- خورخي انطانس عقل.

٣٢- أولاد راجي يوسف عقل.

٣٣- أولاد راجي مارون عقل.

٣٤- داوود فياض منصور.

ب - فنزويلا:

٣٥- جابر سعيد جبران.

ج - كندا:

٣٦- سمير رشيد شولي.

٣٧- غسان رشيد شولي.

٣٨- فاروق رشيد شولي.

٣٩- غابي مارون شولي.

٤٠- الياس إبراهيم سليم حداد.

٤١- ميشيل مارون صادر.

٤٢- حنا عبد الله منصور.

٤٣- مارون عبد الله منصور.

٤٤- منصور غانم منصور.

٤٥- يوسف أيوب بخيت. (عاد وتوفي في الجش).

٤٦- شارلي جميل أيوب. (عاد).

٤٧- يوسف فؤاد هاشول.

٤٨- يوسف ميخائيل حداد.

٤٩- بركات جريس بركات.

٥٠- ريمون جريس بركات.

٥١- ريمون ميخائيل فؤاد.

٥٢- أولاد عقل اسعد عقل.

د - السويد:

٥٣- ادوار موسى نجم.

٥٤- انطانس الياس حنا الياس.

هـ - استراليا:

٥٦- أيوب سليم حداد.

٥٧- عاطف سعيد خريش.

٥٨- فايز سعيد خريش.

٥٩- انطون يوسف حبيب خريش.

٦٠- حنا يوسف حبيب خريش.

٦١- مارون الياس حنا.

٦٢- جريس رضا هاشول.(عاد).

٦٣- لبيب ميخائيل موسى حداد.

و- فرنسا:

٦٤- الياس لطيف الياس.

٦٥- جريس رضا سعدي أيوب.

ز- البرازيل:

٦٦- سليم كمال ظاهر.

٦٧- الياس كمال ظاهر.

٦٨- شفيق كمال ظاهر.

٦٩- رئيف فؤاد ظاهر.

٧٠- لطيف فؤاد ظاهر.

٧١- امطانس حنا ظاهر.

٧٢- إبراهيم حنا ظاهر.

٧٣- ولف يوسف عقل. (توفي).

ك - غواتيمالا:

٧٤- يوسف انطانس عقل.

م - إنكلترا:

٧٥- أولاد رجا موسى عقل.

ن - الأرجنتين:

٧٦- لطف الله ظاهر عقل[1].

(١) مصطفى أحمد العباسي - الجش سنديانة الديار الصفدية - ص(١٤٧-١٥٠) - الجش.

الباب الثاني

الإنسان والمجتمع

١. الحياة الاجتماعية في الجش قبل النكبة.

٢. العادات والتقاليد والمأثورات الشعبية.

الفصل الأول

الحياة الاجتماعية في الجش قبل النكبة

الحياة الاجتماعية في الجش قبل النكبة

مرّت «الجش» بظروف اجتماعية كثيرة ومتعددة، عبر عصورها الطويلة، منذ بناها الكنعانيون على بقعتها التي وجدت عليها وحتى اليوم. فقد تناوب على سكناها كل من الكنعانيين والعبرانيين واليونان والرومان والبيزنطيين والعرب. ولذلك فقد شهدت ألواناً من أنماط حيوات الناس الذين استوطنوها وعاداتهم وتقاليدهم، إلى أن تعرّبت بكامل أهلها وسكانها في القرن الهجري الأول والقرون التي تلته. واستقرت على عروبتها الصافية إلى يومنا هذا.

الحياة البشرية:

١- السكان:

كان عدد سكانها قبيل النكبة لا يزيد عن ألفي نسمة من العرب مسلمين ومسيحيين، إلا أن هذا الرقم لا يعطي صورة صحيحة عن عدد سكانها عبر العصور. فقد كان هذا العدد يترجح في الزيادة والنقصان حسب نمو البلدة وازدهارها، ثم حسب النكبات والزلازل التي حلّت بها عبر العصور.

فلا شك أن عدد سكانها كان أكبر من هذا الرقم بكثير إبان العصر الهلنستي، ولكن لم ترد لنا أية إحصائيات تشير إلى عددهم بالضبط في تلك الأيام. ولكن بعيد الزلزال الذي أصاب البلدة عام ١٨٣٧م نقص عدد سكانها إلى أقل من ألف نسمة، بسبب هجرة بعض أهلها إلى القرى المجاورة التي لم يصبها الزلزال، إلا أنه عاد وارتفع إلى ١٩٣٥ نسمة عام ١٨٨٤ حسب إحصائيات تلك

الأيام[1]، كمَا أن ازدهار البلدة وارتقاءها إلى مستوى مدينة في العهد الإخشيدي رفع عدد سكانها إلى أضعاف هذا العدد.

السيدة نظمية خلايلي

السيدة نوار خلايلي ٢٨٣

سيدتان من جسكالا

ثم عاد العدد يتقلص بشكل كبير بعد النكبة، إذ هبط العدد إلى (٦٥٠) نسمة[2] ثم ارتفع إلى (١٥٠٠) نسمة[3] ثم إلى (٢٣٥٠)[4] نسمة حسب آخر الإحصائيات.

وإذا كنا لا نستطيع دراسة الأحوال الاجتماعية في الأيام السالفة والأزمان القديمة، فسنقتصر على دراسة الأحوال الاجتماعية في زماننا، لأن ذلك يمثل الأحوال الاجتماعية في جميع العصور على وجه التقريب.

٢ـ ديانات السكان:

عرفت «الجش» عبر عصورها المديدة جميع الديانات التي عرفتها البشرية في بلادنا على وجه العموم، فقد عرفت أنماطاً كثيرة من الديانات الوثنية أيام الكنعانيين، كما عرفت أنماطاً أخرى من

(١) الموسوعة الفلسطينية: الجزء الثاني ص ٩٧٦.

(٢) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين. (في ديار الجليل) الجزء السادس دار الطليعة بيروت ١٩٧٤ ص(٢٠٦).

(٣) مصطفى العباسي ـ الجش سنديانة الديار الصفدية ـ مطبعة الجش ١٩٩٤م.

(٤) المصدر السابق.

الوثنية اليونانية والرومانية، إلى أن اهتدت المنطقة إلى الديانات السماوية التي تعاقبت عليها وهي الموسوية، والمسيحية، والإسلام.

وقد استوطنها أصحاب هذه الديانات الثلاث على التعاقب، إلا أنها خلت من اتباع الديانة الموسوية في أواخر العهد العثماني تماماً ولم يبق منهم فيها أحد.

وظلت غالبية سكانها من المسلمين السنة، ويليهم المسيحيون من الروم الكاثوليك والموارنة، الذين جلبهم إلى المنطقة أثناء حكمه لها الأمير (فخر الدين المعني) ثم الأمير (بشير الشهابي) بعد ثورة أهالي الديار الصفدية عليه، وأسكنهم على مقربة من (صفد) في (الجش) و(رميش) و(عين إبل) وغيرها من البلدان الصفدية ليشد بهم أزره ويحمي سلطانه.

أما المسلمون فقد استوطنوها منذ الفتح الإسلامي واستمروا في سكناها حتى اليوم.

عائلاتها وحمائلها:

ينقسم أهالي البلدة من مسيحيين ومسلمين إلى حمائل كثيرة، تنتسب كل حمولة إلى جدها الأعلى، ويرتبط أفرادها بأواصر الدم والقرابة وهذه الحمائل هي كما يلي:

١ـ الخلايلة ـ أو آل الخليلي: وهي كبرى حمائل البلدة في عهد الاحتلال البريطاني على الإطلاق، بل تعتبر من أكبر الحمائل في ديار الجليل، إذ يستوطن أفراد هذه الحمولة في عدد من بلدان الجليل في (الجش) و(سخنين) و(مجد الكروم) و(سعسع) و(دير حنا) وغيرها.

ويعودون بأصولهم إلى (آل الخليلي الخزرجي) العائلة التي نزحت عن المدينة المنورة إلى (الخليل) ثم انساحت في عدد من بلدان الشام كدرعا ـ وبيروت والمغير والمزار والعباسية وحلب، وطفس وغيرها.

وقد جاء بعض أجداد هذه الحمولة إلى الجليل الأعلى مع جيش الملك المنصور قلاوون والذي أعده لاسترجاع مدينة (عكا) من أيدي الصليبين في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي[1].

وكان قد عززه بمقاتلين من أهالي جبل النار والقدس والخليل. وقد استقر هؤلاء المقاتلون في تلك البلدان بعد تحرير (عكا) من أيدي الصليبين في الثالث عشر من أيار ١٢٩١م وقد استمروا فيها مع ذراريهم إلى يومنا هذا، ومازالت أواصر النسب والقربى تشدهم إلى أقاربهم في البلدان الشامية السالفة الذكر.

(١) محمود العابدي ـ صفد في التاريخ ص (٢٢) عمان ١٩٧٧م جمعية المطابع التعاونية.

وقد ذكر التاريخ أسماء عدد من فضلاء هذه العائلة من العلماء والأدباء والقضاة والشعراء، وأئمة المساجد ووجهاء وأعيان وهم يتصفون بالرزانة ورجاحة العقل والتدين والحلم والحكمة وكرم الأخلاق وحسن المعاشرة وحب العلم والنبوغ، وفيهم حتى الآن عدد كبير من المثقفين النابهين والذين انتشروا بعد النكبة في أماكن كثيرة من الوطن العربي والعالم[1].

الأستاذ محمد أحمد سعيد عمر خلايلي
أستاذ بجامعة صنعاء

٢ـ آل جبران: وهم من الموارنة الذين جاؤوا إلى الجش من مناطق لبنان الشمالي أيام الأمير فخر الدين المعني، للإسهام في دعم حكمه وتأييده لحماية المنطقة من المتآمرين عليه. وكان أفراد هذه العائلة ذوي نخوة وبسالة وشجاعة، وخاصة في عهود استقلال البلاد وانضوائها تحت حكم أمارة جبل لبنان، أما في العهود العثمانية فكانت سطوتهم تتراجع إلى حدودها الطبيعية، وقد اشتهر من هذه العائلة في العهد العثماني (حبيب جبران) أحد مخاتير قرية الجش والذي بقي مدة

(١) هذه المعلومات مستقاة من وقفية الشيخ المرحوم أبو الخير بدر الدين (حسن بن خليل بن إبراهيم الخليلي الخزرجي) وهو من كبار علماء وفضلاء هذه الحمولة وصلحائها من الذين اشغلوا في حياتهم مناصب عليا في الإدارة والقضاء.. ووصيته مكتوبة بخط يده وقد أوقف فيها مكتبته العامرة التي تركها بعد وفاته على أولاده وأحفاده وعلى أبناء الحمولة كلها.. توفي رحمه الله في أواخر القرن الثامن عشر إلا أن المكتبة بقيت وقفاً على أبناء الحمولة وبقيت كتبها متداولة لكل من يعرف القراءة حتى عام النكبة وقد استعرت منها بعض الكتب في صباي وشاهدت الوقفية بأم عيني.

طويلة عضواً في مجلس الإدارة بمدينة صفد. ومنهم أيضاً (سمعان جبران) ابن حبيب وهو الذي ورث المخترة عن أبيه فيما بعد.. وقد عرفت عنه الوطنية الصادقة والحكمة والشجاعة والغيرة على بلده، وعرف عنه وقوفه العنيد في وجه اليهود الذين حاولوا شراء تل كبير يقع إلى الغرب من البلدة ليقيموا عليه معملاً لصنع الأسمنت، وعرضوا مبلغاً كبيراً من المال على الأهلين ولكنه رفض المشروع بقوة وإباء، وأمر السماسرة بمغادرة البلدة حالاً، وكان له ما أراد وأخفق اليهود في محاولاتهم للتسلل إلى أراضي البلدة.

ومن وجهاء هذه العائلة والبلدة الأستاذ (زكي جبران) الذي بقي رئيساً لمجلس الجش المحلي مدة ثلاثين سنة من (١٩٦٣-١٩٩٣م) وقدم للبلدة خدمات جليلة في مجال البناء والعمران والتطوير والتقدم.

٣ـ آل عقل: وهي أسرة ذات علم وثقافة ودين، وقد برز منهم عدد من المثقفين ورجال الدين، وقد مرت معنا سابقاً ترجمة الأستاذ (اتناس بن الخوري يوسف عقل) وكان على مستوى عال من التعليم اللاهوتي، وعلى معرفة واسعة باللغات الشرقية القديمة وباللغات الغربية، وذا غيرة رائعة على أهل بلدته مسلمين ومسيحيين، وكان يحث باستمرار على التقدم والعلم والحضارة، وقد لعب دوراً مهماً في الأحداث التي جرت لأهل البلدة عام النكبة، (وكانت لوساطته بين السلطات الإسرائيلية والمطران (أغناطيوس مبارك) آنذاك أثر مهم على قرار السلطات في عدم ترحيل سكان الجش.. وكما يستدل على ذلك من خطابه الذي ألقاه في حفل استقبال وزير الاقليات بيخور شطريت الذي زار البلدة في أواخر سنة ١٩٤٨م[1].

٤ ـ الزيادنة (آل زيدان): وهم على الأغلب من أحفاد الشيخ (ظاهر العمر الزيداني) حاكم (عكا) و(صفد) و(طبريا) وسائر الجليل في القرن الثامن عشر.. وقد استوطن بعض أحفاده في بلدة الجش بعد نهاية حكمه عام ١٧٧٥م.

وفيهم شخصيات مرموقة ومتعلمة، وكان لهم علاقات مع العائلات الزيدانية المنتشرة في فلسطين وخاصة مع آل عباس في طبرة حيفا الذين كانوا يتبادلون معهم الزيارات في مناسبات كثيرة. كالأفراح والأتراح.

(١) مصطفى أحمد العباسي ـ الجش سنديانة الديار الصفدية ـ مطبعة الجش ١٩٩٤م ص (٧٦).

٥ ـ العزازمة (آل عزام): ويعودون بأصولهم إلى (آل عزام) الذين كانوا يستوطنون في جبل حوران، ومازال بعضهم يعيشون هناك إلى يومنا هذا وهم كسائر قبائل العزازمة المنتشرة في سوريا ولبنان وفلسطين يعودون بجذورهم إلى قبيلة (قضاعة) الحميرية. وهم من العرب اليمانية، ويلتقون مع أقاربهم الخلايلة في (سبأ) لأن الخلايلة من (كهلان بن سبأ) وهم من (حمير بن سبأ)[1].

ومن أشهر رجالاتهم في العصر العثماني (طه عزام) المتوفى ١٩٣٣ والذي بقي مختاراً للبلدة مدة تزيد على ربع قرن، بدأت مع إعلان الحرب العالمية

الأولى (السفر برلك) وانتهت بوفاته. وكان ولده (عزيز طه عزام) المولود في (الجش) ١٩٠١ من وجهاء البلدة.. وتوفي في (مخيم النيرب) في أواخر السبعينات.

أما في العهد البريطاني، فقد اشتهر منهم الثائر المناضل (محمود أحمد عبد الله عزام) وكان من أشجع المناضلين عام ١٩٣٩رغم صغر سنه حتى لقب (بمحمود الصغير).

توفي رحمه الله في مخيم النيرب بأواخر الثمانينات.

٦ـ آل سعد: عائلة صغيرة وصلت إلى الجش من جهات (عرابة) نابلس كما يقول الأب (توتل اليسوعي)[2] الذي تعرف على وجهائهم أثناء زيارته للبلدة عام ١٩٢٤م. وباعتقادي أنهم ليسوا من (عرابة) نابلس، بل من (عرابة) البطوف. ومن أشهر رجالاتهم في العهد العثماني الشاعر الشعبي المرحوم (خليل أحمد إبراهيم سعد) المعروف بالمكنّى. وقد مرّت ترجمته وشيء من أشعاره فيما سبق.

ومن وجهائهم في العهد البريطاني المرحوم (نمر عبد الكريم سعد) أبو عدنان الذي اشتغل قبل النكبة بمصلحة الجمارك الفلسطينية وجمع ثروة لا بأس بها وبنى له بيتاً جميلاً في البلدة. وهو من أوائل من أدخلوا المذياع ذا البطارية السائلة إلى البلدة في الأربعينات. توفي في مخيم حمص في (١٩٥٥/١/١٤م) بالسكتة القلبية.

٧ ـ آل الظاهر: وهم أيضاً من العائلات المسيحية في البلدة، وفيهم وجاهة وزعامة، وبينهم عدد من المثقفين، ومن أشهر رجالاتهم في عهدنا مبّدى الظاهر الذي هاجر إلى (أمريكا) ثم عاد إلى

(١) توفيق أبو معيلق ـ النقب والقبائل البدوية في فلسطين ـ دمشق ١٩٩٠ ـ مطبعة ابن خلدون (ص٨٧).

(٢) الأب فرديناند توتل اليسوعي ـ رحلة رسوليه في بلاد الجليل الأعلى ـ مجلة الشرق ص (٦٩٦) مجلد (٢١).

البلدة وحاول إدخال الطرق الحديثة في الزراعة. ولكنه أخفق لأنه لم يجد تعاوناً جدياً من المزارعين.

ومنهم كذلك الأستاذ (حنا الظاهر) الذي افتتح مدرسة خاصة في البلدة، وكان لي نصيب التتلمذ عليه بعض الوقت في العطل الصيفية.

٨ ـ آل أيوب: من العائلات الصغيرة في البلدة، إلا أنهم يتصفون بشجاعة لا مثيل لها، وقد قدموا على مذبح الوطنية عدداً من الشهداء ذكرناهم فيما سبق. ويذكر أجدادهم أنهم يعودون بأصولهم إلى (آل أيوب) في مصر (سلالة صلاح الدين الأيوبي) وأول من برز منهم في (الجش) (كريم أيوب) الذي كان نسيباً لظاهر العمر الزيداني في القرن الثامن عشر، الذي ولاه على مدينة (يافا) وقتل وهو على ولايتها[1].. وكان منهم (سليم علي أيوب) آخر مختار لبلدة (الجش) وقد توفي في (لبنان) في أواخر السبعينات.

٩ ـ آل أبو زينب: عائلة صغيرة وصلت البلدة ـ كما يقولون ـ من قرية (سعسع الشام) مع قطعان ماعزهم في أوائل القرن التاسع عشر، واستوطنوا في الجش، وكان منهم الداهية (حسين علي أبو زينب) المعروف (بحسين شاهينة) والذي لعب دوراً مهماً وخطيراً في ثورتي ١٩٣٦م و١٩٣٩م وقد مّر ذكره فيما سبق.

١٠ـ آل عيسى كلثوم: وهم عائلة صغيرة ومحترمة، اشتهر منها في العهد العثماني (أحمد حسين عيسى كلثوم) المعروف بالزين، وكان في زمانه صاحب أجمل وأرقى منزل في (الجش) اشتراه من ورثة (عبد الرحمن عزيز) المار ذكره.

ومنهم الرائد الطيار الشهيد (محمد يحيى حسين عيسى كلثوم) الذي استشهد أثر سقوط طائرته أثناء التدريب في أحد مطارات سوريا عام ١٩٨٧م.

١١ـ آل بليبل: عائلة صغيرة، يقولون بأن أجدادهم وصلوا إلى الجش من بلدة (الرقة) الفراتية، ولكن أكثر أفراد هذه العائلة هلكوا في الأوباء التي أصابت البلدة في العهد العثماني، وخاصة وباء الكوليرا، أو الريح الأصفر كما كانوا يسمونه ومقبرتهم ما زالت محاطة بسور، وتظلل قبور العائلة شجرة كبيرة ومنهم آل الخطيب، الذين تولوا الإمامة في مسجد الجش سنين طويلة

(١) مخائيل الصباغ ـ تاريخ الشيخ ظاهر العمر. ص(١٣٠-١٣١).

وكان آخر أئمتهم الشيخ (أحمد عبد الحليم الخطيب بليبل) والذي هاجر بعد النكبة واستوطن في مخيم حماه إلى أن توفي هناك في أوائل السبعينات.

ومنهم أيضاً (قاسم محمد بليبل) مختار البلدة بعد (طه عزام) وقد توفي في البلدة في الثلاثينات ودفن في مقبرة العائلة.

١٢ـ آل نجم: وهم من العائلات المسيحية.

١٣ـ آل أيوب بخيت: وهو معروف بأيوب حَوّا وهم من الروم الكاثوليك، وكانوا جيراناً لنا ملاصقين لبيتنا في الحارة الشرقية.

١٤ـ آل عبود: وهم عائلة صغيرة من الروم الكاثوليك أيضاً.

١٥ـ آل حبيب: ومعظم أبناء هذه العائلة هاجروا إلى أمريكا الشمالية.

١٦ـ آل العلي: وهم عائلة صغيرة ومحترمة، وهم من سكان (الجش) أصلاً ولم يفدوا إليها من مكان آخر، لأنهم يحتلون ببيوتهم وأملاكهم أماكن استراتيجية في البلدة، وهم يملكون الكروم والأراضي، ومنازلهم في العنقور شمالي البلدة ومنهم (آل الناصر) و(آل النحوي).

ومن أشهر رجالاتهم (علي حسين العلي) أبو حاتم وهو رجل على غاية في الكرم وحسن الضيافة، وقد كان قائداً لحامية البلدة عام ١٩٤٨م وهو يستوطن اليوم مدينة حماه مع أولاده وأحفاده وأهله وذويه.

١٧ـ آل إلياس: وهم عائلة مسيحية راقية.. ومن أشهر رجالاتهم اليوم الأستاذ (الياس أسعد الياس) رئيس مجلس الجش المحلي الذي خلف الرئيس (زكي جبران) ١٩٩٣م ولا يزال يشغل منصبه ذاك، ويبدي نشاطاً كبيراً في خدمة أهل بلدته بما عرف عنه من روحٍ عالية ودمائه وغيرة وتسامح ومحبة وهناك عائلات كثيرة أخرى لا نعرف إلا أسماءها كآل فرح، وآل صادر وآل رزق، وآل حداد، وآل منصور، وآل طنوس، وآل خريش، وآل نجم، وآل الهاشول وآل بركات، وآل لحود وغيرهم.

صفات أهل الجش ومزاياهم

يتصف أهل (الجش) من مسلمين ومسيحيين بصفات طيبة ومزايا كريمة، عرفها لهم كل من أحتك بهم وعرفهم عن قرب. ولعل أهم هذه الصفات وتلك المزايا هي:

١ـ عراقة الأصول وكرم المحتد: فأهل الجش نخبة ممتازة من أصول عربية عريقة، فمنهم الحسني والخزرجي والغساني والقضاعي، وما إلى ذلك من أرفع الأصول واكرم المحاتد وهم فخورون بأصولهم وارتباطهم بها إلى اليوم.

٢ـ اعتدال القامات وصباحة الوجوه: فهم يمتازون باعتدال في القامات، وصباحة في الوجوه، وما رأينا بينهم قزماً أو ذا عاهة مستديمة أو قباحة مزرية.

وتمتاز نساؤهم بشكل خاص بجمال العيون، وقد مرّت بنا فيما سبق، شهادات بعض السائحين الذين مرّوا بالبلدة في القرون السالفة، ووصفوا رجالها ونساءها بأجمل الأوصاف.

٣ـ الشجاعة والبسالة والجرأة بقول الحق: وقد شهد لهم بذلك التاريخ والثورات المتلاحقة والانتفاضات فكم من شجاع منهم هجم على دبابات الإنجليز بحماسة منقطعة النظير وأورد نفسه موارد الهلاك، دون أن يفكر بالعواقب، وسجل في التاريخ صفحات رائعات

٤ـ الكرم وطيب الخلق والمعاشرة: وأهل الجش بعامة يمتازون بإكرام ضيوفهم ويقدمون لهم ما يستطيعون من أطايب الطعام، ويستأنسون بهم ويلاقونهم خير ملاقاة، ويرحبون بهم أجمل ترحيب.

وكثيراً ما كان الضيف العزيز يتنقل من بيت إلى آخر مدعواً مع كامل الجماعة، ويبقى على ذلك شهراً أو شهرين تتناقله البيوت والموائد العامرة والسهرات الحلوة، حتى يقر وكأنه بين أهله وذويه.

٥ ـ احترام الغريب: وأهل الجش يحترمون الغريب احتراماً لا حدود له، ويقدمونه على أنفسهم في موائد الأفراح والأعراس كما يبدؤون بتقديم القهوة للأغراب أولاً مهما كان شأنهم، ولم تشهد البلدة في حياتها اعتداءً على غريب قط.

٦ ـ الألفة وحسن المعاملة: كان جميع أهالي البلدة يعيشون حياة فيها كامل الألفة وهم يحسنون معاملة بعضهم بعضاً، كما يحسنون معاملة الآخرين وكانوا مسلمين ومسيحيين يعيشون كأسرة واحدة متكاملة متضامنة، وقلما نشب عراك بين أفراد من حمائلهم إلا فيما ندر.

٧ ـ **التعاون والتكاتف**: وكان من أحسن مزاياهم التكاتف في أيام الأزمات فهم يتعاونون في كل عمل يحتاج إلى الأيدي العاملة. كتعاونهم في الأعراس والأفراح، أو في بناء البيوت، أو في تذرية البيادر ونقل الحبوب والتبن إلى البيوت، أو في صنع البرغل، حيث يعمل الرجال في إشعال النار تحت الحلل (الخلاقين) وعندما ينضج القمح ينتشلونه، وتنقله الصبايا على رؤوسهن ليشمس على السطوح.

كما كان من عاداتهم الجميلة، أن يساعدوا المقصر في عمله ـ كالحصاد مثلاً ـ فلا يتجاوزونه، دون أن يمدوا إليه يد المساعدة ويضعوه على مستواهم.

٨ ـ **النظام**: كان الجميع يتقيدون بأوامر اللجنة البلدية، وقلما خالفوا ذلك فهم يمتنعون عن رعي الأماكن المحمية، كما يمتنعون عن الصيد مثلاً أو قطع الحطب من الأماكن الحرجية المحمية.

٩ ـ **الأمانة**: وأهل الجش يتصفون بالأمانة، فما عرفوا في حياتهم من بينهم لصاً.. وما اعتدى واحد منهم يوماً على جيرانه أو على حقولهم أو بساتينهم، مع أن الأشجار كانت متشابكة، فكان الرجل يسحب غصن شجرته من بين أغصان شجرة جاره، ويجني ثماره دون التعرض إلى ثمار شجرات جيرانه بسوء.

١٠ ـ **الإخاء والتسامح**: وأهل الجش ما عرفوا التعصب الطائفي أو القبلي إلا فيما ندر وكان جميع أهالي البلدة يعيشون معاً بلطف واستقامة وتعاون وكأنهم أسرة واحدة، وإذا ما دخلت البلدة، فمن الصعب عليك أن تميز بين المسلمين من سكانها وبين المسيحيين.

وحتى عام (١٨٦٠)م عندما حصلت المجازر بين المسلمين والمسيحيين في لبنان وسوريا، ظل المسيحيون في بلدتنا يعيشون بكامل طمأنينتهم وحريتهم، ولم يتعرض لهم أحد حتى ولو بشتيمة مع أن بينهم عدداً كبيراً من الموارنة، ولما حاول بعض سكان القرى الأخرى المجاورة لنا الإساءة إليهم، تصدى لهم مسلمو بلدتنا وحموا المسيحيين من أي عدوان متوقع.

وردّ لهم المسيحيون هذا الدين، يوم فزعوا لهم في (الطوشة) مع أهل (حطين) وردّوا الحطاطنة على أعقابهم خاسئين.

١١ ـ **التدين**: وهم بالإضافة إلى ما يمتازون به من تعقل ومنطق، يمتازون بتدين عميق، سواء منهم المسلم والمسيحي وقد اعتنوا بدور العبادة، فبنوا المساجد والكنائس، وظلت المآذن تصدح

بالآذان، في حين كانت أجراس الكنائس تقرع فتتجاوب معها السفوح والتلال الخضراء، وتطرب لها الآذان.

١٢ ـ **الذكاء**: ويتصف أهل البلدة على العموم بالذكاء الحاد المميز، وتشهد لهم بذلك، اختبارات الشهادات الثانوية والجامعات العربية والأجنبية سواء في بلدهم أو في بلدان الشتات.

فأبناؤهم يتفوقون باستمرار في الامتحانات وينالون شهاداتهم بأعلى الدرجات والمستويات.

١٣ ـ **الإخلاص**: وهم يخلصون بأعمالهم، ويقومون بما يسند إليهم من مهام خير قيام، ومنهم الآن عدد كبير من المهندسين والأطباء والمدرسين المشهود لهم بالكفاية والتفوق والتفاني في أداء الواجب.

١٤ ـ **الأناقة والاهتمام بالمظهر والهندام**: وأهل الجش عموماً يهتمون بالنظافة العامة والأناقة، وهم يعتنون بالمظهر والهندام، في كل العهود التي عاشوها، فقد كانوا في العهود السابقة، العثماني، والبريطاني، يمتازون بحسن الهندام والأناقة وجمال المظهر، ومازالت هذه العادة متأصلة فيهم رجالاً ونساءً، وقلما ترى بينهم من لا يهتم بحسن مظهره وهندامه.

١٥ ـ **التعاون بين الزوجين**: والزوجات الجشيات مخلصات لأزواجهن إخلاصاً لا حدود له، وهن يتسمن بالعفة والشرف والحرص على الكرامة والأخلاق.

وقلما طلقت واحدة منهن بسبب مشين أو غير مشين، اللهم إلا إذا كانت عاقراً. وهن يصبرن على الجور والجفاء، وعلى قلة ذات اليد، ويساعدن الزوج، ويضفين على المنزل جواً أسرياً رائعاً.

تلك هي بعض صفات أهالي بلدتنا، أوجزناها على هذا الشكل لأننا لو أردنا تفصيلها لاحتجنا إلى كتاب آخر بحجم هذا الكتاب للمزايا والصفات.

لغة أهل الجش:

يتحدّث أهل (الجش) لغة فصيحة، لا أثر للحن فيها ولا للإمالة كلغة اللبنانيين المجاورين مثلاً، وتكاد لغة أهل (الجش) تكون أقرب إلى لغة أهل دمشق. فهم يبدلون القاف همزة في كلامهم فيقولون (ألت) بدلاً من (قلت).

كما يبدلون العين نوناً أحياناً فيقولون (انطيني) بدلاً من أعطيني، وهي لغة معروفة في لهجات العرب، وخاصة اليمانية منهم، ونحن عرفنا أن معظم أهل (الجش) من اليمانية غساسنة وخزرج، وقضاعه.

كما يكسرون همزة (أحمد) فيقولون (إحمد) بالكسر بدلاً من (أحمد) بفتح الهمزة.

وهم كعامة أهل الشام يضيفون (الباء) على الفعل المضارع فيقولون (بياكل) بدلاً من (يأكل).

فإذا سألتهم مثلاً: شو بساوي محمد ؟ يكون الجواب: محمد عم بياكل. فهم يضيفون كلمة (عم) إلى ياء المضارع وزيادة الشين في آخر الفعل مستعملة بكثرة أيضاً. فهم يقولون (بعرفش) بدلاً من لا أعرف أو (مأكلتش) بدلاً من ما أكلت.

ورغم ذلك فهم يقرؤون القرآن الكريم قراءة صحيحة وجيدة، ولا يحرفون الكلام عن مواضعه.

ولا مناص لنا من ذكر أن كثيراً من الكلمات السريانية الأصل مازالت دارجة على الألسنة ومستخدمة إلى يومنا هذا، لعمق تأثير تلك اللغة في اللهجات المحلية.

ومن تلك الكلمات كلمة (شوب) بدلاً من كلمة (حر) وكلمة (كبة) الأكلة السريانية المعروفة.

ومن هذا القبيل استخدام كلمة (سجرة، وسجر) بدلاً من شجرة وشجر، ومتى تصبح (إمتى) السريانية عينها.

كما يزيد أهل الجش الواو السريانية للإضافة بدلاً من الهاء فيقولون (عمو) بدلاً من عمه. و(أختو) بدلاً من (أخته) كما أن هناك بعض النباتات البرية، التي مازالت معروفة بأسمائها السريانية (كالفيجن) المعروف في العربية (بالسذاب) وكذلك ألفاظ (مفشكل) و(مصرصع) و(قرميه) و(رشته) الأكلة المعروفة، وشرش وهلم جرا.

وهناك كلمات كثيرة أخرى لا يتسع المجال لذكرها، ونتركها للباحثين الذين تهمهم مثل هذه الدراسات.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

كان أهالي الجش فلاحين بكل معنى الكلمة، فهم يمتلكون من الأراضي ما يكفيهم للزراعة، ويعيشون على محصولات أرضهم وغلالها، من مزروعاتها الشتوية كالقمح والشعير والفول والعدس والحمص وغيرها من البقول. وعلى منتجات مزروعاتهم الصيفية، كالتبغ خاصة الذي اشتهرت البلدة بزراعته في أواخر أيامها، كما كان أهالي البلدة يزرعون البطيخ والشمام، وأنواع الخضراوات كالخيار والقثاء والبندورة والباذنجان والفليفلة والفاصولياء والباميا. وكانوا يربون الحيوانات والطيور ويستفيدون من لحومها وألبانها واجبانها وفراخها وبيضها.

وقلما طلب أحدهم الوظيفة عند الدولة، أو قلما نجد من اشتغل في التجارة إلا في ظروف نادرة جداً.

أما في العهد البريطاني، والذي استمر نحواً من ثلاثين سنة فقد أخذ بعض الشبان يتقدمون للعمل في سلك البوليس أو الجيش أو الجمارك، ولكن عددهم كان ضئيلاً للغاية، ولا يتجاوز عدد أصابع اليدين، وقد توجه بعض الناس في هذا العهد، للعمل في التجارة وخاصة بعد أن افتتحت في البلدة ـ السوق الأسبوعية قبل ظهر يوم الجمعة من كل أسبوع، ومجيء أهالي البلدان المجاورة إلى هذه السوق لشراء حاجياتهم وقد كانت هذه السوق متنفساً اقتصادياً جيداً لأهل البلدة، وكانت تدر عليهم أرباحا لا بأس بها كل يوم وفي سنة ١٩٤٨ م تحولت السوق إلى سوق لبيع السلاح، فكنت ترى فيها أنواع الأسلحة المختلفة من البنادق والمسدسات والرشاشات لبيعها لمن يطلبها.

الملبس:

ارتدى أهالي البلدة أنواع الملابس المختلفة عبر العصور، ولكن الطراز الفلسطيني الكنعاني هو الذي ظل سائداً إلى آخر يومٍ من أيام حياتها، والذي يتلخص بالقميص والشروال والقنباز والمعطف، والعباءة في بعض الأحوال، في حين يعتمر الرجال الحطة والعقال.

أما لباس النساء، فبعد أن كان قريباً جداً من لباس الرجال في العهد العثماني، وهو السروال الفضفاض والجلاية، والعصبة على الرأس، تغير في العهد البريطاني، إلى الثوب الطويل والسروال

المكشكش عند الرسغ، وغطاء الرأس، إلا أن هذا النوع من السراويل تبدل في آخر العهد، إلى سروال يصل للركبة وقصر الثوب، واستبدلت الحطة السوداء بالمنديل المزركش ذي الألوان المختلفة.

وذهبت العصابة الجميلة التي كانت النسوة يضعنها على الرأس ويتغاوين بها إلى غير رجعة.

وكنا لا نعدم بعض الصبايا الجميلات من المسيحيات يلبسن القبعة (البرنيطة) أو يسرن بدون غطاء على الإطلاق.أما اليوم ففي الوطن والمهجر يتزيا الشباب والصبايا بآخر الأزياء الحديثة، تماماً كاللبنانيات، أو حتى كالفرنسيات والإنجليزيات والامريكانيات.

في حين تحافظ بعض النسوة على غطاء الرأس المحتشم وخاصة ربات البيوت المتزوجات والأمهات.

المآكل الجشية:

عرف أهالي بلدة (الجش) أنواعاً كثيرة ومختلفة من المآكل المعروفة عن عبود طويلة وعن شعوب كثيرة تتالت على منطقتهم عبر العصور.

ومآكلهم في الغالب مشتقة من إنتاج أراضيهم الخيرة التي كانوا يزرعونها بشتى المزروعات، كالقمح والذرة والفول والحمص والعدس والخضار والفواكه المختلفة، التي تنتجها كروم البلدة وبساتينها.

وقد عرفوا صنع الدبس منذ أقدم العصور، وكذلك زيت الزيتون، وكانوا يختزنونه في الآبار الصخرية وفي الخوابي الكبيرة، وظلوا على ذلك إلى يومنا هذا.. فهم يصنعون من التين والعنب أنواعاً من الدبس يأكلونها طيلة أيام الشتاء.

أما الخبز فقد عرف منذ أقدم العصور، وهو يصنع في البلدة من دقيق القمح أو دقيق الذرة البيضاء وأحياناً الصفراء، وقلما عرف أهالي بلدتنا دقيق الشعير، اللهم إلا في أيام الجوع الشديدة كسني الجراد في أواخر العهد العثماني، حيث أكل الناس كل شيء حتى الجراد نفسه كما أكلوا البلوط وجميع أنواع الأعشاب.

والخبز في العهود العثمانية كان يخبز على التنور، إلا أنه تحول في العهد البريطاني، وصار يخبز على الصاج رقيقاً رائعاً، ثم تحول إلى الأفران المنزلية المقامة في عرصات الدور.

ولعل من أطيب أنواع الخبز على الإطلاق هو خبز (الطابون) وهو موقد يصنع من الطين، على شكل خابية كبيرة مفتوحة القعر، ويوضع فوق بعضه على حلقات إلى أن يجف، وبعد جفافه

يدفن في التراب، ويوقد فوقه (القصل) وبقايا التبن والزبل وغيره ويرصف داخله بالحصا المتوسطة الحجم، وفوق الحصا كانت توضع الأرغفة عجيناً، فتخرج ناضجة رائعة مقمرة، تفوح منها رائحة لا أشهى ولا أطيب.

وأهل بلدتنا لم يعرفوا الطابون، إلا أن والدتي رحمها الله (عائشة أحمد سلامة) وهي من قرية (الظاهرية) الملاصقة لمدينة (صفد) صنعته في منزلنا، لأن استخدامه كان شائعاً في قريتها، وخبزت لنا عليه وقدمت لنا خبزاً شهياً رائعاً ما زالت نكهته تحت أضراسنا إلى اليوم، ورائحته الشهية ما زالت تعبق في أجوائنا إلى اليوم، وكثيراً ما كان بعض الأهل والأصدقاء يجلبون عجينهم ليخبزوه على طابوننا بمساعدة الوالدة.

ولا أنسى أستاذنا المرحوم (أتناس يوسف عقل) يوم كان مناوباً في المدرسة، وكنت أنا عريف الفصل، وكان علينا أن نتناول طعام الغذاء في المدرسة في فرصة الظهر.

وكم كان سرور أستاذي عظيماً عندما رأى رغيفي المقمر، فطلب مني أن يستبدله برغيفه، فوافقت، وصار باستمرار وفي كل مناوبة يستبدل رغيفه برغيفي ويتلذذ بتذوقه أيما تلذذ.

وذات يوم فوجئنا بزوجته (سمية رفول)-تزورنا وعلى رأسها لجن ـ طشت مملوء بالعجين، لتخبزه على طابوننا، وكان سرور أمي بها عظيماً، سيما أن الأستاذ رحمه الله كان يمتدح أرغفة أمي ونكهة تلك الأرغفة على عيون الأشهاد، وكان المديح يصلها فتسر به أيما سرور.

وكان رحمه الله أكولاً شروباً فكان يرسلنا إلى بيته يوم مناوبته أربعة أو خمسة لنحمل له طعام غدائه المكون من عدة أنواع على رأسها قدرة من الحساء وحزمة كبيرة من خبز الصاج.

أنواع المآكل:

وتأتي الكبة النية على رأس الأطعمة و المآكل عند أهالي بلدتنا فهم يأكلونها بشهية ويطعمونها لضيوفهم الذين يكرمونهم، والضيف عندهم لا يعد مكرماً مهما وضعوا أمامه من الأطباق، إذا لم يكن طبق الكبة النية على رأسها.وهم يبالغون في حبها واحترامها واشتهائها، فالسيد (علي حسين العلي) المار ذكره سابقاً يقول: «إنني اشتهيها بين اللقمة واللقمة».

في حين يوصي السيد (أحمد قاسم جوهر الخليلي) مازحاً أن يجعلوا لحده من الكبة النية.

ولحبهم الكبة، فقد كان لهم فيها تقاليد رائعة تتعلمها الصبايا والبنات منذ الصغر، حتى يتقن صنعها منذ نعومة أظفارهن.

١ـ **كبة الصبايا**: وهي تصنع في أيام الأعياد فقط. تصنعها الصبايا بشكل احتفالي طقوسي، إذ تدور جماعة منهن على كل بيت فيه صبية فيدعينها و يأخذنها معهن، في حين تأخذ هي معها من بيت أبيها قطعة من اللحم وقليلاً من البرغل وزيت الزيتون والبصل، وهكذا ينتقلن من بيت إلى بيت لدعوة الصبايا كلهن إلى الاشتراك. وعندما تنتهي دعوة الجميع، يتجمعن في أحد البيوت الواسعة، بزعامة إحداهن، ويأخذن بإعداد الكبة في حين تغني الأخريات ويرقصن، إلى أن ينتهي إعداد الطعام، وعندها يجلسن و يأكلن بهناءة وسرور، والسعيد المحظوظ من الشباب فهو الذي يستطيع أن يحصل على قليل من كبة الصبايا عن طريق قريبة له أو خطيبة تخصه سراً بقطعة من هذه الكبة، لتكون مناسبة لفخره واعتزازه.

كانت هذه العادة الرائعة سارية حتى عام ١٩٤٨م ولا أدري إن كانت مازالت سارية حتى اليوم، أو أن صبايا «الجش» الرائعات قد تخلين عن هذه العادة الجميلة.

وتؤكل الكبة نية ومطبوخة باللبن، أو بالسماق. وأشجار السماق كثيرة في حواكير البلدة الشمالية.

٢ ـ **المجدرة**: وهي الأكلة الكنعانية المشهورة والمصنوعة من البرغل والعدس والزيت، وهي مشهورة في جميع أنحاء بلاد الشام.

ويقول الأستاذ (مصطفى مراد الدباغ): «إن أول من أكلها من العبرانيين (يعقوب النبي) وكان يأكلها ويستسيغها»[1].

وقد يستبدل العدس بالحمص ويطبخ مع البرغل. وقد يطبخ البرغل بدون شيء، ويسمى عندئذ (برغلاً أبيض) وقد يصنع بصلصة البندورة، ويسمونه عندئذ برغل و بندورة.

٣ ـ **البليلة**: وهي من المآكل المشهورة التي يتناولها الحصادون في أيام الحصاد الحارة لتجلب لهم البرودة، وتصنع من البرغل الناعم المغمور بالشنينة، وهي سائل المخيض الممزوج بالماء بعد خضه واستخلاص الزبدة منه.

٤ ـ **الفريكة**: وهي من ألذ المآكل، وتصنع من القمح الأخضر المشوي في النار، ثم يفرك وينظف ويجرش ويطبخ مع اللحم أو مع الدجاج ويضاف إليه اللبن الرائب أثناء الطعام.

(١) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ ديار الجليل.

وكثيراً ما يطبخ للضيوف أو في الولائم و الأعراس إلى جانب الرز والفقعية (الشاكرية).

٥ ـ **الزلابية والزنقل**: وهي أنواع من العجين، تحشى باللحم والبصل المفروم وتقلى في الزيت وتؤكل ساخنة، والزلابية لا تكون إلا مقلية، أما الزنقل فقد يكون مغموساً بالقطر (ذائب السكر).

٦ ـ **الشش برك**: وهو عجين يصنع على شكل الأذن ويحشى باللحم والبصل، ثم يطبخ باللبن، وبعض الفلسطينيين يسمونه آذان الشايب.

٧ ـ **المفتول**: وهو من المآكل المشهورة.وخاصة في فصل الشتاء،إذ تفتل حبات البرغل، مع الدقيق، حتى تصبح على شكل كرات بحجم حبة العدس، ثم يطبخ على بخار طنجرة (قدرة) تحتوي على اللحم أو الدجاج المسلوق، ويضاف إلى اللحم الحمص والبصل، وعندما ينضج المفتول يصب في صينية كبيرة ويفرك بالزيت أو السمن، ثم يصب فوقه اللحم والمرق ويؤكل هنيئاً مريئاً.

٨ ـ **اللحم المشوي على الصاج**: وهو من أطيب المآكل وألذها، يقطع اللحم على شكل شرائح، وتلقى على الصاج الموضوع فوق نار الحطب، وتبدأ قطع اللحم بالسخسخة والنضح وتعبق رائحتها اللذيذة، وعندما تنضج تلف بخبز الصاج اللذيذ.وتؤكل بشهية، وعادة ماتؤكل هذه الأكلة في الأعياد، خاصة عيد الأضحى، حيث تذبح الذبائح وتكثر الأضاحي.

وفي أواخر عهدنا بالجش عرفت طريقة شوي اللحم بالأسياخ وعلى المنقل، الطريقة السائدة والدارجة في ديار الشام.

إلا أنني وللحق أقول: إن أطيب اللحوم والدجاج والحمام هو ما كان يشوى في الطابون، وهي أشبه بطريقة (الحنيذ) المعروفة في اليمن والجزيرة العربية.

أما الدجاج المسخن، المشهور الآن في الأردن وباقي ديار فلسطين، فلم يكن معروفاً في بلدتنا.

٩ـ **القاورمة**: وهي من الأكلات القديمة والعريقة، وهي تستخدم لحفظ اللحوم مدة طويلة طيلة أيام الشتاء الشديدة، ويفرم فيها اللحم فرماً صغيراً، ثم يطبخ على النار إلى أن يذوب دهنه وشحمه وينضج لحمه، ثم يصب في فخاريات خاصة به(نعارة) ويحفظ ويؤكل عند الحاجة.

والحقيقة أنه كان من ألذ المآكل لي في صباي، آكله مقلياً مع البيض، أو دون بيض، أو مطبوخاً مع الخضراوات.

وكثيراً ما كنت أملأ يدي منه وأنا صغير، وآكله في طريقي إلى المدرسة و لم تزل نكهته في البال، رغم بعد الزمان.

١٠ـ **أنواع الأسماك**: ويؤكل السمك في بلدتنا على أشكال، فإذا كان سردينياً من النوع الصغير. فكان ينظف ويلت بالطحين ويقلى بالزيت كل خمسة أو ستة سر دينات معاً في قرص واحد، ثم يؤكل بحسكه دون أن يترك منه شيء.

أما إذا كان السمك كبير الحجم، فيؤكل مقلياً، أو طاجناً ، أي مطبوخاً بالطحينة والحامض.

في حين يصنعه أبناء حارة النصارى كبة سمكية ويقلونه بالزيت، إلا أن المسلمين ما صنعوا ذلك.

أو يطبخ مع الرز والبصل، ويسمى عندئذ (صيادية) وهي من المآكل الطيبة والدارجة الآن في بلاد الخليج.

وكان السمك يأتينا من بحيرة طبريا القريبة منا، وكان (مشط طبريا) من أشهر الأنواع.

كما كانت أنواع أخرى، كالسلطان إبراهيم والبرابيط تأتينا من حيفا.

١١ـ **المضيرة**: وهي أكلة عربية شائعة ظلت معروفة إلى العهود العثمانية، وحتى أواخر العهد البريطاني، وهي عبارة عن حبوب الذرة البيضاء تطبخ في اللبن.

ومثلها أكلة اللبنية، وهي الرز المطبوخ باللبن أيضاً، والمضيرة من المآكل التي ورد ذكرها في آثار (الجاحظ) الأدبية.

١٢ـ **الكشك**: وهو الأكلة الشعبية المشهورة في كل بلاد الشام، وتصنع من عجن البرغل باللبن الحامض، ثم ينشر في الشمس على السطوح إلى أن يجف ثم يطحن ويطبخ مع البصل المفروم والزيت.

وهناك أكلات كثيرة أخرى. ككبة الحيلة، والسمايد والرشتاية وغيرها.

وإلى جانب هذه المآكل، يأكل أهالي بلدتنا الخضراوات، التي تنتجها بساتينهم.

كما يأكلون ورق العنب الملفوف بالرز واللحم ويسمونه (ورق الدوالي) كما يلفون الملفوف، ويأكلون القنبيط، مقلياً وطاجناً بالطحينة.

وهناك كثير من المآكل الأخرى، التي كانت الأجيال السابقة تعرفها إلا أنها اندثرت و لم يبق من يعرفها من الأجيال الحاضرة.التي صارت تتفنن في صنع (التبولة) والسلطة المتنوعة الحديثة.

ولا يسعنا إلا أن نذكر أن أهالي (الجش) كغيرهم من أهل فلسطين خاصة وأهل الشام عامة، يأكلون مما تنتجه أرضهم من نباتات طيبة كالعكوب (السلبين) والخبيزة، والعلت (والهندباء) واللوف والحميض، والقرص عنة.

والفطر الذي يكثر في الأماكن الوعرية، والكمأة التي تكثر في أيام الأمطاروالعواصف الشديدة، والبرق والرعد.

الحلويات:

وإلى جانب المأكولات التي ذكرناها، اعتاد الأهلون، صنع أنواع كثيرة من الحلوى يأكلونها إلى جانب تلك المآكل، ولعل من أشهر تلك الحلويات:

١ـ **الرز بحليب**: وأهل الجش يسمونها (البحتة) وهي مؤلفة من الرز، المطبوخ بالحليب والمحلى بالسكر، وقد يضاف إليه ماء الزهر، أو قشر الليمون لإعطائه نكهة طيبة.

٢ـ **اللزاقيات**: أو السيالات، وهي عبارة عن رقائق العجين المعجون بالسمن أو بالزيت، ويصف بالصواني، ويضاف إليه السكر أو الدبس أو العسل حسب المتوفر، ثم تشوى على نار هادئة، وهي من المآكل الطيبة، وما زالت مشهورة في أنحاء كثيرة من بلاد الشام، وخاصة في المناطق الريفية والبدوية، حيث يكثر السمن العربي.

٢ـ **المشبك والعوامة**: الأكلتان المشهورتان، اللتان ما زالتا تباعان في أسواق جميع مدن بلاد الشام كافة.

٣ـ **كعك العيد**: وهو يصنع في أيام الأعياد، وهو عبارة عن دقيق معجون بالسمن أو الزيت، تضاف إليه أنواع (الحوائج) كجوزة الطيب والقرفة والسمسم والمحلب واليانسون ثم يخبز على شكل أقراص كبيرة، بعد أن يرسم عليه الطابع. وهو أشبه مايكون (بالقليجة) المعروفة في نواحي الفرات.

٤ـ **الأقراص**: وهناك نوع من الكعك يحشى بالتمر المهروس، ويشوى بالفرن على شكل أقراص.

٥ـ **أصابع زينب**: وهو نوع من الكعك مصنوع من عجينة الكعك نفسه، ولكن السيدة تأخذ القطعة الصغيرة، وتضعها في باطن كفها وتطبق عليها أصابعها فتأخذ شكل الأصابع، ثم تقلى بالزيت، أو تشوى بالفرن ولا توضع في القطر (ذائب السكر).

٦ـ **ست الحسن**: وهي من ألذ أنواع الحلوى، وهي تصنع من عجينة (أصابع زينب) تماماً، إلا أنها تحشى بالجوز أو اللوز والسكر والقرفة، أو باللبأ أو القريشة أو القشدة، ثم تقلى بالزيت وتوضع في السكر المغلي، وهي أشبه ما تكون بالقطائف.. إلا أن للقطائف عجينة خاصة.

٧ـ **الكنافة**: نوع من الحلوى الرائعة، لا تستطيع صنعها إلا السيدة الماهرة الصناع، وهي عبارة عن أرغفة رقيقة للغاية، برقة ورقة السيكارة، تصنع من العجينة المريئة، التي تأخذها السيدة بيدها

وتمسح بها الصاج وترفعها عن النار بسرعة، ثم تطبق هذه الأرغفة الرقيقة في الصينية، وتجعل على طبقتين، ويحشى ما بينهما بالجوز أو القشدة، وتوضع في الفرن، ثم تخرجها بعد النضج فتخططها بالسكين على شكل وربات، وتضع فوقها القطر.

كانت السيدة الوالدة رحمها الله - تتقن صنعها، وكان السيد الوالد رحمه الله يقدمها في أيام الأعياد للمهنئين، وما زلت أتذكر تلمظهم بعد أكلها ودهشتهم من لذتها واتقان صنعها، سقى الله تلك الأيام.

المشرب:

وأهل الجش يشربون من عين بلدهم المشهورة، بعذوبة مائها والماء شرابهم العذب، وقد يخلطونه مع اللبن أو مع عصائر الفواكه، كعصير المشمش أو العنب.

أما مشروبهم المشهور، فهو القهوة العادة، والقهوة الحلوة وتقدم للضيوف، وأهل البلدة وخاصة مشايخهم وأرباب البيوتات المشهورة والمضافات فهم يفخرون بدقة صنعها وتعطيرها بالهيل الذي يعطيها نكهة رائعة، وكثيراً ما تقدم في الأفراح والأتراح، وغايتها أن يشرب الضيوف منها ثلاثة فناجين.

أولها (ضيف) وثانيها (سيف) أي أن الضيف إذا شرب الفنجان الثاني، فقد حالف أهل القهوة، وثالثها (كيف) ولا يشرب هذا الفنجان إلا إذا كان صاحب المنزل موجوداً.وبالطبع فإن هذه العادات موروثة عن الحضارة العربية، وعن القبائل البدوية، التي يعود جميع السكان إلى جذورها العريقة.

أما الشاي: فلم يكن معروفاً في البلدة، ولعلها عرفت بعد عودة المهاجرين إلى العالم الجديد، في الأمريكيتين.

وعندها أصبح شربها شائعاً، أما فيما سبق ذلك. فكان الأهالي يستعيضون عن الشاي بالنعناع البري، والبابونج وغيرهما من الأزهار البرية.

وكان الأطفال الصغار والكبار لا يشربون إلا الحليب الطازج، وكثيراً ما كان يوضع لهم على أنواع الطعام كالمجدرة مثلاً محلّى بالسكر، وكم كنا نستسيغه ونحن صغار.

أما المشروبات الروحية، فكانت شائعة في العهد البريطاني، وخاصة عند المسيحيين من سكان البلدة، وهي لا تتعدى العرق والنبيذ.

وكان بعض الشباب المسلم يتناولها سراً في الأعراس، ولكن على حذرٍ كبير.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نذكر، أن شراب القرفة مع الجوز المكسر كان شائعاً للضيوف في حالات الولادة، ويسميه أهل البلدة (الاينر) وهو يحل محل (الكراوية) المشهورة في دمشق.

النقل والتسالي:

في أيام الشتاء الشديدة البرد والطويلة، كانت التسليات تتم بأكل التين المجفف (القطّين) مع الجوز واللوز، إذ يضع الأكل قطعة الجوز أو اللوز داخل التينة المجففة، ثم يغمسها في الزيت ويأكلها.

وقد يستعاض عن اللوز والجوز بالسمسم، الذي كان يزرع أحياناً في أراضي البلدة.

وقد تصنع القضامة، أو القلية في تلك الليالي، أو يؤكل الترمس.

أما في الربيع، فكان شوي الحمص والفول الأخضر شائعاً بين الناس، إذ تشعل النار بالحشائش، ثم توضع عليها حزم الحمص أو الفول وتترك حتى تنضج ثم تؤكل، وهي لذيذة للغاية، وقد صنعتها بنفسي مئات المرات، في زيارتي لحقول الشوط والشمالي والنبعات التي كانت تزرع بهذين النوعين من البقول في أيام الربيع.

وكذلك الزعرور، وحب الآس، كانا يؤكلان في بلدنا ويجلبان مع الخروب، من البلدان المجاورة.

وللبلوط شهرة كبيرة في أيام الشتاء، حيث يجلب من الوعرة ويشوى على النار، وهو أشبه ما يكون بالكستناء. وفي العهد البريطاني، عرف الناس البندق والكستناء والفول السوداني (فستق العبيد) وغيره من المكسرات، وكان يقدم إلى الضيوف للتسلية، في البيوت الراقية المضيافة، وخاصة للسيدات.

السَّمر:

كان السمر يتم في الليالي الطويلة بسرد الحكايات، وقص القصص التي تبدأ عادة باللازمة المعروفة، كان يا ما كان، يا مستمعين الكلام كان في قديم الزمان الخ...

وكان الأجداد والجدات يتقنون هذا الفن إتقاناً رائعاً، وكم كنا نتحلق حول القاص بصمت وهدوء نصغي إلى الحكاية، وننتقل مع حوادثها في خيالنا، ونلاحظ تعابير وجه القاص بدهشة كبيرة، وهو يتلون بألوان كثيرة، فنحزن للبطل ونتألم لألمه ونفرح لفرحه، وما إن تنتهي الحكاية حتى نتنفس الصعداء ونذهب للنوم لنحلم من جديد بأبطال القصة وبحوادثها.

وقد تكبر السهرة ويتجمع الناس، فلا يعدمون والحالة هذه من قارئ جيد القراءة، فيقرأ لهم فصلاً أو أكثر من (تغريبة بني هلال) أو قصة (الملك سيف بن ذي يزن) أو قصة (الزير سالم) أو (بحروية الزير) أو قصة (ألف ليلة وليلة) أو (الأميرة ذات الهمة) وأحياناً يرتقي المستوى، فإذا بهم يقرؤون بكتاب (فتوح البلدان) أو (فتوح الشام) وهي من الكتب التي كانت متوفرة في تلك الأيام، وخاصة في مكتبة (الشيخ حسن) وكانت هذه القصص تثير الحماس في الناس، فمنهم من يتعصب لأبي زيد الهلالي، أو للزير سالم، أو لكليب أو لذياب بن غانم.

وكم من مرة شاهدت في أحلامي هؤلاء الأبطال الأسطوريين، يتصارعون ويتقاتلون، فأسمع صليل سيوفهم، وأرى رماحهم وهي ترتد على الترّوس والدروع، وأتمنى في يقظتي لو أصبح مثل هؤلاء الأبطال.

أما قراءة (فتوح البلدان) والاستماع إلى ذكريات أبطال الفتح الإسلامي والشهداء الأوائل، فكان يدفعنا بخوف نحو التدين، ومحاولة التشبه بأمثال أولئك الأبطال من السلف الصالح. وكم مرة عدت في أواخر الليل لأتوضأ وأصلي العشاء، وأنا الذي ما اعتدت الصلاة، فادهش والدتي بعملي ذاك، ولكنها لا تلبث أن تدعو لي بالهداية والصلاح.

الرياضة البدنية والألعاب

١- **الفروسية**: كانت الفروسية وركب الخيل، هي الرياضة المحببة في أيام العز أيام الشيخ (ظاهر العمر الزيداني) ومن سبقه من الحكام والأمراء، حيث كانت الخيول الأصيلة، تربى في (الجش) والبلدان المجاورة بكثرة.وكثيراً ما كانت حفلات السباق تعقد في أرض الشوط ويتسابق الفرسان، ويتضاربون بالجريد، وخاصة في أيام الأعياد والأفراح والأعراس، إلا أن هذه الرياضة تقلصت كثيراً، ولم يبق من الخيول في البلدة إلا بمقدار عدد أصابع اليد الواحدة، ثم مع وجود السيارة، انتهت هذه الرياضة إلى الأبد.

٢- **الكورة**: في العهد العثماني لعبة(الكورة) مشهورة للغاية، وبالطبع فالكورة ليست (كرة القدم) المعروفة والتي دخلت البلاد إثر دخول الإنجليز، وانتشرت في (فلسطين) وسائر بلاد الشام، والبلاد العربية الأخرى.

ولكن (الكورة) هي كرة من الحجر، يتقاذفها اللاعبون بالعصي، بعد أن ينقسموا إلى فريقين، والفريق الغالب هو الذي يدخل الكورة في مرمى الخصم مرات أكثر.

وقد ظلت هذه اللعبة قائمة إلى نهاية العصر العثماني. ثم اختفت من الوجود، وحلت محلها لعبة كرة القدم.

٣- **مطقطق الحجران**: وهي من الألعاب الطريفة والمشهورة، وفيها ينقسم اللاعبون إلى فريقين، لكل منهما رئيس، ويجري الاختيار بالقرعة. يجلس رئيس الفريق الأول على حجر، ويجلس رئيس الفريق الثاني أمامه، يغطي رئيس الفريق الأول عيني رئيس الفريق الثاني. فيما يستند أعضاء الفريق الثاني على الجدار، ويركب أعضاء الفريق الأول على ظهورهم.

يغني رئيس الفريق الأول: «آه يامطقطق الحجران، انزل خفيف، اطلع خفيف، ليش طير أمك ضعيف».

فينزل أحد الراكبين من الفريق الأول، ويقف أمام الرئيسين، ويطق حجرة على حجرة، ويصدر صوتاً عالياً، ويعود إلى ركب ظهر زميله من الفريق الثاني.

وعندئذ يخلى سبيل رئيس الفريق الثاني، الذي كان مغطى العينين ويقوم وقد فتح عينيه بتأمل زملائه المركوبين، ليعرف أي واحد من الراكبين وهم خصومه قد طرق الحجر، فإذا عرف (الذي طقطق الحجران) تبادل الجميع الأدوار وعاد الفريق الثاني، ليركب الفريق الأول، وإذا لم يعرف بقي زملاؤه مركوبين في نوبة ثانية.

وقد يحصل في هذه اللعبة الدس والإشارة الخفية المتفق عليها مسبقاً مع الرئيس، حتى يتمكن من معرفة مطقطق الحجران، وإذا ما حصل مثل ذلك الدس احتج رئيس الفريق الأول وهكذا وهي لعبة طريفة بحق.

٤- **التخباية**: ومن الألعاب التي كانت شائعة في بلدتنا (التخباية) والزقطة، والحيز، والدب الأعمى، وهي ألعاب شائعة في أنحاء بلاد الشام كافة، وما زال الأطفال يلعبونها حتى أيامنا هذه.

٥- **الدحل**: ولعب الدحل أيضاً مشهور بين الصبيان والشباب من أبناء بلدتنا، وكان يشغل التلاميذ عن دروسهم. وكم من مرة صادرت المدرسة مئات الدحلات والقلال والبنانير، لتهيئ للتلاميذ جواً أفضل للدراسة.

٦- **المباطحة أو المصارعة**: وكثيراً ما كانت تجري المصارعة بين الشباب والأولاد من كل الأعمار، ليتباهوا دائماً بالغالب، في حين يسخر الناس من المغلوب.

وكان من أقوى المصارعين المسيحيين (طعمة الحاج) في حين كان أقواهم من المسلمين (حسين علي خلايلي).

٧- **المباهاة بالقوة البدنية:** ومن طريف ما يذكر في هذا المجال، أن (محمود حسن حسين الخليلي) كان من أقوى الناس بدناً في بلدتنا وأشدهم أيداً، إذ كان ذا جسم متين وعضل مفتول، وذراعين قويتين. ويحكى، أنه كان واقفاً ذات يوم في المراح (ساحة البلدة) فصاحت به امرأة مسيحية أن يمسك لها عجلها الهارب. وكانت الثيران والعجول تصاب بنوع من الذباب، فتثور وتهرب بقوة.

ومر به الثور (المقوقب) فمد نحوه يده، فأمسكت اليد أذن الثور، ولكن الثور أفلت من يده، وبقيت أذنه في يد (أبي خليل) رحمه الله، بعد أن اقتلعت من جذورها.

وعندما وصلته المرأة، عاتبته قائلة: (هيك يا عمي أبو خليل ما بتمسك لي الثور؟ فأجابها:

(ولك يا عمي شو بدي أساوي؟ شوفي هاي ذانه طلعت بإيدي). وأراها أذن العجل المقلوعة، فدهشت المرأة لذلك، كما دهش أهالي البلدة، وظلت قصة قلع أذن الثور وقوة أبي خليل تدور على ألسنتهم بالإعجاب سنين طويلة.

٨ - **العمدة:** ورفع العمدة من الرياضات التي كانت شائعة في بلدنا، كغيرها من بلاد الشام. وظلت تمارس إلى عهد قريب. والعمدة أو المدحلة، هي صخرة اسطوانية. لها فتحتان صغيرتان في جانبيها لتدخل بها اليد، أو لتدخل بهما طرفا الخشبة التي يسوقها الذي يدحل سطح البيت، لمنع الدلف وتسرب المياه إلى داخل المنازل، سيما وأن الإسمنت لم يكن معروفاً بعد.

كانت العمدة ترمى في الساحة، ويتقدم منها الشباب المتبارون ليرفعها واحدهم بيديه التنتين إلى ما فوق رأسه، فإذا أخفق خسر الرهان ، وإن رفعها فقد كسب الرهان. وقد يرفعها أحدهم إلى ركبتيه أو إلى صدره، ويعجز عن رفعها إلى ما فوق رأسه. وكثيراً ما كانت هذه اللعبة تسبب المشاحنات والمضاربات بين المتبارين.

طوشة أهل الجش مع أهل حطين:

ومن طريف ما يذكر في هذا المجال، ما حدث بين أهالي (الجش) وأهالي (حطين) من قتال عنيف وقع فيه قتلى وجرحى، من جرّاء هذه اللعبة، وقد جرت الحادثة كالآتي كما رواها لنا الشيوخ المعمرون أكثر من مرة.

في أوائل العهد البريطاني، خطب شاب من أهالي (حطين) (عطرة) ابنة (قاسم محمد جوهر الخليلي) وتواعد مع أهلها على يوم الزفاف وكانت العادة في تلك الأيام، أن يأتي أهالي بلدة العريس يوم العرس لاصطحاب العروس في موكب كبير كانوا يسمونه (الفاردة) وفي اليوم المحدد، جاء أهالي (حطين) عن بكرة أبيهم، وهم مسلحون بالعصي والخناجر، وكانت قد سرت إشاعة بينهم: أن أهل العروس لن يعطوها لعريسها، فجاء أهله وأهل بلده على هذه الحال لإرهاب أهالي العروس، وأخذها قسراً واستقبلهم أهل (الجش) بالترحاب، ولم يكن في خاطرهم شيء مما أشاعه الوشاة، وجرى الاحتفال بالعرس بشكل طبيعي وتغذى الضيوف جميعهم في حالٍ من البهجة والحذر.

وعندما آن أوان رحيلهم وعودتهم بالعروس، وخرجوا بها إلى (المراح) وهو ساحة البلدة التي ينطلق منها المغادرون والمسافرون، وهي راكبة على ظهر فرس، وقفوا للوداع، فتقدم شيخ شباب (الجش) آنذاك وهو المدعو (طه أيوب) حسب العادة، وطلب من أهالي (حطين)، أن يرفعوا العمدة، وإلا فأنهم لن يأخذوا العروس.

وجيء بالعمدة من على سطح الجامع، وهي أكبر مدحلة في البلدة على الإطلاق، وطلب إلى شباب حطين أن يرفعوها، فتهيبوا منها لكبرها وضخامتها وثقلها، فتقدم منهم رجل ذكي وقال: أتطلبون منا أن نرفعها ونحن لم نركم ترفعونها ؟ ارفعوها أولاً ثم نرفعها نحن. وافق الجميع على اقتراحه الحق.

ولم يكن أحد في بلدتنا يقدر على رفعها إلا شيخ الشباب نفسه (طه أيوب) وكان عملاقاً قوياً شرساً لا يصطلى له بنار، ويخلق الشر من تحت رجليه، كما يقولون، كيفما توجه.

تقدم من العمدة، وأمسك بها بيديه ورفعها إلى صدره أولا، فنخاه الشباب مشجعين (أبو دعاس.. أبو دعاس، وكانت كنيته، فشد من عزمه ورفعها إلى ما فوق رأسه، ولكنه في هذه الحالة (ضرط) من جرّاء الجهد الكبير، فتضاحك عليه أهالي (حطين) المحيطين به، فرمى بالعمدة إلى الأرض غاضباً، وتناول العصا من زوجته التي كانت تقف وراءه دائماً، وأخذ يضرب بعصاه الناس يميناً وشمالاً، فطرح بعضاً منهم على الأرض، واستمر القتال بين الطرفين، وتكاثر أهل (حطين) على أهل (الجش) فساقوهم حتى أدخلوهم البيوت.

وبدأ الرمي بالحجارة من فوق السطوح، وتصايح الناس في كل اتجاه، ولما تضايق المسلمون من أهل (الجش) فزع مسيحيو البلدة من الحارة الغربية، وحملوا على أهل (حطين) بما عرف عنهم

من شوكة وبأس، و أخرجوهم من البلدة، وطردوهم شر طرده ن ووقع بعض القتلى والجرحى ولما حاول أهل (حطين) إعادة الكرة مرة ثانية ردهم أهل القرى المجاورة، قبل أن يصلوا إلى (الجش).

ثم اتصل النبأ بالسلطات، فحضر رجال الشرطة، واعتقلوا عدداً من أهالي البلدين، وغرموا غرامات كبيرة.

الصيد:

والصيد من الرياضات المحببة لأهالي البلدة وكان الكثيرون يمارسونه وله أنواع كثيرة أهمها:

١- **صيد الدبق**: والدبق عبارة عن قضبان حديدية أو خشبية بطول نصف متر تقريباً، توضع عليها مادة لاصقة كالغراء، وتنصب على غصون الأشجار وفروعها حيث تبيت العصافير والطيور، فيلتصق ريشها بالمادة الصمغية، ويأتي الصياد في الصباح الباكر، فيلتقط العصافير ويفكها من الدبق ويذبحها ويضعها في حقيبة، ويعود بها إلى المنزل لإعداد وجبة شهية.

وكان من أشهر صيادي هذه الطريقة في بلدنا (أحمد حسين علي عيسى) وأخوه (نمر).

٢- **صيد الفخاخ**: والفخاخ على أنواع كثيرة، منها الصغير المعد لصيد العصافير، ومنها الكبير الضخم المعد لصيد الحيوانات الكبيرة.

ينصب الفخ ويدفن في التراب، بعد أن توضع دودة صغيرة (بلعوط) في (الكرزم) وما إن يأت العصفور ليأخذ الدودة حتى يفعط الفخ ويلتقط العصفور بين قوسيه.

أما الفخ الكبير، فينصب في المسارب الضيقة، حيث تمر الحيوانات البرية، فتقبض على الحيوانات.

وكان أشهر صيادي هذه الطريقة (محمد علي عيسى) وأولاده، وكم من مرّة قبضوا على ضبع أو أرنب أو ابن آوى و جاؤوا به ليتفرج عليه الناس في البلدة.

٣- **الصيد بالبنادق**: وهي الطريقة المثلى في الصيد، ولها عادات وتقاليد إذ يخرج الصيادون جماعات، مؤلفة كل جماعة من اثنين أو ثلاثة صيادين، ومعهم البنادق (الجفوت) وتصحبهم كلابهم، فيطوفون في البراري والوعور، يصيدون الأحجال والطيور و الأرانب والغزلان.

وكان من أشهر الصيادين بهذه الطريقة:(علي محمدعلي أحمد الخلايلي) و(يوسف محمد جوهر الخلايلة) و(يوسف الشقرا) وغيرهم ممن لا تحضرنا أسماؤهم. كان هذا قبل النكبة. أما بعد النكبة، فكان أشهر الصيادين الشاب (محمد حسين علي خلايلي) رحمه الله. الذي التجأ إلى سوريا

بعد النكبة صبياً صغيراً، وعمل في صياغة الذهب في مدينة (حلب) وتعلم هذه الصنعة علي يدي صائغ أرمني حتى أتقنها، ولكنه ورث عن جده (علي) حبه للصيد، فاشترى بندقية، وأخذ يخرج للصيد فيصل أحياناً إلى ضفاف الفرات، ويجلب كثيراً من الغزلان والأرانب وكم كان يدعونا لتناول وجبات الصيد اللذيذة معه.

وفي يوم (١٩٧٥/٥/٧م) بينما كان عائداً من رحلة صيد مع زميل له، وكانا يركبان دراجة نارية، اصطدما بكومة رمل موضوعة إلى جانب الطريق على مقربة من مخيم (النيرب) فوقعا عن الدراجة، وأصيب بضربة شديدة في رأسه خلف الأذن اليسرى، فتوفي متأثراً بنزيف دماغي حاد، ومات مأسوفاً على شبابه الغض، وعلى أخلاقه الحميدة، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره آنذاك، ودفن في مقبرة قرية (النيرب) بعد أن تركت وفاته رنة أسى وحزن، في المخيم والقرية على السواء.

طرفة:

ولعل من الطريف أن أذكر، أنه كان لي مع الصيد تجربة مرة، تتلخص بأنني كنت أحمل فخاً صباح كل يوم، وأعد له الديدان اللازمة للكرزم، واخرج إلى البرية فأنصب الفخ، و أراقبه طويلاً في لهفة، ولكن الحظ لم يحالفني أبداً في اصطياد عصفور أو أكثر، كنت أعود إلى البيت خالي الوفاض، أتعرض لسخرية أختي (فاطمة) التي تكبرني بثلاثة أعوام، فكانت تستقبلني ساخرة وتوجه الكلام لأمها: (يمّا عشاؤنا اليوم عصافير مشوية.. ما شاء الله، خليل أشبعنا لحم عصافير.

كنت أتضايق منها، وأهاجمها بنظرات حادة واضربها أحياناً فتهرب مبتعدة.

وذات يوم صممت على أن أشبع أهل البيت من لحم الصيد وبيّت أمراً في نفسي ونمت على غيظ.

في صباح اليوم التالي، استيقظت مبكراً، وأخذت الفخ وحفنة من حبوب القمح، ونصبت الفخ أمام منزل جيراننا بيت (سمعان إلياس أيوب) وما هي إلا دقائق حتى كان الفخ يلتقط ديكاً كبيراً، تناولته بيدي، واندفعت مسرعاً باتجاه السفوح الشرقية للبلدة وعندما اختفيت عن الأنظار، سارعت إلى الديك فذبحته، وكم كانت دهشتي عظيمة، عندما نهض الديك يركض باتجاه المنزل والدماء تسيل منه، لكنه لم يلبث أن سقط.

وفي تلك الأثناء، كان جارنا (عيسى) على سطح منزله المقابل لمنزلنا فرأى العملية بأم عينه، فصاح على أصحاب الديك أن أدركوا ديككم، لقد سرقه ولد وهرب به، وخرج أولاد جيراننا عن

بكرة أبيهم يتراكضون باتجاهي ومنهم (جميل ونعمه وطعمه) وآخرون. واندفعوا خلفي باتجاه السفوح، ولما رأيتهم يتراكضون بسرعة باتجاهي، رميت السكين، ووضعت الديك في تلم وجلست عليه فأخفيته..عندما وصلوني سألوني: خليل أرأيت من سرق الديك ؟ قلت: نعم. لقد رأيت ولداً يحمل ديكاً مذبوحاً ويهرول باتجاه الوادي، فتركوني واندفعوا بأقصى سرعتهم باتجاه الوادي، حتى وصلوا إلى قاع الوادي فلم يجدوا أحداً فقفلوا راجعين، وكان لا بد لهم من زمن طويل للصعود إلى القمة حيث أجلس أنا. وهنا اغتنمت الفرصة وخبأت الديك المذبوح في (قرقارة) شجرة جوز، كانت عشاً لهدهدٍ ذات يوم وعدت أدراجي إلى المنزل بكل هدوء وطمأنينة، ولكنني افتقدت سكيني الذي ذبحت به الديك، فقد رميت به بعيداً عني، ولم استطع أن أجده في غيابهم لأخفيه، فأسفت لضياعه. وعاد الأولاد بعد أكثر من ساعة، ففتشوا مكان الجريمة فوجدوا السكين، فحملوه إلى بيتنا، فوجدوا أبي رحمه الله فسألوه: جارنا أبو خليل: هل هذا السكين لكم ؟ فتناول أبي السكين ونظر فيه، ثم أجابهم: نعم هذا من سكاكيننا. فصاحوا جميعاً مع بعضهم قائلين: (إذن ابنك خليل هو الذي ذبح الديك... وكنت واقفاً ارتعد من الخوف فسألني الوالد رحمه الله عن الديك فأنكرت؟ ولكنه لم يصدقني والدليل المادي في يديه ـ السكين ـ فانهال عليّ ـ رحمه الله ـ بالضرب المبرح حتى كاد يقتلني وكان يصعب عليه جداً أن يعتدي أحد أبنائه على الجيران.. وعندما اشتدت عليّ الأزمة، أسرعوا فحموني و فكوني من بين يدي أبي وسامحوني بالديك على أنني أصررت على إنكاره، ولم أجرؤ على الإتيان به من القرقارة، ونلت نصيبي من العقاب في المنزل، وبقي عقاب المدرسة ـ يا لطيف.

وفي اليوم التالي، ذهبت إلى المدرسة متوجساً خيفةً خشية أن يشكوني للأستاذ ـ وللأستاذ سطوته آنذاك ـ وصدقت نبوءتي، ساعة وقف (طعمه) ابن جيراننا، وقال للأستاذ (طعمه الحاج) رحمه الله.

أستاذ: إن خليل يأكل كل يوم ديكاً. فرد عليه الأستاذ غاضباً ولم يفهم قصده: إن شاء الله بيأكل كل يوم ديكين، وأنت مالك؟

وخرس (طعمه) ونجوت أنا من عقاب المدرسة.

المهندس محمد إبراهيم خلايلي وزوجته
المدير العام لشركة استصلاح الأراضي

المرحوم السيد سرحان أحمد حسن زيدان

الفصل الثالث

المظاهر الحضارية الحديثة وبدايات النهضة

مع إطلالة القرن العشرين أخذت البلدة تفتح عينها بحذر على ألوان من المعطيات الحضارية الآتية من الغرب. وأخذت أنماط الحياة فيها تتبدل ولو ببطء باتجاه المدنية الغربية الزاحفة في ركاب المستعمرين الجدد من الإنجليز، أو الآتية مع العائدين من هجرتهم إلى أمريكا وأمريكا اللاتينية كالبرازيل والأرجنتين والأرغواي وغيرها من بلدان العالم الآخذ بالحضارة الحديثة.

فقد عاد المغتربون حاملين معهم بعض الأفكار التحررية الجديدة، كما جلبوا معهم بعض المخترعات الحديثة. كالساعات اليدوية والغرامافون (صندوق الأغاني) والدراجات الهوائية وماكينات الخياطة وما إليها.

كما استطاعوا أن ينقلوا إلى أهلهم وذويهم بعض العادات والتقاليد التي اكتسبوها في ديار الغربة، من حيث المأكل والمشرب والملبس وأنماط الحياة الجديدة، وتمكنوا من إيجاد حركة تطورية جديدة في البلدة، فطوروا في أساليب الزراعة، وساهموا في إدخال الآلات الزراعية الحديثة، كما ساعدوا في تطوير البناء وتحسينه،وأخذ العمران الحديث يتوسع بعد إدخال الإسمنت والحديد ووسائل البناء الحديثة.

كما تمكنوا إلى حدٍ ما من كسر حاجز الجمود الديني الذي كان مسيطراً على الأهلين إبان العصور العثمانية الطويلة، وأخذ الناس من مسيحيين ومسلمين ينظرون إلى بعضهم البعض نظرة فيها كثير من التسامح، كما أخذوا يبثون في الناس روح الحماسة بالتقدم نحو النور بالتعلم، واستبدال القديم بالحديث في كل شيء. وهيؤوا الأذهان لتقبل الحضارة الحديثة ونسيان الماضي الذي أكل الدهر عليه وشرب.

ولم يلبث تيار الحضارة الجارف في العشرينات من القرن العشرين، أن أدخل السيارة والمذياع والكهرباء والماء النقي العذب إلى البيوت، وأخذ التماس بالحضارة الحديثة يجري يومياً وبدون انقطاع، سواء في زيارة الأهلين للمدن الكبيرة وبيع إنتاجهم فيها، أوفي ارتحالهم عن قراهم واستيطانهم في المدن التي أخذت تجذب الناس من كل اتجاه.

الهجرة إلى المدن:

وهكذا أخذت الهجرة من الأرياف إلى المدن تزداد يوماً بعد يوم، واستأثرت مدينة (حيفا) بعدد كبير من أهالي بلدتنا الذين تركوا وراءهم بيوتهم للخراب وأراضيهم ومزارعهم للبوار.

لقد استهوتهم الحياة الجديدة في (حيفا) لما فيها من ترف ويسر في الحصول على عمل قد يوفر السعادة والطمأنينة ويبعدهم عن شقاء العمل المضني في الزراعة والقليل المردود في أكثر الأحيان.

ومع ازدياد الأعداد التي هجرت قراها، وتركت أراضيها الخصبة وكرومها التي جعلت تذوب وتذبل، اخذ العقلاء من أهالي البلدة يقفون بحزم في وجه ذلك التيار الجارف، وجعلوا يدعون المهاجرين إلى المدن ويحثونهم على العودة إلى أراضيهم. والبحث في أعماقها عن الرزق الحلال، والكنوز الخبيئة في باطنها، وكان على رأس هؤلاء الأستاذ (راجي المارون) ابن (الجش) البار الذي أذهلته هجرة أهالي بلدته إلى (حيفا) وتركهم ممتلكاتهم وأراضيهم في مهب الريح، فقال قصيدته المشهورة التي نختزئ منها هذه الأبيات:

ألا يا نفس إنّ السعد يخفى ... ووجه المبتغى عنا تستّر

فقومي باشري سيراً وجدي ... إلى بلدٍ سوى هذا أكثر

كثير من بلاد مثل هذي ... أهاليها سلوها بعد مهجر

وعافوا أرضهم والأهل فيها ... وخلوها لمن شاخ وعمّر

رماهم ربهم حيث «المعالي» ... وقد سكنوا بحيفا أم مضمر

على (حيفا) ومن فيها سلام ... وإن خالفت ذنبي ليس يغفر

أحيفا شأنها أمسى عظيماً ... فكيف يصير من فوق المقدر

ومن هذي لدينا الآن عكا ... قضت زمناً طويلاً منك أشهر

أيادي الدهر خانتها وولت ... وخلت سورها العالي يدمّر

والقصيدة رغم ركاكتها وضعف صياغتها إلا أنها تعبر عن الضيق النفسي الذي كان يلم بالشاعر حزناً على أهله وذويه لهجرتهم بلدتهم ذات التاريخ العريق، تاركين كل شيء وراءهم للشيطان، ويذهبون ليعمروا مدينة (حيفا) وغيرها، والتي لم تكن ذات شأن في يوم من الأيام، لولا

هجرة اليهود إليها، ولولا إنشاء مصفاة للبترول فيها، ولذا فهو يسخر من (حيفا) ويسميها (أم مضمر) ويذكرها بأن عزّها ذلك لن يدوم، فقد كانت (عكا) ذات يوم أشهر من (حيفا) بكثير، ولكن أيادي الدهر خانتها ودمرت أسوارها، وجعلتها عبرة لمن يعتبر.

والشاعر يظهر من خلال عاطفته الصادقة، حريصاً على مصلحة بلدته (الجش) وعلى الارتباط بأرض الآباء والأجداد، والالتصاق بها التصاقاً بناء مثمراً، وعدم التخلي عنها من أجل مظاهر حضارية برّاقة زائفة، لا تلبث أن تزول، لأنها لا تحمل في طياتها إلا صنوف العذاب، وألم الاغتراب.

التربية والتعليم في البلدة:

في الحقيقة أنه لم تصلنا أخبار موثوقة بها عن التربية والتعليم في البلدة، ولا عن المدارس التي أنشئت فيها عبر عصورها المديدة، إلا أن التاريخ يذكر أنه كان لليهود (مجمع) في القرن الميلادي الأول، كما كان لهم مجمع آخر في بلدة (كفر برعم) وثالث في قرية (ميرون) والمجمع عبارة عن مكان للاجتماع وكنيس ومدرسة في آن واحد.

ومجمع (الجش) موجود حتى الآن، وهو عبارة عن كهف محفور في الصخر، يقع شرقي البلدة، وقد دخلته في صباي أكثر من مرّة، وهو عبارة عن باب ضيق يفضي إلى غرفة متوسطة فيها ثلاثة أبواب أيضاً يفضي كل باب إلى غرفة أخرى، ذات أبواب تفضي إلى غرف أخرى.

والكهف كله بغرفه العديدة منحوت في الصخر وذو جدران ملساء، وكذلك سقفه، وقد نسب ذلك المجمع إلى الحاخام (شمعون بن جشاي)[1] المعروف بالصديق، وكان ناووسه مرمياً في الجهة الجنوبية من البلدة. وكان اليهود يزورونه ويعقدون حوله حلقات الدبكة ويقبلون أطرافه، في حين كان صغار الصبية من المسيحيين والمسلمين يبولون عليه أثناء خروجهم من المدرسة.

أما في العهود الإسلامية الطويلة، فكانت الدراسة تعقد في حلقات المساجد على شكل كتاتيب، واستمرت إلى زماننا في الأربعينات بعد افتتاح المدرسة الرسمية:

---

(١) يوميات في لبنان ـ ادوارد روبنسون ترجمة أسد شيخانيدار المكشوف ص(٢٤٦) نقلاً عن (بنيامين بن توديلا) وهو إسباني زار فلسطين (١١٧٠-١١٧١)م.

في العهد العثماني:

افتتح العثمانيون مدرسة أولية في البلدة، فيم افتتحوا من مدارس في بعض قرى صفد، إبان الحرب العالمية الأولى[1]، وكانت مدرسة ذات معلم واحد، وكان يلقن التلاميذ الصغار اللغة التركية، ولكن المدرسة لم تعش أكثر من سنة أو سنتين، وأغلقت أبوابها بعد انفضاض التلاميذ عنها، بانتهاء العهد العثماني.

في العهد البريطاني البغيض:

في أوائل العهد البريطاني، افتتح في (الجش) أول ابتدائية، أطلق عليها اسم (المدرسة الأميرية للبنين في الجش)، وهي التي كان لي شرف دراسة المرحلة الابتدائية فيها (١٩٤٠-١٩٤٧).

وقد بقيت هذه المدرسة حتى عام ١٩٤٣م ذات أربعة فصول فقط، مضمومين في غرفتين كبيرتين بنتها الحكومة لهذا الغرض.

وفي ١٩٤٣م عين للمدرسة مدير نشيط وغيور، هو الأستاذ (غطاس يوسف غطاس) من أهالي بلدة (الرامة) وهو من طائفة الروم الأرثوذكس وكان متحمساً لرسالته وذا شخصية قوية ووطنية، فجعل يفتتح في كل عام فصلاً جديداً، حتى أصبحت المدرسة ابتدائية تامة وذات سبعة فصول ١٩٤٧م.

وبهذا فقد تميزت المدرسة عن غيرها من مدارس القرى المجاورة، التي حافظت على مستواها الأولي، وجعل التلاميذ يفدون إليها من كل القرى والبلدان المجاورة للدراسة فيها، حتى زاد عدد تلاميذها في آخر عهدها عن خمسمائة طالب. وأفسح فيها مديرها النشيط مكاناً للبنات، فأصبحت مدرسة مختلطة.

ثم أخذ الأهلون يفكرون بمدرسة ثانوية لأبناء البلدة وما جاورها، واتفقوا مع السلطات التعليمية على أن تكون (ثانوية زراعية).. فجمعت التبرعات لذلك وأخذ مبنى المدرسة الجديدة يرتفع في سهل الشوط الفسيح الواقع جنوب غرب البلدة، إلا أن النكبة عاجلت الأهلين بالهجرة، وتوقف بناء المدرسة الجديدة ولم يكتب لها أن تبصر النور.

---

(١) التميمي والكاتب - ولاية بيروت: القسم الجنوبي. بيروت ١٣٣٥هـ ص(٣٥٥).

جهاز المدرسة التعليمي:

كان عدد العاملين في المدرسة قبل ١٩٤٨م ثمانية معلمين بما فيهم مدير المدرسة هم:

١- غطاس يوسف غطاس: مدير المدرسة ومدرس الرياضيات والتاريخ في الصفوف العليا بالمدرسة، وكان حريصاً جداً على المدرسة وعلى سير العمل فيها وعلى مصلحة التلاميذ، إلا أنه كان قاسياً شديداً وكثير الضرب للتلاميذ وبدون شفقة أو رحمة.

وقد حفظ التلاميذ شتيمته المشهورة عن ظهر قلب (يلعن الطينة اللي خلقتوا منها).

إلا أنه رغم ذلك كان شديد الإخلاص لعمله ولمستقبل المدرسة وتلامذته، وكان وطنياً غيوراً، قيل إنه كان من أوائل العاملين في جماعة الأرض، بعد النكبة وناضل من خلالهم، وسجن وعذب. وما زال حياً يرزق حتى اليوم في بلدة الرامة.

٢- محمد حمد (أبو طالب): من أهالي قرية (الصفصاف) المجاورة لبلدتنا وكان مدرساً لتلاميذ الصف الأول، وقد هاجر بعد النكبة إلى (لبنان) وتوفي هناك في السبعينات، وكان له فضل كبير على المدرسة، لأنه عمل فيها منذ افتتاحها وحتى إغلاقها.

٣- أتناس يوسف عقل: أستاذ اللغة العربية في المدرسة، وكان ذا ثقافة لغوية رائعة وكان شاعراً ويتقن عدة لغات شرقية وغربية. وقد وردت ترجمته فيما سبق من هذا الكتاب.

٤- حسن حميدة: مدرس اللغة الإنكليزية. وهو من أهالي مدينة (صفد) وكان مدرساً راقياً ودمثاً وذا خلق رفيع. وقد هاجر إلى سوريا بعد النكبة، قبل هجرتنا نحن بستة أشهر، وقد وصلتني منه رسالة من مخيم (النيرب) إلى (الجش) يسألني عن المدرسة في البلدة فيما إذا كانت افتتحت أم لا. و أجبته عن وضع المدرسة آنذاك، وقد بقي مدة يشتغل بالتدريس، ثم هاجر إلى الكويت وانقطعت عني أخباره. إلا أنني عرفت مؤخراً أنه يعيش في دمشق.

٥- لطيف عبدوش: وهو من أهالي البلدة ومن آل جبران. كان يدرسنا مادة التاريخ في الصف الرابع الابتدائي، وبعد النكبة ترك التدريس وافتتح معملاً لصنع الجرابات في البلدة.

٦- صبري الصادق: من أهالي قرية (دير القاسي) عين في المدرسة عام ١٩٤٦م مدرساً للعلوم الطبيعية، بعد تخلي أهله عنه، لأنه ربح الجائزة الكبرى باليانصيب لعام ١٩٤٥م وبذّر المبلغ الكبير على موائد الخمرة والقمار وغيرها، ولما اتصل بأهله، منعوا عنه الرفد فاضطر إلى العمل

مدرساً بعد النعيم المفاجئ الذي لم يعرف كيف يسخره. هاجر بعد النكبة إلى سوريا ومنها إلى الكويت حيث عمل مدرساً، وتوفي في الستينات على ما بلغني من بعض الأصدقاء من أقاربه.

٧ـ **سمير الخطيب:** وهو من أهالي قرية (الرأس الأحمر) كان يدرس العلوم الزراعية في المدرسة، ولكنه سرعان ما تركها والتحق بالجيش السوري، ودرس العلوم العسكرية وتخرج برتبة ملازم، وعمل في الجيش السوري ثم في الجيش الفلسطيني وما زال يمارس مهنته العسكرية، وهو الآن برتبة عميد في جيش التحرير الفلسطيني ويقيم في مدينة (عمان).

٨ ـ **معن أيوب:** وهو من تلامذة مدرسة (الجش) هو وأخوه (مازن) الذي كان في صفي ومن لداتي. جاء المدرسة عام ١٩٤٦م وعمل فيها مدرساً وكيلاً لمدة عام أو أكثر.

كما اشتغل فيها مدرس آخر من أهالي (صفد) لا أتذكر اسمه لأنني لم أكن على علاقة وثيقة به، بسبب تدريسه الأناشيد في الصفوف الأولى في حين كنت في أعلى صف في المدرسة.

ولا زلت أذكر يوم رأيته ذات مرة يحمل زجاجة من نبيذ أحمر، وفراشة كبيرة، ويدعي أن النبيذ لإطعام الفراشة ليس غير.

المدارس الخاصة في البلدة:

عرفت الجش أنواعاً كثيرة من المدارس الخاصة، سواء منها الكتاتيب في المساجد أو الكنائس، أو المدارس الخاصة الحديثة.

وقد قام بهذا العمل شباب من أهالي البلدة المتعلمين، وخاصة من المسيحيين، الذين افتتحوا مدارس خاصة في البلدة لتعليم الصبيان والبنات على السواء. وكان في مقدمة هؤلاء الأستاذ (راجي مارون) الشاعر السالف الذكر الذي افتتح فرعاً لكلية (سنبل) أو الكلية الاسكتلندية، التي كان لها فرع في (صفد) وفي (حيفا). وبالتعاون مع هذه الكلية. افتتح الأستاذ (مارون) فرعاً في كل من (الجش) و(كفر برعم) في الثلاثينات من هذا القرن، إلا أن المدرسة لم تلق قبولاً حسناً واعرض عنها التلاميذ فأغلقت.

كما افتتح الأستاذ (طعمه الحاج) في الأربعينات من هذا القرن مدرسة خاصة لتدريس اللغة الإنجليزية والرياضيات، وعاشت المدرسة عدة سنوات، ولكنه عاد فأغلقها، وكان على معرفة عالية باللغة الإنجليزية، إذ كان يحفظ القاموس عن ظهر قلب، فما إن تسأله عن معنى كلمة حتى يجيبك:

ابحث عنه في صفحة كذا سطر كذا. وقد درست في هذه المدرسة مدة سنتين ١٩٤٢/١٩٤٣ ـ ١٩٤٣/١٩٤٤م. وبرزت في اللغة الإنجليزية وعندما ختمت كتابي الأول (Moris I). شدّ الأستاذ وثاقي على الطريقة القديمة، وأخذني بصحبة تلاميذ المدرسة إلى بيت والدي، وهناك حَلّ وثاقي، وقدّم النصيحة لأبي، بأن يرسلني إلى (لندن) لمتابعة دراستي للغة الإنجليزية لأنني متفوق في دراستها ـ حسب رأيه ـ مع صغر سني، ووعده أبي خيراً، ونال التلاميذ الذين زفوني مع الأستاذ نصيبهم من الحلوى.. التي أعدّها والدي ـ رحمه الله ـ لهذه المناسبة.

كما افتتح الأستاذ (حنا الظاهر) مدرسة خاصة أخرى في الكنيسة، ودرست فيها لبعض الوقت، إلا أن عين معلمي الحولاء جعلتني أكره المدرسة وأهرب منها إلى غير رجعه.

وفي الختام لا يسعني إلا استنزل شآبيب الرحمة على أرواح كل أولئك الذين ساهموا في تعليم جيلنا بكل جهد و إخلاص.

بيني وبين الشيخ أحمد عبد الحليم الخطيب:

كان الشيخ أحمد عبد الحليم الخطيب (خطيب المسجد) يفتح كتاباً في الجامع لتعليم الصبيان القرآن الكريم والكتابة والإملاء، وكنا نلتف حوله في حلقة فنقرأ أو يملي علينا فنكتب.

كان يضع لفته أمامه وهي عبارة عن طربوش لفت عليه قطعة قماش بيضاء.. ولذا كان أهالي بلدتنا يسمونها (لفّة) أو (عمامة) أو (عمّة).

وذات يوم استغفلت الشيخ أحمد وسرقت عمامته ووضعتها على رأسي، وخرجت اركض من المسجد بأقصى سرعتي، كانت العمامة تتمايل على رأسي بكل اتجاه.

وخرج الإمام يركض خلفي في الأزقة، ولكنني سبقته لخفتي (كنت في الحادية عشرة من عمري) كان يصرخ على الناس الجالسين على جوانب الطرقات أن يكمشوني، ولكنهم كانوا يتضاحكون للمشهد ولا يحاولون إلقاء القبض علي.

كان الشيخ أحمد يركض ورائي حافياً عاري الرأس، وكان شديد الصلع مما كان يثير الضحك، ولما خرجنا من الأزقة، كاد يلحق بي ويمسكني فعمدت إلى العمامة فألقيتها نحو المنحدر، وأخذت بدورها تتدحرج حتى وصلت إلى قاع الوادي، وتبعها صاحبها إلى الوادي ليمسك بها في حين أفلت من قبضته وعدت إلى البيت.

ولما جاء بعد ساعة أو أكثر وهو يلهث للطريق الصعبة التي اجتازها من الوادي إلى البلدة، كان أول شيء يريد أن يعمله هو أن يشكوني لحضرة الوالد - رحمه الله - ولما كان والدي آنذاك مسافراً، فقد نجوت من العقاب. في حين ظل الناس يتندرون بتلك الحادثة زماناً طويلاً. ويذكرون كيف سرق (خليل الإبراهيم) لفة الخطيب.

سقى الله تلك الأيام بوابل الغيث ما كان أطيبها.

مكتبات البلدة:

ساعدت المكتبات الموجودة في البلدة والمتوارثة عن الأجداد على قلتها، في رفع سوية أهالي البلدة الثقافية، وأخذت الكتب القديمة والحديثة تصل إلى أيديهم، فتنور أذهانهم وتوسع طموحاتهم، وتساعدهم على نهل العلم من مناهل متعددة ثرة، وكانت أشهر مكتبات البلدة هي:

١- **مكتبة الشيخ حسن خليل:** وقد سبقت ترجمته، وهو أكبر عالم أنجبته حمولة (الخلايلة) في بلدة (الجش) وكانت مكتبته كبيرة وعامرة وتملأ عدة صناديق، ومزودة بوصية (وقفية) يتكلم فيها على أصول الحمولة وتاريخها وأجدادها، كما يجعل من هذه المكتبة وقفاً لجميع ذرية أصول حمولة الخلايلة وفروعها. وكانت كتبها متداولة من قبل أبناء العائلة فقط، وقد استعرت منها في صباي عدداً من الكتب المخطوطة والمطبوعة، إذ كان بين الكتب ما هو مطبوع، وباعتقادي أن أولاد الشيخ وأحفاده هم الذين زادوها على الأصل.

وكان قسم من المكتبة موجوداً في منزل أحد أحفاده (يوسف بن إبراهيم خليل الشيخ) وقسم آخر كان موجوداً في منزل (محمد محمود حسين علي أحمد الخلايلة).

ولا أدري ما حصل لهذه المكتبة بعد النكبة. وعلى الأغلب أنها سرقت فيما سرق.

٢- **مكتبة آل عقل:** وهي مكتبة كبيرة أيضاً ومليئة بكتب التاريخ والأدب، وقد آلت في النهاية لوارثها الشماس الأستاذ (اتناس بن الخوري يوسف عقل).

وكان رحمه الله يحض الشباب على استعارة الكتب منها ومطالعتها. على أن يحافظوا على سلامتها، وإعادتها إلى المكتبة بعد قراءتها.

٣- **مكتبة الجامع:** وكان فيها عدد كبير من المصاحف والكتب الدينية والفقهية، وكان يشرف عليها إمام المسجد المرحوم (أحمد عبد الحليم الخطيب) ولا يمنع أحداً من استعارة ما يريد منها.

ولاسيما المصاحف. وعلى ما ذكر أنه كان من بين المصاحف مصحف قديم مخطوط محفوظ منذ القرن الثالث الهجري.

٤- **مكتبة الدير:** وهي مكتبة دينية تعود لطائفة الروم، وهي تشتمل على عدد من الكتب التاريخية والكنسية وكتب الدين المسيحي.

٥- **مكتبة الكنيسة:** وهي كمكتبة الدير تماماً، وتعود لطائفة الموارنة من أهالي البلدة.

٦- **مكتبة المدرسة:** أما المكتبة التي قدمت خدمات ثقافية جليلة للتلاميذ والأهلين معاً فكانت مكتبة المدرسة الرسمية، وكانت تغص بالكتب باللغتين العربية والإنجليزية، وكان المشرف عليها مدير المدرسة الأستاذ (غطاس) يشجعنا طلبة وأهلين ويحضنا على استعارة الكتب وقراءتها.

وقد استعرت منها في صباي عدة كتب أذكر منها قصة (روبنسون كروزو) باللغة الإنجليزية، والتي شعرت بعد قراءتها بنمو نفسي عجيب، إذ غرست في روح المغامرة، وزودتني بشجاعة عجيبة وتفرد متميز.

انتشار الصحف:

كما أدى انتشار الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية إلى ازدياد الوعي بين المواطنين في البلدة، وكانت الصحف المصرية كالأهرام والمصور والبعكوكة والهلال والرسالة تصل إلى بعض المثقفين في البلدة، ومثلها كانت الصحف الفلسطينية أيضاً كجريدتي (الدفاع) و(فلسطين).

أما المذياع فكان انتشاره محدوداً جداً، إذ لم يكن يوجد إلا في بعض البيوت التي عاد أصحابها من الهجرة إلى البلاد الأجنبية، أو في بيوت أولئك الذين عادوا إلى البلدة من مدينة (حيفا) بعد سقوطها في براثن الصهاينة.

الصحة العامة:

كان الأهلون على العموم يتمتعون بصحة جيدة لطيب هواء القرية التي يأتيها عبر الجبال المرتفعة، ولجمال مناظرها ونظافة بيئتها ومياهها العذبة ولكثرة ما كانوا يتناولونه من الفواكه اللذيذة كالعنب والتين والمشمش والتفاح والرمان والجوز والبطيخ والشمام وأنواع الخضار.

وكان أكثر ما يتعرض له الأطفال من أمراض،لا يتعدى التهاب اللوزتين، والتهاب الملتحمة والرمد الربيعي، وكانت كل تلك الأمراض تعالج بأساليب بدائية.

مستوصف البلدة:

إلا أن دائرة الصحة في منطقة (صفد) افتتحت في البلدة مركزاً صحياً صغيراً سنة ١٩٤٥م وقدمت له اللجنة البلدية مبنى جميلاً على مقربة من المدرسة، كان يعالج التلاميذ المصابين بالجروح وبالرمد والتهاب اللوزتين وغيرها، وأخذ الناس يعتادون استعمال حبوب الدواء الحديثة كالأسبرين والبنسلين والقطرات المختلفة.

وعينت للأشراف على هذا المستوصف ممرضة مختصة، هي (ربيعه الخضراء) من أهالي (صفد).

إلا أن البلدة لم تعرف الأطباء على الإطلاق في تلك الأيام، وكان على المرضى المضطرين لإجراء عمليات ما أن يذهبوا إلى المدن القريبة كصفد أو طبريا أو حيفا.

كما كان تطعيم الأطفال لمرض الجدري يجرى في مستشفيات المدن، أو تقوم به بعثات طبية متخصصة كانت تزور البلدة وتقوم بواجباتها نحو الصغار والكبار وخاصة في أيام الأوبئة، كالملاريا وغيرها من الأمراض السارية والحميات.

زكي جبران رئيس مجلس الجش ١٩٦٣-١٩٩٣

الياس الياس رئيس مجلس الجش ١٩٩٣-

بناية مجلس الجش المحلي

آثار البلدة:

تركت الأقوام التي عاشت عبر العصور الطويلة على تراب بلدة (الجش ـ جسكالا) آثاراً كثيرة، منها مازال بارزاً للعيان، ومنها ما خبأته الأرض في أعماقها إلى الأبد.

خاصة وأن البلدة عرفت في حياتها المديدة سلسلة متعاقبة من الزلازل التي دمرتها تدميراً كاملاً أكثر من مرة عبر التاريخ، وكان زلزال عام (١٨٣٧)م آخر ما شهدته المنطقة من زلازل مدمرة.

فقد قلب هذا الزلزال البلدة رأساً على عقب، وهدم جميع بيوتها ومساجدها وكنائسها ومحا آثارها، ورمى كل تلك الآثار في هوتة سميت (المخسوفة) فيما بعد. وقد ظهرت كل تلك الآثار بالردم، ولم يعد يظهر منها إلا القليل القليل، والذي طمرت إثر الحفريات الحديثة.

ولعل اقدم تلك الآثار، هي الآثار الكنعانية المتوضعة في أماكن كثيرة في البلدة وما يحيط بها من تلال، كدبة ظهر حمار وغيرها من التلال كالقبور المحفورة في الصخر و النواويس، وهي قبور على شكل صناديق حجرية ذات غطاء حجري فوق الناووس الذي هو منحوت من الصخر أيضاً.

ومن الآثار المتبقية في البلدة كهف كبير يقع في السفح الشرقي للبلدة وهو منحوت في الصخر، ويقال أنه كان مأوى للمجمع اليهودي في القرن الميلادي الأول، وكان إلى جانب الكهف كهوف أخرى في سفح التلة استخدمت كقبور.. ولكن عوامل الطبيعة كشفتها.. ولم يبق في تلك النواويس إلا التراب، ولعل أحد تلك النواويس كان ناووس الرباني (شمعون بن جشّاي) السالف الذكر.

الكنيستان البيزنطيتان:

كما بقيت آثار كنيستين بيزنطيتين ماثلة للعيان بعد أن كشفت عنها بعثة أثرية ألمانية زارت البلدة سنة ١٩٠٥ م وكانت الكنيستان الرائعتان قد هدمتا عبر العصور، وبعد حدوث زلزال سنة ١٨٣٧م سقطتا في المخسوفة وحافظتا على شكلهما.. وقد شاهدتهما في صباي مئات المرات.. وكنت اعجب بكبر حجم الحجارة التي بنيتا منهما وما زالت إحدى واجهات الكنيستين قائمة وتتصدرها صورة نسرٍ كبير يحمل إكليل غار في قمة المشهد.

ويقول الأستاذ (مصطفى عباسي) أن بعثة أمريكية برئاسة البروفيسور (مارس) قد أجرت حفريات إضافية وعثرت على كنز مؤلف من (٢٠٠٠) قطعة نقد برونزية عام ١٩٧٧م[1].

---

(١) مصطفى العباسي ـ الجش (سنديانة الديار الصفدية) الجش ١٩٩٤م.

مسجد البلدة:

كان في البلدة في العهود الزاهية أكثر من مسجد، إلا أنها كلها هدمت عبر العصور، ولم يصلنا إلا المسجد المتبقي فيها وقد أعاد الأهلون بناءه بعد الزلزال الفظيع، وهو مسجد (الجش) القائم حتى اليوم.

وقد أعيد بناؤه بعد عام ١٨٣٧م وجدد في الثلاثينات وبني بالأسمنت المسلح، وجعلت له قبة كبيرة.

ثم أعاد مسلمو البلدة بناءه في السبعينات، وأضافوا إليه مئذنة عالية، يمكن أن يسمع منها صوت الآذان إلى مسافات بعيدة، خاصة بعد اختراع مكبرات الصوت وإدخالها إلى المساجد في العهد الحديث.

وقد اهتم بإعادة ترميمه الأستاذ (عادل محمد سعيد زيدان) الذي عين إماماً لمسجد البلدة في العهد الإسرائيلي، ثم مديراً لأوقاف حيفا، إلى أن أصبح في النهاية رئيساً لنقابة رجال الدين الإسلامي في إسرائيل، كما نمي إلي من أخبار.

جامع الجش

مقام الشيخ محمد العجمي

دير البلدة:

وفي البلدة دير كبير بنته طائفة الروم الكاثوليك بمساعدة مطرانهم المرحوم (غريغوريس حجار) مطران حيفا وسائر الجليل سنة ١٩٢٧م في المكان الذي كان يقوم منزل المؤرخ (فلافيوس يوسيفوس)[1] في القرن الميلادي الأول. ويقال للدير أيضاً (كنيسة مار بطرس وبولس) وقد سقط جداره أكثر من مرة لمغالاة البنائين في ارتفاعه، قبل الانتهاء من بنائه مما جعل البنائين يسندونه بثلاث دعائم حجرية قوية منعت سقوطه.

كان جرسه يقرع فيملأ التلال والأودية برنينه العذب، وكان الجنود الإنجليز يحتلونه ويعتلون سطحه في أيام الثورات ١٩٣٦م و١٩٣٩م وينصبون فوقه رشاشات المتريوز، فيتحكمون بجميع طرقات البلدة من عل.

ومن طريف ما حصل ذات يوم من أيام الثورة، أن الجنود البريطانيين اعتلوا ظهره، وأرسلوا في طلب مختار حي النصارى، وكان آنذاك المرحوم (سمعان جبران) ولما كان لا يعرف الإنجليزية، فقد أحضر ابن أخته ليترجم له ما يقولون، وكان ابن أخته قريب العهد بالإنجليزية ولا يعرف إلا كلمات يسيرة.

حاول أن يفهم كلام الجنود فلم يستطع، ولما سأله خاله: ماذا يريدون ؟ قال له: إنهم يريدون

---

(١) الأب الياس كويتز المخلصي. هؤلاء أبناؤنا المخلصيون ١٩٨٣ ص(٢٠٢-٣٣١) المطبعة البولسية جونية لبنان.

رجالاً يقتلعون كل هذه الصخور المحيطة بالدير. ودهش المختار وأجابه: ولكن ولك غير الله من يستطيع قلع هذه الصخور الكبيرة والراسية في الأعماق.

وعندما أرسلوا في طلب الأستاذ (طعمة الحاج) الذي أفهم المختار أن الإنكليز يريدون قدوراً كبيرة ليصنعوا الشاي لجنودهم، وهنا انفرجت أسارير المختار وانهال على ابن أخته ضرباً، وهو يصيح، (يا حوينة المصاري التي صرفتها أختي عليك)[1].

الكنيسة الكاثوليكية، كنيسة مار بولس وبطرس

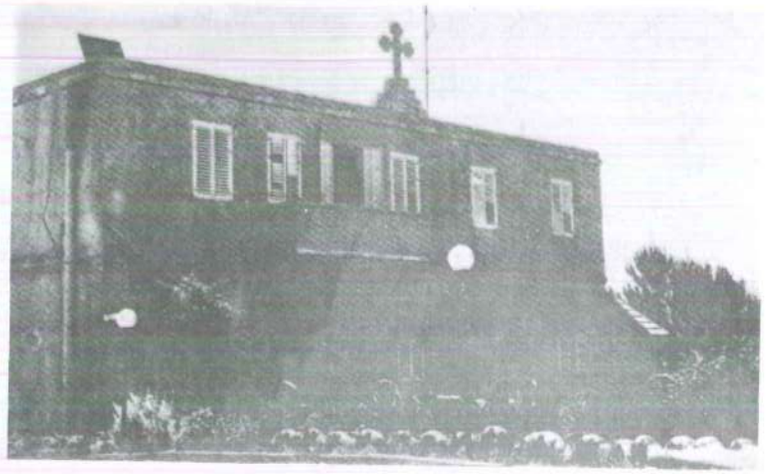

دير راهبات الوردية

(١) يا حوينة: وا أسفاه.. كلمة يستعملها أهل الجش في حالات التأسف.

كنيسة السيدة: وهي كنيسة الموارنة القديمة مبنية في مكانها منذ القرن السابع عشر.. وقد سقطت على من فيها من المصلين عشية عيد رأس السنة سنة ١٨٣٧م، وقتل منهم (٣٥) شخصاً ولم ينج إلا الكاهن (يوسف دخول) وطفل رضيع من آل شقير، ثم جدد بناءها عام ١٨٣٨م برعاية المطران (عبد الله البستاني) والأب (سطفان دخول).

كنيسة مار مارون: وهي من أجمل مباني البلدة وأروعها.. وضع حجر أساسها عام ١٩٨١م بمشاركة مطران الطائفة المارونية المرحوم (يوسف خوري) وهي من أكبر الكنائس الموجودة في الجليل وتبلغ مساحتها (١٧٠٠)م ومبنية من طابقين، الطابق الأول يستخدم كقاعة للأنشطة المختلفة في الأفراح والأتراح.. والطابق الثاني ومساحته (٦٠٠)م ويشمل قاعة الكنيسة.

وقد احتفل بتدشينها صباح يوم السبت ١٩٩٦/٨/٢٤م بحضور عدد كبير من المدعوين من كامل أنحاء (فلسطين) و(لبنان) وبحضور رئيس المجلس المحلي للجش وخوري الموارنة الأب (بشارة سليمان).

دير راهبات الوردية: تأسس هذا الدير في الجش في شهر آذار ١٩٥٧م أسسه المونسينور (أنطون فرغاني) وبجهود الرعية. وترعى الدير راهبتان أو ثلاث راهبات.. ويدرن روضة لحضانة الأطفال يقيم فيها نحو سبعين طفلاً من أبناء البلدة حتى بلوغهم سن التعليم الإلزامي[1]

وأراضي البلدة كلها تقوم على بقعة أثرية لا أظن أن لها مثيلاً في التاريخ، فهي مليئة بالسراديب والكهوف و القبور الأثرية و النواويس والمعاصر والآبار الحجرية، التي كانت تملأ بالزيت والدبس منذ أزمنة موغلة في القدم وما زالت كأن القوم ما غادروها إلا بالأمس، فهي صالحة للاستعمال، ومازالت آثار الحبال تظهر على حلقات أبوابها الحجرية.

ولا يسعني في الختام إلا أن أذكر أن الرحالة الذين مروا في البلدة في الأزمنة المتعاقبة تحدثوا عن ينبوع كان يوجد فيه اللؤلؤ الأبيض، وعن مكان كان يكثر فيه العقيق الأبيض أيضاً، ولكننا في زماننا لم نعثر على شيء من هذا القبيل، ولعل الزلزال الأخير، قد دفن تلك الروائع إلى الأبد[2].

(١) مصطفى العباسي ـ الجش (سنديانة الديار الصفدية) الجش ١٩٩٤م.

(٢) ادوارد روبنصون ـ يوميات في لبنان ـ ترجمة أسد شيخاني ـ دار المكتوف ١٩٤٩.

تطور البلدة بعد الاحتلال الإسرائيلي البغيض

١ ـ **مجلس الجش المحلي**: بتاريخ ١٩٦٣/٣/٢٢م عين أول مجلس محلي لقرية الجش بقرار من وزير الداخلية الإسرائيلي وقد ضم المجلس المحلي تسعة أعضاء هم السادة:

١ـ زكي جبران

٢ـ نخلة حداد

٣ـ جورج هاشول

٤ـ صالح حليحل

٥ـ عيد زكنون

٦ـ امطانس سليمان

٧ـ حنا ظاهر

٨ ـ حبيب خريش

٩ـ عيسى عيسى

وقد تم افتتاح المجلس في قاعة سينما (نوره) في الجش وقد حضر الافتتاح العديد من الشخصيات منهم:

حاكم اللواء الشمالي (إبراهيم خلقون).

والحاكم العسكري في الشمال.

وقائم مقام صفد. وعضو الكنيست الشيخ جبر داهش معدي وغيرهم من المسؤولين.

٢ ـ **مشروع كهرباء البلدة**: تم إنجاز هذا المشروع بتاريخ ١٩٦٥/٩/٥م حيث تم وصل القرية بالتيار الكهربائي، أقيم بهذه المناسبة حفل كبير، شارك فيه ممثلو المؤسسات الحكومية والأهالي عامة.

ويشار هنا إلى أن (الجش) من أوائل القرى العربية التي دخلها التيار الكهربائي وقد ساهم الأهالي في تكاليف هذا المشروع.

٣ ـ **بناء المدرسة الحديثة**: قام المجلس ببناء المدرسة الابتدائية الضخمة التي افتتحت عام ١٩٦٧م.

٤ ـ **الهيكل التنظيمي**: في عام ١٩٧٩م وافق المجلس على الخارطة الهيكلية للقرية وقد بلغت المساحة التي تشملها الخارطه الهيكلية (٤٧٠) دونماً وتكليف المجلس الآن على أعداد هيكلية جديدة تستجيب لمتطلبات القرية (٢٠٠) دونماً أخرى.

٥ ـ **الصرف الصحي**: ومن المشاريع الجديرة بالذكر أيضاً مشروع المجاري والصرف الصحي، الذي تم إنجازه عام ١٩٧٩ م حيث أنجزت المرحلة الأولى منه ثم تلت ذلك المرحلة الثانية فالثالثة وجرى ربط مجاري القرية بمجمعات مياه الصرف الصحي، وبذلك أزيل الضرر البيئي الذي لحق بوادي الجش الجميل.

٦ ـ **نادي المسنين**: افتتح بتاريخ ١٩٩١/٧/٧ م نادٍ للمسنين لأهالي البلدة وجيرانها، وقد هيأ هذا النادي الأجواء الإيجابية والرعاية للمسنين الذين يفدون إليه يومياً لقضاء أوقات فراغهم وللتسلية.

٧ ـ **بناية المجلس المحلي**: كان هذا البناء الجميل موجوداً منذ عام ١٩٤٦م حيث بني كمستوصف صحي، ثم استعمل مقراً لقيادة جيش الانقاذ، وفي عام ١٩٩٢م جرى توسيعة وبناء طابق ثان عليه.

وقد بقي السيد (زكي جبران) رئيساً للمجلس المحلي طيلة (٣٠) سنة من ١٩٦٣ـ١٩٩٣م حيث انتخب السيد (إلياس إلياس) رئيساً جديداً للمجلس البلدي.

٨ ـ **الكنيسة المارونية الجديدة**: وضع حجر الأساس لهذه الكنيسة الفخمة عام ١٩٨١م بمشاركة مطران الطائفة المارونية (المرحوم يوسف خوري) وتعتبر هذه الكنيسة من أكبر الكنائس الموجودة في الجليل وتبلغ مساحتها (١١٠٠)م^2 وهي مبنية من طابقين، يستعمل الطابق الأول كقاعات للنشاطات المختلفة في الأفراح والأتراح، أما الطابق الثاني فيشمل قاعة الكنيسة ومساحتها (٦٠٠)م. وقد أقيم هذا المبنى الضخم بتمويل أبناء الطائفة المارونية التي يرعاها الأب (بشارة سليمان) وبلغت تكاليف البناء نحو (١,٥) مليون دولار وقد أتم هذا البناء الذي بني تدريجياً، وتم الافتتاح في أيار عام (١٩٩٧) باحتفال مهيب وبدعوة شخصيات كثيرة من البلاد وخارجها وخاصة شخصيات دينية من لبنان الشقيق.

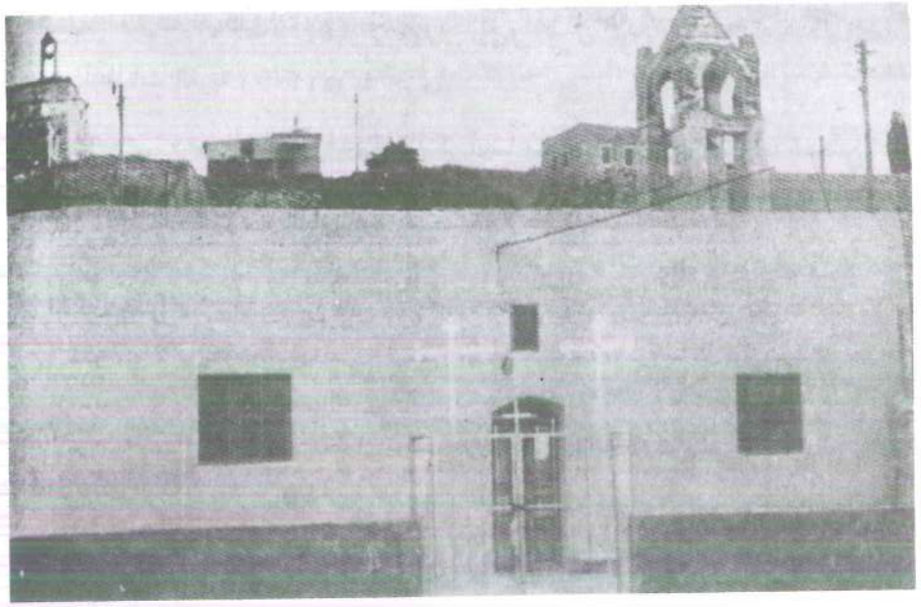

الكنيسة المارونية القديمة، كنيسة السيدة

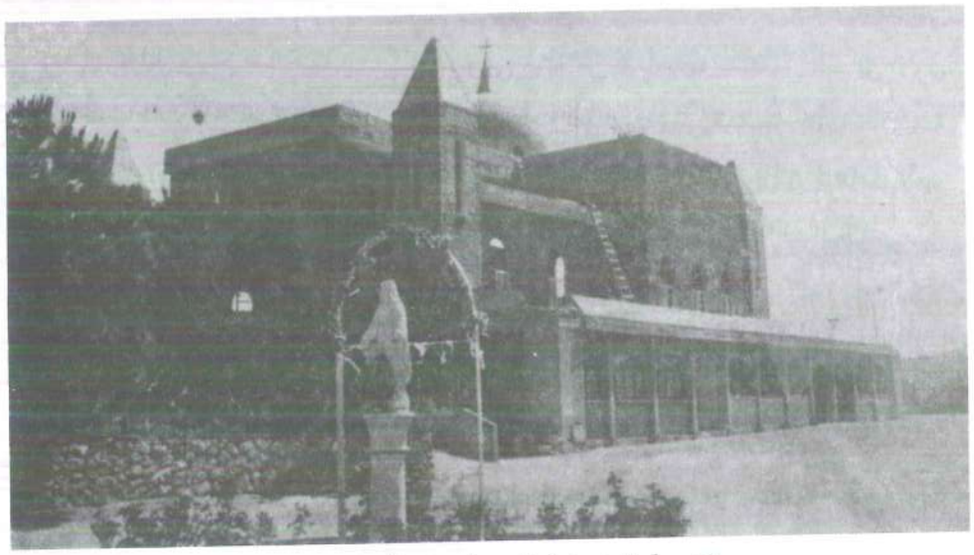

الكنيسة المارونية الجديدة، كنيسة مار مارون

سكان الجش اليوم

يتألف سكان الجش اليوم من (٦٤) حمولة وفيما يلي نورد قائمة بأسماء العائلات:

١ - إلياس
٢ - اندراوس
٣ - أيوب
٤ - إبراهيم
٥ - أبو زينب
٦ - أبو فارس
٧ - سمير
٨ - بركات
٩ - بوبان
١٠ - توما
١١ - جبران
١٢ - حبيب
١٣ - حدّاد
١٤ - حليحل
١٥ - حمدون
١٦ - خريش
١٧ - خلول
١٨ - خوري
١٩ - خياط
٢٠ - ذيب
٢١ - ديراوي
٢٢ - زرقاء
٢٣ - زهرة
٢٤ - زكنون
٢٥ - زيدان
٢٦ - سابا
٢٧ - سليمان
٢٨ - سنداوي
٢٩ - سروع
٣٠ - سواعد
٣١ - سوسان
٣٢ - سعد
٣٣ - شحادة
٣٤ - شقور
٣٥ - شولي
٣٦ - صادر
٣٧ - ضو
٣٨ - ظاهر
٣٩ - طنوس
٤٠ - عاصي
٤١ - علم
٤٢ - عباسي
٤٣ - عبود
٤٤ - عزّام
٤٥ - عقل
٤٦ - عون
٤٧ - علي
٤٨ - عيسى
٤٩ - غنطوس
٥٠ - فارس
٥١ - فرح
٥٢ - فرحات
٥٣ - قراقره
٥٤ - لحود
٥٥ - هاروت
٥٦ - مخول
٥٧ - مغزل
٥٨ - منصور
٥٩ - موسى
٦٠ - نجم
٦١ - نصّار
٦٢ - هاشول
٦٣ - وهبه
٦٤ - يعقوب

قائمة بأسماء مخاتير الجش في العهدين العثماني والبريطاني

مخاتير الطائفة الإسلامية:

١ ـ محمد أحمد خليلي.

٢ ـ محمود محمد أحمد خليلي.

٣ ـ طه مصطفى عزام

٤ ـ قاسم محمد بليبل

٥ ـ عبد اللطيف محمد أحمد خليلي.

٦ ـ محمود يوسف أحمد خليلي.

٧ ـ أحمد خليل خليلي.

٨ ـ سليم علي أيوب

٩ ـ صالح محمد حليحل

مخاتير الطائفة المسيحية:

١ ـ لحود هاشول

٢ ـ حبيب جبران (ابن أخت لحود)

٣ ـ جبران حبيب جبران

٤ ـ سعيد جبران

٥ ـ أسعد يوسف جبران

٦ ـ سمعان جبران حبيب جبران

٧ ـ فوزي سمعان جبران

٨ ـ حنان ظاهر طنوس

٩ ـ قيصر إبراهيم أيوب (مختار البراعمه)

قائمة بأسماء شهداء بلدة الجش في الثورة الفلسطينية

عند اندلاع الثورة الفلسطينية انضم شباب الجش كغيرهم من الشباب الفلسطيني للمنظمات الفلسطينية المقاتلة وسقط منهم العديد من الشهداء سقوا الأرض بدمائهم الذكية الطاهرة في أماكن استشهادهم وهم الشهداء التالية أسماؤهم:

١ـ باسم علي خالد زيدان ـ سقط في معركة الجولان ١٩٦٧.

٢ـ خالد محمد يوسف خلايلي ـ سقط في (عينتيبة)١٩٧٢ م.

٣ـ علي نمر قاسم خلايلي (الملقب) بالغزال، سقط في معارك لبنان.

٤ـ أحمد علي أحمد الخطيب (طبيب) كان في بلغاريا لمتابعة الدراسة جاء إلى لبنان للدفاع عن مخيمات أهلنا هناك وسقط شهيداً في (تل الزعتر ١٩٧٦).

٥ـ محمد يحيى محمد عيسى كلثوم (عقيد طيار) سقط في طائرته أثناء التدريب.

٦ـ علي سليم أيوب ـ سقط في معارك لبنان.

٧ـ محمد إبراهيم عزام (مدرس) سقط في معارك لبنان.

الأستاذة فاطمة قاسم خليلي
موجهة تربوية

الأستاذة رقية نمر زيدان
مدرسة

الفصل الرابع

العادات والتقاليد والمأثورات الشعبية

تتجلى العادات والتقاليد، أحسن ما تتجلى في أيام الأعياد، وفي المواسم والأفراح على أنواعها، كظهور الأولاد، وعودة الغياب، واستقبال الحجيج والمولد والاحتفالات الدينية وشفاء المرض وما إلى ذلك.. وكانت أيام الأعياد تأتي على رأس هذه الاحتفالات. سواء عيد الأضحى المبارك، أو عيد الفطر السعيد، أو عيد رأس السنة الهجرية، أو ذكرى الهجرة النبوية، أو عيد الفصح، أو عيد ميلاد السيد المسيح عند الأخوة المسيحيين وكان لكل عيد من الأعياد فرحته التي تغمر النفوس وتملأ القلوب بالسرور، إذ كنا صغاراً وكباراً ننتظره بفارغ الصبر.

كان بيتنا يمتلئ بالضيوف ليلة العيد، الرجال يسمرون، في حين تتجمع النسوة لصنع كعك العيد، وأصابع زينب والكنافة والقطايف وغيرها من أنواع الحلويات الأخرى التي يعرفها أهالي البلدة.

وإن أنس لا أنس تلك الأيام الحلوة الجميلة، التي كنا نجهز فيها ثيابنا الجديدة وأحذيتنا اللماعة، ونضعها على مقربة منا، كي نلبسها في الصباح الباكر لنبدأ بها طقوس العيد.

العيد وتقاليده:

كان العيد يبدأ مع إشراقة الشمس،حيث يهرع المصلون لأداء صلاة العيد فيهللون ويكبرون ((الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر و لله الحمد)).

وتنتهي الصلاة، فيقدم المصلون التهاني لبعضهم البعض، ثم يذهبون زرافات ووحداناً لزيارة المقابر والأضرحة بعد الخروج من المسجد مباشرة.

وعلى المقابر كانت توضع أنواع الحلوى المصنوعة في البيوت ليأكل منها الزائرون، ويستمطروا شآبيب الرحمة على أرواح الأموات، كما يتلون آيات الذكر الحميد على القبور. وقبل الظهر يعود الناس رجالاً ونساءً وأطفالاً إلى المنازل، ليتناولوا فطورهم، والذي كثيراً ما يكون من المآكل الدسمة، كاللحم المشوي على الصاج وغيره. ثم يذهب الأطفال لمعايدة الأقارب، ليحصلوا على العيديات، والتي تكون بعض الحلوى، وبعض النقود في أحسن الأحوال.

بعد الفطور والمعايدات، يهرع الأطفال والصبيان والبنات إلى المراجيح المنصوبة في الأشجار العالية، ويلعبون طيلة نهارهم، يتمرجحون ويغنون الأغاني الحلوة التي مازال رنينها يملأ أذني بألحانه العذبة حتى هذه الساعة.

طـــار منديـــل الغـــوى　　عـــن راســـي طـــار

وما إلى ذلك مما نسيته الذاكرة لطول البعاد.

بعد طعام الغداء تبدأ معايدة الكبار، يتجمعون جماعات كبيرة ويدورون على البيوت بيتاً بيتاً، يشربون القهوة السادة، ويأكلون الحلوى، ثم يخرجون مصطحبين معهم صاحب المنزل أيضاً لينضم إلى الجوقة ويقوم بواجب المعايدة.

ولما كان سكان (الجش) من المسلمين والمسيحيين، كان خوري البلدة يصطحب وجهاء الطائفة المسيحية ويطوفون معاً على جميع بيوت المسلمين تقريباً. وكان المسلمون يردون لهم تلك الزيارة في أعيادهم بأحسن منها.

ففي أعيادهم مثلاً كعيد الفصح أو عيد الميلاد، كان إمام مسجد البلدة يصطحب بعض وجهاء المسلمين ويطوف بهم على حارة النصارى ليعيدوا الناس. وقد تستمر المعايدات أربعة أو خمسة أيام على التوالي، والنفوس تفيض بالسرور والبشر والحبور.

وكان من المحتم على الجميع وخاصة الغائبين عن البلدة، والساكنين في المدن القريبة أو البعيدة، أن يعودوا في العيد إلى بلدتهم ليلتم الشمل ويزوروا الأقرباء. ثم يغادرون البلدة إلى أماكن عملهم و سكناهم، بعد تسجيل ذكريات جميلة في أيام الأعياد.

الأفراح:

والأفراح في البلدة كثيرة وكثيرة للغاية، والمناسبات السعيدة قد تتكرر يوماً بعد يوم أو أسبوعاً بعد أسبوع، فلا تعدم البلدة من مناسبة طيبة بين الحين والحين، فيغني الناس ويرقصون ويبتهجون، ويأتي على رأس تلك المناسبات:

١ ـ **الطهور**: وطهور الأطفال أو ختانهم من أسعد المناسبات للآباء والأمهات والأخوة والأخوات، وقد يعددن لهذه المناسبة اللوازم كالذبائح والحلويات والأشربة، ويدعون الأهل والأقارب،فتنحر الخراف ويصنع الطعام وترقص النساء والرجال وتغنى الأغاني الشعبية الدارجة في هذه المناسبة،

وتعزف الموسيقى، ويأتي المطهر بسكينه الحادة، فيقطع قلفة الذكر، فيعلو صراخه وبكاؤه على صوت الغناء أحياناً في حين يرتفع صوت النسوة يغنين بأصواتهن الشجية:

طهـــروا يـــا مطهّـــر　　ونـــاولو لأمـــه

يـــا دمعتـــو هـــالحلوة　　نزلـــت علـــى تمـــه

طهـــرو يـــا مطهّـــر　　ونـــاولو لأختـــه

يـــا دمعتـــو هـــالحلوة　　نزلـــت علـــى تختـــه

وفي أيام الطهور، يأتي الأقارب لزيارة الطفل المطهر، حاملين له معهم الهدايا كالملابس الجميلة والنقود والمآكل الطيبة كالحلوى والملبس.

وقد ينذر والد الطفل أن يطهره في مكان غير المنزل، كأن ينذر طهوره في مزار أحد الأولياء. كسبلان أو العجمي، وهما ضريحان قريبان من البلدة، يقع الأول في سفح جبل الجرمق، والثاني في أواسط المرج. فيذهب الجميع ويرقصون ويدبكون إلى آخر النهار ثم يعودون بزفة وعراضة إلى منزله، كزفة العريس تماماً.

٢ـ **الموالد**: والموالد كثيرة، ويحتفل أهالي الجش فيها احتفالات رائعة كغيرهم من أهالي فلسطين، وخاصة مولد الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم. إذ كانت فلسطين تزدان بالأعلام وأنواع الزينات والسجاد، على شرفات المنازل، وعلى امتداد الشوارع، وتعقد حلقات الرقص والدبكة لشهر أو أكثر في المدن الرئيسة والقرى.

وقد اشتهرت مدينة (عكا) بهذا النوع من الاحتفالات، وكثيراً ما كان يقصدها أهالي (الجش) للاشتراك فيها.

وقد يقرأ المولد، لمناسبة أو الأخرى، كولادة مولود جديد أو عودة غائب أو نجاح صبي في المدرسة. وكل حسب قدراته، فإذا كان صاحب المولد غنياً ذبح الذبائح وأطعم الجميع، ورقص الجميع الدبكة، بعد تلاوة مولد (العروس) الذي كان مشهوراً في بلدتنا دون غيره، وفي سائر بلاد الشام.. والذي جاء فيه:

يـــا آمنـــة بشـــراك　　ســـبحان مـــن أعطـــاك

بحملـــك لمحمـــد　　رب الســـما هنـــاك

أو:

صلـوا يـا أهـل الفـلاح　　عـالنبي زيـن المـلاح

مـن سـرى في الليـل حقـاً　　واتـى قبـل الصبـاح

وعندما يبلغ قارئ المولد والذي كثيراً ما يكون إمام المسجد أو أحد المتمشيخين إلى ولادة الرسول يقف الجميع احتراما ويغنون معاً:

محمـد يـا حبيـبي　　صلـى الله عليـك　　والسـلام عليـك

يـا مسـكي وطيـبي　　صلـى الله عليـك　　والسـلام عليـك

أو ينشدون:

ولـد المشـرف في ربيـع الأول　　والكـون يرقـص والكواكـب تنجلـي

وبعد الانتهاء من هذه الطقوس الرائعة، التي كنا نحبها كثيراً ونحن صغار، كانت الموائد تنصب ويوضع عليها الطعام المتميز من اللحم والرز فيأكل الجميع، في حين تدور فناجين القهوة، وتعقبها الحلوى المعدة لذلك. ويغمر السرور نفوس الحاضرين، ويستعدون لغيرها من الأفراح والليالي الملاح.

٣ـ **عودة الغياب**: ولعودة الغائب وخاصة من المهاجر البعيدة، فرحة كبيرة في نفوس أهله وخاصة أمه وأبيه وأقاربه، وهم يستعدون للقائه في الميناء حيث ينزل من السفينة، ويأتون به في موكب حاشد ، وعندما يصل إلى أول البلد يجتمع أهالي البلدة كلهم للسلام عليه، ثم يزفونه إلى البلدة في عراضة رائعة إلى أن يصل إلى بيته، حيث يكون أبوه قد أعد مائدة كبيرة ليطعم الجميع.

وقد عرفت بلدة (الجش) كثيراً من هذه الاحتفالات، لكثرة المهاجرين الذين عادوا إلى البلدة بعد غياب طويل.. ولعل أجمل هذه الاحتفالات التي شهدتها البلدة الاحتفال بعودة والدي المرحوم (إبراهيم عثمان أحمد خلايلي). فقد ظل أهالي البلدة يذكرون ذلك الاحتفال بإعجاب كبير سنين طويلة.

فقد ذهب لاستقباله في مرفأ بيروت أكثر من مائة رجل من أقاربه، ولما نزل من الباخرة، استقبلوه بالتقبيل والهتاف والغناء، وركبوا دوابهم عائدين إلى البلدة بموكب كبير. وبلدتنا تبعد عن بيروت مسافة (١٢٠) كم تقريباً. ولما وصلوا إلى بيادر بلدتنا، كان جميع أهالي البلدة مسيحيين ومسلمين ينتظرونه بفارغ الصبر، وكان جدي (عثمان أحمد عثمان) في طليعة المستقبلين. وعندما وصل والدي وأطل على الجموع، وكان شاباً مهيباً ووسيماً ومعتمراً القبعة الإفرنجية والبزة الرسمية،

فبدا وكأنه قد تغير كثيراً عن يوم رحيله وهجرته، إذ كان يومها فتى في مقتبل العمر، فأنكر معرفته بعض الناس وقالوا: هذا مش إبراهيم عثمان، فصاح صائح من حارة النصارى وقال: اتركوه: فإن عرف بيت أبيه فيكون هو إبراهيم عثمان وإلا فهو غيره.

قال لي والدي رحمه الله: «ووقعت كلمة الرجل في أذني فضحكت وقلت: كيف لا أعرف منزل أبي؟ وسرت في مقدمة الجميع، والناس يغنون ويهزجون إلى أن وصلت إلى بيت والدي فدخلته مسروراً، والناس خلفي بالمئات».

واحتفلت البلدة احتفالاً مهيباً، غنوا ودبكوا وأكلوا وشربوا، وكان جدي رحمه الله قد أعد للمناسبة عدتها فدعا عدداً من الحدائين المشهورين في المنطقة وعلى رأسهم الشاعر الشعبي[1] أحمد متو من أهالي صفد، فأقاموا أسبوعاً في البلدة والاحتفالات على قدم وساق.

رمضان في الجش

كان لرمضان في بلدتنا نكهة خاصة، فالناس يستقبلونه بالأفراح، كما يودعونه بالأناشيد الحلوة. وكان لدربكة المسحر طعم لذيذ مازال رنينه في أذني. كنا نستيقظ على السحور ونحن صغار، فنأكل قبل طلوع الفجر، وكثيراً ما ندّعي الصيام، وإن كنا مفطرين.

كانت الدقائق الأخيرة قبل الإفطار من أجمل الدقائق وأحرجها. كنا نحضر بعض الفواكه، كالتين الأخضر مثلاً ونحشوه بالجوز أو اللوز، وننتظر أذان المؤذن، الذي هو إمام المسجد، كنا نناوله بعض أكواز التين فيسر بها... ويستمع لأغانينا ويسعد: كنا نصيح معاً:

أذن أذن يـا خطيـب　　لفتـك مليانـه حليـب

أذن أذن يـا سـيدي　　لفتـك مليانـه سميـدة

ويرتفع صوت الإمام عذباً فوق السفوح والهضاب، وتدب الحياة في الناس فيهرعون إلى طعامهم وشرابهم، ومنهم من يبدأ الإفطار بأنفاس من سيجارته.

وفي الليالي الأخيرة من رمضان، يبدأ وداع رمضان فيخرج الإمام على رأس الرجال والأولاد، يطوفون البلدة، ويغنون أغانيهم الشجية:

---

(١) شاعر شعبي من مدينة (صفد) هاجر وتوفي في مخيم اليرموك بدمشق في أواخر السبعينات.

لا وحـــــاش اللـــــــه منـك يـا شـهر الصيـــام

وفي ليلة رمضان الأخيرة، ينامون بسعادة وهم يحلمون بصباح العيد، العيـد الـذي يجلـب معـه الثياب الجديدة و الحلوى والمآكل اللذيذة.

العرس وتقاليده:

للعرس في بلدنا عادات وتقاليد شعبية رائعة ومتوارثة جيلاً بعد جيل، وما زال أهل البلـدة إلى أيامنا هذه يؤدونها خير أداء، ولايزيحون عنها قيد أنملة لما فيها من مظـاهر التعـاون والأريحيـة والعـز، ومن هذه التقاليد:

الاستعداد للعرس:

يبدأ الاستعداد للعرس بعد إتمام مراسم الخطبة، وكتب الكتاب، وبعد قيام الجاهة بدورهـا مـن التوسط بين عائلتي العريس والعروس.

وفي الاستعداد ليوم العرس يتجلى التعاون في أحسن صوره، وذلك قبل شهر أو أكثر بالمظـاهر التالية:

آ ـ **الحطب**: ولما كان الحطب هو المـادة الأساسية في الوقـود آنـذاك، كـان أهـل العـرس بحاجـة إلى كميات كبيرة منه للاستعمال، بالطبع كان هـذا قبـل وجـود الأدوات المنزليـة الحديثـة البريموس والغاز، ولذا فقد كان شباب البلدة جميعهـم وصبايـاهم يهبـون هبـة واحـدة في يـوم مـن الأيـام يتواعدون فيه، ويذهبون مع دوابهم وبأيديهم المناجل والبلطات، فيحتطبون من سـفوح الجبـال، ومن الوعرة الواقعة على مقربة من البلدة، ويعودون في المساء حاملين ما جلبـوه مـن حطـب إلى بيت العريس، وعندما يؤمن الوقود،كانت عمليات أخرى لمساعدة أهل العريس ومنها:

ب ـ **الحليب**: قبل العرس بيوم يجتمع الشباب والصبايا ويذهبون معاً في احتفال مهيب وبزفة يرقـص فيها الشباب. وتغني الصبايا، وعلى رؤوسهن القدور الكبيرة.

فيسـدون منـافذ طرقـات البلـدة الـتي تعـود منهـا الأغنـام والأبقـار مـن مراعيهـا إلى البيـوت فيحتلبونها كلها دون تمييز، ويعودون بالحليب إلى بيت العريس.

ج ـ **الخضراوات**: وفي يوم آخر يذهـب الشباب و الصبايا في مجموعـات كبـيرة، ويتوزعـون علـى الكـروم والبسـاتين، فيقطفـون الخضـراوات مـن باميـاء وفاصولياء وبنـدورة وفليفلـة وغيرهـا، ويجلبونها إلى بيت العريس.

وكان ذلك عرفاً لا ينكره أحد ولا يمنعه أو يرفضه أحد، بـل يسـر بـه الجميـع سـروراً بالغـاً، ويؤدونه عن طيب خاطر، لأن كل بيت يوجد فيه شباب وصبايا في رسم الـزواج، ويكـون التعـاون ذلك مفيداً للجميع، ولذا فقلما سمع عن رجل أنه تذمر لأن أبقاره أو أغنامـه حلبـت، أو أن بسـتانه قطفت ثماره، وكان هذا يسري على أهالي البلدة جميعاً مسيحيين ومسلمين.

يوم العرس

ويوم العرس في البلدة كان يعتبر من الأيام المشهودة، اذ يستيقظ الجميع مبكرين، ويذهبون إلى بيت العريس، الرجال يذبحون الذبائح ويسلخونها ويقطعون اللحم، والنساء يطبخن ويعددن الطعام، والذي عادة ما يكون مؤلفاً من الأرز واللحم المطبوخ بـاللبن، ومـن الكبـة النيـة، والـرز بحليـب، في حين ينفرد بعض الرجال بصنع القهوة المرة وإعدادهـا وتهيئتهـا بـالقدور الكبـيرة والـدلال. في حـين يذهب الشباب إلى بيت العزيمة، وكانت العادة أن يدعو العريس شـاب مـن أصدقائـه أو قريـب مـن أقربائه، والداعي يسمى (اشبيناً) وتجرى الاحتفالات الأولى في داره.

والاحتفالات الأولى تقتصر على حلاقة العريس، وتغسيله وتلبيسه الثياب الجديدة المعدة لهذا اليوم.

حلاقة العريس:

يأتي الحلاق المخصص لحلاقة العريس، ويجلس العريس على كرسي، وتبدأ عملية الحلاقـة، في حين يغني الشباب والصبايا أغانيهم المحببة:

احلـــق يـــا حـــلاق بمـــوس الذهبيـــة

واســـتنى يـــا حـــلاق تـــا تيجـــي الأهليـــة

احلـــق يـــا حـــلاق بهـــا المـــوس الفضـــة

واســـتنى يـــا حـــلاق عـــا محمـــد تـــا يرضـــى

وعندما تنتهي الحلاقة، يؤخذ العريس إلى حمام المنزل كي يغتسل ويدخل معه الشباب كي يصبوا عليه الماء ويفركونه، في حين تتجمع النسوة أمام الحمام يغنين:

غسلوا هالشلبي ... وناولوا لأمه
يا دمعتو هالحلوة ... نزلت على تمو
وغسلوا هالشلبي ... وناولوا لأبوه
يا تمو هالشلبي ... يا لولو نظموه

كما يغنين عند خروج العريس من الحمام وقد توردت وجنتاه:

هاتولنا هالعريس ... تنشوف حالاتو
ونشوف حمار خدو ... وسود عيوناتو
ومسكين يا هالعريس ... ماتوا خواتو
وماتوا بنات عمو ... وكل القرايب
وما قام بهالعرس ... إلا الغرايب
ولاتزعل يا عريس ... إحنا قرايبك
وإحنا بنات عمك ... وإحنا الحبايب

وقد يصاب العريس بحالة من الوجد، فتسيل دمعة على خده لعمق ما تحمل هذه الأغاني من العاطفة والانفعال.

وعندما ينتهي العريس من الاغتسال، ويلبس ثيابه، يسرع الشباب باحضار فرس من أجمل خيول البلدة، وهم يغنون:

هاتوا هالحمرة وشدوا عليها ... تايجي محمد و يركب عليها
قلتلوا محمد يا ابن الكرام ... عيريني سيفك ليوم الكوان
قاللي سيفي حليفي ما بعيرو ... جاي مسقط من بلاد اليمان

يركب العريس على الفرس، ويذهب الموكب باتجاه مكان العرس، وقد يكون بيت الشبين أو صيواناُ منصوباُ في ساحة واسعة كالبيادر مثلاُ.

وعندما يسير الموكب، ينقسم الشباب إلى قسمين، قسم يحاول (التعليم) على العريس كإصابته بطرف خيزرانة أو سوط، وقسم يحميه ويرد الهجمات عنه. في حين يغني الجميع:

عريسنا عنتر عبس ... عنتر عبس عريسنا

أو:

يا شمس غيبي من السما ... عالأرض في عنا عريس

وهو ما يسمى بالمرودحة.

ويصل العريس إلى مكان الاحتفال ويبدأ العرس، فينصب ميدان الجريد. ويتسابق الفرسان حتى يتعبوا وتتعب خيولهم، ثم ينزلون للاستراحة وتناول القهوة، ثم تعقد حلقات الدبكة، ويرن صوت الأرغول الحنون، يتسابق الشباب بحماسة منقطعة النظير، ويغنون أغانيهم الحلوة المتنوعة الرقيقة:

على دلعونا، يا ظريف الطول، يا ريمة فرعنت... ويتبارى المغنون، وتحمى الدبكة وتضرب الأقدام بقوة، وتهتز النهود على الصدور. وأجمل الدبكات ما اشترك فيها النساء والرجال معاً، والصبايا والشباب، اذ يحاول كل واحد من الشباب أن يظهر براعته ورجولته أمام الصبايا، وقد يكون ذلك مثاراً للإعجاب، ومن ثم الاتفاق والخطبة.

والدبكة في بلدتنا على أنواع هي: ١- الدبكة الشمالية: وهي الأكثر شيوعاً. ٢- الدبكة الكرادية. أما ٣- الدبكة الشعراوية، فهي من أجمل الفنون الشعبية على الإطلاق، وقلما يوجد لها شبيه في أنحاء العالم إلا في فلسطين.

ويستمر الاحتفال، وقد يتعب الدباكون، فيجلسون للاستراحة، وبعد الاستراحة يبدأ نوع آخر من الاحتفال هو:

السحجة: والسحجة من أروع الفنون الشعبية على الإطلاق، وفيها يصطف الرجال في صف طويل، ووجوههم على الساحة، وينزل واحد من القوالين ـ الحدائين ـ أو اثنان أو أكثر وتبدأ المبارزة. وعقب كل بيت من الحداء يصيح الرجال بصوت واحد (ياحلالي يا مالي) والحداء فن جميل، يقوم على السليقة وسرعة البديهة للرد على الخصم ومن هذا القبيل مثلاً قول أحدهم:

قـوال نـزل ومـد حـروف　　وصلـوا عـالنبي المختـار

ويصيح الرجال: (يا حلالي يا مالي)

ابـن الزكـا نـزل وحكـى　　كالمسـتكى طيـب وعنـبر

وما إلى ذلك.

أنواع **السحجة**: والسحجة على نوعين:

١ـ سحجة ثابتة.　٢ـ سحجة متحركة.

أما الأولى فهي التي عرفناها فيما سبق، فالصف ثابت في مكانه، لكن تتحرك الشفاه والأيدي فقط، وعندما ينتهي (الحداء) يصيح الجميع ويضربون كفاً بكف قائلين (حيو دحيو) وقد يظلون على ذلك ربع ساعة أو أكثر، ولا يوقفهم عن جنونهم ذاك إلا صوت الحادي بيت من العتابا، فيعودون إلى هدوئهم المعهود.

أما السحجة المتحركة: فيقف الرجال فيها صفاً طويلاً ووجوههم إلى الأمام ولكنهم يسيرون ببطء بغير اتجاه اصطفافهم، فينقل واحدهم رجله اليمنى إلى اليمين ويتبعها برجله اليسرى، ويضربون كفاً بكف ويغنون مع الحادي.. وكانت السحجات المتحركة كثيراً ما تغني:

سـيف الديـن الحـج أمـين　　ويـا محـلا ضـرب المرتـين

وفي أيام السرور والأفراح، وهدوء البال كثيراً ما يغني المغني:

دخليـك يـا أم خـزام　　بحضينـك خليـني نـام

يظل الناس في مكان العرس إلى وقت الغداء، وعند إتمام إعداده، تصف الموائد، ويؤتى بالضيوف لتناول طعام الغداء، مبدين الأغراب أولاً والضيوف ذوي الأهمية والشأن، ثم يأتي شباب البلدة وبعدهم دور النساء والصبيان.

أما العريس وأصدقاؤه فكثيراً ما يجلب لهم طعام الغذاء إلى مكان الاحتفال، وقبيل غروب الشمس ينهض الجميع لأخذ العريس إلى المنزل المدعو فيه عند شبينه، ويظل فيه إلى أن تحضر العروس إلى منزله وعندها ينهض الجميع، ويزفون العريس إلى عروسه، ولزفة العروس والعريس طقوس كثيرة سنحاول ذكر بعضها.

الاحتفال بالعروس:

يبدأ الاحتفال بالعروس في ليلة الحناء، والحناء كانت عادة شائعة للعروسين. وفيها تجتمع الصبايا في بيت العروس، أو بيت شبينتها، كما يجتمع الشباب في بيت العريس أو بيت شبينه. وتحضر الحناء في طبق، وتجلس إحدى السيدات لتحناية العروس، في حين تغني بقية الصبايا:

دبـل عيونـو ومـد إيـدو يحنونـه

شـعرو سـبايك ذهـب تضـوي علـى جبينـه

ثم يجرى للعروس ما أجري للعريس تماماً، حيث يحتفل بغسلها وبصمدها، وترقص الصبايا عندها ويدبكون ويتغذون حيث يأتيهم الغذاء من بيت العريس.. وتظل على هذه الحالة إلى ما بعد صلاة العشاء حيث أوان زفتها إلى بيت الزوجية.

جلوة العروس:

وقبل زفتها إلى عريسها تتم جلوتها فتجتمع الصبايا والأهل والأقارب، وتقف العروس رافعة يديها اليمنى واليسرى إلى جانب رأسها، وتميل مرة باتجاه اليمنى ومرة باتجاه اليسرى في حين تغني إحدى النسوة:

صـاحت رويـدة يـا رويداتـي

وطلعـت م الـدار مـا ودّعـت خيّـاتي

يـا لمـي يـا لمـي طويلـي منـاديلي

وطلعـت م الـدار مـا ودعـت أنـا جيلـي

يـا أمـي يـا أمـي طويلـي مخـدّاتي

وطلعـت م الـدار مـا ودعـت جـاراتي

ومبـارح يـا رويـدة كنـت أنـا وأنـت

ولفلفـك بحضيـني وانتحـب وابكـي

ومبـــارح يـــا رويـــدة كنـــت في الحـــارة

واليـــوم صـــرت مـــع العصفـــورة طيـــارة

وتنتهي جلوة العروس، وتأخذ بوداع أمها وأخواتها وجاراتها، وتبكي بحرارة من أعماقها، وخاصة إذا كانت ذاهبة إلى بلد غريب، وتظل على هذه الحال إلى أن تسمع أصوات النساء الأخريات الآتيات في زفة لأخذها إلى بيت عريسها وهن يغنين:

ســـامح يـــا بـــو محمـــد واطلـــع عروســـنا

ســـامح يـــا بـــو محمـــد ومرضـــاكو عنـــدنا

ونرضيـــك بعبدتنـــا ونرضيـــك بعبدنـــا

ونرضيـــك بحمـــرة مـــن ســـلايل خيـــلنا

وعندها تخرج العروس، وتركب على الفرس، في حين تغني النسوة المحيطات بها وهن في طريقهن إلى بيت العريس:

يـــا مرحبـــا بـــالضيوف لـــو كنتـــو ميـــة وألـــوف

لو يدري بيكم أبو محمد ليذبحلكـــم الخـــروف

زلـــوا عـــن الـــدرب زلـــوا تـــا يمـــرق الظعـــن كـــلّو

زلـــوا ولكـــن يـــا نصـــارى تـــا تمـــرق بنـــت الأمـــارة

زلـــوا ولكـــن يـــا يهـــود تـــا تمـــرق بنـــت الجـــدود

تـــا تمـــرق الخليليـــة برجالهـــا هالقويـــة

وعندما يقتربن من بيت العريس تتغير لهجة الغناء، فإذا بها الآن تخص العريس:

يـــا أمـــير يـــا ابـــن الأكـــابر فـــرش الســـاحة شـــنابر

يـــا أمـــير يـــا ابـــن الأميـــر فـــرش الســـاحة حريـــر

أو يغنين:

يـــا أبـــو محمـــد فـــرش مـــنزلك ريشـــة

حتـــى تجيـــك الأمـــارة والدراويـــش

غـــداً تجيـــك الأمـــارة راكبـــين الخيـــل

ومقمعـــة بـــالذهب روس الأرابيـــش

يـــا بيـــي محمـــد فـــرش بـــاب ليوانـــك

هـــالحظ حظـــك وهالصبيـــان صبيـــانك

وقبل وصول العروس إلى باب دار العريس، تعطى قطعة من العجين فيها بعض غصون الحبق، وتضربها بيدها بقوة على عقدة الباب حتى تلتصق، لأنهم يعتقدون أن في ذلك مجلبة للخير والبركة إلى المنزل الجديد.

زفة العريس:

وبعد أن تصل العروس إلى بيت العريس، يأتي الآن دور العريس، فيقوم موكب من الشباب والصبايا فيركبون العريس على مهرة جميلة مزدانة، والشباب يرودحون:

يـا شمـس غيـبي مـن السـما عـا الأرض في عنـا عريـس

بينما تغني النسوة اغنية شعبية جميلة تقول:

بالهنـا يـام الهنـا يـا بـوادي والتوت عيـني عبيـض الرقـاب

والتوت عيني عمحمد بـالأول بوجهو السموح لحمر مـدور

قلتلو محمد يـا ابـن الكـرام عـيريني سيفك ليوم الكـوان

قالي سـيفي حليفـي مـا بعيرو جاي مسقط من بـلاد اليمـان

ظرفـوا لأولاد عمـو بجيلـو بالسيوف المسقطة يلعبـو لـو

ظرفـوا ورا الشيوخ الأكـابر ظرفـوا ورا بيـو يقـابل

قـابل السبع وجـاب الغـزال بالهنـا يـمّ الهنـا يـا بـوادي

ويصل العريس إلى باب بيته ويترجل عن فرسه، ويدخله الشباب على العروس، التي تكون في ثيابها البيضاء وعلى رأسها إكليل وعلى وجهها منديل، فيرفع المنديل عن وجهها بخيزرانة يحملها في

يده، هكذا كانت العادة في الماضي، ويجلس على يمين العروس وتنطلق الزغاريد من أفواه النساء وكثيراً ما تكون الزغاريد على شكل منافسة بين قريبات العريس وقريبات العروس مثل:

آويهـــا عروســـتنا لا تعبســـي　　آويهـا عريسـنا أحســن وأحســن

آويهـــا يـــا ســـالفك الخرنوبـــي　　آويهـا تحـت ســالفوا الأشقـــر

أو:

آويها: يا واقفة عالجلا يا ست لاتميلي　　خصرك رفيع ما بيحمل كشاميلي

آويها: لاتضربي بحد السيف ترميني　　وأنا الغريب ومـا لي مـين يداويـني

أو:

حاجي تموجي خليت العدو يموت　　يا شجرة المستكى وغصونهـا ياقوت

واحنا بنات الخلايلة وأصلنا مثبوت　　وجدودنا بالترب تستاهل التـابوت

أو:

وعيونك السود ذبحتني رفارفها　　وخدودك الحمر ما بغدر أخالفها

يا رابطين الأصايل عا معالفها　　صار لي (١٢) سنة هالروح بتلفها

وتتقدم إحدى قريبات العريس فتقول:

آويهـا: عريس لا تنـدم علـى المـال　　آويها حواجب العروس يا خط القلام

آويهـا: شوارب هـالعريس يـا سـيوف محنية　　تسوى بنات البلد ميـة علـى ميـة

وفي الختام يأتي دور جلوة العروس أمام العريس، فتجتمع حولها النساء ويغنين لها أغنية شعبية رائعة تقول أبياتها:

أنـــا نـــايمن يـــا عمـــي غربـــي بيـــدري

وسمعـت نقـير الـدف واهـتز خـاطري

صحـت أنـا يابـا يـاخ راحـت حليلـتي

راحـت مونسـتي طـول الشـتا والصيـف

وركبـت خيلـي والتحقـت بظعنهـا

لاقيـت العـذارى طـايفين بعرسـها

قلـت عـذارى عـذارى ويـن دار الغريـة

قـالوا تـرى قبـة البيضـا عـا بـاب قصرهـا

قـالت مـين هـالذي هزلنـا قصرنـا

قـال هـذا ابـن عمّـك اللـي كـان طـالبك

قـالت أنـا إلي بـابن عمـي علامـة

أبيـض رقيـق الخصـر عـالخد شـامة

حطـت سـيف العـز مابينـا وبينـو

صبـح وسـيف العـز يذبـح ذبـايح

حطـت جـراب المسـك مـا بينهـا وبينـو

.صبـح جـراب المسـك ينقـط روايـح[1]

ومن الأغاني التي كانت شائعة في المنطقة:

طلعـوا الشـلبيات　　مـرج ابـن عـامر

ولمـن قلطـوا المـرج　　هـالوا المدامـع

ومعنـا حبـالاتين　　ومعنـا مراضـع

ومعنـا زهـرة البكـر　　مـا في متلهـا

وهـاي الخليليـة　　بنـت الأصـايل

وهـاي الـتي لا انـقال　　عنهـا ولا جـرى

ولا تعـيرت شـبانها　　بوسـط المجـالس

---

(١) نقلت هذه الأغنية عن المرحومة الحاجة (فطوم حسين العلي) المتوفاة في مخيم النيرب عام ١٩٨٧م وقد تركت وراءها جيشاً عرمرماً من الأحفاد وهي أم زوجتي (مريم حسين علي خلايلي).

يـا بنـت مـوج البحـر يـا أخـت فـارس
تمنيـت أنـا خيـك بصفـين جـالس

وقد يغنين لها أغنية أخرى من الموروث الشعبي الرائع تقول:

قـال العريـس للعريـس مرحبـا يـا ضيـف
مثـل القمـر لـو تعلـى في ليـالي الصيـف
وإيـش نزلـك عندنـا يـا شـب يـا بـدوي
وإيـش نزلـك عندنـا تـاخد عريسـنا
كـان القمـر بالسـما وش نزلـوا عـالدار
وش نزلـك عندنـا يـا شـب يـا مختـار[1]

وفي آخر السهرة ينفض الجميع من حول العروسين، ويتركون العريس لعروسته، في حين ينتظر بعض أهله وأهل العروس، للتأكد من عذرية العروس، بعد أن تري للناس دماء عذرتها على منديل من مناديلها البيضاء الجديدة.

يوم الصباحية:

وفي اليوم الثاني يجتمع أقارب العروسين في بيت العريس، للمباركة ومعاودة الاحتفال والرقص والغناء وتناول طعام الغداء في بيت العريس، وهكذا ينتهي العرس بانتظار الرفاء والبنين.

الموسيقيون والآلات الموسيقية

كانت الآلات الموسيقية المستخدمة في البلدة، لا تتعدى الدربكة للنساء والشبابة والأرغول والمجوز للرجال، وكان في البلدة مجموعة من الرعيان الذي يتقنون العزف. ولذا فقد كانت دعوتهم للأعراس شائعة و تكريمهم واجباً، لما يضفونه على العرس من روعة وجمال بعزفهم وألحانهم الشعبية العذبة التي كانت تهيج الشوق، وتبعث الحماس والحيوية في الشباب والصبايا وخاصة عند الدبكة، التي كانت الأقدام فيها تضرب الأرض بشدة وتنتصب الرؤوس بفخار واعتزاز، وكأن الجميع يقولون، طاب الموت يا عرب، أو طابت الحياة.

(١) هذه الأغنية نقلت عن المرحومة (شاهينة طه عزام).

وكان من أشهر العازفين في البلدة:

آ ـ في العهد العثماني:

١ـ طه عزام: (توفي عام ١٩٢١م وكان مختار البلدة في أيام السفر برلك، بعد وفاة مختارها (محمود محمد أحمد الخليلي) الذي سيق إلى الجندية الاجبارية وتوفي هناك، وكان (طه عزام) يعزف على الأرغول.

٢ـ عبد الغني سعيد: وكان يعزف على المجوز أيضاً.

ب ـ أما في العهدين العثماني والبريطاني معاً فقد اشتهر بالعزف كل من:

١ ـ قاسم محمد أبو جوهر: وكان سيد الحلبة دون منازع لقوة شخصيته وقوة بدنه وكمال هيئته وهيبته، وكان يعزف على (المجوز) وعلى (الشبابة) وقد كان ذائع الصيت في (الجش) والبلدان المجاورة، ولم يكن العازف الوحيد في الأسرة بل كان كذلك أخواه (حسين محمد أبو جوهر) ومحمود محمد أبو جوهر).

أما من مسيحيي البلدة فقد برز منهم كل من (خليل عبود) وابنه (الياس عبود) و(الياس بنورة).

وفي أواخر أيامنا في (الجش) قبيل النكبة، كان أشهر العازفين (محمد مرعي حسن أبو زينب) وكان يعزف على المجوز. و(علي محمود زينة) المعروف بعلي الطحبوش، وكان يعزف على الشبابة.

الحداء والحداؤون

الحداء فن رفيع من فنون الشعر، عرفه العرب منذ أقدم الأزمان، وكانوا كثيراً ما يستخدمونه في قيادة الإبل لحثها على الانسجام والسير وراء راعيها أو قائدها. وكثيراً ما كانوا يستخدمون بحر الرجز أو الهزج أو غيرهما من البحور الخفيفة ذات الموسيقا المؤثرة.

وقد بقي هذا الفن متناقلاً على الأفواه إلى زمان متأخر، ثم أخذ ينسجم مع الغناء الشعبي ومع اللغة العامية، فإذا به مادة السحجات والأفراح. وكان الحداء مكرماً ومحترماً بشكل عجيب لأنه صاحب فن رائع يحرك الجماهير، ولهذا فقد كنت في شبابي تواقاً إلى مثل هذه المهنة وكنت أحارها، كما أنصت إليها بإعجاب عظيم. وبلدتنا كغيرها من البلدان، كان لا بد لهذا الفن أن يعيش. ويستخدم في الأعراس والأفراح، ويبعث في النفوس البهجة والسرور.

أشهر الحدائين: كان من أشهر الحدائين في البلدة:

١ـ المكنى ـ خليل أحمد إبراهيم سعد ـ عاش في العهد العثماني، وتوفي في أوائل الثلاثينات، بعد أن اكتسب شهرة وزعامة فائقتين في زمانه، ولم يحفظ له الناس شيئاً من شعره اللهم إلا قصيدته في (الهذلان) التي ذكرناها فيما سبق نقلاً عن ابن أخيه (إبراهيم محمد سعد).

٢ـ ناصر حمادة.

٣ـ الياس وهبي عقل.

٤ـ أما أشهر أولئك الحدائين على الإطلاق فكان (مارون الياس وهبة عقل) فقد كان يحضر كل احتفال، ويحدو في كل عرس، وكان كلامه جميلاً وموزوناً وذا معاني جميلة، إلا أن صوته كان جرشاً وقد رأيته في طفولتي وصباي عام ١٩٤٥ م وسمعته يحدو الجماهير التي توافدت لاستقبال الأمير (طلال بن عبد الله) رحمه الله الذي زار البلدة واستقبله الأهلون استقبالاً رائعاً، إذ نصبوا أقواس النصر وزينوها بغصون الأشجار الخضراء، واصطف الأهلون وطلاب المدرسة، ومر سمو الأمير، وكان شاباً أسمر يميل إلى القصر، وكان يرتدي بنطالاً رمادياً وسترة بنية اللون، وحذاء من الكريب وكان الوقت أوائل استخدام هذه المادة في الأحذية ولا يلبسها إلا الأغنياء، وقد أنشد (مارون الياس) قوله:

يا قريتنا محلاكي ... كواكب ضاوي سمائي

عهد الحكام احياكي ... والفلاح تحسّن حالوا

ونحن جميعاً نرد عليه، وكانت قصيدة طويلة، لم أتمكن إلا من حفظ المطلع لكثرة ما رددناه ونحن صغار.

وكان مما قاله من حداء في مناسبة أحد الأعراس قوله:

قوال نزل ومد حروف ... وبدي من فكره يبدع

تم الجيش بحنا قطيش ... وبيت الخرفيش أوام بقزع

يا ناس صلوا عالنبي ... ريحة الجرود مثل النعنع

تطلع بأصابيعك ... شي أغلظ وشي أرفع

شو بيعمل النساس ... متى ما النمر استجرع

وشو بتعمل البارودة ... متى ما حضر المدفع

أنا بيي بيحكيلي ... أنو الحدادة

عنا ملوا العديلة ... هلي بدو يتبضع

كما نقل عن (مارون الياس) قوله في زيارة (المطران حجار) للبلدة قوله:

جيت اليوم للجش وحماها ... ونور الوجد خيم في منامي

رأيت البدر مشرق في سماها ... وغصن زيتون في تم الحمامة

قلت الجش هالمولى معاها ... والله زادها عز وكرامة[1]

وكان نيافة (المطران حجار)[2] كثيراً ما يزور رعيته من طائفة الروم الكاثوليك فيها، وتقام له الاحتفالات الرائعة، والشيء يذكر بالشيء، ففي أوائل العهد البريطاني، تفضل صاحب النيافة

---

(١) القصيدة كانت طويلة والتي لم تع منها ذاكرة السيد أحمد خليل زيدان إلا هذه الأبيات.

(٢) المطران غريغوريس حجار: من مواليد بلدة (روم) في لبنان الجنوبي في العشرين من آذار ١٨٧٥م أبوه (جرجس حجار) من أهالي (قيتولي) وأمه (زينة نعمة حداد) من أهالي روم. سمي في صغره (بشارة) توفي والده وهو صغير ، فالتحق بدير المخلص، وتلقى علومه الدينية. وأخذ يتدرج في السلك الكهنوتي حتى رسم مطراناً لعكا والناصرة وسائر الجليل في ٢١ أيار ١٩٠١م وبقي في خدمة الأبرشية (٤٠) سنة إلى أن وافته المنية ٣٠ تشرين الأول ١٩٤٠ في حادثة سير مروعة على طريق حيفا بعد عودته من القدس. وكانت وفاته صدمة صفعت سكان فلسطين على اختلاف طوائفهم، لأنه كان علماً بارزاً ورجلاً وطنياً، ساند الحق العربي في التراث الفلسطيني، فدعي بمطران العرب، وله مواقف وطنية رائعة وجريئة وخاصة في مقاومة هجرة اليهود إلى فلسطين، وفي رعاية الحركة العمالية الفلسطينية حتى أطلق عليه اسم المطران الشيوعي. تعاون مع الحركات الوطنية في البلاد فحكم عليه مجلس الحرب الأعلى في الأستانة بالعزل والتجريد من الأوسمة والإعدام حكماً غيابياً مبرماً. إلا أنه عاد بعد دخول الإنجليز لفلسطين في نهاية الحرب الأولى.وقابل الشريف حسين طيب الله ثراه. فقال له: «أيها المطران العربي أنت أخطب من كل من سمعت. ولأنت مفخرة هذه الأمة وعلم من أعلامها».

كانت له أياد بيضاء كثيرة على أهالي بلدتنا (الجش) التي كثيراً ما كان يزورها ويتفقد فيها الرعية، وإليه ينسب بناء الدير العامر فيها الآن، على الأرض التي كان يقوم فيها منزل الحاكم والمؤرخ (فلافيوس يوسيفوس) كما ذكر الأب قسطنطين باشا في كتابه حياة المطران غريغوريس حجار (المطبعة المخلصية) ١٩٤٠م ص(٥٧).

المطران حجار بزيارة البلدة، وهب الاهلون مسيحيين ومسلمين لاستقباله بالاغاني والزغاريد، واصطحبوه من البيادر حتى بيت (مبدى الظاهر) في أقصى غرب البلدة، وكانت داره ذات باحة واسعة تتسع للجميع وكان في إحدى غرف الإسطبل جحش صغير مربوطاً، فما إن سمع الضجة حتى ثار و عنفص و استطاع أن يفلت من رسنه، ويخرج بأقصى قوته ينهق حتى وقف أمام المطران بكل هدوء، وكان منظراً مثيراً للضحك. فضحك الجميع بصوت عال، إلا أن المطران بقي على هدوئه وجلال منظره وهيئته ووضع يده على رأس الجحش بكل هدوء، وقال له بصوته الجهوري المعهود: «وأنت مين عتبان عليك». وفرط الجميع من الضحك.

وكان من بين الحدائين أيضاً، إمام المسجد (أحمد عبد الحليم الخطيب بليل). وحداء آخر مسيحي اسمه (كامل خليل) ومن طريف ما نذكره محاورة جرت بينهما في حضور الحداء الكبير (مطانس الجشي).

المرحوم الشيخ أحمد عبد الحليم بليل الخطيب

المرحوم المطران غريغوريوس حجار

إذ نزل (كامل خليل) أمام الصف، وكان طري العود في قول الشعر وصاح:

قـوال نـزل ومـد حـروف واسمعـوا لبتـاع الجحـش
امبـارح ذبحـوا عـنزة وأبـوي اشـترى لنـا الكـرش
علينـاه علـى النـار وصرنـا ننبـش منـو نهـش

وغضب (مطانس شباط الجشي) لذلك الإسفاف في القول وعاجله على البديهة:

مـا شـا الله عـن هـا لأوال مثـل الديـك عمـال يتـش
لـولا الكرامـة لأهلهـا بجريـي لخفشـك خفـش

فتدخل الشيخ (أحمد عبد الحليم الخطيب) ليخفف من حدة الموقف ويهدئ من غضب مطانس فقال:

لا تلمـش كـامل يـا مطـانس عـا شـبر ميـي بطـوش
كـامل محسـب حـالو عـم بغسـل عـا عكـروش

ومن مواقف الحداء المشهورة، موقف حصل بين (الحطيني)[1] و(مطانس)[2] نذكره لطرافته، إذ تظهر من خلاله براعة الشعراء الشعبيين في اختراع الألفاظ الجديدة، بزيادة الحروف على أحرف الكلمات الأصلية فتبدو فيها براعة النحت والفكاهة:

الحطيني الحطيني: بديـش عـا هـذا الحـرف بـدي عحـرف الطـرزرز
مطانس: صحيـح الابـر موجـودة ومـش مضبوطـة الغـرزرز
الحطيني: داعيـك مـا بيـاكل برغـل إلا لحـم وأرزرز
مطانس: إسا إن حكيـت أخـرى كلمـة بخلـي الدنيـا تتهـز هـز

وتقدم نحوه بالعصا، فما كان من الحطيني إلا أن يهرب من الصف، أمام ذلك الحداء الداهية، في حين تعالى ضحك الناس الموجودين في الساحة سروراً وفخراً بشاعرهم الضرير المحبوب[3].

ومن طريف ما يذكر أيضاً في هذا المجال قصة حدثت في (الجش) إبان العهد البريطاني البغيض، تعرض فيها معظم رجال البلدة للأذى والضرب المبرح من قبل قوات الاحتلال البريطاني. ويذكرها المعمرون باسم (حادثة قتيل ترشيحا) وتلخص القصة على الشكل التالي:

---

(١) هو الشاعر الشعبي المشهور (مصطفى بدوي) المعروف بالحطيني، هاجر إلى سوريا وتوفي في دمشق في السبعينات.

(٢) شاعر ضرير من أهالي (رميش) في لبنان، وكان شاعراً داهية كما يذكرون.

(٣) مستقاة من ذاكرة العم المرحوم (حسين علي محمد خلايلي) المتوفي في حلب (مخيم النيرب) عام ١٩٨١م عن عمر يناهز السبعين سنة.

كان رجل اسمه (محمود) من أهالي ترشيحا عائداً إلى بلدته سائقاً حماره أمامه وعلى الحمار كيس من الطحين، فالتقاه عدد من أشقياء بلدة (سعسع) في أرض (الجش) فقتلوه وسلبوه، واتصل الخبر بالسلطات، فجاؤوا بقوات كبيرة وكبسوا البلدة واستاقوا الرعيان للتحقيق مستعملين معهم كل أنواع الشدة والضرب والإهانة، حتى كاد بعضهم يفقد حياته. واشتد النكير على أهل (الجش) واستدعي معظم الرجال للتحقيق. وكان بين المحققين ضابط يهودي وآخر انجليزي وآخران عربيان.

ولما اشتدت الأزمة هرع العقلاء وعلى رأسهم مختارا البلدة (عبد اللطيف محمد أحمد الخليلي)[1] و(سمعان جبران) إلى مدينة حيفا للاستعانة بمطرانها البار (المطران حجار)، الذي كان كثيراً ما يسعف أبناء طائفته والطوائف الأخرى في الأزمات ويتوسط لهم لدى السلطات البريطانية ويخفف عنهم حدة المصائب.

وأثناء التحقيق الذي استمر أياماً، فضح اللصوص القتلة في بلدة (سعسع) فما كان من (غزالة العمر) وكانت متزوجة في (سعسع) أن أرسلت ابنها وأخبرت أهلها، أن القتلة هم من (سعسع). فرفع الضرب عن معتقلي البلدة. وقبض على الجناة، ونالوا عقابهم الصارم.

ولما كانت هذه الحادثة قد شغلت البلدة أكثر من أسبوعين، وتعرض الكثيرون من أهلها للضرب والإهانة والاعتقال، حتى اضطرتهم إلى الاستعانة بالمطران (حجار) ليتوسط لهم ويخفف عنهم آلام تلك المصيبة.

لذلك كله وجد كبير شعراء البلدة آنذاك (مارون الياس) في الحادثة موضوعاً طريفاً لقصيدة جديدة يقول فيها:

أوال نزل ومد حروف ودستور من رب العالمين[2]

---

(١) شيخ البلدة ومختارها في زمانه دون منازع. ولد في (الجش) حوالي (١٨٨٠)م وهاجر إلى الأرجنتين إبان الحرب العالمية الأولى، ثم عاد من هجرته بعد انتهاء الحرب، وابتنى له داراً حديثة، كانت في زمانها من أجمل دور البلدة وأكبرها. ثم انتخب مختاراً للبلدة بعد أخيه (محمود محمد أحمد) الذي قتل في تلك الحرب. اشتهر بكرمه وغيرته على أهل البلدة، وكان ديوانه عامراً دائماً بالضيوف وزاده لا يرفع، توفي في البلدة عام (١٩٣٧)م بعد عملية استئصال الزائدة الدودية في مستشفى طبريا. رحمه الله.

(٢) أوال: هنا بمعنى: قوال. ولتتذكر ان أهل الجش كعامة أهل الشام يستبدلون القاف بالهمزة في كلامهم.

في ليلة من الليال كنا فيها معللين
احنا بسحجة وكيفية ولا هالعسكر لافين
طلعوا على المضافة وجابوا الزلم أجمعين
وقالوا رجل من ترشيحا ما منعرف اسم أهلو مين
كان ماشي ومروح في درب الله المبين
لا قوه شوية حرمية بنص الدرب قاعدين
قالوا أهلاً بمحمود إحنا بجنابك موعودين
مسكوا الرجل شنقوه عا أربع ترطال طحين

* * *

وبلش الضرب والتحقيق بالرعيان المساكين
مسكين يا أبا محمود شو قضى ليالي سود[1]
زهره[2] عم تبكي وتنود وغير صريخ النساوين
لايا خسارة ويا حيانة ترملت بأول زماني
خذوه عالخستخانة بعوض رب العالمين
أما هالضابط كوهين[3] أكثر قتله عالإيدين
يوم وليلة ونهارين والرعيان مكلبشين
أما هالشفيق الذيب[4] هالرجل حالو عجيب
غير الخوري والخطيب والعموم موقفين

---

(١) أبو محمود هو (اسماعيل سعيد عزام) الذي ضرب ضرباً مبرحاً كاد يفقد، حياته.

(٢) زهره هي (زهره بنت علي أيوب) المعروف بعلي شيخة وهي زوجة (اسماعيل سعيد).

(٣) كوهين: ضابط يهودي كان من المحققين.

(٤) شفيق الذيب: رجل أمن بريطاني كان سيء السمعة.

أمـــا هالضـــابط حـــامد[1] الله لا يرحملـــو والـــد

إن شـاء الله علينـا مـا يعـاود بنكـــون كلنـــا مبســـوطين

عملنـــا جمعيـــة شـــبان برايـــك يـــا أبـــو جـــبران

مشـينا يـا أخـي بـالليل نربـع مثـل ربـاع الخيـل

سـيدنا عمـرو طويـل متلـو مـافي مطـارين

وصلنـا لعنـد الحجـار حكينـا لـو بـاللي صـار

قـال يـا ابـني إلهـا دبـار بـس كونـوا مرتـاحين

قلتلـو دخلـك سـيدنا لـو شـفت حالـة بلدنـا

وكبيرنـا مـع ولدنـا والعمـوم مكلبشـين

* * *

قـالو يـا ابـني يـا مـارون غـير التحقيـق مـا بكـون

تـروح اضـرب تلفـون أشـوف كيـف القوانـين

وهكذا تدخل المطران (حجار) لدى السلطات البريطانية، وخفف عنهم العذاب ورفع الضرب وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعي.

عودة إلى أخبار الحدائين:

وإذا تركنا شاعرنا الشعبي الكبير مارون الياس ، فإننا لن نجد من وزنه شاعراً في حارة المسلمين. إذ لم يكن فيهم آنذاك بعد شاعرهم ـ المكنى ـ من يسد مكانه، بل كان هناك من يقرزم بعض الأبيات ومن هؤلاء:

١ـ حسين علي شاهينة: و لم تبق له الأيام شيئاً من شعره.

٢ـ علي أحمد شحادة: وقد حفظت له الذاكرة بيتين لا غير وهما:

بـــأرض المـــرج بتكـــرج كـــرج

(١) حامد: ضابط فلسطيني سيء السمعة أيضاً.

عـــدة وخـــرج تحـــت الخيـــال

أو قوله يوم عاد من المنفى بعد انتهاء ثورة عام ١٩٣٩م مخاطباً أمه (صفية محمد أحمد):

يمـــا هـــاهي وزغرتـــي وولادك رجعـــوا عـــالدار

٣ـ وكذلك أخوه الأصغر (قاسم أحمد شحادة) يقول الشعر الشعبي الحداء.. وكثيراً ما كان يتصاول هو وزوجته (نظمية ابراهيم عثمان) التي كانت حادة الذكاء وسريعة البديهة وإن كانت أمية غير متعلمة (وهي شقيقة مؤلف الكتاب الكبرى).

هذا ولا يسعنا إلا أن نذكر أن أهالي البلدة كثيراً ما كانوا يدعون إلى أفراحهم وأعراسهم للقيام بواجبات هذا الفن، اشهر القوالين كأبي سعيد الحطيني، أو محمد محمود الزغموت من الصفصاف وغيرهم.

ومن أحلى المواقف في السحجة، ساعة ينزل إلى الساحة، شاعران ويبدآن بالمصاولة متخذاً كل واحد منهم فكرة، في حين يأخذ خصمه عكسهاويدافع عنها، كأن يأخذ الأول الشرق، فيدافع عنه ويظهر محاسنه، في حين يأخذ الآخر الغرب فيسفه الشرق ويخفف من أهميته، في حين يدافع عن الغرب ويظهر قوته واختراعاته وتقدمه.

وكثيراً ما كان هذا التصاول يؤدي إلى النزاع، أو يؤدي إلى معركة حامية الوطيس، يقاتل فيها كل واحد من الرجال في صف الحادي الذي يؤيده.

وكان (الحطيني) سيئ الحظ، فما من عرس حضره هذا الحداء إلا وتقاتل المحتفلون وتضاربوا وسقط الجرحى، وفض العرس بعد معركة حامية.

وللأمانة والتاريخ، نذكر أن (اسماعيل محمود قاسم أيوب) كان في شبابه ينزل للساحة ويحدو ويقول كلاماً جميلاً، واستمرت متابعته لهذا الفن بعد الهجرة، وظل يحدو إلى آخر أيامه في مخيم النيرب إلى أن توفي مبكراً في السبعينات.

الأغاني الشعبية

لعل الدلعونا من اشهر الأغاني الشعبية على الإطلاق في بلدنا وفي بلاد الشام كافة.. وهي تغنى أثناء الدبكة على عزف الشبابة أو على صـــوت الأرغول، فتبعث في نفوس الدابكين تياراً

من الوجد والعنف معاً، فتراهم يضربون الأرض بأقدامهم وكأن الله ما خلق مثلهم.. ولعل في أمثلة من هذه الأغاني، تظهر صورة (الجش) وأهلها على أكمل صورة:

إضمامه من أغاني الدلعونه:

غـابت الشـمس عـن النمـورة　　وشتت الدنيا وفاضت النهـورة

معتر يا قلبي منين بدي زورا　　حطوا لي النهر مـابيني وبينـا

والنمورة: أرض مشهورة من أراضي (الجش) تقع على السفوح الشمالية من جبل الجرمق وتساير (خلة خالد) فوادي (ناصر) وتنحدر إلى وادي (الظل) وتصل إلى (نبع البلاط) حيث تلتقي بمياه (وادي الجش) الآتي من الجنوب الشرقي، وتشكل وادياً كبيراً يتجه شرقاً إلى (بحيرة الحولة) ويسمى عندئذ بالحنداج.

ومن الغناء الطريف أيضاً:

دخيـل السـما اللي فـوق بلدكـم　　بـأي كنيسـه الخـوري كللكـن

لـو أنـي راعـي لارعـى غنمكـن　　واسـرح وروح بـرض الطيونـا

وأرض الطيون هي الأرض التي تنبت هذا النوع من النبات العطر، والذي يستخدم في الاستطبابات، كما في حالة تهبية الكسور المراد فكها وتجبيرها من جديد.

والاسـم مريـم والاسـم مريـم　　بمدارس حيفـا راحـت تتعلـم

لبسـت الحريـر حريـر مقلـم　　ويسـلم الحريـر وليلبسـونا

سـقى الله أيـام العنـب والتـين　　يومـن الحلـوة تيجـي تلاقيـني

غربـي البلـد لا زرعلـك تينـة　　يومـن تمرقـوا تتذكرونـا

والبلدة من أشهر بلدان الدنيا في التين.

ومن أغاني الدلعونا التي كانت مشهورة أيضاً الأبيات التالية:

١- طـالع بالطلعـة وطـالع بالطلعـه　　بايدو سيكاره ومـا معـو ولعـه

لو صـدري أبيـض لا دلعلـو دلعـه　　خلّي الصبايـا تطلـع مـن هونـا

٢- يللـي تمشـطي ويللـي تجدلـتي　　بعـدك عـالوعد ولا بطلـت

إن بـدك بـدل إنـت بـأختي　　وإن بـدك عملـة بدفـع مليونـا

٣- الدنيـا بتشـتي البحـر بخـابط　　ومركـب حبيبي عالمينـا مرابـط

لـيرة بجيـدي مـني للضـابط　　تحـاكي حـبي بالتليفونـا

يـابو القميـص الأحمـر شـلحتو　　قلبي معـاكم وينـن مـا رحتـوا

لابعت سلامي مع أمـه وأختـو　　يسـلم السـلام ول وصلونـا

٥- طلعت عالتينة تحـوش الكـوزي　　والتين مضمن أكله مـا يجـوزي

حيف عالشـب اليهوى عجـوزي　　وعنـا الصبايـا حبـق طربونـا

٦- تحـت الزيتونـة فـارش ونـايم　　وطير السعادة فوق راسو حايم

جبتلـو الغـدا بقللـي صـايم　　بوسـة مـن خـدك بتفطرونـا

٧- يـابو القميـص الأزرق المقلـم　　والعـالم سـاكت والبحـر تكلـم

قـالوا لي عنّـك دكتـور معلـم　　يـاريتني أمـرض لتحكمونـا

٨- طلعـت عالتينـة تحـوش العجـرة　　وكل يوم والتـاني بتعمللي فجرة

لـو مـاتت أمـه لاطلـع بـأجره　　وأدهـن كندرتـي بعلبـة دهونـا

٩- من ورا الجامع مـن ورا الجـامع　　الذهـب بـايد السـمرا بلامـع

مصعـب بكـاتب نهـار يطـابع　　خيّـن منـدوب السـامي يعيونـا

يا ظريف الطول:

وهي من الأغاني الجميلة أيضاً و لم نحفظ منها إلا القليل القليل:

يا ظريف الطـول وقـف تـا قللـك،　　رايح عالغربة وبلادك أحسـن لـك

خايف يا محبوب تروح وتتملك وتعاشر الغير وتنساني أنا

يا ريمة فرعنت:

١- يا ريمة فرعنت من هون لأرض الدير
والحكي بيني وبينك وش وصلوا للغير
إن كان ما في ورق لأكتب عاجنح الطير
وإن كان ما في حبر من دمع عينيا

٢- يا ريمة فرعنت بين البساتين
ومجروح جرح الهوا مضروب بسكينة
با الله يا حاملة الجرة من فضلك اسقيني
بلكي بطيب الجرح من شربة الميه

ومن أغاني الدبكة النسائية قولهن:

١- عا عين بلدنا وردت غنمنا
عا عين بلدنا والشهيد الله

٢- آه يا سوير سرى دمع الحبايب جرى
وش بيصير يا بن عمي لو قعدنا سوى

إضمامة عتابا

للعتابا والميجنا شهرة كبيرة في بلدنا، وكثيراً ما يغنيها الشباب والشيوخ والنساء في المناسبات الكثيرة، في الأفراح والأحزان.

وسنورد فيما يلي مجموعة مما وعته ذاكرة الأجيال، حفظاً لها من الموت والضياع ومنها:

١- بلدنا المسك والعنبر منسم عدية والهوا فيها منسم
يروس حرابنا ترشح من السم قليل اللي انطعن فيها وطاب

٢- بلدنا براس تلة وراس رابي وحدنا عالكرم والجود رابي
وحدنا لو نفخ عالبحر رابي وحدنا لولمس بيدو الصخر ذاب

أما في الغزل والحب فتتردّد الأبيات التالية على الألسنة:

٣- خطم عنّا ومنّا عاجبينو وداقللو ثريا عا جبينو
بأيام الجهل كنّا عاجبينو وصرنا اليوم ما نعجب حدا

٤- خطم من هون يهز الخصر بشويش ولوعت القلب يا زين بشويش
عجب تتجود لغيري وأنا ليش وأنا اللي جاركم دق الطناب

٥- خطم عنّا ويتلفت حواليه يسوى النزل والقاعد حواليه
كشفت النهد بان اللي حواليه طلاحي يا طبيب اكتب دوا

٦- شفت من فوق عالي الصدر بزين صغار ويرجحوا القبان بالزين
ومثلك ما ربي بالكون والزين كأنك شمس تضوي عا الدنا

٧- قمت من ديرتي وأمسيت صفصاف وأنهر عالغنم بالمي صف صاف
بني مشكشكي الذهبان صفصاف وزادا ربنا لطف وحلا

٨- وسط الدار لزرعلك بستأي بروس شفافها الحلوة بستاي
قبل آدم ما تعرف بستاي كنت يا ناس سايح بالهوا

٩- طلع برق جديد وغيم شكلين وعليّ لابسين الجوخ شكلين
وأنا إن قيدوني بقيد شكلين لحل القيد واسري عالحباب

١٠- حشم يلّي على المنهل تغسلين وذرعانك كما المرمر تغسلين
أمانة إن مت بيدَيكي تغسلين أحق من الخطيب اللي قربا

١١- أنا اللي مهرة اسفت من العام ومصوا روس شفاتي من العام
أنا والله ترى ليا ولد عام توسع لا يعمق لك صواب

١٢- طلبت المي جابتلي بالقراب ولا هيي من حمايلنا والقراب
ذراعا تفة الهندي والقراب طعني والطبيب أنكر دوا

١٣- طلبت المي جابتلي بريقين صبر ومذوبة الحنظل بريقين
على السالف شفت لمع البريقين بعتمة والقمر دلّى الغياب

١٤- طلبت المي جابتلي بكباي ولولا الخوف من ربي بكباي
طلبت الأكل جابتلي صحن كباي وبعد الأكل دارتلي عنب

١٥- طلبت المي جابتلي شنينة ودقت شام عذراعا اليمينا
أمانة ترحلي وتجاورينا عكاسر بيتنا دقي الطناب

١٦- طلبت الأكل جابتلي بالصحون وريقا سكر مذوب بالصحون
قولوا للأهل يا ناس وسعون ولدكم حايفه حال الردى

١٧- سنوني من صقيع المي جظين وظهري من على الفراش جظين
ولو يدرو بنات العم جظين علينا وصبغوا بيض الثياب

١٨- سنوني من صقيع المي لمعين وظهري من هوى الزينات لمعين
وتسوي من حلب للشام لمعين وشمر ورولة وعنيزابا

وفي الحنين لأيام الشباب والشكوى من الشيخوخة وفراق الأحباب ما يعذب على اللسان ويذيب حنايا القلوب كقولهم:

١٩- أنا لبكي عليهم طول عمري على ما ازعلوني طول عمري
أنا إن طال الزمان وطال عمري ما اجعل حيلتي غير البكا

٢٠- سألتك با لنبي با لله تقرين وكنك من خصايصنا تقرين
على قبال اليتيم با لله تمرين عيونو من البكا صاروا كباب

٢١- ألا يا سايق البقرة والعقود وعندكم طابت العشرة والقعود
علّواه يا زماني تعود لنعود ونرجع كالزمان اللي مضى

٢٢- عتابا دوم أألكن من ضميري وهبت ناركن جوّا ضميري
بتجو عالبال يا فقدة عشيري أعوف الزاد والسكر شراب

٢٣- أنا لا عن عنين النحل بدواه وجرحي عذب الحكام بدواه
يا ربي ما خلق علّه بلا دواه إلا علّتي ما لا دوا

٢٤- يا همي ما يشيلك جوز عمال ولا يحرث على الكتفين عمال
يا جرح بالقلب قيح وعَمّل وكعّى من البراهم والدوا

٢٥- أنا لقعد قعدة الطيون عالمي لأ نو مورد حبابي على المي
سألتك بالنبي والصوت يامي أي دروب مرّون الحباب

٢٦- عتابا ما تسلي بال مجروح ولا تبري عليل كان مطروح
جينا تانسلي البال ونروح رحنا محملين من التعب

٢٧- تتن تاتون عبينا الغلاوين رخصنا بعد ما كنا غلاوين
ياريت بلادهم تبلى بغلاوين محل ما يزورها قطر الندى

٢٨- جيت الدار تاسلي همومي لقيت الدار مليانى همومي
سألت الدار وين أهلي وعمومي قالوا غياب ما منهم حدا

إضمامة من الزغاريد:

الزغرودة واحدة الزغاريد، ويلفظها أهل بلدنا بالتاء بدلاً من الدال فيقولون: «الزغاريت» وهي من اختصاص النساء والبنات فقط، يغنينها في كل خطوة من خطوات الفرح، لتعبر عن المعاني المقصودة من مدح وفخر واعتزاز، كما كن يغنينها عند احتدام المعارك سواء أكانت تلك المعارك بين رجال الحمائل، أو في المعارك الوطنية مع الإنجليز واليهود. وهي تبعث النخوة والحماسة في نفوس الشباب فيدفعون بأنفسهم إلى المهالك طائعين مختارين، وصدق شاعرنا الخالد (عمر أبو ريشة) عندما قال:

والزغاريد في شفاه العذارى تدفع الحّر لاقتحام المخاطر

ويسعدنا أن نقدم فيما يلي لقرائنا الأكارم طائفة من هذه الزغاريد التي كانت متداولة على شفاه نسائنا وصبايانا أيام الفرح، ولنبدأ بما كان يقال عندما كان الضيوف يبدؤون بتناول الطعام:

١- آويها كلو صحتين وصحة آويها وأربع عوافي معها
آويها وأربع غراير سمسم آويها وكل حبه صحة صحة

٢- آويهـــا وعيشـــنا يـــا عيـــش آويهـــا يكفـــي الـــعرب والجيـــش
آويها وللي ما يعمل مثل أبو غـالب آويهـا قعـودو في البلـد لإيـش

٣- آويها شباب الخلايلة يـا نمـل السـجر آويها يا ساحبين المـال من تحت الحجر
آويهـا سـألتكم بـالنبي مينـو شـيخكم آويها شيخنا أبو غالب عـا لباشا حضر

٤- آويهـا شكشـك خـاتمك مرجـان آويها واكتب مكاتيب وديها بلاد الشـام
آويها ماهو بكبر اللحى ماهو بكـثر المال آويها إلا بصف المناسف عيش يا جوعان

٥- آويها أبو غـالب يـا صندوقنـا برزاتـو آويها يطلع عالمحكمة وبـزن سـاعاتو
آويها والشرق والغرب بيحلف بحياتو

٦- آويها هب الهوا رماني بأربع قراني البير آويها لاني سمك لاسبح ولاني حمام لأطير
آويها مرت علي البنية شـاطفة المنديل آويها حرقت قليبي مثـل الزيـت بـالقنديل

٧- آويها بنيت جامع بنا وحطيـت مـالي فيـه آويها وتعبت وشقيت ما صليت ركعة فيه
آويها ياشمعدان الذهب والضو ضاوي فيه آويها والوجه دورة قمر حاجي تغمي فيه

٨- آويها حاجي تموجي وخليت العدو يموت آويها يا شجرة المستكى وغصونها ياقوت
آويها واحنا بنات الخلايله واصلنا مثبوت آويها وجدودنـا بالقبر تستأهل التابوت

٩- آويهـا وعيونـك السـود ذبحتني رفارفهـا آويها وخدودك الحمر ما بغـدر أخالفهـا
آويهـا يـا رابطـين الخيـل عـا معالفهـا آويها صار لي (١٢) سنة ها لروح بتلفها

١٠- آويهـا يـا قـاعدة عـالمراتب قعـدة البنّـا آويهـا والكحـل بعينـك زقفتلـو غنّـا
آويهـا ويـاريت البطـن اللـي جـابك آويهـا يجعـل مسـكنو الجنـة

١١- آويهـا حيـاكم الله يـا بنـات الـدار آويها طلعتو من الدار لا عيب ولا معيـار
آويها طلعتو من الدار مـا أبيـض تناياكم آويها يا مبيضين العمـايم وين مـا كـانوا

١٢- آويهـا مربـوع مربـوع يـا زهـر المرابيـع آويها وحنيت كفي مـا حنيـت أصابيعي

آويها وما أحلى الشرب من روس الينابيع آويها وما أحلى النوم في حضن المرابيـع

١٣- آويهـا يـا سـت عنـدك زنـار عـيريني آويهـا لشـد خصـري وأنـزل عالبسـاتين
آويها وحوش عنب من فوق العنـب تـين آويها وأجبلك شـرش المحبة حتى تحبيـني

١٤- آويها الطول طول القنـا والشعر كنوليـل آويها والخصر من رقتو هد القوى والحيل
آويها يا صايمين الضحى يا مفطرين الليـل آويها ردّوا علـي غـزالي مـا بقـا لي حيـل

١٥- آويهـا والطـول طـول الجريـدة آويهـا والعـين سـوده لذيـذة
آويهـا والتـم خـاتم سـليمان آويهـا مصيـوغ صياغـة جديـدة

١٦- آويهـا والطـول طـول الزرافـة آويهـا والخصـر كلـو لطافـة
آويهـا والتـم خـاتم سـليمان آويهـا ومعجـون بكنافـة

١٧- آويها قالوا غزالك صغير قلـت ماشـا الله آويهـا ومثـل غـزالي مـا خلـق الله
آويها وكل البساتين بتزهر بالسنة مرّة آويهـا إلا وجنـة حبيـبي دوم محمـرة

١٨- آويهـا هـا لغـزال غـزالي آويهـا وأنـا شـريتو بمـالي
آويهـا وشـو غـرض النـاس منـو آويهـا إن كنـو رخيـص أو غـالي

١٩- آويهـا تفـاح مـا نـاكلو حـامض بغشـينا آويها وغريب ما ناخدو ويرحل ويخلينا
آويها وإن كنا مناخد منـاخد مـن أهالينـا آويها وإن زعلنا عراسو وفوق عينو براضينا

٢٠- آويهـا وإحنـا بنـاتك يعمـي آويهـا كـل أربعـة بليـوان
آويهـا والبيـض منـا سـراري آويهـا والسـمر غـزلان

٢١- آويهـا وإحنـا الخلايلـة والحـق الحقيـق آويهـا شرشـنا بـالأرض غميـق
آويهـا واللـي بيـاخد منـا آويهـا يحـط الدهـب بـالمد العتيـق

٢٢- آويها صار لي (١٢) سنة بتغطى بورق التين آويها صارلي (١٢) سنة عفراق الحبيب حزين
آويها لحط زنـدي عزنـد الحبيـب وأنين آويها وأتمنى الشمس ما تطلع بتسع سنين

٢٣- آويها صارلي (١٢) سنة بقطف ورد دادا آويها صارلي (١٢) سنة عيني على هذا
آويها يا جامع الشمل تجمعني أنا وهذا

٢٤- آويها صارلي (١٢) سنة محبوس بالقلعة آويها كفي محنى وعيني تنقط الدمعه
آويها ولمن قالوا هالفرحه لمصعب آويها لصوم وصلّي واضوي للنبي شمعه

٢٥- آه ويها أبو غالب يا صدري هالمقصب آويها ياعز المناصب مايعلى عليك منصب
آويها وربت اللي يبغضك بالسيف يتقصب آويها يقبر حبيبو وبمنديل الحزن يتعصب

٢٦- آويها إخوتك أربعة ما حبني فيهن آويها وريحة الطيبة تدرج عآ علاليهن
آويها وصيت بنّا حلب يبني علاليهن آويها ومكتوب عبوابن يا رب خليهن

٢٧- آويها يا نجمة الصبح عا دار لنا طلي آويها وحد العريس وعروسه للصبح ظلي
آويها وبا غار فرفط زهورك عا أهالي الدار آويها وقنديلك العز يا هالقنطرة تعلي[1]

المرحوم الحاج حسين علي خلايلي

السيدة مريم حسين علي خلايلي
زوجة المؤلف من مواليد «الجش» ١٩٤٤

(١) أخذت هذه الإضمامة من الزغاريد عن عدد من النسوة الحشيات وعلى رأسهن:
أ ـ خديجة حسن عثمان، زوجة عم (المؤلف) توفيت في (دمشق) ودفنت في حمص. ب ـ مريم أحمد سلامة، خالة (المؤلف) توفيت ودفنت في مخيم النيرب. ج ـ شاهينة العلي، ما زالت حية ترزق في مخيم النيرب. د ـ ندى محمد عبد اللطيف، توفيت في مخيم النيرب، وكانت من أعذب النساء لساناً رحمها الله.

الفصل الخامس

بلدة الجش في الشعر الفصيح

الطبيب الأديب الدكتور غالب خليل خلايلي

يقول الأستاذ عبد المعين ملّوحي في تقديمه لديواني «أحزان الصمة القشيري» تحت عنوان «الحنين»: «ويدخل في نطاق الوصف والحنين قصيدتاه (قريتي) و(أغنية حب إلى جسكالا) وقد فارقها في الثلاثين من شهر تشرين الأول عام ١٩٤٨م بعد أن اجتاحتها عصابات الصهاينة، وهو ما يزال بعد خمسين سنة غريباً عنها يتشوّق إليها وينتظر يوم التحرير.

واعتبر هاتين القصيدتين من قمم شعره، وقد تركت الحديث عنهما فقد يشوّه الحديث متعة القارئ حين يقرؤهما قراءة متأنية متعاطفة»[1].

ويسعدنا أن نقدم للقارئ الكريم القصيدتين مشفوعتين بقصيدة ثالثة كتبت بعدهما، ونشرت في الديوان الثالث «بانتظار الريح الشرقية» وهي قصيدة «عصفورة الجولان».

(١) عبد المعين ملوحي ـ من مقدمة أحزان الصمة القشيري. ص(٢٥).

قريتي..

مهداة إلى «جسكالا» الحبيبة

منذ بدء الكون كانت قريتي فوق الجبال
يعصب الغيم أعاليها بعزٍّ وجلال
وذراها مرتع النسر وهبات الشمال
آه كم من نسمة مرت وتاهت بدلال
فوق حقل عسجدي النّسج مزهو الخيال

* * *

قريتي إن مَّر صيف تعبت فيه الدوالي
وانتشى العنقود مختالا من السحر الحلال
قريتي ينبوع حبٍّ وغدير في ظلال
صبح الأنجم فيه أبداً طول الليالي
وإذا مرّ خريفٌ بائس الأثواب بال
لعبت ريحٌ دبور بشبابيك العلالي
وترى طير السنونو هجرت كل مجال
وإذا مرّ شتاء فاح عطر البرتقال
والتففنا حول نار ثرَّة ذات اشتعال
رقص الموقد فيها باشتياق وانفعال
وحكى الجدُّ حكاياه المشوقات الغوالي
وإذا مرَّ ربيع مترفٌ ناعم بال
ضحك المنتور فيها مثلما يضحك خال
وهف سرب حمام مصعداً نحو الأعالي
والتقت عند السواقي كلُّ ربات الحجال

* * *

قريتي إن لفّها الليل وهبت للتسالي
تكبر الفرحة فيها بأبي زيد الهلالي
وإذا ما هزها الشوق وتاقت للوصال
صدح الأرغن ألحاناً من الفن المثالي
فإذا الدبكة ميدان فسيحٌ للنزال
تتعب الأرض وتعنو تحت دقات النعال
وترى بين الصبايا كلَّ ظبي وغزال
يتراقصن بدلَّ عند صيحات الرجال
فإذا الأشواق بحرُ جامحُ الموجة عال
وإذا الدنيا حداءٌ «يا حلالي يا حلالي»

* * *

قريتي إن صرّح الشر تنادت للقتال
زغرد البارود فيها بين هاتيك المجالي
وانتخى كلُّ همام فارس حرّ النضال

* * *

قريتي لم تعرف الفقر ولا ذلَّ السؤالِ
فخوابيها مليئات بزيت وغلال
لم تكن تكنز مالاً ونضاراً ولآلي
فهي مذ أوجدها الله على هام التلالِ
تكنز الرَّحمة والحبَّ وألوان الجمال
وهي منذ السَّحَر السَّاجي تصلي في ابتهالِ

* * *

الباحة في ١٩٨٢/١٢/٣م.

أغنية حب إلى جسكالا

منذ تسع وثلاثين سنة وفي الثلاثين من تشرين الأول (أكتوبر) عام 1948م، فارقت بلدي ومسقط رأسي (الجش ـ جسكالا) في الجليل الأعلى بعد أن اجتاحتها عصابات الصهاينة الغادرة ولم أرها منذ ذلك اليوم.

في أول العـــــام الجديـــــد
شـــوقي إليـــك بـــ لا حـــدود
يـــا فتنـــة الأمـــس القريـــب
وفتنـــة الأمـــس البعيـــد
يـــا ثـــرّة الأبجـــاد يـــا ظبـــ
ـ ر الأبـــوة والجـــدود
يـــا نبعـــة الشـــرف الرفيـــ
ـ ع وموئـــل العـــزّ التليـــد
هـــل تذكريـــن فتـــىً أحـــبّـــ
ـ ك رغـــم غاشمـــة العهـــود
رغـــم البعـــاد المـــرّ والإر
هـــاق والشّـــمل البديـــد

* * *

كـــم كـــان لي فـــوق السّـــفو
ح هنـــاك مـــن عيـــشٍ رغيـــد
حيـــث الظّـــلال الوارفـــا

ت وحيـــث عـــاطرة الـــورود
حيـــث الظبـــاء النـــافرات
وكـــل ســـارحة شـــرود

* * *

هـــل تذكريـــن مســـاءنا
والليـــل مؤتلـــق النُّشـــيد
والأغنيـــات الرائعـــات
تفيـــض مـــن ألـــق القصيـــد
والنرجســـات علـــى الســـفوح
كـــأنهنّ عيـــون غيـــد
يرقصـــن مـــن وقـــع النـــدى
رقـــص الضفـــائر والنهـــود
حتـــى كـــأنّ زماننـــا
عيـــدٌ يطـــل بـــإثر عيـــد

* * *

لـــو أن بعـــض رســـالة
تـــأتي إليّ مـــع الـــبريد
أشـــتمّ عـــبر حروفهـــا
عطـــر المباســـم والخـــدود
أوّاه لـــو أن الزمـــا
ن يعـــود بـــالأمس السّـــعيد
وأعـــود أســـرح في ربـــو
عـــك يـــا حبيبـــة مـــن جديـــد
وأرى هنـــالك وجـــه أمـــ
ـ ـي بالحنـــان وبالسّـــعود

أواه هـــل أنســـى صبـــاي
وطيـــب هـــاتيك الوعـــود
كيـــف الســـلوّ وأنـــت في
دنيـــاي مفتـــاح الوجـــود
كيـــف الســـلوّ وأنـــت يـــا
أمّـــاه مرضعـــة الوليـــد
مـــازال نســـغك في دمـــي
يجـــري ونبضـــك في وريـــدي

* * *

أواه هـــل مـــن عـــودةٍ
للـــدار ترفـــل بـــالبرود
والأهـــل في جنباتهـــا
وفـــدٌ يجـــيء مـــع الوفـــود
أوّاه هـــل مـــن نظـــرة
للحرمـــق الشـــهم العنيـــد
للقمّـــة الشـــمّاء تلمـــع
بالـــبروق وبـــالرعود
أوّاه هـــل مـــن نظـــرة
للطّـــير توغـــل في الصّعـــود
تجتـــاز آفـــاق المـــدى
فـــوق المـــزارع والجـــرود
فـــوق الكـــروم المثقـــلا
ت بكـــلّ عنقـــود نضيـــد

وتعـــود تصـــدح بالغنـــا
ء العـــذب أغنيـــة الصّمـــود

* * *

مـــن ذا ألـــوم حبيبـــتي
واللـــوم ألصـــق بـــالقعيد
مـــن كـــان يحســـب أن أر
ضـــك تســـتباح مـــن اليهـــود
أو كـــان يعلـــم أنّ أهـــ ـــ
ـ لـــك يطرحـــون علـــى الصعيـــد
ويهجـــرون إلى العـــرا
ء كـــأنهم بعـــض العبيـــد
وجحـــافل الأبطـــال تنـــذ
ر بالتوعـــ ـــد والوعيـــد
حطـــين بعـــض فخارهـــا
والخافقـــات مـــن البنـــود
يتســـابقون إلى المنيّـــ ـــ
ـ ة كالســـباع وكـــالفهود
كـــم زغـــرد البـــارود في جنبـــات ربعـــك
في الحشـــود
كـــم مـــ ـن رجـــالٍ نـــاضلوا
دون الحمـــى مثـــل الأســـود
ومضـــوا إلى الجلّـــى ومـــا وهـــ
ـ ـــ نـــوا ببأســـهم الشـــديـــد
كـــم فـــارسٍ شـــهم قضـــى
فـــوق الحواجـــز والســـ ـــدود

وســـــقى الـــــتراب نجيعـــــه
بوركـــــت يـــــا ســـــقيا الشـــــهيد

* * *

عـــــودي لذاكرتـــــي الجريـــــح
أيـــــا ليـــــالي العّـــــز عـــــودي
وتلمســـــي عمـــــق الجـــــراح
بخـــــافق الصـــــبِّ العميـــــد
ســـــأظلّ أصـــــرخ في الـــــورى
رغـــــم السلاســـــل والقيـــــود
عـــــلّ المظـــــالم تســـــتفيق
لســـــحر منطقـــــي الســـــديد
ويعـــــود ركـــــب الحـــــق مـــــز
هـــــوّاً بعظهـــــره الفريـــــد
ويعـــــود أهلـــــي للديـــــار
بفرحـــــة النصـــــر الأكيـــــد

* * *

الباحة ١٩٨٧/١/١٥م

عصفورة الجولان

مهداة إلى ابنتي الغالية «نجاة حسين الصفدي»
في ذكرى عبورها الأول

باتجاه الجليل

تمريـــن كالـــبرق في خـــاطري ... فيشـــتعل الوجـــد والذكريـــات
وتخضـــرُّ حولـــك كـــل الحقـــول ... وأنـــت تمريـــن مثـــل المهـــاة
ويلتمـــعُ الأفـــقُ عـــبر المـــدى ... فـــأصرخُ مـــن لهفـــتي: وانجـــاة
أخـــاف عليـــك دروب المســـاء ... وعصـــفَ الريـــاح وجـــورَ الطغـــاة

* * *

فيـــا حلوتـــي إن اتيـــتِ الجليـــل ... وأقبلـــتِ الطـــيرُ بالهينمـــات
ومـــالت بـــك الشمـــ س نحـــو الغـــروب ... وراحـــت تـــودّعُ زَهـــوَ الحيـــاة
فعوجـــي علـــى قريـــة حلـــوة ... حَبَتهـــا الطبيعـــةُ أحلـــى الصفـــات
تـــلالٌ مـــن الـــودقِ ريانـــةٌ ... كســـتها الشـــقائقُ والنرجســـات
وأوديـــةٌ يســـ تثـــير العقـــولَ ... لجـــينُ ينابيعهـــا الدافقـــات
يعطرهـــا إذ يمـــر النســـيمُ ... أريـــجُ زنابقهـــا الفاغيـــات
ويســـتوطنُ الســـحرُ في حضنهـــا ... ويذخـــرُ أشـــياءَه الغاليـــات
فماســـت دلالاً علـــى العـــالمين ... وتـــاهت شموخـــاً علـــى الكائنـــات
هـــ ي «الجـــش»[1] أســـطورةُ الخـــافقين ... ومهـــدُ الفضـــائل والمكرمـــات
فآجامهـــا موطـــنٌ للســـباع ... وســـاحاتُها ملعـــبٌ للكمـــاة
وغاباتُهـــا مرتـــعٌ للنســـور ... ومـــأوى العصافـــير والقـــبرات

---

(١) هي بلدة جسكالا الغالية مسقط رأس الشاعر في الجليل الأعلى.

يـنـاغين زوارهـا بالصفـير ويخلـبنَ لبـك بـا لزقزقـات

* * *

ومُـري علـى العـين لا تبخلـي هنـالك تلقـين كـل البنـات

يُرحـبن بـالضيف إمـا أتـى ويسـعدنه بجميـل الهبـات

هدايـا حباهـا لهـن الربيـع يضـوعُ بهـا الحـب والأمنيـات

سـلالٌ مـن الزهـر مجدولـةٌ تقدمهـا أعـينٌ باسمـات

وفيـضٌ مـن الآه والميجنـا ورجـعِ المواويـل والأغنيـات

ويلتئـم العقـد في دبكـة هـي الفـنُّ.. ألوانـهُ الرائعـات

فمـن بضّـة رخصـة لاتـني تنقّـلُ أقدامهـا الراقصـات

فيسـحر طرفـك منديلهـا تطـيّره نحـو كـل الجهـات

* * *

فإمـا مَـررتِ فبثـي السـلام هنـالك للـورد والغانيـات

وصيحـي علـى مسـمع للجميـع بـأن المتيـم فيكـن آت

دمشق ١٩٩٦/١/٢١

ويتابع الأستاذ (عبد المعين ملوحي) كلامه على (الحنين) عند الخلايلي فيقول: «إن الحنين عند الشاعر قطعة من روحه وذوب من فؤاده.إنه ما يزال يذكر القرية التي كانت مهد طفولته وصباه، لقد سعى في كرومها يقطف الأعناب، وعبّ من ينابيعها الماء العذب الرقراق، وتنشق نسيمها العليل وقطف الليمون والبرتقال من بياراتها، وأكل الخبز الحار من تنورها الملتهب، ورقص في ساحاتها مع الصبايا الحسان، ورأى خوابي بيوتها ملأى بزيت الزيتون والغلال، فإذا هو فجأة يحرم لذائذها وخيراتها ويمضي شريداً طريداً في بلاد الغربة. ويتابع الملوحي قائلاً: صحيح إن شعر الحنين يملأ ديوان الشعر العربي، ولكن حنين الخلايلي يضيف إلى أنغام الحنين نغمة واقعية متميزة، إنه لا يصبر على الفراق إذا صبر بعض الناس»[1].

(١) خليل خلايلي - أحزان الصمة القشيري - المقدمة ص٢٦ دمشق ١٩٩.

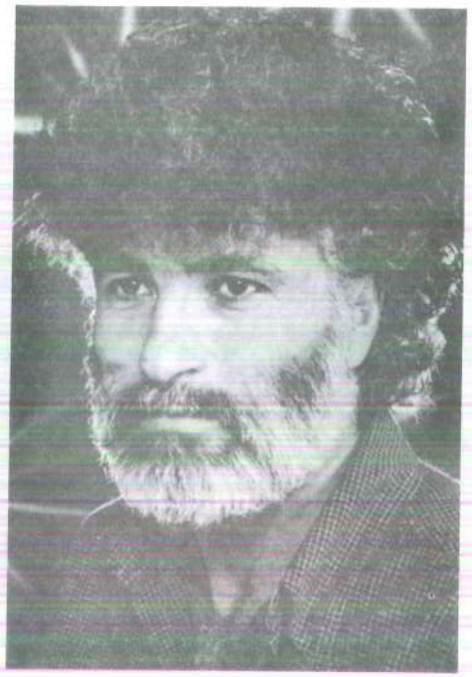

الفنان التشكيلي المسرحي محمود خليلي

طبيب العظام المشهور محمد سرحان خلايلي

السيد أحمد خليل زيدان

المرحوم محمد سليم زيدان

الدكتور خالد إبراهيم زيدان - جامعة دمشق

الفصل السادس

إضمامة من الأمثال الشعبية الدارجة

تدور على ألسنة أهالي بلدة (الجش) وجيرانهم في الجليل الأعلى، وجبل عاملة وسائر أنحاء فلسطين ولبنان، أمثال شعبية كثيرة، يضربها الناس في الأحوال المشابهة التي تمر في حياتهم اليومية، للحكمة آنا و للاستئناس أحياناً، وقد تفيد السخرية في بعض الأحيان. ويكون نطقها والاستشهاد بها القول الفصل الذي لا يُرَد. وهي تتناول جميع جوانب الحياة تقريباً، ويكون التمثل بها مهدئاً للنفس مريحاً للخواطر، لما تحمله في طياتها من عمق التجربة ولباب المعرفة والحكمة، وقد اخترنا منها هذه المجموعة - مرتبة حسب الحروف - لتعطي صورة واضحة عن حياة البلدة وعادات أهلها ومستواهم الفكري والعقلي:

١- أعزب دهر ولا أرمل شهر.

٢- اسأل مجرب ولا تسأل حكيم.

٣- احفظ عتيقك جديدك ما بدملك.

٤- انهزي بتنعزي.

٥- ادخل بيت عدوك جوعان ولا تدخل عريان.

٦- أعط الخبز لخبازو ولو أكل نصو.

٧- ألف أم تبكي ولا أمي تبكي.

٨- ألف قلبة ولا غلبة.

٩- ابن العم بياخد بنت عمو عن الفرس.

١٠- أول الرقص حنجلة.

١١- أوله للعذاب وآخره للكلاب.

١٢- آخر الطب الكي.

١٣- ألف مشوار عالبدوي ببلاش.

١٤- إيد الحر ميزان.

١٥- الحق العيار لباب الدار أو الحق الكذاب لباب الباب.

١٦- اذكر الذيب وهير القضيب.

١٧- أنا أمير وأنت أمير ومين بدو يسوق الحمير.

١٨- اربط الحمار مطرح ما بقلك صاحبه.

١٩- ابن البلد مثل الولد.

٢٠- ابن السكافي حافي.

٢١- افتخرت القرعة بشعر بنت خالتها.

٢٢- اتكسر الدف وتفرقوا العشاق.

٢٣- أرخص من الفجل (لكثرة زراعته في بساتين البلدة).

٢٤- أبرد من طين الشتا.

٢٥- أكبر منك بيوم أعقل منك بسنة.

٢٦- أكثر من القرد ما مسخ الله.

٢٧- إن بزق لفوق عليه، وإن بزق لتحت عليه.

٢٨- إن كان الكذب بنجي، الصدق أنجى وأنجى.

٢٩- إن رحنا عالقبور بيلحقنا ألف داقور.

٣٠- ارقص للقرد بزمان دولته.

٣١- إذا حلق جارك بل دقنك.

٣٢- إذا شفت الناس بيعبدوا العجل، حش وطعميه.

٣٣- إذا أطعمت اشبع، وإذا ضربت أوجع.

٣٤- إذا غطغطت على باكر، احمل عبايتك وسافر، وإن غطغطت على عشية، فتش لك عن قرنة دفية.

٣٥- إذا بدك تحيرو خيرو.

٣٦- إذا انحسبت عليك، كول وبحلق عينيك.

٣٧- إذا كنت رايح كتر من الملايح.

٣٨- إذا وقع الحر لا يلبط.

٣٩- إذا قلت الأمانات، اجعل مخزنك عبك.

٤٠- الموت بين الناس نعاس.

٤١- إذا شفت مركب ماشي إعطيه دفشة.

٤٢- الجنة بلا ناس ما بتنداس.

٤٣- الأكل والهزيمة ما بدهم عزيمة.

٤٤- اضرب الجرة عتما بتطلع البنت لأما.

٤٥- الشجرة اللي ما بتفيي على عرقها، حل قطعها.

٤٦- الخي خي مراتو، والرعنة بتحلف بحياتو.

٤٧- إن عجبتك هالكحلة ذنبيها.

٤٨- الأرملة ربت ثور ما فلح.

٤٩- آذار يا ابن عمي، يومين منك وتلاتة مني ، تخلي الصبية توقد قبقابها، والعجوز توقد دولابها.

٥٠- آذار أبو السبعة تلجات كبار، غير الدقدق والصغار.

٥١- أيلول ذنبو مبلول.

* * *

٥٢- إجاك يا زعرور مين يعرفك.

٥٣- برد الصيف أحد من السيف.

٥٤- بلّط الزرقا، أو بلط البحر. يقال للاستخفاف.

٥٥- بوس الأيادي ضحك على اللحى.

٥٦- بلا دف عم نرقص.

٥٧- بين تشرين وتشرين صيف تان.

٥٨- بداريه متل العين الرمدانه.

٥٩- بيعرف وبيحرف.

٦٠- بطوش على شبر مّي.

٦١- بزقة تحت حجر ما بتختفي.

٦٢- بتعلم البيطرة بحمير النور.

٦٣- بتغنيك عن المليحة شوفة أخوها.

٦٤- بقللك يا جارة تتسمعي يا كنة.

٦٥- بعد ما كبر وشاب ودّوه عالكتاب.

٦٦- بعد الكبره حبه حمره.

٦٧ـ بعد خراب البصرة.

٦٨ـ بيت عنكبوت قليل علّي بموت.

٦٩ـ بنت العم عورة.

٧٠ـ بغطي السموات بالقبوات.

٧١ـ بين حانا ومانا ضيعنا لحانا.

٧٢ـ بيت السبع ما بيخلى من العظام.

٧٣ـ بيتو بالقلعة (كناية عن عزه ومنعته).

٧٤ـ البرد أساس كل علّه.

٧٥ـ الباب يلي بجيك منو الريح، سدّوا واستريح.

٧٦ـ الطاقة اللي بجيك منا الريح سدّا، قلو بهدا.

٧٧ـ البغض بالأهل والحسد بالجيران.

٧٨ـ البنت المليحة، أحسن من الولد الفضيحة.

٧٩ـ بجريرتك يا بنتي، يا كل أنا وأنتِ.

٨٠ـ بيقتل القتيل وبيمشي بجنازتو.

* * *

٨١ـ بحب الكبره ولو على خازوق.

٨٢ـ تم النقل بالزعرور.

٨٣ـ تنشوف الصبي ونصلي عا لنبي.

٨٤ـ تيتي تيتي مثل مارحتِ مثل ما إجيتي.

٨٥ـ تحيرنا ياقرعة منين بدنا نبوسك.

٨٦ـ جارك القريب ولا أخوك البعيد.

٨٧ـ جارك اللي بتصابحو لا تقابحو.

٨٨ـ جبنا الأقرع تيونسنا، كشف عن قرعته وخوفنا.

٨٩ـ الجمل لو شاف حدبتو، وقع وكسر رقبتو.

٩٠ـ الجود من الموجود.

٩١ـ الجار قبل الدار.

٩٢ـ جارك مثل أخاك، إن ماشاف وجهك بشوف قفاك.

٩٣ـ الجنازة حاميه والميت كلب.

٩٤ـ جابوا الخيل تيحدوها، إجا الفار ومد إيدو.

* * *

٩٥ـ الحسن أخو الحسين.

٩٦ـ الحمل إذا تفرق بهون.

٩٧ـ الحجر بمحلو قنطار.

٩٨ـ الحظ من الله.

٩٩ـ حزين ووقع بسل تين.

١٠٠ـ حبل الكذب قصير.

١٠١ـ حط إجرك بمي باردة. (يضرب لإشاعة الطمأنينة).

١٠٢ـ حامل السلم بالعرض.

١٠٣ـ حط راسك بين الروس، وقول يا قطاع الروس.

١٠٤ـ حط الخبر بالشرش واعطيه لأهل الجش.

١٠٥ـ خذوا أسرارهم من صغارهم.

١٠٦ـ خير لاتعمل شر لا تلقى.

١٠٧ـ خبز شعير ومية بير وبصل حواكير، والصحة كيف بدها تصير.

١٠٨ـ خلّي الشلطلي يطلي. (الشلطلي: الشحار).

١٠٩ـ خليها بالقلب تجرح، ولا تطلع لبرّا وتفضح.

* * *

١١٠ـ دق الميّ وهي ميّ.

١١١ـ دود الخل منو وفيه.

١١٢ـ الديك الفصيح من البيضة بصيح.

١١٣ـ الدم مابصير ميّ.

١١٤ـ الدهر دولاب والأيام قلاّبة.

١١٥ـ الدراهم كالمراهم حُطّا عا الجرح يبرا.

١١٦- الدار قفرا والمزار بعيد.

* * *

١١٧- رد الشيء لأصلو بتحسبو ما كان.

١١٨- رجعت حليمه لعادتها القديمة.

١١٩- رزق بكره لبكره.

١٢٠- رخيص وكويس وابن ناس.

١٢١- الرزق الداشر بعلم الناس الحرام.

١٢٢- الرفيق قبل الطريق.

١٢٣- الرمد أحسن من العمى.

١٢٤- ركبناه ورانا عالفرس مد إيدو عالخرج.

* * *

١٢٥- زوج الولد بجيه ولد.

١٢٦- زوان البلد ولا القمح الجلب.

١٢٧- زمان أول تحول.

١٢٨- زت طاقيتك لفوق، وعبين ما تنزل فرج.

* * *

١٢٩- سنة مباركة وخير جديد.

١٣٠- سكّر بابك وآمن جارك.

١٣١- السلامة غنيمة.

١٣٢- سعد دابح ما بخلي ولا كلب نابح.

١٣٣- سعد السعود بيدفا المبرود وبتدور الميه في العود.

١٣٤- سعد الخبايا بتطلع الحيايا، وبتتفتل الصبايا.

١٣٥- السفرة بلا كبة، مثل الجامع بلا قبة.

* * *

١٣٦- شباط لو شبط لو لبط ريحة الصيف فيه.

١٣٧- شباط ما على كلامو رباط.

١٣٨- شي ما منو دخّانو بيعمي.

١٣٩- شاور اللي أكبر منك، واللي أصغر منك، وارجع لشور راسك.

١٤٠- الشر من شرارة.

١٤١- الشكوى لغير الله مذلة.

١٤٢- شرط في الحقل ولا حساب في البيدر.

* * *

١٤٣- صاحب الهرش يشد بذيلو.

١٤٤- صار لها زوج قالت أعور.

١٤٥- صام وصام وأفطر على بصله.

١٤٦- صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك.

١٤٧- الصبر مفتاح الفرج.

١٤٨- الصديق عند الضيق.

١٤٩- الصهر يا عز يا موكلة.

* * *

١٥٠- طنجرة ولاقت غطاها.

١٥١- طلطميس ما بيعرف الجمعة من الخميس.

١٥٢- طبّال في الدنيا زمار في الآخرة.

١٥٣- الطمع ضر ما نفع.

١٥٤- طحان ما بغير على كلاس.

١٥٥- الطويل بياكل تين، والقصير بموت حزين.

* * *

١٥٦- عطا الكريم لا يرد.

١٥٧- عام أول تحول.

١٥٨- عصفور باليد، ولا عشرة على الشجرة.

١٥٩- عايش من قلة الموت.

١٦٠- عيني فيه وتفو عليه.

١٦١- عد البيض في المقلى ولا تعد شهور الحبلى.

١٦٢- عيش يا كديش تيطلع الحشيش.

١٦٣- عزموا الحمار على العرس، قال: يا للمي يا للحطب.

١٦٤- عرج الجمل من شفته.

١٦٥- علمناه عالشحادة سبقنا علبواب.

١٦٦- عمل عالزبيبة حمارة.

١٦٧- عمل عالحبة قبة.

١٦٨- عجريرة الورد بيشرب العليق.

١٦٩- على عينك يا تاجر.

١٧٠- عليك بالجار ولو جار.

١٧١- عمرك لا تنام للنذل على حصيرة.

١٧٢- عز نفسك تجدها.

١٧٣- العين ما بتعلى على الحاجب.

١٧٤- العين بصيرة، والإيد قصيرة.

١٧٥- العز للرز والبرغل شنق حالو.

١٧٦- العيرة موكل فيها ابليس.

١٧٧- العبد بالتفكير وا لله بالتدبير.

١٧٨- عيوبي ما براها، وعيوب الناس بركض وراها.

* * *

١٧٩- غالي وطلب رخيص.

١٨٠- غاب القط امرح يا فار.

١٨١- الغريق بيتعلق بحبال الهوى.

* * *

١٨٢- فرخ البط عوام.

١٨٣- في آذار بتساوى الليل والنهار، وبيجي الراعي محمل علحمار.

١٨٤- لا من شردو ولا من بردو، ولكن من جوعه طول النهار.

١٨٥- في آب اقطع القطف ولا تهاب. (القطف: عنقود العنب).

١٨٦- في أيار احمل منجلك واندار.

١٨٧- الفقير إن ركب على الجمل بعضو الكلب.

١٨٨- في الحركة بركة.

١٨٩- في تموز اقطع الكوز.

١٩٠- الفلاح فلاح ولو تعشى من العصر.

١٩١- الفرس من الفارس.

١٩٢- المرة من رجالها.

١٩٣- فص كر لا بينفع ولا بضر.

* * *

١٩٤- قاضي الأولاد شنق حالو.

١٩٥- قلبي على ولدي وقلب ولدي على الحجر.

١٩٦- قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق.

١٩٧- قيمة الكلب من قيمة صاحبو.

١٩٨- قالوا للحرامي: بدهم يحلفوك يمين.قال:إجاني الفرج.

١٩٩- قالوا للأرنب: كول لحم. قال: أسلم بلحماتي.

٢٠٠- قالوا يا فرعون مين فرعنك.قال: ما حدا ردّني.

٢٠١- القرد بعين إمو غزال.

* * *

٢٠٢- كل ديك على مزبلتو صيّاح.

٢٠٣- كل عنزة ومعلقة بعرقوبها.

٢٠٤- كل مرّة بتسلم الجرة.

٢٠٥- كثّر من المسألة وقلل من الدوارة.

٢٠٦- كل الجمال بتعارك، إلا جملك بارك.

٢٠٧- كلام الأسى، ما بينتسى.

٢٠٨- كلب خلّف جرو طلع أنجس من أبيه.

٢٠٩- كلب فلتان ولا سبع مربوط.

٢١٠- كول ودوم ولا تاكل وتصوم.

٢١١- الكحيلة ما بعيبها جلالها.

٢١٢- الكثرة غلبت الشجاعة.

٢١٣- كلب الشيخ شيخ.

٢١٤- كبر اللفت وتدور.

* * *

٢١٥- ليل الشتا طويل، بتحبل المرة فيه وبتلد.

٢١٦- لقيّة الفقير يا زر يا خرزة.

٢١٧- لا للسيف ولا للضيف ولا لعثرات الزمان.

٢١٨- ليوم الله بعين الله.

٢١٩- لا بد من شدة ولا بد من فرج، ولا بدّ أيام الهموم تزول.

٢٢٠- لا أحمر خد ولا أصل حد.

٢٢١- لا بهش ولا بنش.

٢٢٢- لا تنام بين القبور، ولا تشوف منامات وحشة.

٢٢٣- لولا الكاسورة ما عمرت الفاخورة.

٢٢٤- لولا الغيرة ما حبلت الأميرة.

٢٢٥- لباس ما بإجرو دكتو بأربعتعش.

٢٢٦- لولاك يا كمي، ما أكلت يا تمي.

٢٢٧- اللي بينظر إلك بعين، انظر له بالتنتين.

٢٢٨- اللي بياخد مالك خذ روحه.

٢٢٩- اللي بيضرب كف بلاقي أخوه.

٢٣٠- اللي بجنبو مسلّة بتنخزه.

٢٣١- اللي بيعرف بيعرف، واللي ما بيعرف بقول كف عدس.

٢٣٢- اللي ما بخاف من الله خاف منو.

٢٣٣- اللي ما بيعرفك بيجهلك.

٢٣٤- اللي ما تعود على البخور بتحرق طيزه.

٢٣٥- اللي بيسرق البيضة بيسرق الجمل.

٢٣٦- اللي مش على ترّو ورّو.

٢٣٧- اللي بيلعب مع القط بيلقى خراميشه.

٢٣٨- اللي ما داق المغراي، ما بيعرف شو الحكاي.

٢٣٩- اللي بتعرف ديتو طخّو.

٢٤٠- لقمة بالبطن ولا عشرة بالصحن.

* * *

٢٤١- المطرة بنيسان بتسوى السكة والفدان.

٢٤٢- مكتوب على ورق الخيار، اللي بيسهر بالليل بنام بالنهار.

٢٤٣- مال الخسيس بروح بطيز ابليس.

٢٤٤- مجدرة ولبن عافية على البدن.

٢٤٥- معهم معهم.. عليهم عليهم. (يضرب للإمّعة).

٢٤٦- مثل السفرجل كل مصة بغصة.

٢٤٧- مثل البرد أساس كل علة.

٢٤٨- مثل الحداد بلا فحم.

٢٤٩- مثل حية التبن بتقرص وبتلبد.

٢٥٠- مثل خبز الذرة مأكول مذموم.

٢٥١- ما بيعجبو العجب ولا الصيام في رجب.

٢٥٢- من شكلو وشكشكلو، ومن ذيلو واعصب عينو.

٢٥٣- مثل مقص السكافي ما بقص إلا على نجاسة.

٢٥٤- من جرب المجرب كان عقله مخرب.

٢٥٥- مثل صوف الكلاب ناعم نجس.

٢٥٦- مين أخبر فيك، ربك وجارك.

٢٥٧- من خلف ما مات.

٢٥٨- من ساواك بنفسو ما ظلمك.

٢٥٩- من برّا طقشة ونقشه، ومن جوّا خرا محشي.

٢٦٠- ما في سحره وصلت لرّبا، إلا إجت نسمة هوا تثبّا.

٢٦١- متل دهن الخنزير، لا بيطبخ ولا بنير.

٢٦٢- ما حدا بيجي من الغرب وبسر القلب.

٢٦٣- مِد بساطك على قد رجليك.

٢٦٤- ما بيقدر للبقرة بناطح العجلة.

٢٦٥- مكتوب على ورق البلوط، ما خالة حبت قاروط.

٢٦٦- ما دام النصراني صايم، ما دام البرد قايم.

* * *

٢٦٧- النايم كالميت.

٢٦٨- الناقة ناقة ولو هدرت.

٢٦٩- الناس مع الحيط الواقف.

٢٧٠- نجار وبابو مخلّع.

٢٧١- نبعة نزازة ولا نهر مقطوع.

٢٧٢- نام بالغيظ ولا تصبح على الندامة.

٢٧٣- نص البطن بيغني عن ملاتو.

٢٧٤- نوم السراري، للضحى العالي.

* * *

٢٧٥- هالخد معلم على اللطم.

٢٧٦- هاي عيني وهاي أختها.

٢٧٧- الهرب تلتين المراجل.

٢٧٨- هين اقدامك، ولا تهين لسانك.

٢٧٩- هالتشريبه ملايمة ها المداس.

٢٨٠- هلّي بحط فلوسه، بنت السلطان عروسه.

٢٨١- هلّي بياخذ أمي بيصير عمّي.

٢٨٢- واحد حامل ذقنو والثاني تعبان فيها.

٢٨٣- الولد ولد ولو صار قاضي بلد.

٢٨٤- الوحدة عبادة.

٢٨٥- الوجع ما بيجع إلا صاحبو.

٢٨٦- وردة وخلّفت عليقة.

٢٨٧- وين ما شفت الأعمى طبّو، ما نك أرحم من ربو.

* * *

٢٨٨- يللي مثلنا تعو لعنا.

٢٨٩- يا مستعجل وقّف تقلّك.

٢٩٠- يا ما كسّر هالجمل بطيخ.

٢٩١- الإيد اللي ما بتقدر تكسرها، بوسها وإدعي عليها بالكسر.

٢٩٢- يا بطخو يا بيكسر مخو.

٢٩٣- يا خوف عكا من هدير البحر.

٢٩٤- يا شايف الزول يا خايب الرجا.

٢٩٥- يا آخد القرد على مالو، بروح المال وبظل القرد على حالو.

٢٩٦- يا داخل بين البصلة والتومة، ما بنوبك إلا الريحة المشومة.

٢٩٧- يا داخل بين البصلة وقشرتها، ما بنوبك غير ريحتها.

٢٩٨- يا ما بيطلع من السواهي دواهي.

٢٩٩- ياكل الطعم وبشخ على السنارة.

* * *

الأستاذ حسن نمر أيوب

الأستاذ خالد محمود عزام
مدير مدرسة

الأستاذ محمد حسين عزام
مدير مخيم

المراجع والمصادر

١ـ أحمد سامح الخالدي ـ أهل العلم والحكم في ريف فلسطين ـ عمان ١٩٦٨م.

٢ـ أحمد سوسة ـ العرب واليهود في التاريخ ـ دمشق ١٩٧٣.

٣ـ أنيس صايغ ـ بلدانية فلسطين المحتلة ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٨م.

٤ـ أدوارد روبنصون ـ يوميات في لبنان ـ ترجمة أسعد شيخاني ـ دار المكشوف، بيروت ١٩٤٩/ ١٩٥٠م.

٥ـ ابن منظور المصري ـ لسان العرب ـ الجزء السادس ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان.

٦ـ التميمي والكاتب ـ ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي ١٣٣٥هـ.

٧ـ البلاذري ـ فتوح البلدان.

٨ ـ انجيل متى ـ الكتاب المقدّس.

٩ـ العماد الأصفهاني ـ الفتح القسي في الفتح القدسي ـ الدار التومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ تحقيق الأستاذ محمد محمود صبح.

١٠ـ الأب ميشيل يتيم ـ حياة يسوع المسيح ـ حلب ١٩٦١م.

١١ـ الأب فردينان توتل اليسوعي ـ رحلة يسوعية في بلاد الجليل الأعلى ـ مجلة الشرق ـ المجلد (٢١).

١٢ـ الأب كوتير المخلصي ـ هؤلاء أبناؤنا المخلصيون ـ المطبعة البوليسية ـ جونية ١٩٨٣م ـ لبنان.

١٣ـ الفيروزبادي مجد الدين ـ القاموس المحيط ـ الجزء الثاني ـ مصدّر ١٩١٣م.

١٤ـ الموسوعة الفلسطينية ـ الجزء الثاني.

١٥ـ الخوري بولس قزالي ـ فخر الدين المعني الثاني ـ مطبعة حريصا ـ بيروت ١٨٨٣م.

١٦ـ المطران يوسف الدبس ـ تاريخ سوريا ـ المجلدان الثاني والثالث.

١٧ـ القس شنودة السرياني ـ الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ـ القاهرة ١٩٧١م.

١٨ـ الشعب الأردنية ـ السنة الأولى ـ العدد (١٦) ٧ آذار ١٩٧٦، عمان، الأردن.

١٩ـ المنجد في الأعلام.

٢٠ـ بطرس البستاني ـ دائرة المعارف ـ المجلد الرابع.

٢١ـ توفيق أبو معيلق ـ النقب والقبائل البدوية في فلسطين ـ ١٩٩٠م دمشق ـ مطبعة ابن خلدون.

٢٢- جايمس هنري بريستد - العصور القديمة - ترجمة داوود قربان - المطبعة الامريكانية - بيروت ١٩٣٠م.
٢٣- جون ويلسون - الحضارة المصرية - تعريب أحمد فخري - القاهرة ١٩٥٥م.
٢٤- جورج حداد - المدخل الى تاريخ الحضارة - مطبعة الجامعة السورية.
٢٥- جريدة الثورة السورية - السبت ١٨/١٢/١٩٧٦م - دمشق - سوريا.
٢٦- خليل خلايلي - أحزان الصمة القشيري - دمشق ١٩٩٢م.
٢٧- خليل خلايلي - بانتظار الريح الشرقية -
٢٨- سفر القضاة - الفصل الأول - بيروت ١٩٦٠م.
٢٩- سفر تثنية الاشتراع - الفصل العشرون.
٣٠- سفر يشوع - الفصل السادس.
٣١- سفر يشوع - الاصحاح الحادي عشر.
٣٢- ستيفن رينسمان - تاريخ الحروب الصليبية - الجزء الاول - ترجمة الدكتور السيد الباز العريني.
٣٣- شيخ الربوة - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر.
٣٤- صبحي ياسين - الثورة العربية الكبرى في فلسطين - القاهرة ١٩٦٧م.
٣٥- د.طومسون - The land and the book- ترجمة محمود العابدي.
٣٦- عبد المعين الملوحي - مقدمة من أحزان الصمة القشيري - للشاعر خليل خلايلي - دمشق ١٩٩٢م.
٣٧- غوستاف لوبون - اليهود في تاريخ الحضارات الاولى - ترجمة عادل زعيتر - القاهرة ١٩٥٠م.
٣٨- د.فيليب حتي - تاريخ سوريا - الجزء الاول - حريصا - ١٩٥٨م - لبنان.
٣٩- قسطنطين باشا - حياة المطران غريغوريس حجار - المطبعة المخلصية - ١٩٤٠م لبنان.
٤٠- قاموس الكتاب المقدس.
٤١- د. لويس لورتة - مشاهدات في لبنان - ترجمة كرم البستاني - منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة - بيروت ١٩٥١م.
٤٢- محمود العابدي - صفد في التاريخ - عمان ١٩٧٧م - جمعية المطابع التعاونية .
٤٣- محمود العابدي - من تاريخنا - عمان ١٩٦٣م.
٤٤- محمد جابر آل صفا - تاريخ جبل عامل - دار متن اللغة - بيروت - لبنان.
٤٥- محمود نعناعة - الاسكندر المقدوني - مجلة الثقافة - السنة الاولى - العدد الثاني - ليبيا.

٤٦- محمود نعناعة - الثقافة العربية - مجموعة مقالات - السنة الأولى - العدد (١١) و(١٢) ايلول وتشرين أول ١٩٧٤م.
٤٧- مصطفى مراد الدباغ - بلادنا فلسطين - الجزء السادس ق٢ - دار الطليعة بيروت ١٩٧٤م.
٤٨- مصطفى مراد الدباغ - بلادنا فلسطين - الجزء الاول - بيروت ١٩٦٥م.
٤٩- مصطفى العباسي - الجش سنديانة الديار الصفدية - الجش ١٩٩٤م.
٥٠- ميخائيل مشاقة - مشهد العيان بحدث سوريا ولبنان - القاهرة ١٩٠٨م.
٥١- ميخائيل بالومبو - كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام ١٩٤٨ م - دار الحمراء - ١٩٩٠م بيروت.
٥٢- ميخائيل نقولا الصباغ العكاوي - تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني - مطبعة حريصا - بيروت.
٥٣- مجلة فلسطين - الهيئة العربية العليا - العدد (٢٢) تموز ١٩٦٣م.
٥٤- مجلة الوقائع الفلسطينية - ١٩٦٣م.
٥٥- مجلة الأديب البيروتية - أبريل ١٩٧٤م - معروف الدواليبي.
٥٦- هاني الهندي - جيش الانقاذ - دار القدس - بيروت ١٩٧٤م.
٥٧- ياقوت الحموي - معجم البلدان - المجلد الثاني - بيروت ١٩٥٦م.
٥٨- يوسيفوس. JERUSALEM AND ROME
٥٩- The Journey's and Deed's of Jesus Christ –ilgrim's Map of the Holy Land. Jerusalem 1943.
٦٠- المطران يوسف الدبس - تاريخ سوريا - بيروت - المطبعة العمومية الكاثوليكية ١٨٩٩م.

فهرس الأماكن والبلدان

أثينا: ١١٢-١١٣

الأرجنتين: ٢٣-١٤٤-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٩

الأردن: ٥٠-١١٩-١٢٢-١٢٦-١٣٦-١٦٣-١٧٦-٢٣١

أرض كنعان: ٧٩-٨٠

أرواد: ١٢٦

أريحا: ٦٥-٧٧

أزمير: ١٦٦

الأستانة: ١٣٤-١٣٦

استنبول: ١٢٩-١٣٠-١٣٢-١٣٧-١٥٧-١٦٦

اسكندرونة: ٨٥

الاسكندرية: ٨١-٨٤-٨٥-٩٥-١٠٣-١١٢

أفاميا: ٨٥

أفيق: ٦٠

اكزيب: ٦٠

ألمانيا: ١٤٩-١٧٤

أمريكا: ٢٣-١٤٩-١٥٢-٢٢٠

أم قيس: ٨٥

انطاكيا: ٨٧-٨٩-٩٦-١١٠-١١٣-١٢٣-١٢٤-١٢٦

أوربا: ٤٣

أورشليم: ٧٦-٧٧-٨٢-٩٣-٩٦-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٦-١١١-١١٢-١١٣-١١٤

أونة: ٣٣

ايطاليا: ٤٧-٥٠-١١٠-١٤٩

بابل: ٧٧-٧٩-٨١-٨٣

باريس: ٢٣

باقو: ١٥١

بانياس: ١٠٩-١٢٤-١٢٩

بحمدون: ٢١

البرازيل: ٢٣-١٤٤

برج البراجنة: ١٩٧-١٩٨

برعام: ٥١

بركة الشموط: ٢٦

بريطانية: ١٨٠-١٤٩

بغداد: ١٢٣

بعقلين: ٣٢

البقاع: ٨٣

البقيعة: ١٧٠

بلغاريا: ١٤٦-١٤٩-٢٦٥

البلقان: ٤٣

بنت جبيل: ٥٠-٨٣-١٣٨-١٥٠-١٨٣-١٩٣

بوينس أيريس: ١٥٥

البيادر: ٢٧-٢٨

البياض: ١٣-١٦-٢٨

بيت جبرين: ٨٥

بيت جن: ١٨-١٤٥-١٧٠-١٧١

بيت حنانيا: ١١٢

بيت شمس: ٦٠

بيت عنات: ٦٠

بيت لحم: ١١٠

بيت المقدس: ١٢٣-١٢٥-١٢٦-١٣٧-١٦٦-١٦٧

بير الشيخ: ٢٧

بيروت: ٢٣-٩٦-١٠١-١٢٦-١٢٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٥-١٥٢-١٥٧-١٦٣-١٨٩-١٩٣-١٩٧-٢١٧

بيسان: ٩٠-٩٥-٩٩-١١٩

تبريز: ١٢٨

تبنين: ١٢٤

ترشيحا: ١٧٠-٨٧-١٩١

تل وقاص: ٦٦

جازر: ٦٦

جبل الجرمق: ٩-١٣-١٧-١٨-٢١-٢٢-٢٧-٤٢-٥٥-٦٢-١٦٨-١٨٣-١٨٥
جبل الزابود: ١٧-٤٢
جبل عامل: ٩-٢٩-١٣٦-١٧٥
جبل عرمون: ٩٦
جرش: ١٠٢-١١٩
جدين: ١٨٧
جرن حلاوة: ٧٠-١٦٨
الجدار: ١٥
جلعاد: ٧٥
الجليل: ٢١-٧٢-٧٥-٨٣-٩٨-١٠٧-١١١-١٢٤-١٣٢-١٨١-١٨٩
جنين: ١١٩
جوش أرثيوسا: ٨٥
جوش أمرتيم: ٧٢
جوش حالاف: ٧٥-٧٩
جوش عصيون: ٦٢-٧٢
جولان: ١٨-٨٣-١١٩-١٨٦-٢٦٥
جيرازا: ٨٥
الحارة: ١٣٣
حاصور: ٦٨-٦٩
حبرون: ٦٦
حرمون: ٩-٢١-٤٩
حلب: ٣٩-٨٥-١٢٨-١٢٦-١٢٩-١٤٤-١٥١-١٥٥-١٥٩-١٩٣-١٩٧
حلبة: ٦٠
حماة: ١٢٦-١٢٨-١٣٣-١٤٤-١٥١-١٥٥-١٩٣-١٩٧-٢٢٢
حمص: ١١٩-١٥١-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٨٩-١٩٣-١٩٤-١٩٧-٢٢٠
الحميمة: ٥٧
الحنداج: ١٣-٢٩-٥١
حوران: ٨٣-١٣٢-٢٢٠
الحولة: ١٣-١٨-٤٩-٥١-١٢٤-١٢٩-١٣٣-١٥٠-١٦٨-٢٩٢
حيفا: ٢٢-١١٩-١٢٤-١٥١-١٧٢-١٩٤-١٩٥-٢١٩-٢٥٣-٢٥٦-٣٤٦-٣٤٧-٣٥٠-٣٥٤-٣٥٦
خلة: ١٣-١٥

الخليل: ١٢٦-٢٠٧
الخيش: ٦٦
دالتون: ٤٦
دبة ظهر الحمار: ١٣-١٥-٢٧
دبير: ٦٦
درعا ١١٧-١١٩
دلاثة: ١٤-١٦-٣٥-٤٦-١٦٧-١٧٢-٨٩
دمشق ١٠-٣٧-٧٥-١١٢-١١٩-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٨-١٢٩-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٤٤-١٥٠-١٥٥-١٥٦-١٥٩-١٦٥-٢١٧١-١٨٩-١٩٧-٢٢٥-٢٦١-٣٤٩
دورا: ٨٩
دير حنا: ٢١٧
دير القاسي: ١٧٠-١٨٧
دير القمر: ١٢٩
الرأس الأحمر: ١٤-١٦-٢٧-٢٨-٣٥-١٦٧-١٨٣-١٨٧-١٩١-٣٥٠
راشيا: ١٣٢
رجوب: ٦٠
الرقة: ٢٢١
الرحراح: ١٥
الرشيدية: ١٩٧-١٩٨
رميش: ١٣٠-٢١٧-٢٨٧
الرها: ٨٩
رسالبو سانتافيه: ١٥٤-١٥٥
روسيا: ١٤٩-١٥٠
روما: ١٠٤-١١٠-١١٥-٩٢-٩٥-١١٤
الريحانية: ٣٥-٤٧-٤٨
الرينة: ١٤٣
زابلون: ٦٢
السامرة: ٧٥-٩٠
سبطية: ٧٢-٧٥-٩٠
سحماتا: ٤٤-١٧٠-١٩١
سراجيفوا: ١٤٩

سعسع: ١٨-٢٨-٣٥-٥٢-٥٥-٥٦-٥٧-١٢٤-١٧٠-١٨١-١٨٧-١٩٠-١٩١-٢١٧-٢٢١-٢٢٨
السفربرلك: ٣٨
السوري: ٢٨-٢٩
سورية: ٣٧-٣٩-٥١-٨١-٨٩-٩٦-١١٣-١٤٥-١٥٢-١٥٣-١٦٧-١٧٢-١٧٦-١٩٠-١٩٧-٢٢٠-٢٢٤٧-٢٤٠-٣٤٩-٣٥٠
سيدني: ١٣٥
سيناء: ٦٤
الشاغور: ١٤-٦٢
شارونة: ٧٥
الشجرة: ١٤٣
الشقيف: ٦٢-١٢٩
شكيم: ٧٥
الشواغير: ١٣-١٤
الشوط: ١٥-٢٢-٢٧-٢٨
الشوف: ١٣٣
صفد: ١٠-١٨-٢٢-٢٨-٤٢-٤٤-٤٨-٥٥-٦٠-٦٢-١١٩-١٢٤-١٢٥-١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣٢-١٣٣-١٣٧-١٣٨-١٤٢-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٦٠-١٧٠-١٧٥-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٩١-١٩٥-٢١٧-٢١٩-٢٢٩-٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠-٣٥٤
الصفصاف: ١٤-١٦-١٨-٣٥-٣٦-٥٦-١٣٨-١٦٧-١٧٠-١٧١-١٧٤-١٨٠-١٨٦-١٨٧-١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٦-٢٩١-٣٤٩
صفورية: ٨٥-٩١-٩٩-١١٩
صلحة: ٣٥-٥٠-٥١-١٨٧
صور: ٩-٨٢-٨٥-٩٦-٩٥-١١٩-١٢٣-١٢٦-١٢٩-١٩٣-١٩٧-١٣٥-١٩٧-١٩٨
صوفر: ٢١
صيدا: ٥٦-٩٢-١١٦-١٢٦-١٢٩-١٣١-١٣٥-١٣٨-١٤٥-١٤١-١٩٣-١٩٧
صيدون: ٦٠
طبريا: ٩-١٤-١٨-٦١-٩١-٩٩-١٠٨-١١٦-١١٩-١٢٤-١٣٣-١٢٩-١٤٢-١٧٠-٢١٩-٢٣١-٢٥٣
طرابلس: ٣١-٨٣-١٢٣-١٢٦-١٤٤-١٥١-١٥٢-١٩٣-١٩٧-١٩٩-٢٠٠
طرسوس: ١٠٩

طرطوس: ١٨٤
طفس: ٢١٧
طوروس: ٨٠-١٠٠-١١١
طيطبا: ١٤-١٦-٢٨-٣٥-٤٤-٤٦-١٦٧-١٧٢-١٨٣-١٨٩
عابريا: ١٣-١٤-١٦-٢٧
عالبا: ٢١
العباسية: ٢١٧
عجلون: ٦٦
عراية: ١٣
العراق: ١٦٦-١٩٠
العرايس: ١٤-١٦٨
كورش: ١٦-٢٦
عسقلان: ٩٠-٩٥
عكا: ٢٢-٢٦-٢٨-٦٠-٨٥-٩٥-٩٦-٩٩-١١٩-١٢٣-١٢٦-١٢٩-١٣١-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٤٥-١٥٩-١٦٠-١٦٣-١٧٢-١٧٣-٢١٧-٢١٩-٢٦٩-٢١٩-٢٦٩-٢١٩-٢٦٩-٢١٩-٢٦٩-٢١٩-٢٦٩-٢١٩-٢٦٩-٢١٩-٢٦٩-٣٤٧
العقبة: ١٤-٢٧-٣٦
علما: ٣٥-٤٨-٤٩-٥٠
عمان: ٨٥
عنجر: ٨٣-٨٥
العنقور: ١٢-٣-١٦-٢٦-١٤٥-١٨٨
عين ابل: ١٣٠-١٤٤-٢١٧
العين الباردة: ١٦-٥٦
عين الحزان: ١٦
عين الحلوة: ٣٧-٥٦-٤٧
عين الزيتون: ١٨١-١٨٩
عين زيتيم: ١٨١-١٨٤
عين سوف: ٢٨
عين المقيبسة: ١٧-٢٨
غباطية: ٣٥-٥٧
غزة: ٦٧-٨٠-٨١-٨٢-٨٤-٩٠

الغور: ١٣-١٨
فرنسا: ٣٣-٩٢-١١٠-١٤٩-١٥٠
فلسطين: ٨٩-٩٠-٩٦-١١١-١١٩-١٣٣-١٤٦-١٥٢-١٦٦-١٦٣-١٧٠-١٧١-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٨٤-١٨٩-١٩٠-٢٨٥-٢٢٠-٢٣١-٣١٣-٢٥٣
قادس: ٦٢-٦٦
القاسمية: ١٣٨
قانا: ١٠٧-١١٩-١٢٩-١٣٥
القاهرة: ١٣٤
القامشلي: ١٧٧
قبرص: ١٧٤-١٧٥
قبلة: ١٥
قدس: ٦٢-٦٦-١١٩
قديثا: ١٤-١٦-٤٣-٤٤-١٣٨-١٦٧-١٧٢-١٨٣-١٩٥
قرطاجة: ٨٠
قسرين: ١١٩
قطرون: ٦٠
قيسارية: ٩١
قيصريه: ٩٥-٩٦-١٠٣-١٠٩-١١٢-١١٤-١٢٦
كابل: ٨١
الكرك: ١٢٦
الكرمل: ٦٧
كفر برعم: ٢٥-٢٨-٣٤-٣٥-٥١-٥٢-١٣٠-١٨٧-١٩٥-١٩٦-٣٤٧-٣٥٠
كفر مان: ١١٣
كفر كنا: ١٤٣
كفرنا حوم: ١٠٧
كليكيا: ٨٤-٨٩-١١١-١١٢-١٠٩
لبنان: ٣٧-٤٧-٥١-٨٩-١٥٣-١٦٧-١٧١-١٧٢-١٧٦-١٨٧-١٩٧-٢٢٠-٢٢١-٢٥٨-٢٦١-٢٦٥-٢١٣-٢٢٤-٢٣٩
لبنة: ٦٦
لوبية: ٥٦-١٤٣
اللجون: ١١٩
اللاذقية: ٨٥-١٨٤

المالكية: ٥٠-١٨٠
مارون الرأس: ٥١
ليون: ٣٣-٩٢
ليبيا: ٤٥-٥٠
مجد الكروم: ٢١٧
المدينة المنورة: ٢١٧
المرج: ١٤-٢٢
المراح: ٢٥-٢٦-٢٧
مرج عيون: ٦٢
مخيم البداوي: ١٣١
مخيم البص: ١٣٧
مخيم المية: ٣١-١٩٧
المزار: ٢١٧
مرسيليا: ٣٣
مصر: ٦٢-٦٣-٧٦-٨١-٨٣-١٢٦
المعضمية: ١٧-٢٩
معرة النعمان: ١٣٣
مقدونيا: ٧٩
موسكو: ٣٨
ميسرون: ٢٨-٣٥-٣٧-٤٢-٤٣-٥٦-١٦٠-١٦٧-١٨٣-١٨٦-١٩٠-١٩١-٣٤٧
ميسلون: ١٦٥
الميتا: ١٥٢-١٥٤
نابلس: ٧٤-١٠٧-١٢٦-١٣٧-١٤٥-١٥٢-١٦٧-٢٢٠
الناصرة: ٧٣-١٠-٦-١١١-١١٩-١٢٩-١٣٣-١٤٣
نبعة عبود: ١٦-٢٦
النبطية: ١٣٣
نبع البلاط: ١٧-٢٨-٥١-٢٩٢
النروج: ١٤٤
نعيت: ٨٥
نفتالي: ٦٢
النمسا: ١٤٩
نمورة: ١٣-١٥-١٧-٢٢-٢٧-٢٩٢

نهلول: ٦٠
النيرب: ٢٣-٣٩-١٥١-١٥٢-١٥٤-١٥٦-١٩١-٢٠٠-٢٢٠-٢٤١-٢٨٧-٣٤٩
نينوى: ٨١
الهلال الخصب: ٧٨
هلنسية: ٨٥-٨٧
حمدان: ٨١
هيردوس: ٩٠-٩٥-٩٨
وادي الظل: ١٣-١٧-٢٨-٢٧-٢٩٢
وادي عوية: ٥١
وادي قارة: ١٣-٣٥-٥٠-٥١-١٨٧
وادي ناصر: ١٣-٢٨
الوعرة: ٢٧
يارون: ٩-٢٨-٢٩-٥٠-٥٢-١٣٠-١٣١-١٣٩-١٩٣
يبوس: ٦٦
اليرموك: ٣٧-١٥٥-١٥٤
يافا: ٩٦-١٢٦-١٦٧-٢٢١
اليمن: ٣٧-١٥١
اليونان: ١٤٦
يبرون: ٥٠-٦٢

* * *

فهرس الأعلام[1]

خليل إبراهيم: ٢٥٢
جركس أحمد: ١٢٩
فتحي الأتاسي: ١٨٠
صفية محمد أحمد: ٢٩١
حسين علي أبو زينب: ١٧٦-٢٢١
حسين علي مصطفى قاسم أبو زينب: ١٧٢
حسين علي قاسم أبو زينب: ١٧٦
مرعي حسن أبو زينب: ٣٠-٣١
محمد مرعي حسن أبو زينب: ١٩٣-١٩٧-٢٨١
حسن مرعي حسن أبو زينب: ١٩٧
محمد حسن أبو زينب: ١٩٤
محمد مصطفى قاسم أبو زينب: ١٧٩
محمد مصطفى أبو زينب: ٣١
حسين مرعي حسن أبو زينب: ١٩٧
شيخة قاسم أبو زينب: ٢٣-١٧٢
محمد علي قاسم أبو زينب: ١٩٧
أحمد عوض أبو زينب: ١٥١
محمود قاسم أبو زينب: ٣٠-١٠٨
عائشة حسن أبو زينب: ٢٣
قاسم محمد أبو جوهر: ٢٨٣
حسين محمد أبو جوهر: ٢٨٣
حسين يوسف أبو جوهر: ٢٠٤
جميل قاسم أبو جوهر: ٢٠٧
أحمد أبو راضي: ٤٢
محمد أحمد أبو راضي: ٤٢
مقبل أبو راضي: ٤٢
ملحم: أبو راضي ٣٤-٤٢
مفضي أبو راضي: ٤٢
فخرية أبو راضي: ٤٢

(١) الفهرس حسب الحرف الأول من الكنية.

علي الأحمد: ١٤٥-١٥٩
حسين علي الأحمد: ١٥٩
ارسطو: ٨٤-٨٧-٩٠
كريم اسحق: ٢١٢
أكرم اسحق: ٢١٢
حليم اسحق: ٢١٢
كامل الأسعد: ١٧٥
أبو ذياب الأسدي: ١٤٤
ذيبة الأسدي: ١٤٤-١٥٠
علي الأسدي: ١٥٠
أشير: ٧١
مارون الياس: ٢١٣-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٨-٢٩٠
شربل لطيف الياس: ٢١١
الياس أسعد الياس: ٢٢٠
حنا لطيف الياس: ٢١١
حميد علي أيوب: ١٩٨
محمد نجيب أيوب: ١٩٨
محمود نجيب علي أيوب: ١٩٨
محمد علي أيوب: ١٩٩
أحمد عبد اللطيف أيوب: ٣١-٢٠٠
علي سليم أيوب: ٢٦٥
رجا محمد أيوب: ١٩٨
محمود عبد الله أيوب: ١٩٨
محمود أيوب أبو غنيم: ١٩٨
أحمد حسن أيوب: ١٩٤
اسماعيل محمود قاسم أيوب: ٢٠٣
حمد علي أيوب: ١٩٨
حسن نمر أيوب: ٣٢٦
خالد نمر قاسم أيوب: ٢٠٩
خزنة أيوب: ١٨٧
سليم علي أيوب: ١٧٤-١٩٨-١٩٨-٢٢١-٢٦٤
سعيد أحمد أيوب: ١٥٠

العماد الأصفهاني: ١٢٥
عبد الله الأصبح: ١٧٠-١٧١
محمد حمد أبو طالب: ٣٤٩
افلاطون: ٨٦
عزيز أفندي: ١٥٩
رئيف حنا الياس: ٢١٢
الياس لطيف الياس: ٢١٤
انطانس الياس حنا الياس: ٢١٣
الياس الياس: ٢٦١-٣٥٤
محمود قاسم أيوب: ١٦٩-١٧١
صبح قاسم أيوب: ١٧١
مصطفى أيوب: ١٥٦-١٦٩-٢٠٤
عبد الله أيوب: ١٥٦-١٧٤
صالح أيوب: ١٣٨-١٥٠
نمر قاسم أيوب: ٥٣
طه مصطفى أيوب: ٢٦٤
علي أيوب: ١٦٢-٢٢١
حسن نمر أيوب: ٣٢٦
محمود علي أيوب: ١٩٨
قيس إبراهيم أيوب: ٢٦٤
كريم أيوب: ٢٢١
محمود أيوب: ١٩٨
اسماعيل محمود قاسم أيوب: ٢٠٣
نمر حسن أيوب: ٢٠٣
حميدعلي أيوب: ١٩٨
يوسف أيوب: ٢١٣
شارلي جميل أيوب: ٢١٤
جريس رضا سعدي أيوب: ٢١٤
قاسم صبح أيوب: ١٩٤
طه أيوب: ١٩٤-٢٣٩
فارس نجيب علي أيوب: ١٩٤
علي محمود قاسم أيوب: ١٩٤

أحمد حسن أيوب: ١٩٤
قاسم نجيب علي أيوب: ١٩٤
محمد أيوب أبو غنيم: ١٩٨
معن أيوب: ٣٥٠
سمعان الياس أيوب: ٢٤١
أمون رع: ٨١-٨٢
صلاح الدين الأيوبي: ٩-٢٩-١٢٥-٢٢١
بابل: ٣٦
باتيس: ٨١
شمعون باربوخاي ٤٣
جلال برقوق: ١٨٠
محمد علي باشا: ٢٤-١٤٥-١٥٨
يوسف أيوب نجيب: ٢١٣
علي سعد المعروف بالبلطجي: ١٥٠
مصطفى بدوي: ٢٨٧
البلاذري: ١١٨-١١٩
بركات جريس بركات: ٢١٣
ريمون جريس بركات: ٢١٣
عبد الله البستاني: ٢٥٨
مرعي حسن بلشة: ٤١
قاسم محمد بليبل: ٢٠-٢٢٢-٢٦٤
أحمد عبد الحليم بليبل: ٢٢٢-٢٨٦
محمد عبد الحليم أحمد بليبل: ١٥٣-١٥٧
بنيامين: ٧٥-٨٨
بنوخذ نصر: ٦٣-٧٦-٧٧
ادارد بنصون: ١٤-٢٩-٣٦-٤٢-٤٤-٥٢-٥٧
الياس بنورة: ٢٨٣
سليم علي البواب: ١٦
الظاهر بيبرس: ١٢٥-١٢٦
تيطس: ٦٢-٩٥-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١١٥
عبد الحميد الثاني: ١٤٥-١٤٩
فخر الدين المعني الثاني: ١٢٩-١٣٠-١٣٢-٢١٧-٢١٨

رعميس الثاني: ٦٣
الجاحظ: ٢٣٢
سمعان جبران: ٢١٩-٢٥٦-٢٦٤-٢٨٨
جميل سعيد جبران: ٢١١
جابر سعيد جبران: ٢١٢
جبران حبيب جبران: ٢٦٤
فوزي جبران: ٢٦٤
أسعد يوسف جبران: ٢٦٤
زكي جبران: ٢٥-٢١٩-٢٢٢-٢٦٠-٢٦١-٣٥٤
عيسى رضا جبران: ٢١١
ريمون فوزي جبران: ٢١١
سيمون فوزي جبران: ٢١١
حنا جبران جبران: ٢١١
أو عبيدة الجراح: ١١٨
أحمد باشا الجزار: ١٣١-١٣٤
حسن باشا الجزائري: ١٣٤
يوحنا بن لاري الجشي: ٢٥-٩١-٨٨-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٤-١٠٦-١٠٩
شمعون بن جشاي: ٣٤٧
مطانس الجشي: ١٤٤-٢٨٦-٢٨٧
غسان جديد: ١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦-١٩٣
فؤاد جديد: ١٨٤-١٨٦-١٩٣
حسني جوهر: ٢٠٠
طعمة الحاج: ٢٥٨-٣٥٠
عثمان حاجو: ١٨٠
الياس ميخائيل حبيب: ٢١٢
حبيب جبران حبيب: ٢١١-٢١٨-٢٦٤
يوسف ميخائيل حداد: ٢١٣
أيوب سليم حداد: ٢١٣
لبيب ميخائيل موسى حداد: ٢١٣
الياس إبراهيم سليم حداد: ٢١٢
نخلة حداد: ٢٦٠
عزيفوريس حجار: ٢٥٦

المطران حجار: ٢٨٤-٢٨٨
محمد مرعي حسن: ٤٠
عبد الله مرعي حسن: ٤٠
عبد مرعي حسن: ٤٠
شرحبيل بن حسنة: ١١٨-١١٩
محمد أمين الحسيني: ١٦٦-١٦٧-١٧٤
زهرة الحسيني: ١٥٩
فيصل بن الحسيني: ١٦٥
صالح حليحل: ٢٦٠-٢٦٤
محمد حليحل: ١٩٥
هندية عبد الله حليحل: ١٨٨
عطا خالد حليحل: ١٨٨
محمد أحمد حمزة: ٤١
أحمد محمد حمزة: ٤١
محمد حزو: ١٩٨
اسماعيل سليم حمد: ٤٠
أحمد اسماعيل حمد: ٤٠
محمود اسماعيل حسن: ٤٠
محمد ذيب حمد: ٤٠
قاسم سليم حمد: ٤٠
أحمد أسعد حمد: ٤٠
علي أسعد حمد: ٤٠
حسن حميدة: ٣٤٩
سعيد الحطيني: ٢٩١
رضا أيوب حوا: ١٨٨
أكرم الحوارني: ١٨٠
حسين موسى حوارني: ١٩٤
سعد الخالدي: ١٧١
مراد الخامس: ١٤٥
عاطف سعيد خربش: ٢١٣
فايز سعيد خربش: ٢١٣
انطون يوسف حبيب خربش: ٢١٣

حنا يوسف حبيب خربش: ٢١٣
ربيعة الخضراء: ٣٥٤
عمر بن الخطاب: ١١٩
أحمد علي الخطيب: ٤٦
أحمد علي أحمد الخطيب: ٢٦٥
أحمد عبد الحليم الخطيب: ٢٥٢-٣٥١
نزهة الخطيب: ١٨٨
نجية الخطيب: ١٨٨
فؤاد علي الخطيب: ٢٠٠
سمير الخطيب: ٣٥٠
الخليل: ١٦٧
الشيخ حسن خليل: ٤-١٣-٢٣-٢٥٢
محمد أحمد خليل: ١٥٨-١٥٩
علي أحمد الخليل: ١٤٤-١٥٩
شحادة قاسم أحمد الخليل: ١٤٧
محمود أحمد خليلي: ٢٦٤-٢٨٣-٣١١
محمود محمد أحمد خليلي: ٢٦٤
محمد أحمد خليلي: ٢٦٤
محمود يوسف أحمد خليلي: ١٩٩-٢٦٤
أحمد خليل خليلي: ٢٦٤
فاطمة قاسم خليلي: ٢٦٦
عبد اللطيف محمد أحمد خليلي: ٢٨٨
قاسم محمد أحمد الخليلي: ٢٠٣
محمد عبد اللطيف الخليلي: ١٧٩-٢٠١
محمد قاسم الخليلي: ٢٠٩
محمد محمود حسن حسين الخليلي: ٢٠٤
محمود حسن حسين الخليلي: ٢٣٨
محمود محمد كامل الخليلي: ٢٠٧
محمد كريم يوسف الخليلي: ٢٠٧
محمود يوسف أحمد الخليلي: ١٩٩
محمد علي محمود ابراهيم: ٢٠٦
أحمد قاسم جوهر خليلي: ٢٢٩

أحمد قاسم شحادة خليلي: ٢٠٩
أحمد علي محمود خليلي: ٢٠٦
أحمد محمد حسين كريم الخليلي: ٢٠٧
أحمد محمد عبد اللطيف الخليلي: ٢٠٧
أحمد محمد يوسف الخليلي: ٢٠٧
محمد ابراهيم يوسف الخليلي: ٢٠٤-٢٠٧
أحمد خليل أحمد الخليلي: ٢٠٣
محمد أحمد شحادة الخليلي: ٢٠١
محمد يوسف أحمد الخليلي: ٢٠٤
محمد علي محمد الخليلي: ٢٠٣
رمزي محمد عبد اللطيف الخليلي: ٢٠٧
زهرة محمد أحمد الخليلي: ١٩٤
زياد علي محمود الخليلي: ٢٠٦
علي قاسم شحادة الخليلي: ٢٠٩
علي أحمد شحادة الخليلي: ٢٠٣
علي حسن محمد الخليلي: ٢١٠
علي محمود يوسف الخليلي: ٢٠٦
علي كريم يوسف الخليلي: ٢٠٧
عبد اللطيف محمد عبد اللطيف الخليلي: ٢٠٧
عمر محمد عبد اللطيف الخليلي: /
كريم محمد أحمد الخليلي: ٢٠٣
كريم يوسف الخليلي: ٢٠١
كامل عبد الغني محمد الخليلي: ٢٠١
حسن محمد حسن حسين الخليلي: ٢٠٣
خالد محمد شحادة الخليلي: ١٨٩
خالد قاسم شحادة الخليلي: ٢٠٩
خالد كريم يوسف الخليلي: ٢٠٧
قاسم أحمد شحادة الخليلي: ٢٠١
قاسم محمد جوهر الخليلي: ٢٣٩
قاسم محمد حسين الخليلي: ٢٠١
نبيل علي محمود خليلي: ٢٠٦
نزار علي محمود خليلي: ٢٠٦-٢٠٨

هشام علي خسين الخليلي: ٢٠٧
يوسف محمد يوسف الخليلي: ٢٠٧
يوسف محمد قاسم الخليلي: ١٨٧
أحمد محمد يوسف خلايلي: ٢٠٩
أحمد رشيد عمر الخليلي: ٢٠٩
أحمد علي حسين الخليلي: ٢١٠
أحمد محمد عثمان الخليلي: ٢٠٦
أحمد خليل أحمد الخليلي: ٢٠٣
ابراهيم خليل الخليلي: ٢٠٦
ابراهيم عثمان أحمد الخليلي: ٢٣-٢٠١-٢٧٠
حسين خالد حسين الخليلي: ٢١٠
حسين كريم حسين الخليلي: ٢٠٣
حسن خليل ابراهيم خليل الشيخ خلايلي: ٢٠٣
حسين عمر عبد اللطيف خلايلي: ٢٠١
حسين علي محمد خلايلي: ١٦-٢٠١-٢٣٨-٣٠٠
حسين محمد خلايلي: ٢٨٧
خالد يوسف ابراهيم خلايلي: ٢٠١
خالد محمد يوسف خلايلي: ٢٦٥
جمال محمد حسن كريم خلايلي: ٢٠٩
سرحان محمد حسين خلايلي: ١٦-٢٠٣
سعيد عمر عبد اللطيف خلايلي: ٢٠١
عبد اللطيف نمر خلايلي: ٢٠٨
عثمان محمد عثمان خلايلي: ٢٠٦
علي عمر عبد اللطيف خلايلي: ٢٠٤
علي خلايلي: ٢٠٠
علي يوسف ابراهيم خلايلي: ٢٠١
عثمان أحمد عثمان خلايلي: ١٩٣
علي محمد علي أحمد خلايلي: ٢٤٠
علي نمر قاسم خلايلي: ٢٦٥
غالب خليل خلايلي: ٢٠٦-٣٠١
فطوم عثمان الخلايلي: ١٩٣
قاسم عبد اللطيف محمد خلايلي: ١٩٩

قاسم محمد حسين خلايلي: ٢٠١
كامل حسين خلايلي: ٢٠٩
محمد محمود حسين خلايلي: ١٩٩
محمد يوسف ابراهيم خليل خلايلي: ١٩٩
ميسون خليل خلايلي: ١٢٠-٢١٠
محمد أحمد قاسم عبد اللطيف خلايلي: ٢٠٩
مازن كامل حسين خلايلي: ٢٠٩
محمد يوسف خلايلي: ٢٠٨
جميل نمر خلايلي: ٢٠٨
رشيد عمر عبد اللطيف خلايلي: ٢٠٤
مصعب خليل خلايلي: ٢٠٦
محمود محمد عثمان خلايلي: ٢٠٦
محمد عثمان أحمد خلايلي: ٢٠٣
محمود خلايلي: ٢٠٠
محمد حسين خلايلي: ١٧٣-٢٠٠-٢٤٠
محمد ابراهيم خلايلي: ٣٤٣
محمد سرحان خلايلي: ٣١١
مريم حسين علي خلايلي: ٣٠٠
محمد علي أحمد خلايلي: ٣٠-١٥١
محمد خلايلي: ٢٣
نهار خليل خلايلي: ٢٠٦
نظمية خلايلي: ٢٣-٢١٦
نوار خلايلي: ٢١٦
يوسف محمد يوسف خلايلي: ٢٠٩
إبراهيم يوسف أحمد الخلايله: ١٥٤
ابراهيم العبد الله الخلايله: ١٧٤
أحمد محمود صالح خلايله: ١٥٠
أحمد خليل أحمد خلايله: ١٥٤
أحمد شحادة خلايله: ١٧٣-١٧٤-١٧٥
حسين عمر الخلايله: ١٧٣
حسين كريم حسين علي أحمد خلايله: ١٥١
حسين جوهر خلايله: ١٥٣

عمر عبد اللطيف الخلايله: ١٥١-١٥٦-١٧٣-١٧٤
عثمان أحمد عثمان علي أحمد الخلايله: ١٥١
عيسى محمد أحمد الخلايله: ١٥٣
علي ابراهيم الشيخ الخلايله: ١٥٣
علي عمر الخلايله: ١٧٤
عبد اللطيف محمد أحمد خلايله: ١٥٤
علي أحمد خلايله: ١٥٨
قاسم محمد أبو جوهر خلايله: ١٥١-١٥٢-١٦٢
قاسم محمد أحمد خلايله: ١٥٤
سرحان محمد الخلايله: ١٧٤
سعيد عبد الغني محمد أحمد خلايله: ١٥٦
كريم يوسف أحمد الخلايله: ١٥٤
محمود جوهر خلايله: ١٥٣
محمد حسن حسين الخلايله: ١٥٣
محمد أسعد خلايله: ١٧٤
محمود يوسف خلايله: ١٥٤-١٧٣-١٧٤
محمد يوسف أحمد الخلايله: ١٥٤
محمد أسعد ياسين خلايله: ١٥٤
كامل خليل: ٢٨٦
محمد عبد اللطيف خلايله: ١٥٦
يوسف محمد جوهر الخلايله: ٢٤٠
يوسف ابراهيم الشيخ خلايله: ١٥٤
ابراهيم قلنون: ٢٦٠
يوسف خوري: ٢٥٨-٢٦١
مصطفى مراد الدباغ: ٤٣-٢٣٠
مراد مصطفى الدباغ: ٥١
يوسف الدبس: ٦١-٦٢
يوسف دخول: ٢٥٨
سطفان دخول: ٢٥٨
بين دونكمان: ١٩٠
بولس الرسول: ٨٨-١١١-١١٢-١١٣-١١٤
الشيخ رسلان: ٢٣

رحيمة: ١٦١-١٦٣
سمية رفول: ٢٢٩
موشيه زيلتسكي: ١٩
أحمد عوض زغموت: ٤٠
أحمد اسماعيل زغموت: ٤٠
أحمد محمد سعيد زغموت: ٤٠
عوض محمد زغموت: ٤٠
عبد الله محمد زغموت: ٤٠
ناصر أحمد زغموت: ٤٠
عمر حسن زغموت: ٤٠
عمر زغموت: ٣٧
محمد محمود زغموت: ٣٦-٣٧-٤٠-٢٩١
محمد طه زغموت: ٤٠
محمد كريم زغموت: ٤٠
محمد زغيب: ١٨٠
نخلة زكريا: ٢٥
عبد الكريم زهور: ١٨٠
قاسم زهرة: ١٦٩
حسني محمود زينة: ١٩٨
علي محمود زينة: ٢٨٣
حسين محمود زينة: ١٩٨
رعة أحمد زينة: ٣٨
حسن مصطفى قاسم زاحل: ١٥١
أحمد حمود زيدان: ١٨٧
أحمد سرحان زيدان: ٢٠٨
ابراهيم خليل أحمد زيدان: ٢٠٦-٣١٢
أحمد عمر زيدان: ٢٠٦
باسم علي خالد زيدان: ٢٦٥
رقية عمر زيدان: ٢٦٦
رشيد سعيد عبد الكريم زيدان: ٢٠٣
زيدان حسين نايف زيدان: ٢٠٩
زيدان محمود عمر زيدان: ٢١٠

حسين نايف عبد الكريم زيدان: ١٩٩
حسين محمود عبد الكريم زيدان: ٢٠٩
خليل أحمد عبد اللطيف زيدان: ١٥٦-٢٠٣
خالد سعيد عبد الكريم زيدان: ١٦-٢٠٤
خالد محمد سرحان زيدان: ٢٠٨
خالد ابراهيم زيدان: ٣١٢
سرحان أحمد حسن زيدان: ١٩٩-٣٤٣
سليم محمد سليم زيدان: ٢٠٦
سرحان أحمد حسن زيدان: ١٩٩
شريفة حمود زيدان: ١٨٨
فطوم سعيد زيدان: ٤٢-١٨٨
فاطمة سرحان زيدان: ١٨٨
عبد الكريم زيدان: ١٦١
عبد الله كايد نايف زيدان: ٢١٠
عبد اللطيف أحمد زيدان: ٢٠٨
علي عمر زيدان: ١٧٩
كايد نايف عبد الكريم زيدان: ١٥٦-٢٠٣
كفى سرحان أحمد زيدان: ١٨٩
كريم نايف عبد الكريم زيدان: ١٩٩
قاسم محمد سليم زيدان: ٢٠٦
علي أحمد حسن زيدان: ١٧٤
عادل محمد سعيد زيدان: ٢٥٦
محمود عبد الرحيم زيدان: ١٩٩
محمد سليم عبد اللطيف زيدان: ٢٠٣-٣١٢
محمد عمر زيدان: ٢٠٦
محمود عمر زيدان: ٢٠٦
محمود خليل أحمد زيدان: ٢٠٦
محمد سرحان زيدان: ٢٠٨
محمد ابراهيم زيدان: ٢٠٨
محمود حسين نايف زيدان: ٢٠٩
مصطفى ابراهيم زيدان: ٢٠٩
مصطفى أحمد زيدان: ١٩٤

محمد سعيد زيدان: ١٨٧-١٩٤
محمد محمود عبد الرحيم زيدان: ١٩٨
محمود عبد الرحيم زيدان: ١٩٩
مصطفى أحمد عبد اللطيف زيدان: ١٧٣
نمر أحمد حسن زيدان: ٢٠٣
الشيخ نمر أحمد حسن زيدان: ١٧٤
عيد زكنون: ٢٦٠
ظاهر العمر الزيداني: ٤٤-١٣١-١٣٢-١٣٣-١٣٤-٢١٩-٢٢١-٢٣٨
عمر الزيداني: ١٣٢
الزير سالم: ٢١-٢٣٦-٢٣٨
كهلان بن سبأ: ٣٢٠
حمير بن سبأ: ٢٢٠
بلتاغو نسالي سبيتان: ١٥٥
عبد الحميد السراج: ١٨٠
أحمد علي غنيم سعد: ٢٠٥
أحمد الشيخ عمر سعد: ١٥٣
ابراهيم أحمد سعد: ١٥١
ابراهيم محمد سعد: ٢٨٤
خليل أحمد ابراهيم سعد: ١٤٦-٢٢٠-٢٨٤
رشيد ابراهيم سعد: ٢٠٥
فطوم عبد الكريم سعد: ٣٨
عبد الكريم سعد: ٢٠٤
طه الشيخ عمر سعد: ١٥٣
محمد اسماعيل سعد: ٢٠٠
محمد ابراهيم سعد: ١٤٧-١٥٥-٢٠٥
محمد خليل أحمد ابراهيم سعد: ٢٠٥
محمد عبد الله سعد: ٢٠٠
محمود اسماعيل سعد: ٢٠٠
نمر عبد الكريم سعد: ١٧٩-٢٢٠
ياسين حسن سعد: ١٥١-١٩٤
أحمد سعيد سليمان: ٤٩
سليم الأول: ١٢٨

أمين درويش السلطي: ١٦٠
عمر بن سفيان السلمي: ١٢٠
امطانس سليمان: ٢٦٠
الملك سليمان: ٧٥
بشارة سليمان: ٢٥٨-٢٦١
عائشة أحمد سلامة: ٢٣
رضوان محمد سنداوي: ١٨٨
شريفة حمود سنداوي: ٢١٨٨
مريم سنداوي: ١٨٨
سقراط: ٨٦
شاول: ٧٤-٨٣-٨٨-١٠٩-١١٠-١١١
رشيد الشاعر: ١٧٠
أحمد ديب الشايب: ٤٦
ابراهيم أحمد شريدة: ٤١
أحمد محمود شريدة: ٤١
عبد الله أحمد شريدة: ٤١
عبد خالد شريدة: ٤١
سعيد خالد شريدة: ٤١
فخري أحمد شريدة: ٤١
نمر سعيد شريدة: ٤١
خليل ابراهيم شريدة: ٤١
محمد محمود شريدة: ٤١
أوليا شلبي: ١٣٠
خديجة محمد شحادة: ١٩٤
شيخة أحمد شحادة: ١٩٤
علي أحمد شحادة: ٢٩٠
قاسم أحمد شحادة: ٢٩١
يوسف الشقرا: ٢٤٠
شحادة زكريا شقير:
الياس زكريا شقير:
سمير رشيد شولي: ٢١٢
غسان رشيد شولي: ٢١٢

مبدي الظاهر: ٢٨٦
الياس عبود: ٢٩٣
خليل عبود: ٢٩٣
لطيف عبدوس: ٣٤٩
فريد أحمد عباسي: ٢١٢
سعيد عبد الكريم: ١٥٠
نايف عبد الكريم: ١٥٠
السلطان عبد العزيز: ١٤٥
محمد حسن عبد الله: ٤٨
طلال بن عبد الله: ٢٨٤
جلال محمد العبد كعوش: ٤٣
محمد العبد كعوش: ١٦٠
مصطفى عباسي: ٢٥٥
حسين عبد اللطيف: ١٨٠
عثمان أحمد عثمان: ٢٧٠
ابراهيم عثمان: ٢٧١
نظمية ابراهيم عثمان: ٢٩١
إبراهيم عزام: ١٩٧
أحمد محمود شحادة عزام: ٢٠٩
أحمد عزام: ٢٠٤
أحمد قاسم حمود عزام: ٢٠٢
أحمد عبد الغني عزام: ١٩٤
أحمد عبد الله عزام: ١٥٢-٢٠١
اسماعيل سعيد عزام: ١٥٦-٢٠٢
أسعد عزام: ٤٢
حسين نمر عزام: ١٩٤
حسين عبد الله عزام: ٢٠٢
حسين أحمد عزام: ٢١٢
خالد عبد الغني عزام: ٢٠٢
سرحان طه عزام: ٢٠١
سعيد شحادة عزام: ٢٠٢
سهام عزام: ٤٢

مارون رشيد شولي: ٢١٢
عباس مارون شولي: ٢١٢
بشير الشهابي: ١٣٢-١٣٧-١٣٨-٢١٧
حيدر الشهابي: ١٣٢
منصور الشهابي: ١٣٢
يوسف الشهابي: ٤٤
حسين علي شهينة: ١٦٩-١٧٣-١٧٤-١٧٥-٢٩٠
حسين أبو زينب المعروف حسين شهينة: ١٧٢
أديب الشيشكلي: ١٧٨-١٨٢-١٨٤
صلاح الشيشكلي: ١٨٠
يوسف بن إبراهيم الشيخ: ١٩٣-٢٥٢
بخور شطربت: ٢١٩
ميشيل مارون حداد: ٢١٣
يوسف حنا صادر: ١٨٨
الشيخ صالح: ١٣٨
صبري صادق: ٣٤٩
ابراهيم الصباغ: ١٣٤
عبد أحمد صبحة: ٤١
نايف صبحة: ٤١
محمد جابر الصفا: ٤٥
اسماعيل الصفدي: ١٢٨
هربرت صموئيل: ١٦٣
طومسون: ٤٤-١٤٠
حنا طنوس: ٢٦٤
ابراهيم حنا ظاهر: ٢١٤
الياس كمال ظاهر: ٢١٤
امطانس حنا ظاهر: ٢١٤
رئيف فؤاد ظاهر: ٢١٤
حنا الظاهر: ٢٢١-٢٦٠-٣٥١
سليم كمال ظاهر: ٢١٤
شفيق كمال ظاهر: ٢١٤
لطيف فؤاد ظاهر: ٢١٤

سمير محمود شحادة عزام: ٢٠٩
طه عزام: ٢٢٠-٢٢٢-٢٨٣
طه قاسم محمد شحادة عزام: ٢٠٩
علي أحمد عزام: ٢١٢
عمر أحمد عزام: ٢١٢
عزيز طه عزام: ٢٠١
علي محمود شحادة عزام: ١٨٨
علي عزام: ١٩٧
عزيز طه عزام: ٢٠١-٢٢٠
قصة حسن عزام: ٤٢.
فيصل أحمد عزام: ٢١٢
قاسم محمد شحادة عزام: ١٩٩
محمود عزام: ١٦٩-٣٢٦
محمود أحمد عبد الله عزام: ٢٢٠
محمد سعيد عزام: ١٥٥-١٧٠
محمد عبد الله عزام: ١٥٥-١٨٨
محمد عبد اللطيف عزام: ١٥٥
مريم محمود عزام: ١٩٤
محمد محمود شحادة عزام: ١٩٩
محمد عزام: ١٩٩
محمود عبد الله عزام: ٢٠١
محمد ابراهيم عزام: ٢٦٥
محمد حسين عزام: ٣٢٦
محمود محمد عبد الله عزام: ٢٠١
محمد محمود نمر عزام: ٢٠٥
محمد أحمد عزام: ٢٠٧
محمد شحادة عزام: ١٩٣
ناصر قاسم شحادة عزام: ٢١٠
نمر محمد نمر عزام: ١٩٨
وليد محمود شحادة عزام: ٢٠٩
محمد جديد عزين: ١٨٠
محمد العجمي: ٢٥٧

عبد السلام العجيلي: ١٨٠
محمد باشا العظم: ١٣٤-١٣٧
يوسف العظمة: ١٦٣
عثمان بن عفان: ١٢٠
أحمد الناصر العلي: ٢٠٣
حسني علي حسني العلي: ٢٠٣
حسني أحمد حسني العلي: ١٥٢
رفاعية محمود حسني العلي: ١٨٧
زهرة العلي: ١٦٠
علي حسني العلي: ١٧٨-٢٢٢-٢٢٩
عثمان أحمد عثمان علي: ١٥١
محمد العلي: ١٥٨
محمود الناصر علي: ٢٠٤
خليل حسن قدورة العلي: ٢٠٤
يوسف انطانس عقل: ٢١٤
لطف الله ظاهر عقل: ٢١٤
اتناس يوسف عقل: ١٨-١٩٥-٢١٩-٢٢٦-٢٥٢-٣٤٩
خورجي انطاس عقل: ٢١٢
ولف يوسف عقل: ٢١٤
وهبة عقل: ٢٨٤
غزالة العمر: ٢٨٩
غالب العياش: ١٨٠
أحمد حسين عيسى: ١٥٩-٢٣٩
محمد حسين عيسى: ١٥٩
محمد علي عيسى: ٢٤٠
ذياب بن غانم: ٢٣٦-٢٣٨
غطاس يوسف غطاس: ٣٤٨-٣٤٩
عبد الغفار: ١٨٠
ابراهيم علي غنيم: ١٥٣
محمود علي غنيم: ١٥٣
غورد: ١٦٣-١٩٥
انطون فرغاني: ٢٥٩

حسن محمد فرهود: ٤١
فياض فرهود: ٤١
فلسطين: ٢٣٢-٢٥٣-٣٣٨
فيليب: ٨٠
ساري فنيش: ١٨٠
قانصوه الفوري: ١٢٨
ريمون ميخائيل فؤاد: ٢١٣
فخري القاوقجي: ١٧٧-١٧٨-١٩٠-١٩١
علي مصطفى قاسم: ١٩٨
محمد مصطفى قاسم: ١٩٨
بسام مصطفى قاسم: ١٩٨
فائز القصري: ١٨٠
قطر: ١٢٦
علم الدين القواص: ١٨٦
فلا وون: ١٢٦
إحسان كم الماز: ١٨٠
روبنسون كروسو: ٢٥٣
خليل كلاس: ١٨٠
حسان بن مجدل الكلبي: ١٢٠
رشيد علي الكيلاني: ١٧٧
لويس لورته: ٣٠-٣٣-٤٩-٥٥
البرفيسور مارس: ٢٥٥
اغناطيوس مبارك: ٢١٩
راجي مارون: ٣٤٦-٣٥٠
أحمد متور: ٢٧١
خالد بن الوليد المخزومي: ١١٨
محمد صلى الله عليه وسلم: ٢٦٩
عدنان مراد: ١٨٠
الاسكندر المقدوني: ٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥
خالد يونس المعجل: ١٧٥
ملفارت: ٨١
ادوار فياض منصور: ٢١٢

بصيلة حنا منصور: ٢١١
توفيق زكريا منصور: ٢١١
حنا عبد الله منصور: ٢١٣
عازر رضا منصور: ٢١١
مارون عبد الله منصور: ٢١٣
ناجي عازر منصور: ٢١٢
موسى عليه السلام: ٦٣-٦٤-٦٥
ميسون: ١٢٠

* * *

المحتوى

الاهداء ٤

المقدمة ٥

الباب الاول ٩

الأرض والتاريخ ٩

الفصل الاول ٩-٣٤

لمحة جغرافية ٩-٣٤

أ ـ تمهيد ب ـ الموقع ج ـ المواقع المشهورة د ـ أشهر المواقع الجنوبية هـ ـ المواقع الغربية و ـ المياه والينابيع ز ـ جبل الجرمق ح ـ المناخ ط ـ الحياة الزراعية ك ـ طرقات البلدة وأزقتها ـ الطرق العامة ـ طريق جبل عاملة ي ـ تربية الحيوانات ـ الحيوانات الأهلية ـ الحيوانات البرية ـ الطيور

الفصل الثاني

البلدان المجاورة ٣٥-٥٧

البلدان المجاورة ١ ـ الصفصاف ـ قائمة شهداء أبناء الصفصاف ـ قائمة شهداء حطين ٢ـ ميرون ٣ ـ قديثا ٤ـ طيطبا ٥ـ دلاّتا ٦ـ الرأس الأحمر ٧ ـ الريحانية ٨ـ علما ٩ـ صلحة ١٠ـ فارة ١١ـ كفر برعم ١٢ـ سعسع ١٣ـ غباطية

الفصل الثالث ٥٩

العهد العتيق منذ بنائها واستيطانها حتى الفتح الاسلامي ٥٩-٧٨

أ ـ أحلب الكنعانية ب ـ أحلب الكنعانية في مهب الريح ج ـ طروء العبرانيين على أرض كنعان د ـ السرطان اليشوعي في ارض كنعان هـ ـ العبرانيون يجتاحون أحلب و ـ الاستيطان العبراني في أحلب ز ـ لصوص الأرض ح ـ ما أشبه اليوم بالبارحة ط ـ جوش حلب العبرانية ي ـ جوش حلب والمملكة المتحدة ك ـ الانقسام ل ـ نهاية مملكة إسرائيل م ـ سقوط يهوذا وخراب أورشليم وتدمي راهيكل ن ـ الغضب

الكلداني الساطع س ـ الفرس على مسرح الساسة في بلادنا ع ـ إعادة اليهود من السبي ف ـ ازدهار الآرامية

الفصل الرابع ٧٩

جسكالا الهلنستية ـ جسكالا في العصر اليوناني ٧٩-٨٨

أ ـ المد الإغريقي ب ـ الاسكندر واليهود جـ ـ بعد خمود الإعصار د ـ الأيطوريون هـ ـ نتائج المد الإغريقي ١ـ امتزاج الشرق بالغرب ٢ـ انتشار الحضارة الهلنستية و ـ ثورة المكابيين زـ أحوال جسكالا في هذه الفترة

الفصل الخامس

جسكالا في العصر الروماني ٨٩-١١٦

أ ـ أولوس غابينيوس ب ـ المملكة الهيرودية جـ ـ بعد هيرودس الكبير د ـ حرب اليهود والرومان هـ ـ بذور الحرب في القرن الميلادي الأول والتنبؤ بالخراب و ـ الحرب ز ـ الشرارة الأولى للحرب ح ـ ردة الفعل الشعبية في سورية ط ـ تدخل السلطات العليا في إنطاكية ي ـ حصار غلوس لأورشليم ك ـ الامبراطور «نيرون» يتصدى للثورة ل ـ أحوال الجليل قبل وصول فسبسيان م ـ جسكالا تناوئ يوسيفوس ن ـ جسكالا تتزعم جبهة الرفض والمقاومة س ـ فسبسيان يقمع الثورة في الجليل ع ـ سقوط جسكالا ف ـ أورشليم في انتظار الكارثة ص ـ يوحنا الجشي في أورشليم ق ـ عامان آخران من الفوضى ر ـ شمعون بن جيورة في أورشليم ش ـ تيطس يحاصر أورشليم ت ـ نهاية يوحنا الجشي وشمعون بن جيورة

جسكالا في عهد المسيح: أ ـ طرد الباعة من الهيكل ب ـ استشهاد يوحنا المعمدان السيد المسيح في جسكالا: بولس الرسول ابن جسكالا الخالد ـ بطرس الرسول ابن جسكالا الخالد ـ ميلاده ونشأته ـ ايمانه بالمسيح ـ نضاله الرسولي ـ رحلاته التبشيرية ـ بولس الرسول في السجن ـ بطرس الرسول ابن جسكالا أيضا

الفصل السادس

العهد الوسيط ـ منذ الفتح الاسلامي حتى الاحتلال البريطاني ١١٧-١٦٣

١ـ جسكالا في أواخر العهد البيزنطي ٢ـ جسكالا إبان الفتح الاسلامي

التسمية الجديدة ـ الجش في زمن الحروب الصليبية ـ عودة إلى حمامات الدم من جديد ـ الجش في عهد المماليك ـ نيابة صفد ـ أحوال الجش في أيام المماليك ـ الجش في العهود العثمانية ـ التوسع العثماني باتجاه الشام ـ الجش ومنطقتها في زمن فخر الدين المعني الثاني ـ الجش بعد فخر الدين المعني ـ الجش في القرن الثامن عشر ـ أ ـ الشيخ ظاهر العمر ـ ب ـ أحوال الجش في زمن ظاهر العمر ـ أحمد باشا الجزار ـ أحوال الجش في أيام الجزّار ـ الجش في عهد محمد علي باشا ـ الزلزال الكبير يدمّر الجش وصفد وتوابعهما في ١٨٣٧/١/١ ـ الجش في أواخر العهد العثماني ـ أحوال الجش في هذا العهد ـ مرض الهذلان سنة ١٩٠١م ـ الجش في الحرب العالمية الأولى ـ الجش وكوارث الحرب ـ التجنيد الإجباري. (السفر برلك) ـ الهجرة إلى العالم الجديد ـ الجراد عام ١٩١٥م

الحياة الاجتماعية في الجش في أواخر العهد العثماني: الزراعة ـ الصناعة ـ التجارة ـ التحول في زعامة البلدة ـ عبد الرحمن عزيز ـ مجلس سمر في دار عبد الرحمن عزيز

الفصل السابع ١٦٥

العهد الحديث ١٦٥-٢١٤

العهد الحديث منذ الاحتلال البريطاني حتى عام ١٩٤٨م «الجش» في العهد البريطاني الأسود ـ الثورات المتعاقبة وكفاح البلدة (١٩٣٦ـ١٩٣٩)م «الجش» في ثورتي (١٩٣٦ـ ١٩٣٩)م ـ أشهر المعارك التي خاضها ثوار البلدة ـ ١ـ معركة وادي عروس ٢ـ كيف سقط الشهيد ٣ـ معركة جرن حلاوة ٤ـ معركة الجرمق انتكاس الثورة في «الجش» ـ أحوال «الجش» إبان الحرب العالمية الثانية ـ الصلح بين (حسين علي شهينة) وأهل (الجش) «الجش ـ جسكالا» في عام ١٩٤٨م ـ أثر قرار التقسيم على أهل البلدة ـ لجنة شراء الأسلحة فوزي القاوقجي يزور البلدة ـ حامية البلدة تستقبل «القاوقجي» ـ جيش الإنقاذ يصل المنطقة ـ اليهود يهاجمون قرية «سعسع» سقوط قرية «عين الزيتون» ـ سقوط مدينة «صفد» ـ عودة جيش الإنقاذ من جديد ـ الفوج العلوي وتحصين «الجش» ـ الاستعداد للمعركة ـ المعركة وسقوط بلدة «الجش» ـ ليلة الهول ـ الدبابات تتجه إلى «الجش» ـ القتلى والجرحى في «الجش» ـ

عملية حيرام واحتلال القرية من وجهة نظر العدو ـ أهل الجش في الشتات ـ الباقون في البلدة ـ الفظائع التي ارتكبها اليهود في البلدة عند احتلالها ـ السلطات الإسرائيلية تنقل أهالي «كفر برعم» إلى «الجش» الجاليات الجشية في سوريا ولبنان وسائر أنحاء العالم.

١ـ في لبنان: ـ مخيم المية ومية ـ مخيم البص على مقربة من «صور» ـ برج البراجنة ـ في صور ومخيم الرشيدية ـ في مخيم البداوي ٢ـ في سوريا: أ ـ في مخيم النيرب ب ـ في مخيم العائدين بحمص ج ـ في مخيم العائدين بحماة د ـ الجالية الجشية في دمشق ٣ـ الهجرة خارج الوطن العربي ـ في أمريكا ـ في النيروج ـ في السويد ـ في ألمانيا ـ في بريطانيا ـ في الدنمارك ـ في روسيا ـ في رومانيا. الهجرة من داخل الارض المحتلة ـ الولايات المتحدة ـ كندا ـ السويد ـ استراليا ـ فرنسا ـ البرازيل ـ غواتيمالا ـ انكلترا ـ الارجنتين

الباب الثاني ٢١٥

الانسان والمجتمع ٢٢٦

الحياة الاجتماعية في الجش قبل النكبة: العادات والتقاليد ـ الحياة البشرية:

١ـ السكان ٢ـ ديانات السكان ٣ـ عائلاتها وحمائلها: ـ الخلايلة أو آل الخليلي ـ آل جبران ـ آل عقل ـ الزيادنة (آل زيدان) ـ العزازمة(آل عزام) ـ آل سعد ـ آل الظاهر ـ آل أيوب ـ آل أبو زينب ـ آل عيسى كلثوم ـ آل بليبل ـ آل نجم ـ آل أيوب بخيت ـ آل عبود ـ آل حبيب ـ آل العلي ـ آل الياس ٤ـ صفات أهل الجش ومزاياهم: ـ عراقة الأصول وكرم المحتد ـ اعتدال القامات وصباحة الوجوه ـ الشجاعة والبسالة والجرأة بقول الحق ـ الكرم وطيب الخلق والمعاشرة ـ احترام الغريب ـ الإلفة وحسن المعاملة ـ التعاضد والتعاون ـ النظام ـ الأمانة ـ الإخاء والتسامح ـ التديّن ـ الذكاء ـ الإخلاص ـ الأناقة والاهتمام بالهندام والمظهر ـ التعاون بين الزوجين ـ لغة أهل الجش

الفصل الثاني ٢٢٧

الحياة الاقتصادية ٢٢٧-٢٤٣

١- الملبس ٢- المآكل الجشية ٣- أنواع المآكل: - كبة الصبايا - المجدرة - البليلة - الفريكة - الزلابية والزنغل - الشش برك - المفتول - اللحم المشوي على الصاج - القاورمة - أنواع السمك - المضيرة - الكشك. الحلويات: - الرز بحليب - اللزاقيات - المشبك والعوامة - كعك العيد - الأقراص - أصابع زينب - ست الحسن - الكنافة. المشرب: - النقل والتسالي - السمر.

الرياضة البدنية والألعاب: - الفروسية - الكورة - مطقطق الحجران - التخباية - الدحل - المباطحة أو المصارعة - المباهاة بالقوة البدنية - العمدة - طوشة أهل الجش مع أهل حطين.

الصيد: ١- صيد الدبق ٢- صيد الفخاخ ٣- الصيد بالبنادق ٤- طرفة.

الفصل الثالث ٢٤٥

المظاهر الحضارية الحديثة وبدايات النهضة ٢٤٥-٢٦٥

- الهجرة إلى المدن - التربية والتعليم في البلدة - في العهد العثماني - في العهد البريطاني

البغيض (المدرسة الأميرية للبنين في الجش): - جهاز المدرسة التعليمي: ١- غطاس يوسف غطاس. ٢ - محمد حمد (أبو طالب). ٣ - أتناس يوسف عقل. ٤- حسن حميدة. ٥- لطيف عبدوش. ٦- صبري الصادق. ٧ - سمير الخطيب ٨ - معن أيوب.

- المدارس الخاصة في البلدة:

- بيني وبين الشيخ أحمد عبد الحليم الخطيب

- مكتبات البلدة: ١ - مكتبة الشيخ حسن خليل ٢ - مكتبة آل عقل ٣ - مكتبة الجامع ٤ - مكتبة الدير ٥ - مكتبة الكنيسة ٦ - مكتبة المدرسة.

- انتشار الصحف - الصحة العامة: - مستوصف البلدة - آثار البلدة: - الكنيستان البيزنطيتان.

مسجد البلدة: - دير البلدة - كنيسة السيدة - كنيسة مار مارون - دير راهبات الوردية - تطور البلدة بعد الاحتلال الإسرائيلي: ١- مجلس الجش المحلي ٢- مشروع كهرباء البلدة ٣- بناء المدرسة الحديثة ٤- الهيكل التنظيمي ٥- الصرف الصحي ٦- نادي المسنين ٧- بناية المجلس المحلي ٨ - الكنيسة المارونية الجديدة. سكان الجش

اليوم - قائمة بأسماء مخاتير الجش - قائمة بأسماء شهداء بلدة الجش في الثورة الفلسطينية.

الفصل الرابع ٢٦٧

العادات والتقاليد والمأثورات الشعبية ٢٦٧-٣٠٠

- العيد وتقاليده - الأفراح - الطهور - الموالد - عودة الغياب - رمضان في الجش - العرس وتقاليده: ١ - الاستعداد للعرس ٢ - الحطب ٣ - الحليب ٤ - الخضراوات - يوم العرس حلاقة العريس. السحجة. أنواع السحجة (ثابتة - متحركة) - الاحتفال بالعروس أ- حلوة العروس - زفة العريس - يوم الصباحية - الموسيقيون والآلات الموسيقية - الحداء والحداؤون - أشهر الحدائين - عودة الى أخبار الحدائين.

الأغاني الشعبية: إضمامة من أغاني الدلعونا - يا ظريف الطول - يا ريمة فرعنت - إضمامة عتابا - إضمامة من الزغاريد.

الفصل الخامس ٣٠٠

بلدة الجش في الشعر الفصيح ٣٠٠-٣١٢

١- قريتي ٣٠٢

٢- أغنية حب إلى جسكالا ٣٠٤

٣- عصفورة الجولان ٣٠٩

الفصل السادس ٣١٢

إضمامة من الأمثال الشعبية الدارجة ٣١٢-٣٢٦

المراجع والمصادر ٣٢٧

فهرس الأماكن والبلدان ٣٣٠

فهرس الأعلام ٣٣٩

المحتوى العام للكتاب ٣٦٠

بلدة الجش

بلدة تاريخية عريقة ، تقع في شمالي فلسطين ، في موقع لا أحلى ولا أجمل تتوسط المسافة بين طبريا وصور ، بناها الكنعانيون منذ فجر التاريخ وعرفوها باسم (أحلب) بمعنى الخصيب أو السمين، أسماها العبرانيون باسم (جوش حالاف) عندما سيطروا على أجزاء منها. ازدهرت في العصور الهلنستية (اليوناني والروماني) وحملت اسم (جسكالا) وقف القائد الروماني الكبير تيطس أمام أسوارها سنة (٧٠ م) للقضاء على ثورة اليهود .

أسماها الفاتحون المسلمون باسم (الجش) وازدهرت في زمانهم وخاصة في العهد الإخشيدي ، حيث ارتقت إلى مدينة وبقيت محافظة على مركزها حتى دمّرها الزلزال العنيف الذي أطاح ببلدان سورية الجنوبية عام (١٨٢٧م) ثم عادت إلى الحياة وهي الآن تتألق كالدرة على جبين الجليل الأعلى ، بين حرمون وجبل الجرمق . أنجبت كثيراً من المشاهير عبر العصور ، كبولس الرسول وغيره . تشتت أهلها في أرجاء المعمورة بعد النكبة وهم ما زالوا ينتظرون العودة إلى ثراها الطاهر .

هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب في تاريخ (جسكالا) فحسب ، وإنما هو استعراض سريع لتاريخ فلسطين وبلاد الشام كافة منذ أقدم العصور حتى اليوم .

كما يتكلم على تاريخ الديار الصفدية بعامة، و (ديار الجيرة) بخاصة ، وهي الديار الفلسطينية الشمالية المحاذية (لجبل عامل) في لبنان ، مثل صفد والجش وسعسع والصفصاف وميرون وعلما وطيطبا والرأس الأحمر وصلحا وفارّه وغيرها .

كما يقدم دراسة موسعة في العادات والتقاليد الشعبية الموروثة ، والأغاني والأهازيج في أفراح هذه البلدان واحتفالاتها ، كما يذكر عائلاتها و حمائلها وجهادها الشاق المشرف قبل النكبة وبعدها ، ويعدد شهداءها . كما يتتبعها في ديار الشتات ذاكراً مساكنها في المخيمات سواء في سوريا و لبنان أو هجرة شبابها إلى أقصى المعمورة في أوروبا و أمريكا و استراليا ويسوق المؤلف كل ذلك بأسلوب شاعري جميل وبلغة عربية سلسة وبتدقيق وتمحيص جادين ومتابعة حريصة على الصدق والأمانة حتى كان هذا الكتاب نتيجة جهد وبحث دائبين استمرا طيلة ربع قرن من الزمن أوأكثر .

الناشر

الحلبي للصناعة والطباعة
ص.ب ١٣٠٢٨ - دمشق - سوريا
٢٢٣٤٠٣٩ - ٢٢١١٢٤٧ - فاكس ٢٢١٩٢١٢
تلكس ٤١٢٧٦٩ - حلبي - سوريا